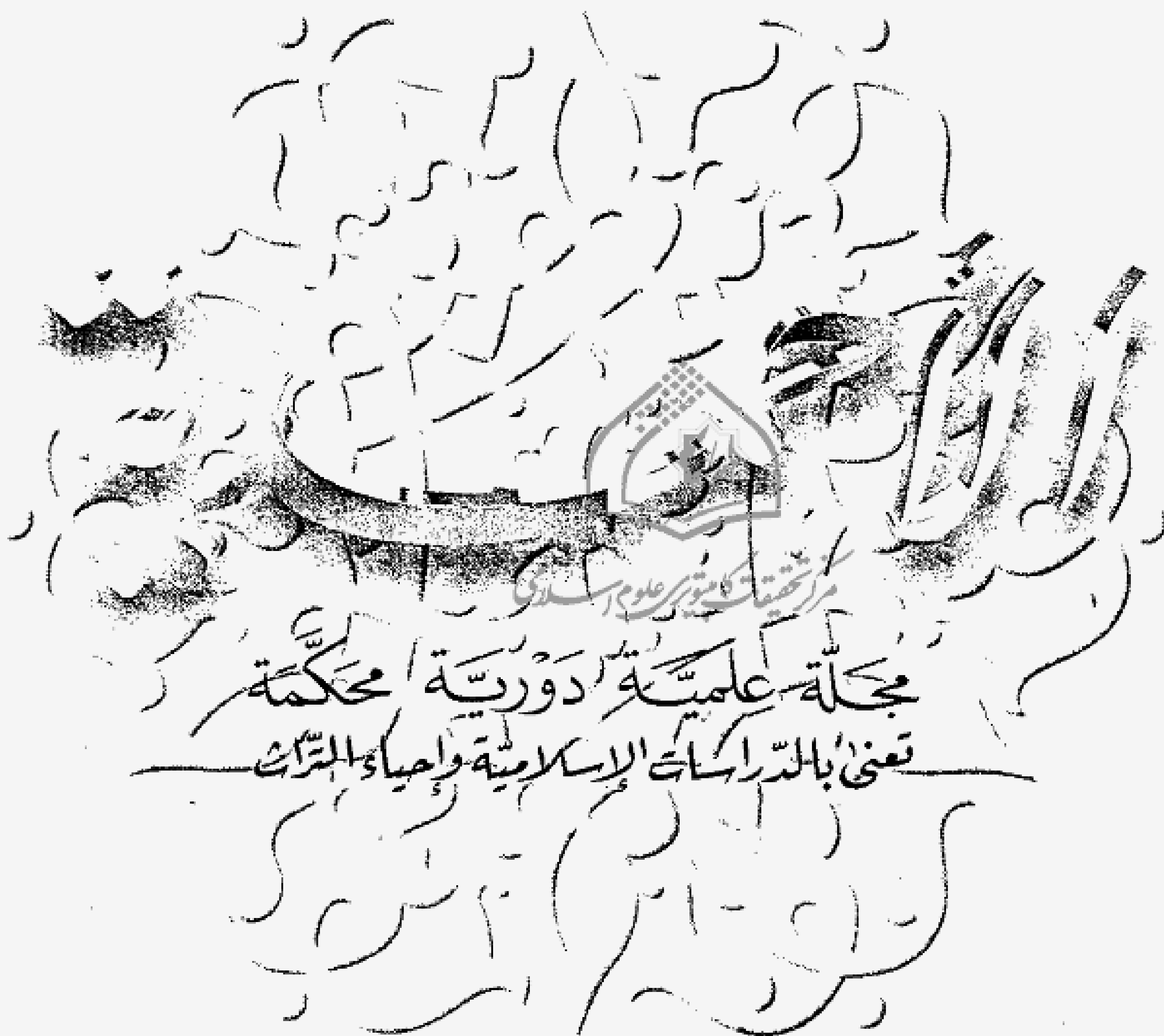
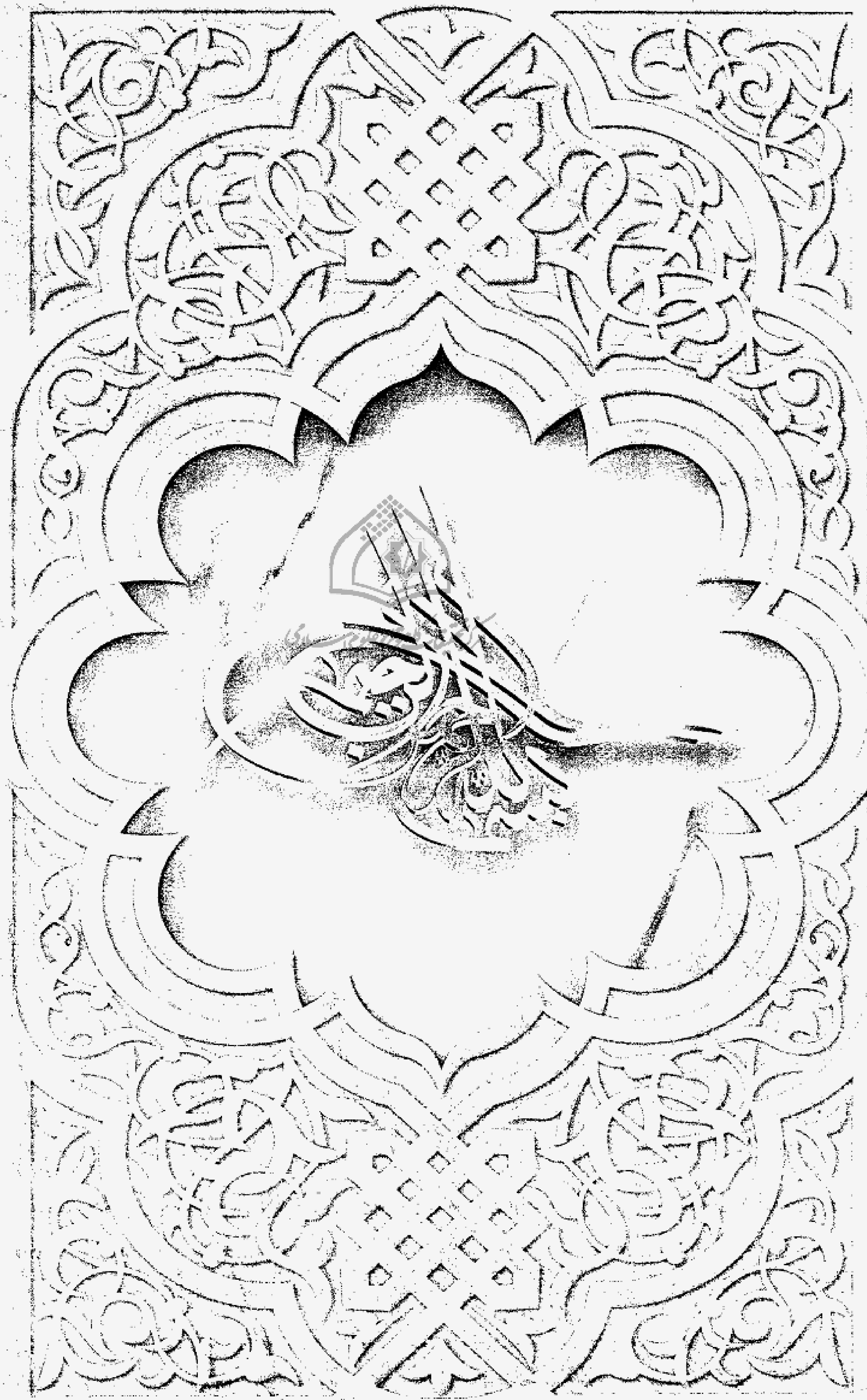
دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث

العدد الحادي عشر : جمادى الأولى ١٤٢٣ هـ - يوليو "تموز" ٢٠٠٢ م



مجلة علمية دورية محكمة
تعنى بالدراسات الإسلامية وإحياء التراث



قواعد النشر

تُعنى المجلة بنشر البحوث العلمية وتحقيق التراث وَفْق الأمور التالية :

١ - ألا يكون البحث منشوراً من قبل على أي صورة من صور النشر ، ولا مرسلاً إلى جهة أخرى ، ويُعدّ إرساله إلى المجلة تعهداً بذلك . وفي حال قبوله للنشر في المجلة لا يسمح للباحث بنشره في مكان آخر إلا بعد مرور سنة كاملة على تاريخ نشره فيها .

٢ - ألا يكون مستلاً من بحث أو رسالة نال بها الباحث درجة علمية .

٣ - ألا يتجاوز ستين صفحة .

٤ - أن يكون متسماً بالجَوْدة والأصالة في موضوعه ومنهجه وعرضه ومصادره ، متوافقاً مع عنوانه ، بعيداً عن الحشو ، سليم اللغة ، دقيق التوثيق والتخريج ، مع الالتزام بعلامات الترقيم المتنوعة ، وضبط المشكل ، وأن يراعى فيه سائر المعايير العلمية .

٥ - أن يكون العزو إلى صفحات المصادر في الحاشية لا في الصُّلب .

٦ - أن ترقم حواشي كل صفحة على حدة .

٧ - أن يُقدَّم اسم الكتاب على اسم مؤلفه عند توثيق النصوص في الحواشي ، وكذلك في ثبت المصادر والمراجع .

٨ - ألا يشار في الحواشي إلى المعلومات المتعلقة بطبعة الكتاب المُحال إليه ، إلا في حال اعتماد الباحث أكثر من طبعة للكتاب الواحد .

٩ - أن يراعى الابتداء بالتاريخ الهجري في كل ما يؤرخ .

١٠ - أن تكتب الأعلام الأجنبية أولاً بحروف عربية ، ثم باللاتينية لمن أراد .

١١ - أن تثبت المصادر والمراجع مستوفاة في آخر البحث مرتبة على حروف المعجم .

١٢ - أن توضع النماذج المخطوطة والصور التوضيحية في المكان المناسب .

١٣ - أن يُقدِّم الباحث تعريفاً ببحثه محرراً تام التحرير في نحو مئة كلمة ، ويفضل ترجمته إلى الإنكليزية .

١٤ - أن يُرفق البحث بسيرة ذاتية للباحث .

١٥ - أن يكون البحث مطبوعاً أو مكتوباً بخط واضح ، ومصححاً تصحيحاً كاملاً ، وترسل النسخة الأصلية للمجلة .

١٦ - لا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر .

١٧ - يُشعر أصحاب البحوث الواردة بوصولها إلى المجلة .

١٨ - يخضع ترتيب البحوث وتنسيقها في المجلة لاعتبارات فنية .

١٩ - يمنح صاحب البحث المنشور عشرين مستلة من بحثه ، وثلاث نسخ من العدد الذي نُشر له فيه ، إضافة إلى مكافأة مالية .

جميع المراسلات باسم مدير تحرير مجلة الأحمدية

دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث

ص.ب: ٢٥١٧٢ دبي - الإمارات العربية المتحدة

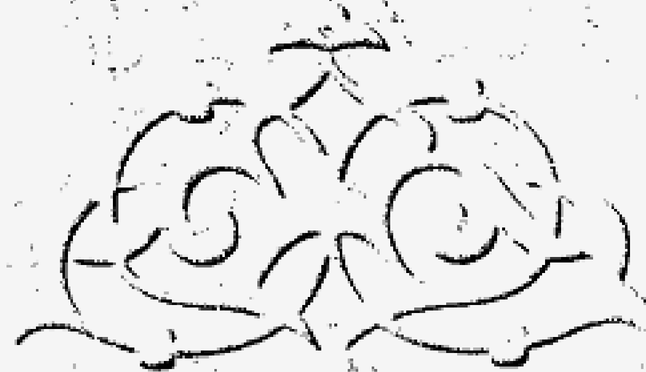
هاتف: ٣٤٥٦٨٠٨ - ناسوخ (فاكس): ٣٤٥٣٢٩٩

E-mail: ahmadiah@bhothdxb.org.ae



الموزعون المعتمدون

الإمارات	دار الحكمة - دبي	هاتف: ٢٢٦٥٣٩٤	فاكس: ٢٦٦٩٨٢٧
البحرين	مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف	هاتف: ٢٩٤٠٠٠	فاكس: ٢٩٠٥٨٠
السعودية	المكتبة المكية - مكة المكرمة	هاتف: ٥٣٤٠٨٢٢	فاكس: ٥٣٤٠٨٢٢
قطر	دار العروبة للصحافة والطباعة	هاتف: ٢٥٦٠٠١	فاكس: ٣٢٥٨٧٤
الكويت	الشركة المتحدة لتوزيع الصحف	هاتف: ٢٤٢١٤٦٨	فاكس: ٢٤٦٠٩٥٣
الأردن	شركة وكالة التوزيع الأردنية	هاتف: ٤٦٣٠١٩١	فاكس: ٤٦٣٥١٥٢
مصر	مؤسسة الأهرام - القاهرة	هاتف: ٥٧٩٦٣٢٦	فاكس: ٥٧٨٦٠٢٣
المغرب	الشركة العربية الإفريقية للتوزيع	هاتف: ٢٤٩٢٠٠	فاكس: ٢٤٩٢١٤
لبنان	المؤسسة اللبنانية العربية للتوزيع	هاتف: ٧٤٢٩٩٣	فاكس: ٧٤١٦٥٢

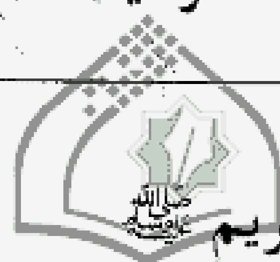


سعر النسخة: الإمارات العربية المتحدة (١٠ دراهم)، السعودية (١٠ ريالات)، الكويت (٨٠٠ فلس)، قطر (١٠ ريالات)، البحرين (٨٠٠ فلس)، عُمان (٥٠٠ بيسة)، مصر (٤ جنيهات)، سورية (٥٠ ليرة)، لبنان (٢٠٠٠ ليرة)، الأردن (دينار واحد)، اليمن (٧٠ ريالاً)، السودان (٧٥ ديناراً)، المغرب (٢٠ درهماً)، الجزائر (٢٥ ديناراً)، تونس (دينار واحد)، موريتانيا (٢٥٠ أوقية)،

خارج الدول العربية (دولاران أمريكيان أو ما يعادلهما)

الاشتراكات السنوية: الإمارات العربية المتحدة (٣٠) درهماً، الدول العربية والإسلامية (ما يعادل ١٠٠ درهم إماراتي) وما عداها (٤٥ دولاراً أمريكياً أو ما يعادلها).

المحتوى







الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين.

وبعد: فإن مما يلاحظ على طلاب العلم اليوم تفريطهم في حق «الكتاب» تفريطاً مؤسفاً، وتقصيرهم في «القراءة» تقصيراً مخجلاً، حتى كأنهم ليسوا أحفاد أولئك الأعلام الذين كان الكتاب لديهم أحب حبيب وخير جليس.

وقد ارتأيت في هذه الافتتاحية أن أذكّر نفسي، والإخوة القراء بشيء من علاقة علمائنا الأبرار - طيب الله ثراهم - بالكتاب، وعشقهم له، وإقبالهم عليه، وميلهم المدهش إليه، واستنفادهم الأوقات الطويلة المتوالية في القراءة والنظر، والمطالعة والمراجعة، وصبرهم العجيب ومثابرتهم المثلى في ذلك، وشدة نهمهم في الاطلاع على العلوم والمعارف والآداب.

وفي كتب التراجم والفهارس والمشيخات الشيء المعجب الكثير الواسع من ذلك، بحيث لو نهض ناهض نابه فتتبعه واستقراه، وأصّله وقعّده، وبوّبه وفصّله - كمّاً وكيفاً - وما إلى ذلك مما يلتحق به في هذا المجال، لاستفاد وأفاد، وأتى بخدمة جليلة، وتحفة فريدة أصيلة.

ومن النظر في حبِّ العلماءِ الكتابَ وإدمانهم القراءة وصبرهم عليها يتبين لنا كيف أسسوا أنفسهم، وبنوا شخصياتهم.

ومن نافلة القول أن من صفات الباحث الناجح، والمؤلف المفيد، والكاتب النفاع، والمحقق البارع أن يكون قد تأسس أحسن تأسيس وأتمه، وبنى نفسه أفضل بناء وأكمله، وذلك حسب المنهج الذي جرى عليه علماء الأمة الموفقون المرضيون:

- بالسعي إلى الشيوخ والجلوس إليهم، والقراءة عليهم، والاستضاءة بعلمهم وسمتهم، وملازمتهم الملازمة الطويلة.

- وبالإقبال على الكتب، والإكثار من النظر فيها، واستيفائها قراءة وتفهماً، وحفظاً وإحاطة، والوقوف على ما فيها تمام الوقوف.

فإذا تسلح الطالب الجاد الحازم بهذين السلاحين، وتغذى بما في الصدور والسطور، وأطال العكوف عليهما، والإفادة منهما، والرجوع إليهما دائماً: جاء منه بعد ذلك «باحث

متين» يبحث بعلم وفهم، ويكتب بأصالة وإبداع، ويحرر بتمكن واستيعاب، عارفاً بخبايا الكتب وخفاياها، ومناهجها وطواياها، وما يؤخذ منها وما يترك، وهكذا . . .

وبهذا يضيف إلى «المكتبة الإسلامية» إضافة ذات بال، ينال بها الحسنيين : أجراً وذخراً عند الله سبحانه وتعالى، وذكراً وشكراً في الناس، ينتفع بهما بعد رحيله، بدعوة صالحة وثواب موصول.

أجل، لقد كان لعلمائنا في «القراءة» وإدمانها والصبر عليها وبذل الأعمار فيها أخبار محفزة مرغبة، محرِّقة مشوِّقة، وبنا إليها اليوم أمس الحاجة، عسى الله تعالى أن يحيي بها جدب القلوب وخواء الأرواح، وموات الهمم وركود العزائم، وأن يحرك الرغبات الساكنة، والقدرات الكامنة، والتطلعات الذاوية، والإرادات الخاوية.

-فمن هذه الأخبار ما جاء عن الإمام الكبير شيخ المفسرين والمؤرخين محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠هـ).

قال رحمه الله : «لما دخلت مصر (سنة ٢٥٦هـ) لم يبق أحد من أهل العلم إلا لقيني وامتحنني في العلم الذي يتحقق به. فجاءني يوماً رجل، فسألني عن شيء من العروض، ولم أكن نشطت له قبل ذلك، فقلت له : عليّ قول أن لا أتكلم اليوم في شيء من العروض، فإذا كان في غد فصر إلي، وطلبت من صديق لي «العروض» للخليل بن أحمد، فجاء به، فنظرت فيه ليلتي، فأمسيت غير عروضي، وأصبحت عروضياً» كما في «معجم الأدباء» (٦ /٢٤٤٩).

فانظر إلى هذه الهمة، وإلى هذا الصبر والجلد، يعكف على «كتاب» ليلة كاملة فيقرؤه ويفهمه، ويصبح عالماً بمحتواه، ويجيب على سؤال الممتحن فيه.

-ومنهم حافظ بغداد ومؤرخها : أحمد بن علي الخطيب (٣٩١-٤٦٣هـ) :

قال هو نفسه في ترجمة الشيخ إسماعيل بن أحمد الحيري النيسابوري (٣٦١ - بعد ٤٣٠هـ) في «تاريخ مدينة السلام» (٧ /٣١٨) :

«قدم علينا حاجاً في سنة ٤٢٣هـ . . . وكان قد اصطحب معه كتبه عازماً على المجاورة بمكة، وكانت وقر بعير، وفي جملتها «صحيح» البخاري، وكان سمعه من أبي الهيثم الكشميهني عن الفربري، فلم يُقضَ لقافلة الحجيج النفوذ في تلك السنة لفساد الطريق، ورجع الناس، فعاد إسماعيل معهم إلى نيسابور، ولما كان قبل خروجه بأيام خاطبته في قراءة كتاب «الصحيح» فأجابني إلى ذلك، فقرأت جميعه عليه في ثلاثة مجالس : اثنان منها في ليلتين، كنت أبتدئ بالقراءة وقت صلاة المغرب، وأقطعها عند صلاة الفجر، وقبل أن أقرأ المجلس الثالث عبر الشيخ إلى الجانب الشرقي مع القافلة ونزل الجزيرة بسوق يحيى، فمضيت إليه مع طائفة من أصحابنا كانوا حضروا قراءتي عليه في الليلتين الماضيتين، وقرأت عليه في الجزيرة من ضحوة النهار إلى المغرب، ثم من المغرب إلى وقت طلوع الفجر، ففرغت من الكتاب. ورحل الشيخ في صبيحة تلك الليلة مع القافلة» !

قال الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٣١ /٩٩) : «وهذا شيء لا أعلم أحداً في زماننا يستطيعه»، وحين عدّ القلقشندي مَنْ كان فرداً في زمانه بحيث يضرب به المثل في أمثاله

عَدَّ الخطيبَ في سرعة القراءة، كما في «صحيح الأعشى» (١ / ٤٥٤)

فاقرأ وتعجب وترحم على تلك الهمم، وحاول أن تتشبه.

وللخطيب خبر آخر مع صحيح البخاري:

قال ابن الجوزي في «المنتظم» (١٦ / ١٢٩): «وقد حج... وقرأ «صحيح» البخاري على كريمة بنت أحمد المروزي في خمسة أيام». وكان حجه سنة ٤٤٦هـ، وله من العمر «٥٥» سنة، بينما كان له حين القراءة الأولى «٣٢» سنة.

وكريمة هذه عالمة فاضلة ومحدثة كاملة، قرأ عليها الأئمة الكبار، ولم تتزوج قط، ولها ترجمة في «المنتظم» وغيره، توفيت بمكة سنة (٤٦٣هـ) وقيل إنها بلغت المئة.

هذا، وقد ذكر الإمام المؤرخ السخاوي أنه ذاكر شيخه الحافظ ابن حجر في هذه الواقعة فقال: «قلت له: يا سيدي، كما في شريف علمكم أن الحافظ الخطيب أبا بكر البغدادي لقي كريمة المروزية بمكة فقرأ عليها «الصحيح» في أيام منى (كذا، والصواب خمسة أيام) فهل وقع لكم استيفاء يوم في القراءة؟ فقال: لا، ولكن قراءتي «الصحيح» في عشرة مجالس، لو كانت متوالية لنقصت عن هذه الأيام، ولكن أين الثريا من الثرى، فإن الخطيب - رحمه الله - قراءته في غاية من الصحة والجودة والإفادة وإبلاغ السامعين». «الجواهر والدرر» (١ / ١٦٣).

ولننظر إلى جواب ابن حجر وتواضعه، ففي ذلك درس عظيم!.

- ومنهم الإمام العارف تقي الدين طلحة بن مظفر العَلْثي (ت: ٥٩٣هـ):

قال تلميذه الشيخ ناصح الدين بن الحنبلي: «سمع الحديث الكثير، وقرأ «صحيح» مسلم في ثلاثة مجالس.

وكان يقرأ كتاب «الجمهرة» على ابن القصار، فمن سرعة قراءته وفصاحتها قال ابن القصار: هذا طلحة يحفظ هذا الكتاب؟ قالوا: لا».

ثم قال تلميذه المذكور: «وكان يقرأ الحديث فيبكي، ويتلو القرآن في الصلاة ويبكي». «الذيل» لابن رجب (١ / ٣٩٠).

فانظر كيف آتاه الله حب العلم، والعمل والانتفاع به.

- ومنهم الإمام المجتهد المجدد أبو الفتح ابن دقيق العيد القشيري (ت: ٧٠٢هـ):

قال الإمام السبكي في ترجمته في «طبقات الشافعية الكبرى» (٩ / ٢١١): «وأما دأبه في الليل علماً وعبادة فأمر عجاب، ربما استوعب الليلة فطالع فيها المجلد أو المجلدين»!

- ومنهم الإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين الذهبي (٦٧٣ - ٧٤٨هـ)

ومن أخباره أنه قرأ جميع «سيرة» ابن هشام على شيخه مسند الوقت الشيخ الزاهد أبي المعالي أحمد بن إسحاق الأبرقوهي (٦١٥ - ٧٠١هـ) في ستة أيام فقط، وذلك في رحلته إلى مصر سنة ٦٩٥، كما في «الذهبي ومنهجه في تاريخ الإسلام» ص ٩٤.

وكان له من العمر «٢٢» سنة ولشيخه المقروء عليه «٨٠» سنة!

- ومنهم الإمام الحافظ زين الدين العراقي (ت ٨٠٦هـ):

ومن أخباره أنه قرأ «صحيح» مسلم على محمد بن إسماعيل الخباز (٦٦٧ - ٧٥٦)

بدمشق في ستة مجالس متوالية، قرأ في آخر مجلس منها أكثر من ثلث الكتاب، وذلك بحضور الحافظ زين الدين بن رجب (ت ٧٩٥هـ) وهو يعارض بنسخته. كما في «قواعد التحديث» للقاسمي ص ٢٦٢.

ومحمد بن إسماعيل المعروف بابن الخباز هو مسند دمشق في عصره، قال ابن حجر في ترجمته في «الدرر الكامنة (٣ / ٣٨٤)»: «أكثر عنه شيخنا العراقي، وذكر لي أنه كان صبوراً على السماع، وكان يكتسب بالنسج. قال: فكنا نقرأ عليه وهو يعمل في منزله من بكرة إلى العصر»!.

- ومنهم الإمام اللغوي صاحب القاموس مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ):

ذكر الإمام السخاوي في «الجواهر والدرر» (١ / ١٦٢)، والقاسمي في «قواعد التحديث» ص ٢٦٢ أنه قرأ «صحيح مسلم» بدمشق بين بابي الفرج والنصر تجاه نعل النبي ﷺ، على ناصر الدين أبي عبد الله محمد بن جهبل في ثلاثة أيام، وأنشد:

قرأت - بحمد الله - جامع مسلم ... بجوف دمشق الشام كرسي الاسلام
على ناصر الدين الإمام ابن جهبل ... بحضرة حفاظ مخاريج أعلام
وتم بتوفيق الإله وفضله ... قراءة ضبط في ثلاثة أيام

- ومنهم حافظ المغرب أبو القاسم بن موسى بن معطي العبدوسي (ت: ٨٣٧هـ):

قال السيد محمد الشلي في «المشرع الروي» (٢ / ١٢٢): «وحكي أن حافظ المغرب أبا القاسم العبدوسي قرأ «صحيح» البخاري بلفظه أيام الاستسقاء في يوم واحد».

فكم قرأ «الصحيح» حتى مرن عليه، أو هو البركة في الوقت وثمرة التقوى والإخلاص؟ أم ماذا؟.

وهذه القراءة وإن كانت لغاية معينة إلا أنها تدل على حب القراءة وعظيم صبرهم عليها، وشدة إقبالهم على العلم وتمتعهم به، ولولا الحب لما كان هذا الجلد والصبر.

- ومنهم الإمام الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ):

قال تلميذه الإمام السخاوي (ت: ٩٠٢هـ) في «الجواهر والدرر» (١ / ١٦١) في كلامه على رحلة شيخه إلى دمشق وما كان فيها من الأعمال الجليلة المدهشة:

«وأعانه على كل هذا أمور يسرها الله تعالى له قل أن تجتمع في غيره، منها: سرعة القراءة الحسنة:

فقد قرأ «السنن» لابن ماجه في أربعة مجالس.

وقرأ «صحيح» مسلم بالمدرسة المنكوتمرية على مسند مصر الشرف أبي طاهر محمد بن العز بن الكويك الربعي في أربعة مجالس، سوى مجلس الختم، وذلك في نحو يومين وشيء، فإنه كان الجلوس من بكرة النهار إلى الظهر... وانتهى ذلك في يوم عرفة، وكان يوم الجمعة سنة (٨١٣هـ)...

وكذا قرأ «كتاب النسائي الكبير» على الشرف المذكور في عشرة مجالس، كل مجلس منها نحو أربع ساعات، وسمعه بقراءته الفضلاء والأئمة . . . وانتهى في يوم عاشوراء سنة (٨١٤هـ).

وأسرع شيء وقع له أنه قرأ في رحلته الشامية «معجم الطبراني الصغير» في مجلس واحد بين صلاتي الظهر والعصر، وهذا الكتاب في مجلد يشتمل على نحو من ألف حديث وخمسمائة حديث؛ لأنه خرّج فيه عن ألف شيخ، عن كل شيخ حديثاً أو حديثين.

ومن الكتب الكبار التي قرأها في مدة لطيفة: «صحيح» البخاري، حدث به الجماعة من لفظه بالخانقاه البيبرسية في عشرة مجالس، كل مجلس منها أربع ساعات، وكان ذلك ـ فيما أظن ـ قريباً من سنة ٨٢٠هـ».

أقول: وأحاديث «المعجم الصغير» للطبراني بلغت ـ حسب ترقيم المياديني ـ (١١٩٨) حديثاً، ومهما يكن فإن هذا الرقم ليس قليلاً.

ـ ومنهم الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ):

ومن أخباره أنه قرأ «مسند» الشافعي ـ أو أكثره ـ على القمصي في يوم واحد. «الضوء اللامع» (٤/ ٦٨)، والقمصي هو جلال الدين عبد الرحمن بن أحمد (٧٩٢ ـ ٨٧٥هـ) وترجمته في «المنجم في المعجم» ص ١٣٧، ومسند الشافعي يضم ـ حسب ترقيمه من طبعة ترتيبه ـ (١٧٢١) حديثاً.

ـ ومنهم الإمام الصالح أحمد بن محمد القسطلاني (٨٥١ ـ ٩٢٣هـ) صاحب «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري»:

من أخباره أنه قرأ «صحيح» البخاري بتمامه في خمسة مجالس على الشاوي، كما في «الضوء اللامع» (٢/ ١٠٣)، و«النور السافر» ص١٠٦. وفي «المشرع الروي» (٢/ ٢٢)، و«خلاصة الأثر» (١/ ٧٣)، أنه قرأه في خمسة مجالس وبعض مجلس. والشاوي هو المسند المعمر أحمد بن عبد القادر بن طريف (٧٩٤–٨٨٤ هـ) كما في «المنجم» ص١٥.

ـ ومنهم السيد الجليل أبو بكر بن أحمد با علوي (٩٩٠ ـ ١٠٥٣هـ)

قال ولده محمد الشلي في «المشرع الروي» (٢/ ٢٢)، ونقله المحبي في «الخلاصة» (١/ ٧٣): «وكان كثير المطالعة للكتب، له جلد عظيم على قراءتها، فربما استوعب المجلد الضخم في يوم أو في ليلة، وبلغني أنه قرأ «الإحياء» في عشرة أيام، وهذا أمر عجيب بالنسبة لأهل هذا الزمان».

ـ ومنهم العلامة الشيخ جمال الدين القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ):

قال متحدثاً عن نفسه في كتابه «قواعد التحديث» ص٢٦٣: «والعبد الضعيف، جامع هذا الكتاب، قد منّ الله عليه بفضله:

ـ فأسمع صحيح مسلم رواية ودراية، في مجالس من أربعين يوماً، آخرها في ٢٨ من شهر صفر الخير سنة (١٣١٦هـ).

ـ وأسمع أيضاً « سنن » ابن ماجه كذلك في مجالس من واحد وعشرين يوماً، آخرها في ٢٢ من شهر ربيع الأول سنة (١٣١٦هـ).

ـ وأسمع أيضاً « الموطأ » كذلك في مجالس من تسعة عشر يوماً، آخرها في ١٥ من شهر ربيع الآخر سنة (١٣١٦هـ).

ـ وطالعت بنفسي لنفسي « تقريب التهذيب » للحافظ ابن حجر، مع تصحيح سهو القلم فيه، وضبطه وتحشيته من نسخة مصححة جداً، في مجالس من عشرة أيام، آخرها في ١٨ من شهر ذي الحجة سنة (١٣١٥هـ)

أقول : وهذه الكتب قرأتها بإثر بعضها، فأجهدت نفسي وبصري حتى رمدت بأثر ذلك ـ شفاني الله بفضله ـ وأشفقت من العود إلى مثل ذلك، وتبين أن الخيرة في الاعتدال، نعم، لا يُنكر أن بعض النفوس لا تتأثر بمثل ذلك، لقوة حواسها، وللإنسان بصيرة على نفسه، وهو أدرى بها ».

وبعد : فقد تبين لنا من هذه الأمثلة الموجزة المتعجلة ـ ولم أذكر إلا بعض قراءاتهم المحددة بزمن ـ يتبين لنا ما آتى الله علماء هذه الأمة من حب القراءة والمثابرة والصبر عليها، وما وهبهم كذلك من سرعة القراءة الواعية المتفهمة، والبركة في الوقت، تلك القراءة التي تسعفهم بما يريدون وقت ما يريدون، وانظر مثالاً على هذا، وقع للإمام يحيى بن معين في ترجمته التي صدّر بها الأستاذ الدكتور أحمد محمد نور سيف تحقيقه لكتابه « التاريخ » (١ / ٨٦).

وقد أتاح لهم هذا النهم في القراءة الاطلاع على « خبايا الزوايا » وما في « البحر المحيط » من « اللآلي المنثورة » فكان هذا التراث العلمي الكبير حاضراً أمامهم، وهم يكتبون ويؤلفون، وينتقون ويعالجون، وينتقدون ويصححون، فلا غرابة أن كانت آثارهم على أوفى ما يكون من الاستقصاء والإيفاء والجودة.

وقد مدح العلماء سرعة القراءة، وكانوا يوردون هذه العبارة مورد المدح، والأمثلة على ذلك كثيرة منثورة في مواضعها، ولا شك أنهم يريدون القراءة الواعية، المدركة المتفهمة، لا قراءة الهذرمة التي لا يقيمها صاحبها، ولا ينتفع بها سامعها.

والله المسؤول بكرمه وحسن توفيقه أن يحبب إلينا « القراءة » كما حببها إلى « الأجداد »، ويكره إلينا « العجز والكسل » كما كرههما إليهم، فإننا ـ كما قال الأستاذ محمود شاكر ـ: « أهل زمانٍ أُوتوا من العجز والتهاون ! أضعاف ما أُوتي أسلافهم من الجد والقوة ».

وإلى الله المشتكى ومنه وحده نستمد العون والقوة.

د. عبد الحكيم الأنيس

مدير التحرير





أضواء على ظهور علم المناسبة القرآنية

د . عبد الحكيم الأنيس*

التعريف بالبحث :

يتناول هذا البحث الكلام على ظهور علم المناسبة القرآنية، وتصحيح أخطاء شائعة في تاريخه، وذلك أن الزركشي نقل في «برهانه» عن الإمام أبي الحسن الشهراباني قوله :«أول من أظهر ببغداد علم المناسبة ولم نكن سمعناه من غيره الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوري....».

فجاء السيوطي وتصرف في هذه العبارة كثيراً، ومن ذلك قوله : «أول من سبق إلى هذا العلم».

ثم أتى محقق «البرهان» وترجم للنيسابوري على أنه الإمام الحافظ عبد الله بن محمد ابن زياد الشافعي (المتوفى سنة ٣٢٤ هـ) وتابعه كلُّ مَنْ كتب في هذا، مع إغفالهم ترجمة أبي الحسن الشهراباني، غير باحث واحد ترجم للنيسابوري على أنه الإمام المقرئ محمد بن عبدوس (المتوفى سنة ٣٣٨ هـ) وحكم على الشهراباني بالجهالة !

وهذا البحث يبين أن أبا بكر النيسابوري المذكور في كلام الشهراباني لم يسبق إلى هذا العلم كما ظن السيوطي ومتابعوه، وأن دوره ينحصر في إظهار هذا العلم في بغداد، وأنه ليس ابن زياد ولا ابن عبدوس، ويذكر أن المعروفين باسم (أبي بكر النيسابوري) كثيرون، وأن المقصود منهم هنا عالم من علماء القرن السابع الهجري، لأن الذي رآه ووصفه وهو أبو الحسن الشهراباني توفي سنة (٦٧٢ هـ)، وهو عالم من علماء بغداد الكبار، وليس مجهولاً كما تسرع البعض في الحكم عليه.

وفي ضوء هذه النتائج يقرر البحث أن التأريخ لظهور علم المناسبة ـ باعتباره علماً ـ في مطلع القرن الرابع الهجري ـ تبعاً لما سبق ـ غير صحيح .

ويدعو إلى إعادة النظر في تاريخه ومراحله ، وإلى نسبة الفضل لأهله، ويعرض ما توصل إليه في هذا المجال، إلى غير ذلك مما اقتضاه البحث من مناقشات وتساؤلات . ومن الله التوفيق.

* باحث أول في دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث بدبي ، ولد عام (١٣٨٥ / ١٩٦٥)، وحصل على درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن من كلية العلوم الإسلامية في جامعة بغداد بدرجة امتياز عام (١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م) . درّس في جامعتي صنعاء وبغداد وغيرهما ، وله عدة بحوث ومحققات .

المقدمة

من المتفق عليه أن الكشف عن تاريخ العلوم : نشأتها وتطورها والمراحل التي مرت بها من الأمور المهمة في فهم هذه العلوم وتصورها واستيعابها ، ومعرفة الظروف التي أحاطت بها ، وأثرت فيها .

ومن علوم القرآن التي تلقى اهتماماً كبيراً في هذا العصر : علم المناسبة بين آياته وسوره ، ويعرف بأنه علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه[١] ، وهو ما أدى إلى ما يسمى بـ « النظام » و « الوحدة الموضوعية » .

وقد كتب الباحثون في تاريخ هذا العلم ، في دراساتهم التي تناولته ، سواء كانت في التقديم لكتب قديمة فيه ، أو في كتب تدرس علوم القرآن ، أو في بحوث خاصة .

وفي تتبعي لتاريخ هذا العلم لحظت أخطاء كبيرة وقع فيها الدارسون والباحثون وهم يؤرخون لهذا العلم ويتكلمون على ظهوره ، فأحببت أن أصححها في هذا البحث ، من خلال نص مهم في هذا الباب ، قاله أبو الحسن الشهراباني عن الإمام أبي بكر النيسابوري ، هذا النص الذي تُصرِّفَ في عباراته في ستة مواضع ، وقدّم على زمانه ثلاثة قرون ، وحُمِّل ما لا يحتمل ، ولم يعرف المقصود به ، بل جُهِّل قائله أيضاً .

وتفصيل القول في ذلك يأتي في المطالب الآتية :

المطلب الأول : في ذكر كلام أبي الحسن الشهراباني وما حصل فيه من تصرف .

المطلب الثاني : محاولات التعريف بأبي بكر النيسابوري .

المطلب الثالث : التعريف بأبي الحسن الشهراباني .

المطلب الرابع : علم المناسبة في النصف الأول من القرن السابع وصدى إظهاره .

المطلب الخامس : تساؤلات يثيرها قول الشهراباني .

الخاتمة : رأي أولي في أولية علم المناسبة .

نتائج البحث .

---

(١) نظم الدرر للبقاعي ١/٦ .

المطلب الأول

في ذكر كلام أبي الحسن الشهراباني وما حصل فيه من تصرف

من أخطر الأمور النقل عن الآخرين بتصرف وتغيير واختصار ، ويجب على من يؤثر هذه الطريقة التأني والتريث والتفكير قبل أن يفعل هذا ، حتى لا يقع منه ما يكدر النص المنقول ، ومن التصرف الذي وقع للإمام السيوطي (ت ٩١١هـ) - وفيه ما يقبل وما لا يقبل - قوله في كتابه « الإتقان »[١] وهو يتحدث عن علم مناسبة الآيات والسور :

« قال ابن العربي . . . وقال غيره : أول من أظهر علم المناسبة الشيخ أبو بكر النيسابوري ، وكان غزير[٢] العلم في الشريعة والأدب ، وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه :

- لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه ؟

- وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة ؟

وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة » .

وأورد هذا النص في كتابه « معترك الأقران »[٣] من غير عزو ، وبدأه بقوله : « وأول من سبق إلى هذا العلم الشيخ أبو بكر النيسابوري ، وكان كثير العلم . . . » .

ونعود إلى « البرهان » للزركشي (ت ٧٩٤هـ) - لما هو معلوم من أن السيوطي بنى « الإتقان » عليه - فنجد النص فيه هكذا[٤]: « قال الشيخ أبو الحسن الشهراباني[٥]: أول من أظهر ببغداد علم المناسبة ، ولم نكن سمعناه من غيره : الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوري ، وكان غزير العلم ... » .

---

(١) النوع (٦٢) ٣/٣٢٢ .

(٢) في « الإتقان » : عزيز . وهو خطأ مطبعي .

(٣) ١/٤٣ - ٤٤ .

(٤) النوع (٢) ١/١٣٢ .

(٥) لم يذكر الزركشي موضع كلامه الذي نقل منه ، ولو فعل لساعد في القضاء على كثير من اللبس الذي حصل من بعده ، ولم يذكر شيئاً من كتبه - وسيأتي ذكرها - ولم ينقل عنه في غير هذا الموضع .

ملحوظات على نقل السيوطي :

نلحظ على نقل السيوطي أنه تصرف في ستة مواضع ، وبعض هذه التصرفات ليس له كبير أثر ، ولكن بعضها الآخر في غاية الخطورة ، وهذه هي :

الأول : أنه حذف اسم القائل (أبي الحسن الشهراباني) ، وذكرُهُ في غاية الأهمية كما سيأتي معنا .

الثاني : حذف ذكر المكان الذي وقع فيه هذا الإظهار : (بغداد) والنص عليه أساسي لما ستعلم .

الثالث : حذف قول الشهراباني : « ولم نكن سمعناه من غيره » .

الرابع : حذف وصف النيسابوري بـ « الإمام ».

الخامس : غير فيه لفظة « غزير » إلى « كثير » .

السادس : أنه في « معترك الأقران » لم ينسب القول إلى قائله ، وغيّر عبارة الشهراباني : « أول من أظهر ببغداد علم المناسبة » إلى قوله : « أول من سبق إلى هذا العلم ».

وهكذا انتقل النص من الكلام على إظهار النيسابوري علم المناسبة في بغداد إلى الحكم بأسبقيته المطلقة إلى هذا العلم[١] ، وهذا غير صحيح ـ كما سيأتي ـ[٢].

---

(١) يذكر هنا أنه لم يتعرض لمن سبق إلى هذا العلم في كتابه : الوسائل إلى معرفة الأوائل .

كما يذكر أنه كان في كلامه على النوع الثالث والستين وهو المتشابه اللفظي أدق حين قال ٣/٣٣٩: « أفرده بالتصنيف خلق ، أولهم ـ فيما أحسب ـ الكسائي » ، فقوله : « فيما أحسب » احتياط جيد. وقد بيّن الدكتور حازم سعيد حيدر في كتابه القيم : « علوم القرآن بين البرهان والإتقان » ص ١٥٤ ـ ١٥٥ أن هذا الحسبان منتقض ، وذكر ما ينقضه ، وقال ـ مشكوراً ـ : « . . . إن إطلاق أوليات التأليف في الفنون يحتاج إلى تتبع واستقراء تام » .

(٢) وانظر لزاماً تعليل تصرف السيوطي في عبارة الشهراباني في آخر المطلب الثالث .

وترتب - بناء على هذا - أن عُدّ النيسابوري مؤسس هذا العلم، ثم ترجم على أنه الحافظ عبد الله بن محمد بن زياد لدى جميع الدارسين[١] عدا واحداً ترجمه على أنه المقرئ محمد بن عبدوس بن أحمد ، ثم أُرخ لظهور هذا العلم بمطلع القرن الرابع الهجري لدى الجميع[٢] ! .

* * *



(١) انظر من ذلك : الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن وسوره (رسالة دكتوراه) للدكتور محمد أحمد يوسف القاسم ص٣٨ و ٤١ و ٢٣٥ ، والتناسب البياني في القرآن (رسالة دكتوراه) للدكتور أحمد أبو زيد ص ٣٤ ، والإمام السيوطي وجهوده في علوم القرآن (رسالة دكتواره) للدكتور محمد يوسف الشربجي ص ٣٥٢ .

(٢) وما جاء في تفسير « الأساس » ١/٢٤ : « كان البقاعي . . . يلوم علماء بغداد لإهمالهم الكلام في هذا الشأن » فهو سهو خاطر ، والمقصود النيسابوري هذا .

المطلب الثاني

محاولات التعريف بأبي بكر النيسابوري

عرفنا من النص السابق أن لأبي بكر النيسابوري شأناً مهماً إذ كان هو الذي أظهر ببغداد علم المناسبة، فمن يكون هذا الرجل ؟

الواقع أن الزركشي والسيوطي وعدداً ممنْ ذكر النيسابوري من بعدهما[1] لم يذكروا عن النيسابوري أي شيء يعرِّف به[2]، لكن قد نجد إشارة لدى الشيخ طاهر الجزائري إلى أنه متأخر ، فبعد أن قال : « لم يشتغل المتقدمون بعلم المناسبات ... » ، قال : « وقد خالفهم في ذلك كثير من المتأخرين ، فرأوا أن الاشتغال به من الأمور المهمة »، وهنا

---

(١) وذلك مثل :

- المؤرخ طاش كبري زاده (ت ٩٦٨هـ) في « مفتاح السعادة » ٢/٤٨٠ .
- والعلامة طاهر الجزائري (ت ١٣٣٨هـ) في « التبيان » ص ٢٩٧ .
- والمفسر عبد الحميد الفراهي الهندي (ت ١٣٤٩هـ) في « فاتحة تفسير نظام القرآن » ص ٣ .
- والشيخ قاسم القيسي البغدادي (ت ١٣٧٥هـ) في « تاريخ التفسير » ص ١١٦ .
- والسيد عبد المتعال الصعيدي (ت ١٣٧٧هـ) في كتابه « النظم الفني في القرآن » ص ٥ .
- والأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز (ت ١٣٧٨هـ) في « النبأ العظيم » ص ١٩٩ .
- والأستاذ الدكتور محمد فاروق النبهان في كتابه « مقدمة في الدراسات القرآنية » ص ٢٠٠ .

(٢) وهناك من تجاوز ذكر النيسابوري أصلاً :

- كالقنوجي (ت ١٣٠٧هـ) في « الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم » .
- والشيخ مناع القطان ـ رحمه الله ـ في « مباحث في علوم القرآن » .
- والسيد محمد بن علوي المالكي في « زبدة الإتقان في علوم القرآن » .
- والدكتور القصبي محمود زلط في كتابه « مباحث في علوم القرآن »
- والدكتور إبراهيم بن سليمان آل هويمل في بحثه « علم المناسبات بين المانعين والمجيزين » المنشور في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد (٢٥) ، وغيرهم .

قال : « وأول من أظهر علم المناسبة ببغداد الشيخ أبو بكر ... »[١] ، فهل يقصد الشيخ طاهر أن النيسابوري متأخر ؟ ربما ، وربما انتهى كلامه الذي كان فيه ، واستأنف فقرة أخرى فقال : « وأول من أظهر . . . » .

وهنا يقال أيضاً : ما الحد الفاصل بين المتقدمين والمتأخرين عنده ؟

* * *

هذا ، وقد بقي هذا الرجل (أبو بكر النيسابوري) غير معروف إلى هذا العصر ، ولكنه حين عُرِّفَ به وضعت له ترجمتان ليستا له ، وإنما هما لعالمين آخرين ، وهكذا اختلف فيه على ثلاثة أقوال :

القول الأول : أنه الإمام عبد الله بن محمد بن زياد :

وأول من ذهب إلى هذا محقق « البرهان » للزركشي في نشرته الأولى : الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم (ت ١٤٠١هـ) ، وهذا نص ترجمته له : « هو عبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري الفقيه الشافعي الحافظ ، رحل في طلب العلم إلى العراق والشام ومصر ، وقرأ على المزني ، ثم سكن بغداد ، وصار إماماً للشافعية بالعراق ، وتوفي سنة ٣٢٤هـ»[٢] .

وتابعه على هذا ـ وأذكرهم حسب تسلسل كتبهم ـ : الدكتور صبحي الصالح[٣] ، والدكتور محمد القاسم[٤] ، والدكتور زاهر بن عواض الألمعي[٥] ،

(١) التبيان ص ٢٩٧ .

(٢) البرهان ٣٦/١ وتحت يدي الطبعة الثانية المؤرخة بـ ١٣٩١هـ ـ ١٩٧٢م ، ولكن تاريخ مقدمة الطبعة الأولى هو : ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٧م .

(٣) في كتابه « مباحث في علوم القرآن » ص ١٥١ ، ط٥ ، ١٩٦٨م .

(٤) في كتابه «الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره» ص٣٧،ط١ ، ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م.

(٥) في كتابه « دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم » ص٧٨ ، ط١ ، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .

والأستاذ علال الفاسي[١]، والدكتور سعيد الفلاح[٢]، ومحققو « البرهان » للزركشي في نشرته الثانية : الدكتور يوسف المرعشلي والشيخان جمال الذهبي وإبراهيم الكردي[٣]، والدكتور أحمد أبو زيد[٤]، والدكتور محمد يوسف الشربجي[٥]، والأستاذ الدكتور نور الدين عتر[٦]، والأستاذ بسام محمد بارود[٧]، وغيرهم .

وقد رجعوا في مجموعهم إلى : تاريخ بغداد ١٢٠/١٠، اللباب لابن الأثير ٢٥٢/٣، سير أعلام النبلاء ٦٥/١٥، تذكرة الحفاظ ٨١٩/٣، غاية النهاية في طبقات القراء ٤٤٩/١، شذرات الذهب ٣٠٢/٢، كشف الظنون ١٦٣٦/٢، هدية العارفين ٤٤٥/١.

القول الثاني : أنه « محمد بن عبدوس بن أحمد بن الجنيد ، أبو بكر المقرئ المفسر الواعظ النيسابوري ، إمام فاضل عالم بمعاني القرآن . توفي سنة ٣٣٨هـ » .

ذهب إلى هذا الأستاذ محمد شعباني[٨]، ورجع في الترجمة إلى طبقات المفسرين للداوودي ١٩١/٢.

---

(١) في كتابه « المدخل لعلوم القرآن والتفسير » ص٤١، وجاء فيه « الشابوري » بدل « النيسابوري » .

(٢) في تقديمه لـ « البرهان في تناسب سور القرآن » لابن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨هـ) ص ٦٢ ، وطبع الكتاب سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، وأرخت وفاة النيسابوري فيه : ٤٢٣هـ وهو خطأ مطبعي .

(٣) جاءت ترجمتهم له في الملحق بالجزء الأول ٥٣٤/١، وبين يدي الطبعة الثانية من تحقيقهم ، وهي مؤرخة بـ ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م ، لكن تصدير الكتاب مؤرخ بـ ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م .

(٤) في كتابه « التناسب البياني في القرآن : دراسة في النظم المعنوي والصوتي » ص ٣٤ ، وأصله أطروحة دكتوراه أجيزت في كلية الآداب بجامعة محمد الخامس في الرباط عام ١٩٩٠م .

(٥) في كتابه « الإمام السيوطي وجهوده في علوم القرآن » ص ٣٥٢، وأصله أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه أجيزت في جامعة الزيتونة عام ١٩٩٣م ، وفي تقديمه لرسالة السيوطي « مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع » التي نشرت في مجلة الأحمدية بدبي ، العدد (٤) سنة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، ص ٧٨.

(٦) في بحثه « علم المناسبات وأهميته في تفسير القرآن الكريم » المنشور في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي ، العدد (١١) سنة ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م ، ص ٨٦ .

(٧) في تعليقه على « تفسير الفاتحة الكبير » من « البحر المديد » لابن عجيبة (ت ١٢٢٤هـ) ص ١٢٥ .

(٨) في تقديمه لـ « البرهان في ترتيب سور القرآن » للغرناطي المذكور ص ٧٢ ، وتاريخ مقدمة الكتاب : ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

القول الثالث : أنه يحتمل أن يكون هو « العالم الواحد » الذي ذكره أبو بكر ابن العربي (ت : ٥٤٣هـ) في كتابه « سراج المريدين »، وذلك في قوله[١]:

« ارتباط آي القرآن بعضه ببعض، حتى يكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني، منتظمة المباني، علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة . . . » .

ذهب إلى هذا الاحتمال السيد عبد الله بن الصديق الغماري (ت ١٤١٣هـ)[٢]، وهو محاولة منه لبيان المبهم في قول ابن العربي، وكان دقيقاً فلم يجزم بشيء، كما أنه لم يذكر شيئاً عنه . وسنعلم مما نذكره أنه ليس هو .

وأعود إلى القولين السابقين لأقول : على أي شيء يا ترى اعتمد الأساتذة الأجلاء المذكورون في تحديد شخصية أبي بكر النيسابوري المذكور هنا بأنه الحافظ ابن زياد أو المقرئ ابن عبدوس ؟

وهل يكفي أن نجد رجلاً يعرف بـ« أبي بكر النيسابوري » لنجزم أنه المراد ؟

وما الذي يجعل « ابن زياد » أولى من « ابن عبدوس » أو الثاني أولى من الأول ؟ على أن الأمر لو اقتصر على الترجيح بينهما لكان ابن عبدوس أولى، فقد ذكر عنه ما يرشحه لذلك، وترجم في « طبقات المفسرين » بخلاف ابن زياد الذي لم يذكر عنه سوى براعته في الحديث والفقه[٣] ولم يرد له ترجمة في الكتب المعنية بالمفسرين[٤].

(١) نقله الزركشي في « البرهان » ١/١٣٢، وتابعه السيوطي في « الإتقان » ٣/٣٢٢ .

(٢) في كتابه « جواهر البيان في تناسب سور القرآن » ص ١٨ .

(٣) انظر ـ بالإضافة إلى ما ذكر من مصادر ترجمته ـ طبقات الفقهاء للشيرازي ص١١٣، المنتظم ٦/٢٨٦، تاريخ الإسلام ٢٤/١٥٠، العبر ٢/٢٠١، مرآة الجنان ٢/٢٨٨، طبقات الشافعية الكبرى ٣/٣١٠، البداية والنهاية ١١/٢٤٥، النجوم الزاهرة ٣/٢٥٩، طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٣٤١ .

وذكر له من الكتب : كتاب « الأبواب »، و« الفوائد الزيادات » في ثلاثة أجزاء و« جزء من حديث ابن زياد »، قال ابن حجر : وهذا الجزء داخل كله في « الزيادات » الثلاثة التي ذكرت قبل، سوى ثلاثة أحاديث من آخره . انظر : المعجم المفهرس : الأرقام (٣٦) و(١٢٣٤) و(١٢٣٥) .

وله : « الزيادات على مختصر المزني في فروع الشافعية »، ذكره في كشف الظنون ٢/١٦٣٦ .

(٤) للسيوطي والداوودي والأدنه وي وعادل نويهض .

ثم إن المعروفين بهذه الكنية والنسبة (أبي بكر النيسابوري) كثيرون، وقد عددت منهم - غير هذين المذكورين هنا - خمسة عشر رجلاً[1]، فما الذي يجعلنا نعدل عن واحد

---

(١) وهؤلاء هم :

- أبو بكر النيسابوري : محمد بن إبراهيم (ت ٣١٠هـ)، له « تفسير » . كشف الظنون ١/٤٦٠، وفي النبلاء ١٤/٤٩٢ أرخت وفاته بـ(٣١٨هـ) .

- أبو بكر النيسابوري : محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت ٣١١هـ)، الإمام الحافظ المعروف . الوافي بالوفيات ٢/١٩٦.

- أبو بكر النيسابوري : محمد بن الحسين بن الحسن (ت ٣٣٢هـ)، الشيخ الصالح مسند نيسابور . الوافي بالوفيات ٢/٣٧٢ .

- أبو بكر النيسابوري : محمد بن عمر بن حفص (ت ٣٣٥هـ) ، الإمام الزاهد المعمر العابد . النبلاء ١٥/٣٧٦.

- أبو بكر النيسابوري : محمد بن داود بن سليمان (ت ٣٤٢هـ)، الزاهد شيخ الصوفية ، أحد الأئمة في الحديث والتصوف . الوافي بالوفيات ٣/٦٣ ، معجم المؤلفين ٩/٢٩٦ .

- أبو بكر الصبغي النيسابوري : محمد بن عبد الله بن محمد (ت ٣٤٤هـ)، من أعيان فقهاء الشافعيين ، كثير السماع والحديث . طبقات الفقهاء الشافعيين لابن الصلاح ١/١٩٧ .

- أبو بكر الصبغي النيسابوري : أحمد بن إسحاق بن أيوب (ت بعد ٣٤٠هـ)، أحد أئمة الشافعية ، له تصانيف . التعليقات السنية على الفوائد البهية ص ٢٤٧ .

- أبو بكر النيسابوري : محمد بن أحمد بن جعفر (ت قبل ٣٦٠هـ)، من أفتى مشايخ نيسابور . لواقح الأنوار ١/١٢٥ .

- أبو بكر النيسابوري : أحمد بن الحسين بن مهران (ت ٣٨١هـ)، المقرئ المؤلف في القراءات . معرفة القراء الكبار ١/٣٤٧ ، غاية النهاية ١/٤٩ .

- أبو بكر النيسابوري : أحمد بن الحسن بن أحمد (ت ٤٢١هـ)، الإمام العالم المحدث ، مسند خراسان ، قاضي القضاة . النبلاء ١٧/٣٥٦ .

- أبو بكر النيسابوري : محمد بن أحمد الشهير بالصالح ، (ت ٤٥٣هـ)، له « تفسير » . طبقات المفسرين للأدنه وي ص ٢٦٢ .

- أبو بكر النيسابوري : أحمد بن علي بن عبد الله (ت ٤٨٧هـ)، كان فاضلاً عارفاً باللغة والأدب ومعاني الحديث . النبلاء ١٨/٤٧٨ .

⇦

منهم إلى ابن زياد أو ابن عبدوس ؟ وألا يحتمل أن يكون المراد واحداً من أولئك ؟

لا بُدَّ هنا من مرجح يرجح أحد هؤلاء ، وهذا المرجح أحد أمرين :

الأول : أن ينص في ترجمته على إظهاره لعلم المناسبة ، إذ مثل هذا لا يسكت عليه .

والثاني : معرفة ترجمة أبي الحسن الشهراباني ، والأمر الأول غير حاصل ، ولكن الأمر الثاني معلوم ، فأبو الحسن الشهراباني من أهل القرن السابع الهجري ، إذا عرفنا هذا توصلنا إلى أن النيسابوري المقصود من أهل هذا القرن أيضاً ، وبالتالي فلابد من استبعاد كل من لم يكن من أهل هذا القرن .

وكان ينبغي قبلَ الوصول إلى أحد هذين الأمرين أن يقال : لعله فلان . فأما الجزم هكذا بغير دليل فهو موضع نظر .

وتقع المسؤولية الأولى على محقق « البرهان » الأول - رحمه الله وغفر له وجزاه خيراً على جهوده - وقد تابعه الدارسون وثوقاً به[1] ، ولعل الذي جعله وجعلهم يثقون بهذه الترجمة تصرف السيوطي في النص الذي قدمته ، ولا سيما تعبيره بـ « وأول مَنْ سبق إلى هذا العلم » بدل قول الشهراباني : « أول من أظهر ببغداد علم المناسبة » .

وهكذا - على مدى نصف قرن تقريباً - اعتُقِدَ أن النيسابوري هو الحافظ ابن زياد - إلا عند الأستاذ محمد شعباني الذي ذهب إلى أنه المقرىء ابن عبدوس ، والفرق يسير

- أبو بكر النيسابوري : أحمد بن سهل السراج (ت ٤٩١هـ) ، وكان فقيهاً ورعاً عابداً صالحاً . تاريخ الإسلام للذهبي ٨٤/٣٤ .
- أبو بكر النيسابوري ثم البغدادي : محمد بن سعيد بن الموفق (ت ٦٤٣هـ) ، مسند بغداد . تاريخ الإسلام ٢٠٥/٤٧ ، ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد لابن الدبيثي ٢٨٣/١ .
- أبو بكر النيسابوري : ابن محمد بن أبي الفتح (القرن السابع أو الثامن) ، أحد الأئمة ، الجواهر المضية ١٠٧/٤ .

(١) ومثل هذا وهمه في ترجمة أبي الحكم بن برجان المفسر (ت ٥٣٦هـ) ، فقد وضع له ترجمة حفيده (ت ٦٢٧هـ) ! انظر : البرهان ١٨/١ ، وتابعه على ذلك آخرون . ولا مجال لبيان هذا .

إذ الرجلان متقاربان في تاريخ الوفاة - ،كما اعتقد أنه السابق إلى هذا العلم من عصر السيوطي إلى الآن فغمط حق الآخرين ، وهذا كله غير صحيح ، فليس النيسابوري ابن زياد ، ولم يَسْبِق إلى هذا العلم إذ كان في القرن السابع ، نعم إنه أظهر ببغداد هذا العلم ولم يكن لعلمائها عناية به .

أعود وأقول : إذا كان النيسابوري المقصود من أهل القرن السابع فقد عرفنا من أهل هذا القرن اثنين ، الأول على سبيل الجزم ، والثاني على سبيل الاحتمال ، فهل يكون أحدهما هو الذي نريد ؟ ننظر :

فالأول هو : محمد بن سعيد بن الموفق (ت٦٤٣هـ)، والمذكور عنه الحديث والتصوف لا غير[١]، ثم إنه ولد في بغداد فهو من أهلها وعلمائها ولا ينطبق عليه قول الشهراباني : « وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة »[٢].

والثاني : أبو بكر بن محمد بن أبي الفتح النيسابوري .

وهذا ترجم له القرشي في « الجواهر المضية »[٣] فقال : « أحد الأئمة ، له « الأوضح » في الفقه ، في مجلدين ، على « الهداية » وقفت عليه » ولم يزد على ذلك[٤].

وصاحب « الهداية » توفي سنة (٥٩٣هـ) فيكون المترجَم بعده ، والقرشي توفي سنة (٧٧٥هـ) فيكون المترجم قبله ، فمن المحتمل أن يكون من أهل القرن « السابع »

(١) انظر ترجمته في : ذيل تاريخ مدينة السلام لابن الدبيثي ٢٨٣/١، وتاريخ الإسلام ٢٠٥/٤٧، وتذكرة الحفاظ ١٤٣٢/٤، والنبلاء ١٢٤/٢٣، والإشارة إلى وفيات الأعيان ص ٣٤٦، والإعلام بوفيات الأعلام ص ٢٨٦، والعبر ١٧٩/٥، والمعين في طبقات المحدثين ص ٢٠٣، والنجوم الزاهرة ٣٥٥/٦، وشذرات الذهب ٣٩١/٧ .

(٢) والذي يؤكد كون أبي بكر النيسابوري ليس من علماء بغداد عدم وجود ترجمة له ، ولو كان من أهلها لعرف وترجم .

(٣) ١٠٧/٤ .

(٤) ومثل هذا في تاج التراجم ص ٣٣٤ .

أو « الثامن » وفي كلا الحالين لا نستطيع البت بشيء لقلة المعلومات الموجودة عنه[١].

وهكذا يبقى هذا الرجل مجهول الترجمة ـ على كثرة ما بحثت عنه ـ .

لكني رأيت في « الفلك الدائر على المثل السائر » لعبد الحميد ابن أبي الحديد (٥٨٦ ـ ٦٥٦هـ) ـ عصري الشهراباني ـ رأيت كلاماً فيه ذكر رجلٍ لعل المقصود به أبو بكر النيسابوري هذا ، وهذا الرجل مذكور في سياق نقد ابن أبي الحديد لابن الأثير (٥٥٨ ـ ٦٣٧ هـ) مصنف « المثل السائر » ، ومن المفيد نقل هذا النص على طوله ـ وأعتذر عن ذلك ـ لتتضح الصورة[٢]:

قال ابن أبي الحديد[٣]: « قال المصنف [ابن الأثير] في باب العام والخاص : إنه تعالى قال : ﴿ مَثَلُهم كمثلِ الذي استوقدَ ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم ﴾ [البقرة : ١٧] ولم يقل بضوئهم ، لأن الضوء نور وزيادة .

فلو قال بضوئهم لكان المعنى يُعطي ذهاب تلك الزيادة ، وبقاء ما يسمى نوراً ، لأن الإضاءة هي فرط الإنارة ، ولذلك قال تعالى : ﴿ هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً ﴾ [يونس : ٥] فكل ضوء نور، وليس كل نور ضوءاً، فقال سبحانه : ﴿ ذهب الله بنورهم ﴾ لأنه إذا أزال النور فقد أزال الضوء أصلاً[٤].

أقول [القائل ابن أبي الحديد] : إن هذا الرجل قد شحن كتابه بأمثال هذه الترهات ، وأطال فيها وأسهب ، وأعجب بها ، وظن أنه أتى بغريب .

---

(١) ولا بد من الإشارة إلى أن اسمه جاء في نسخة من الجواهر المضية : « أبو بكر محمد بن أبي الفتح . . . » وكذا في كشف الظنون ٢٠٢/١ ، ولم يذكروا له تاريخ وفاة .

(٢) نقل هذا النص الشيخ طاهر الجزائري في « التبيان » ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩ في كلامه على من نقد علم المناسبة ، ولم يقف عنده ، ولم يكن من غرضه الكشف عن النيسابوري .

(٣) الفلك الدائر (مع المثل السائر) ٢٣١/٤ ـ ٢٣٣ . ويذكر أنه كتبه في شهر ذي الحجة سنة ٦٣٣هـ كما قال في مقدمته ٣٤/٤ .

(٤) المثل السائر ٢١٠/٢ .

وهذه المعاني قد صنفت فيها الكتب الكثيرة ، وتكلف الناس من قبله في استنباط أمثال هذه الوجوه الغامضة والمعاني الخفية من القرآن العزيز ، وإنه لم أتى بهذه اللفظة دون تلك ؟ ولم قدم هذا وأخر هذا ؟ وقد قيل في هذا الفن أقوال طويلة عريضة أكثرها بارد غث ، ومنها ما يشهد العقل وقرائن الأحوال أنه مراد .

وقد ورد إلينا في مدينة السلام في سنة اثنتين وثلاثين وستمائة رجل من وراء النهر كان يتعاطى هذا ، ويحاول إظهار وجوهٍ نظرية في هذه الأمور في جميع آيات الكتاب العزيز ، نحو أن يقول في قوله تعالى : ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون ﴾ [الأنبياء : ٢] :

لم قال : ﴿ ما ﴾ ولم يقل (لا) ؟ ولم قال : ﴿ يأتيهم ﴾ ولم يقل : (يجيئهم) ؟ ولم قال : ﴿ مِنْ ذِكرٍ ﴾ ولم يقل : (من كتاب) ؟ ولم قال : ﴿ من ربهم ﴾ ولم يقل : (من إلههم) ؟ ولأي حال قال في موضع آخر ﴿ من الرحمن ﴾ ؟ [الشعراء : ٥] وما وجه المناسبة في تلك الآية في لفظها وسياقة كلامها وبين لفظة ﴿ الرحمن ﴾ ؟ وما وجه المناسبة بين هذه الآية وسياقها ؟ وبين لفظة ﴿ ربهم ﴾[1].

وعلى هذا القياس .

وكذلك كان يتكلف تعليل كل ما في القرآن من الحروف التي تسقط في موضع وتثبت في موضع ، نحو قوله تعالى : ﴿ أو لم يروا إلى الطير فوقهم ﴾ [الملك : ١٩] وقوله : ﴿ أو لم يروا إلى ما خلق الله ﴾[2] [النحل : ٤٨] لم أثبت الواو هناك ، وأسقطها هاهنا ، ونحو قوله : ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ﴾[النساء : ١١٥] وقوله :

---

(١) في البرهان للكرماني ص٢٦٦ كلام على هذه الجزئية الأخيرة ، وهي ورود لفظ ﴿ ربهم ﴾ و ﴿ الرحمن ﴾.

(٢) هكذا جاءت الآية في الفلك الدائر ، وسقط منها هناك حرف الواو من ﴿ أولم ﴾ ، وبإثباته لا يتحقق المقصود ، فلعل ابن أبي الحديد أراد الآية الأخرى في سورة النحل : ﴿ ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله ﴾ [٧٩] .

﴿ ومن يشاق الله ﴾ [الحشر : ٤] لم فكَّ الإدغام في موضع ولم يفكه في موضع آخر ؟.

وكنا نعجب منه ونستظرفه[1]، حتى وصل إلينا هذا الكتاب ، فقلنا إنه فوق كل ذي علم عليم » ا.هـ .

أقول : يظهر لي أن المعني هنا أبو بكر النيسابوري ، وإذا قيل : إن هذا يدخل في علم « متشابه القرآن » ؟ أقول : إن السيوطي يقول عن « المتشابه » : « هذا النوع يتداخل مع نوع المناسبات »[2].

على أنَّ قول أبي بكر النيسابوري : « لِمَ جُعلت هذه الآية إلى جنب هذه الآية . . . » يحتمل أنه يريد البحث في الألفاظ والمعاني ، لا المعاني فقط .

ولا يعكر على هذا الاحتمال قول ابن أبي الحديد : « وهذه المعاني قد صنفت فيها الكتب الكثيرة . . . » فلعله يخبر عن حال نفسه واطلاعه ، والشهراباني يخبر عن حال نفسه واطلاعه هو ومن حوله من العلماء ، ولعل ابن أبي الحديد بعد أن سمع كلام الوارد عليهم من وراء النهر تتبع من تكلم في هذا من العلماء قبل هذا الوارد وعرف الجهود السابقة فيه . على أنَّ وجود مصنفات في هذا العلم لا يلزم منه علم علماء بغداد به ، ويدل لهذا قول ابن أبي الحديد : « وكنا نعجب منه ونستظرفه » .

ولنلحظ أن مصطلح « المناسبة » ورد في قول الشهراباني وابن أبي الحديد معاً ، وقد يكون من المستبعد أن يكون كلامهما عن رجلين اثنين وردا بغداد مهتمين بهذا الجانب من علوم القرآن .

وعلى هذا فإذا صَحَّ ما ظهر لي من أن كلام الشهراباني وابن أبي الحديد يتوارد على رجل واحد ، فنكون قد استفدنا فائدتين :

---

(١) في « التبيان » : نستطرفه . من الطارف وهو الجديد .

(٢) الإتقان ، النوع (٦٣) ٣/٣٤٠ ، معترك الأقران ١/٦٦ . وانظر : التبيان للجزائري ص ٣٠٠ ، والتناسب البياني في القرآن ص ٣٧ .

الأولى : تأكيد ما قاله الشهراباني عن غزارة علم النيسابوري في الشريعة والأدب[١].

الثانية : تاريخ دخوله بغداد وهو سنة (٦٣٢هـ) .

وقد يقال : إن « نيسابور » ليست من بلاد ما وراء النهر[٢]، وابن أبي الحديد يقول : إن الرجل ورد من وراء النهر ؟ والجواب عن هذا سهل ، وهو أنه لا يلزم من نسبته إلى نيسابور أن يكون مقيماً بها، كما لا يلزم من مجيئه من وراء النهر ألا يكون نيسابورياً .

* * *



(١) يقول أبو البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ) في نزهة الألباء ص ٧٦ (ترجمة هشام ابن الكلبي) : « إن علوم الأدب ثمانية : النحو واللغة والتصريف والعروض والقوافي وصنعة الشعر وأخبار العرب وأنسابهم . . . » ولا بد لعلمي « تعليل المتشابه » و« المناسبات » من الضلاعة بعدد من هذه العلوم .

(٢) انظر عن المقصود بـ« ما وراء النهر » معجم البلدان ٥/٤٥ .

المطلب الثالث

في التعريف بأبي الحسن الشهراباني

في ظل غياب المعلومات الكافية عن حياة أبي بكر النيسابوري أرى من المهم تسليط الضوء على حياة أبي الحسن الشهراباني الذي روى خبره وأثنى عليه وأشاد به، ففي التعريف به نوع تعريف بأبي بكر، ومعرفةُ درجته في العلم والدين تزيدنا ثقة بشهادته له .

ولا بد من القول : أن الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم سكت في تحقيق « البرهان » عن ترجمته - مع أنه نهج على ترجمة الأعلام - واكتفى بالتعليق على نسبته فقال[١]: « منسوب إلى شهرابان ، قرية شرقي بغداد ، ينسب إليها كثير من العلماء » ، وأصل هذا التعريف بالقرية في معجم البلدان .

وكذلك اكتفى بمثل هذا التعليق الدكتور سعيد الفلاح، ولكنه زاد قائلاً عن أبي الحسن : « مجهول »[٢]! وبذلك سد الباب أمام من تهمهم معرفته، وليته ذكر لنا أين بحث عنه ، هذا إن لم يكن اعتمد على سكوت الأستاذ أبو الفضل .

أما محققو « البرهان » الآخرون فقد قالوا[٣]: « لعله ممن أخذ عن أبي بكر النيسابوري ، وهم جماعة ومنهم أبو الحسن الدارقطني » .

وهذا مبني على ظنهم أن أبا بكر هو الحافظ ابن زياد ، وقد كان من الآخذين عنه الدارقطني .

هذا كل ما بُذل للتعريف بأبي الحسن ، وهي جهود متواضعة أمام رجل إمام معروف بالعلم والدين ترجم له وذكر في أربعة وعشرين مصدراً ومرجعاً[٤]!

---

(١) البرهان للزركشي ١/٣٦ .

(٢) انظر مقدمات « البرهان » ص ٦٢ .

(٣) البرهان ١/١٣٢ .

(٤) وهذه الكتب هي - مرتبة حسب الوفيات - : ⇦

وسأترجمه هنا وأعتذر عن الإطالة فهي في نظري ضرورية لما أسلفت، ولأشياء أخرى ترد بعد ذلك :

- تاريخ الكازروني (ت بعد ٧٠٠هـ) . نقل عنه الذهبي في النبلاء .
- معجم الدمياطي (ت ٧٠٥هـ) مخطوط - منه نسخة مخرومة عند الدكتور عبد الرحمن العثيمين - .
- كتاب « الحوادث » لمؤلف من أهل القرن الثامن - وهو الكتاب المسمى غلطاً بـ « الحوادث الجامعة والتجارب النافعة » المنسوب إلى ابن الفوطي ص ٤١٢ .
- بهجة الأسرار (في ترجمة الشيخ عبد القادر الكيلاني) للشطنوفي (ت ٧١٣هـ) ص ٢٢٧ و ٢٢٩ .
- تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب لابن الفوطي (ت ٧٢٣هـ) ٢٣٠/٥ الترجمة ٢٣٩ . نقل عنه الدكتور ناجي معروف الآتي .
- معجم صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت ٧٣٩هـ) . نقل منه ابن رجب .
- المقتفى للبرزالي (ت ٧٣٩هـ) . ذكره محقق « تاريخ الإسلام » .
- سير أعلام النبلاء ٢٨٦/١٧ (دار الفكر) - الجزء الذي كان مفقوداً - .
- تاريخ الإسلام ١٠٢/٥٠ .
- تذكرة الحفاظ ١٤٦٣/٤ (وفيات سنة ٦٧١هـ) .
- الإعلام بوفيات الأعلام ص ٢٨٠ (وفيات سنة ٦٧٢هـ)
- المختار لابن رافع السلامي (ت ٧٧٤هـ)
- الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (ت ٧٩٥هـ) ٢٨٢/٢ - ٢٨٤ .
- ومختصر الذيل ص ٧٩ . ذكره محقق « تاريخ الإسلام » .
- ذيل التقييد للتقي الفاسي المكي (ت ٨٣٢هـ) ٢٢١/٢ .
- منتخب المختار للفاسي ص ١٥٣ - ١٥٤ .
- المقصد الأرشد لابن مفلح (ت ٨٨٤هـ) ٢٦١/٢ .
- بغية الوعاة للسيوطي (ت ٩١١هـ) ٢٠٠/٢ .
- المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد للعليمي (ت ٩٢٨هـ) ٣٠٠/٤ - ٣٠١ وذكر في ٢٣٣/٣ .
- الدر المنضد للعليمي (ت ٩٢٨هـ) ٤١٣/١ - ٤١٤ وهو مختصر من « المنهج الأحمد » .
- شذرات الذهب لابن العماد (ت ١٠٦٧هـ) ٥٨٧/٧ .
- هدية العارفين للبغدادي (ت ١٣٣٩هـ) ٧١٢/١ .
- تاريخ علماء المستنصرية للدكتور ناجي معروف (ت ١٣٩٧هـ) ١٠٨/١ - ١٠٩ .
- معجم المؤلفين لكحالة ٢٣١/٧ .

اسمه ونسبه ونسبته : هو علي بن أبي بكر محمد بن محمد بن محمد بن وضاح بن أبي سعد محمد بن وضاح الشهراباني[1] ثم البغدادي .

كنيته ولقبه : هو أبو الحسن كمال الدين .

ولادته : ولد في شهرابان في رجب سنة ٥٩١هـ ـ وقيل : سنة ٥٩٠ ـ .

طلبه العلم : عُني أبو الحسن بالرواية ، وسمع الكثير ، وكتب الخط المنسوب ، وبرع في العربية ، وفي المذهب الحنبلي ، وشارك في فنون من العلم ، ورحل في طلب العلم فسمع بإربل[2] وغيرها ، وكتب الطباق ، وقال ابن الفوطي : « كتب الكثير بخطه الرائق من الكتب المطولة والمختصرة »[3] .

شيوخه :

١ ـ أحمد بن محمد بن نجم المروزي : سمع منه « صحيح مسلم » في شهرابان سنة نيف عشرة وستمائة، وقد قدم عليهم حاجاً[4] . وهذا يعني أن دخوله بغداد كان بعد هذا التاريخ ، وكذلك دخول أبي بكر النيسابوري .

٢ ـ علي بن إدريس البعقوبي (ت ٦١٩هـ)[5] ، ولبس منه الخرقة، وانتفع به .

٣ ـ عمر بن كرم الدينوري (ت ٦٢٩هـ)[6]: سمع منه « جامع الترمذي » .

---

(١) في معجم البلدان ٣/٣٧٥ : « شهرابان ـ بالنون ـ قرية عظيمة ذات نخل وبساتين من نواحي « الخالص » في شرقي بغداد ، وقد خرج منها قوم من أهل العلم » وهي اليوم تابعة لمحافظة ديالى ، إحدى محافظات العراق . وتحرفت النسبة في هدية العارفين إلى « الشهير بابي كمال الدين » ، وفي النبلاء إلى « الشهراياني » ، وفي بهجة الأسرار ص ٢٢٧ إلى « السهرابادي » ! .

(٢) ولم يترجم في الجزء المطبوع من تاريخ إربل لابن المستوفي (ت ٦٣٧هـ) .

(٣) تاريخ علماء المستنصرية ١/١٠٩ ، وهو ينقل عن تلخيص مجمع الآداب ٥/٢٣٠ .

(٤) للذهبي كلام في هذا الشيخ فانظره في النبلاء ١٧/٢٨٦ .

(٥) ترجمته في شذرات الذهب ٧/١٥٠ ، وبهجة الأسرار للشطنوفي ص ٢٢٧ ـ ٢٣٠ .

(٦) ترجمته في الشذرات ٧/٢٣٣ .

٤ ـ أبو حفص عمر السهروردي (ت ٦٣٢هـ)[١].

٥ ـ القاضي أبو صالح نصر بن عبد الرزاق الجيلي (ت ٦٣٣هـ)[٢].

٦ ـ أبو الحسن ابن روزبة (ت ٦٣٣هـ)[٣].

٧ ـ أبو الحسن القطيعي (ت ٦٣٤هـ)[٤]: سمع منه ومن ابن روزبة « صحيح البخاري » .

٨ ـ عبد اللطيف ابن القُبَّيطي (ت ٦٤١هـ)[٥].

٩ ـ إبراهيم الكاشغري (ت ٦٤٥هـ)[٦].

١٠ ـ عبد الصمد بن أحمد ابن أبي الجيش (ت ٦٧٦هـ).

قال ابن رجب في ترجمة عبد الصمد هذا[٧]: « . . . وكان شيوخ بغداد يقرأون عليه كتب الحديث ، وسمع الناس بقراءتهم ، كالشيخ كمال الدين بن وضاح ، مع علو شأنه وكبر سنه ، وقد توفي قبله » وهما صديقان كما سيأتي .

وله إجازات من جماعة كثيرين فمن دمشق أجازه :

١١ ـ الشيخ موفق الدين ابن قدامة (ت ٦٢٠هـ)[٨].

---

(١) ترجمته في الشذرات ٧/٢٦٨ .

(٢) ترجمته في الشذرات ٧/٢٨١ .

(٣) ترجمته في الشذرات ٧/٢٧٩ .

(٤) ترجمته في الشذرات ٧/٢٩٤ .

(٥) ترجمته في التكملة لوفيات النقلة ٣/٢٦٤ وتحرف في الذيل ٢/٢٨٣ وشذرات الذهب ٧/٥٨٧ إلى : ابن القطيعي ، وفي المقصد الأرشد ٢/٢٦٢ إلى : ابن البطي !

(٦) ترجمته في الشذرات ٧/٣٩٩ .

(٧) الذيل ٢/٢٩٢ ـ ٢٩٣ .

(٨) ترجمته في الشذرات ٧/١٥٥ .

١٢ ـ أبو عمرو ابن الصلاح[١] (ت ٦٤٣هـ)، وغيرهما .

ونلحظ أنه لم يذكر في شيوخه « أبو بكر النيسابوري » ، وعدم الوجود لا يدل على وجود العدم ، أو لعله اكتفى بمجالسته ولم يتلمذ له .

مؤلفاته : قال صاحب الحوادث : « له تصانيف كثيرة »، وذكر ابن رجب له المؤلفات الآتية :

ـ الدليل الواضح في اقتفاء نهج السلف الصالح .

ـ الرد على أهل الإلحاد[٢].

ـ أجزاء في مدح العلماء وذم الأغنياء[٣].

ـ الفرق بين أحوال الصالحين وأحوال الإباحية[٤] أكلة الدنيا بالدين[٥]. سمعه منه أبو الحسن علي بن محمد البندنيجي نزيل دمشق (ت ٧٣٦هـ) [في صفر سنة ٦٦٢هـ][٦].

ـ جزء في أن الإيمان يزيد وينقص . كتبه سنة ٦٤٧ هـ جواباً عن سؤال فيمن حلف بالطلاق على نفي ذلك ، فأفتى بوقوع طلاقه ، وبسط الكلام في المسألة .

---

(١) في الذيل : أبو محمد بن عمرو بن الصلاح . وفي العبارة تحريف فصححتها ، واسم أبي عمرو : عثمان ، ولقبه تقي الدين . انظر : وفيات الأعيان ٢٤٣/٣ ، وأبوه عبد الرحمن أبو القاسم صلاح الدين توفي سنة ٦١٨هـ . انظر : طبقات الشافعية الكبرى ١٧٥/٨ .

(٢) هذا هو الصواب ، وبه ورد في منتخب المختار ، وشذرات الذهب ٥٨٨/٧ نقلاً عن ابن رجب ، وتحرف في هدية العارفين إلى : الاتحاد .

(٣) في منتخب المختار ص ١٥٥ : جزء في مدح العلماء وذم الغناء . ومثله في المنهج الأحمد ٣٠١/٤ والدر المنضد ٤١٤/١ .

(٤) في منتخب المختار والمنهج الأحمد : المباحية . وفي الدر المنضد : البائحين ! .

(٥) في منتخب المختار ص ١٥٥ : باسم الدين .

(٦) من منتخب المختار ص ١٥٥ (ترجمة البندنيجي) .

تلامذته والراوون عنه : قال ابن رجب : « حدَّث الشيخ بالكثير ، وسمعَ منه خلق ، وروى عنه :

- ابن حصين الفخري [ت : ٧١٧هـ][١].
- الحافظ الدمياطي [ت : ٧٠٥هـ][٢] في معجمه .
- أبو الحسن البندنيجي [ت : ٧٣٦هـ][٣].
- إبراهيم الجعبري المقرئ [ت : ٧٣٢هـ][٤].
- أبو الثناء الدقوقي [ت : ٧٣٣هـ][٥].
- أحمد بن عبد السلام بن عكبر البغدادي [ت : ٧٣٥هـ][٦].
- علي بن عبد الصمد [ابن أبي الجيش ٦٥٦ - ٧٤٢هـ][٧].
- أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن المؤذن الوراق . روى عنه « صحيح البخاري ».

ويضاف على مَنْ ذكرهم ابن رجب :

- عز الدين الزرندي : يوسف بن الحسن الأنصاري الخزرجي (٦٥٦-٧١٢هـ)[٨].
- المؤرخ ابن الفوطي البغدادي (٦٤٢ - ٧٢٣هـ) قال في تلخيص مجمع الآداب[٩]:

(١) ترجمته في معجم شيوخ الذهبي ص ٣٦٣ .

(٢) ترجمته في الشذرات ٢٣/٨ .

(٣) ترجمته في الشذرات ١٩٩/٨ .

(٤) ترجمته في الشذرات ١٧١/٨ .

(٥) ترجمته في الشذرات ١٨٦/٨ .

(٦) ترجمته في الشذرات ١٩١/٨ .

(٧) ترجمته في منتخب المختار ص ١٤٤ - ١٤٥ . والدرر الكامنة ٦٢/٣ . وتاريخ علماء المستنصرية ٢٥٣/١ .

(٨) منتخب المختار ص ٢٣٦ .

(٩) عن تاريخ علماء المستنصرية ١٠٩/١ .

« لي منه إجازة ، وكان صديق والدي ، وقد رأيته قبيل الواقعة [يقصد اجتياح بغداد سنة ٦٥٦هـ] ، وترددت إليه في خدمة والدي رحمهما الله » . وقد أسر ابن الفوطي في الواقعة ، ولم يعد إلى بغداد إلا في سنة (٦٧٩هـ)[١] - بعد وفاة شيخه الشهراباني - .

- صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت ٧٣٩هـ)[٢] .

- أبو بكر السلامي[٣] .

أقوال العلماء والمؤرخين فيه :

- قال صاحب « الحوادث » : « كان شيخاً صالحاً زاهداً ورعاً عارفاً بالمذهب والأحاديث النبوية »[٤] .

- وقال الكازروني (ت بعد ٧٠٠هـ)[٥] في تاريخه : « كان منور الوجه ، عالماً بالمذهب » .

- وقال صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت ٧٣٩هـ)[٦]: « كان شيخاً صالحاً ، منور الوجه ، كيساً ، طيب الأخلاق ، سمح النفس ، صحب المشايخ والصالحين ، وكان عالماً بالفقه والفرائض والأحاديث ، ورتب عقب الواقعة مدرساً بالمدرسة « المجاهدية »[٧] واستمر بها إلى أن مات » .

---

(١) انظر ترجمته في صدر كتابه « تلخيص مجمع الآداب » جـ٤ ، ق١ ، ص ٢٣ .

(٢) منتخب المختار ص ١٢٢ . والدرر الكامنة ٤١٨/٢ . وهو صاحب كتاب « مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع » .

(٣) منتخب المختار ص ٢٣٩ .

(٤) ص ٤١٣ .

(٥) ترجمه في الدرر الكامنة ١١٩/٣ ، والنقل بواسطة الذهبي في تاريخ الإسلام ١٠٢/٥٠ .

(٦) من الذيل لابن رجب ٢٨٣/٢ .

(٧) كمل بناؤها سنة (٦٣٧هـ) وتقع في الجانب الشرقي من بغداد ، ويرجح أن تكون في أرض محلة المربعة الحالية في شارع الرشيد ، وهي برسم الحنابلة ، انظر « الحوادث » والتعليق عليه ص ١٥٧ وفيه - نقلاً عن ابن رافع السلامي (ت ٧٧٤هـ) - أن هذه المدرسة كانت تعد في زمانه أكبر مدارس بغداد .

ـ وقال الذهبي في « النبلاء »[١]: « الإمام الأوحد ذو الفنون، الفقيه الحنبلي، النحوي الفرضي، مدرس « المجاهدية » ببغداد، كان من بقايا الصلحاء الكبار، له جلالة وشهرة . . . وكان صديقاً للشيخ يحيى الصرصري (ت : ٦٥٦هـ شهيداً)، وللشيخ عبد الصمد [ابن أحمد ابن أبي الجيش البغدادي ت : ٦٧٦هـ] » .

وقال في « تاريخ الإسلام »[٢]: « الفقيه الحنبلي المحدث ». وفي « تذكرة الحفاظ »[٣]: « مفتي بغداد » .

ـ وقال ابن رجب[٤]: « الفقيه المحدث الزاهد الكاتب » .

وقال ابن رافع[٥]: « الفقيه النحوي الكاتب المفتي المحدث الزاهد . . . كان صالحاً محدثاً ديناً خيراً ، له الشعر الفائق ، حسن الملتقى منور الوجه عارفاً بالمذهب من أعيان من بقي ببغداد بعد فتنة التتار » .

ـ وقال السيوطي[٦]: « الفقيه النحوي الكاتب الزاهد. كذا ذكره الحافظ الدمياطي في « معجمه » وأسند عنه حديثاً . ولم يذكر مولده ولا وفاته » .

وفاته : توفي ليلة الجمعة ثالث صفر سنة ٦٧٢هـ ـ على الصحيح ـ، وكانت جنازته إحدى الجنائز المشهودة ، اجتمع لها عالم لا يحصى ، وغلقت الأسواق يومئذ ، وشد تابوته بالحبال ، وحمله الناس على أيديهم ، وصُلي عليه بالمحال البرانية ، ودفن بحضرة قبر الإمام أحمد بن حنبل ، مقابل رجليه[٧].

---

(١) ٢٨٦/١٧ .
(٢) ١٠٢/٥٠ .
(٣) ١٤٦٣/٤ .
(٤) الذيل ٢٨٢/٢ .
(٥) منتخب المختار ص ١٥٣ .
(٦) بغية الوعاة ٢٠٠/٢ .
(٧) انظر : الذيل ٢٨٤/٢ .

تعليل تصرف السيوطي في عبارة الشهراباني :

قبل أن أنتقل إلى المطلب الرابع أحب أن أشير إلى أن قول السيوطي المتقدم عن الشهراباني « . . . كذا ذكره الحافظ الدمياطي . . . ولم يذكر مولده ولا وفاته » يدلنا أنه لم يعرف تاريخ مولده ولا وفاته ، وإلا لكان ذكرهما ، وكأنه لم ينشط لمراجعة هذا في مصدر آخر ، ويؤيد هذا أنه لم يذكره في وفيات الأعلام في أيام الخليفة العباسي في مصر الحاكم (بويع سنة ٦٦١هـ ومات سنة ٧٠١هـ) في كتابه « تاريخ الخلفاء »[١] وقد درج في هذا الكتاب على ذكر مَنْ مات من الأعلام في عهد كل خليفة ، وكأنه سها عن تاريخ وفاة الدمياطي ، وأنها في سنة (٧٠٥هـ)[٢] التي يعرف منها زمن وجود شيخه الشهراباني ، ولو استحضر أن الشهراباني من أهل القرن السابع لعلم أن أبا بكر النيسابوري من أهل هذا القرن أيضاً، فما كان ليحكم له بالسبق المطلق إلى علم المناسبة وهو يعلم - يقيناً - كلام الدهان والكرماني والزمخشري وابن العربي والرازي فيه - كما سيأتي - ، وربما لهذا السبب أهمل ذكره وذكر النيسابوري في كتابيه « قطف الأزهار في كشف الأسرار » و « تناسق الدرر في تناسب السور »، وطوى ذكره في « الإتقان » و « معترك الأقران » .

أو يقال : إن الإمام السيوطي كان يستحضر زمن وجود أبي الحسن الشهراباني من خلال معرفة زمن وجود تلميذه الحافظ الدمياطي ، ولكنه لما حذف اسمه في « الإتقان » من النص الذي نقله عنه من « البرهان » غاب عنه معرفة زمن أبي بكر النيسابوري ، ثم بُني على ذلك أن حكم له بالسبق إلى هذا العلم في « معترك الأقران » .

* * *

(١) انظر ص ٤٣٢ .

(٢) شذرات الذهب ٨/٢٣ - ٢٤ .

المطلب الرابع

علم المناسبة في النصف الأول من القرن السابع

وصدى إظهاره[١]

يبدو من التأمل في قول الشهراباني : « أول من أظهر ببغداد علم المناسبة » أن في تقديمه « بغداد » قصداً ، وهو الحديث عن مدينة بغداد بخصوصها ، ذلك أن هناك من كان يلهج به في بلاد أخرى ، ولعل علماء بغداد حين نبههم النيسابوري إلى هذا العلم وعاب عليهم عدم علمهم به ، بحثوا عنه وعمن تكلم فيه واهتم به وذهب إليه ، فتناهى إليهم من يتكلم به في وقتهم في تلك البلاد ، وقبل وقتهم أيضاً ، فكانت عبارة الشهراباني التي تحصر أولية إظهار هذا العلم في بغداد في جهود النيسابوري . ومن الضروري أن نشير إلى أنه قال : « أظهر » ولم يقل : « سبق » .

وقد كان في ذلك الوقت **الإمام** أبو الحسن **علي بن أحمد التجيبي الحرالّي المغربي نزيل حماة (؟ - ٦٣٧هـ)**، وله « تفسير » ذكر فيه المناسبات .

قال البقاعي (ت ٨٨٥هـ) في مقدمة تفسيره « نظم الدرر »[٢] عنه : « ثم بعد وصولي إلى سورة الأنفال ملكت جزءاً من « تفسيره » فيه من أوله إلى إن الله اصطفى في آل عمران ، فرأيته عديم النظير ، وقد ذكر فيه المناسبات ، وقد ذكرت ما أعجبني منها ، وعزوته إليه ، يسر الله الاطلاع على بقيته بحوله وقوته » .

وقال المناوي (ت ١٠٣١هـ) في ترجمة الحرالي[٣]: « وصنف تفسيراً ملأه بحقائقه ، ودقائق فكره ، ونتائج قريحته ، وأبدى فيه من مناسبات الآيات والسور ما يبهر العقول ،

(١) وهذا على المعنى الذي استقر عليه مصطلح « المناسبة » ، وما يعرف به الآن .

(٢) ١/ ١٠ .

(٣) الكواكب الدرية ٢/ ٤٦٥ .

وتحار فيه الفحول ، وهو رأس مال البقاعي ، ولولاه ما راح ولا جاء ، ولكنه لم يتم ، ومن حيث وقف وقف حال البقاعي في مناسباته » .

وقد توفي الحرالي في حماة سنة (٦٣٧هـ)[١] كما قدمت ـ أي بعد دخول النيسابوري بغداد بخمس سنوات ـ .

* * *

وكان أيضاً **الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأندلسي المرسي (٥٧٠ ـ ٦٥٥هـ)**[٢] ، وله ثلاثة تفاسير ، كبير ووسط وصغير ، والكبير في « عشرين مجلداً قصد فيه ارتباط الآيات بعضها ببعض ، وبيّن وجوهه »[٣] واسم هذا التفسير « ري الظمآن في تفسير القرآن »[٤] .

وتأليفه لهذا وغيره متقدم ، وذلك أن ياقوتاً الحموي (ت ٦٢٦هـ) قال عنه : « رحل إلى خراسان . . . وقدم بغداد ، وأقام بحلب ودمشق ، ورأيته بالموصل ، ثم حج ورجع إلى دمشق ، ثم عاد إلى المدينة فأقام على الإقراء ، ثم انتقل إلى مصر ـ وأنا بها ـ سنة أربع وعشرين وست مئة ، ولزم النسك والعبادة والانقطاع . . . » .

ويفهم من هذا النص عكوفه على العبادة منذ هذه السنة ، وكان قد بلغ من العمر (٥٤) سنة .

---

(١) انظر : الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام ٩/١١٠ ، والكتب التي ترجمت له كثيرة .

(٢) انظر ترجمته في النبلاء ٢٣/٣١٢ .

(٣) كشف الظنون ١/٤٥٨ .

(٤) وهو من مصادر أبي حيان في « البحر المحيط » أفاد منه في مواضع كثيرة . انظر « أبو حيان وتفسيره البحر المحيط » ص ٩٢ .

فعلم المناسبات كان موجوداً في ذلك الوقت (٦٣٢هـ)، وكان الحرالي والمرسي يتكلمان به ويؤلفان فيه .

ومن هنا ندرك أهمية النص على ذكر « بغداد » في كلام الشهراباني ، فهو يريد أن النيسابوري أظهر هذا العلم فيها ، ولا يتعرض إلى السبق المطلق ، ولا إلى غير بغداد من البلدان . ويبدو أن إقبال هؤلاء العلماء الثلاثة على هذا العلم أثار رأياً مغايراً، وهو ما نجده لدى الإمام العز بن عبد السلام (٥٧٧ ـ ٦٦٠هـ) وذلك إذ يقول[١]: « اعلم أن من الفوائد أن من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض ، ويتشبث بعضه ببعض لئلا يكون مقطعاً متبراً ، وهذا بشرط أن يقع الكلام في أمر متحد ، فيرتبط أوله بآخره ، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحد الكلامين بالآخر، ومن ربط ذلك فهو متكلف لما لم يقدر عليه إلا بربط ركيك يُصان عن مثله حسن الحديث فضلاً عن أحسنه ، فإن القرآن نزل على الرسول عليه السلام في نيف وعشرين سنة ، في أحكام مختلفة ، شرعت لأسباب مختلفة غير مؤتلفة ، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض ، إذ ليس يحسن أن يرتبط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضه ببعض مع اختلاف العلل والأسباب . . . ».

ولم يقف أحد من الباحثين ـ فيما علمت ـ عند هذا القول ليسأل عن باعثه والمقصود به ، ويبدو لي أنه يقصد واحداً من هؤلاء الثلاثة ، أو يقصدهم كلهم، وقد ذكر عن العز موقف مع الحرالي :

قال المقري في ترجمته[٢]: « ووقع بينه وبين الشيخ عز الدين بن عبد السلام شيء ، طلب عز الدين أن يقف على « تفسيره »، فلما وقف عليه قال : أين قول مجاهد ؟ أين

(١) ذكر هذا القول الزركشي ، وتبعه السيوطي ، وأفاد الجزائري أنه في « مجاز القرآن » فانظر « الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز » ص ٢٢١ ـ في أواخر الكتاب ـ .

(٢) نفح الطيب ٣٩٩/٢ .

قول فلان وفلان ؟ وكثر القول في هذا المعنى ، ثم قال : يخرج من بلادنا إلى وطنه - يعني الشام - . فلما بلغ كلامه الشيخ قال : هو يخرج وأقيم أنا . فكان كذلك » .

والجدير بالذكر أن أحداً لم يستجب لاعتراضات العز بن عبد السلام ، وقد لقي رأيه معارضة صريحة أو ضمنية ، من خلال الرد عليه أو الاستمرار في الاعتناء بهذا العلم والتأليف فيه :

- ففي أخريات هذا القرن توفي المفسر ابن النقيب المقدسي الحنفي (٦١١ - ٦٩٨هـ) وكان كذلك مهتماً بعلم المناسبة ، يقول البقاعي في مقدمة « تفسيره »[١] :

« وبعد أن وصلت إلى سورة الكهف ذكر لي أن تفسير ابن النقيب الحنفي - وهو في نحو ستين مجلداً - يذكر فيه المناسبات ، وفي خزانة جامع الحاكم كثير منه ، فطلبت منه جزءاً فرأيته كذلك بالنسبة إلى الآيات لا جملها ، وإلى القصص لا جميع آياتها . . . » .

وقد عاش ابن النقيب في القدس والقاهرة[٢] .

- وفي أوائل القرن الثامن توفي الإمام أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (٦٢٧ - ٧٠٨هـ) صاحب « البرهان في ترتيب سور القرآن » - أي في بيان مناسبات ترتيب السور - .

وقد ذكر في مقدمته أنه لم ير في هذا الضرب - مناسبات السور - شيئاً لمن تقدم وغبر ، قال[٣] : « وإنما ندر لبعضهم توجيه ارتباط آيات في مواضع متفرقات » ولم يصرح بهذا البعض .

---

(١) نظم الدرر ١/١٠ .

(٢) انظر ترجمته في طبقات المفسرين ٢/١٥٠ واسمه (محمد بن سليمان) وانظر عن مخطوطات تفسيره : الفهرس الشامل ١/٣٤٦ .

(٣) البرهان ص ١٨١ ط شعباني .

- وفي سنة ٧١٩هـ توفي المفسر القاضي البيضاوي[(١)]، وهو ممن عرض لهذا العلم[(٢)].

- وفي سنة ٧٤٣هـ توفي الإمام الحسن الطيبي، قال ابن عجيبة[(٣)]: « ومن أجلّ تفاسير المشارقة: تفسير الحسن بن محمد بن عبد الله الطيبي - بكسر الطاء - أكثر فيه من الدقائق والنكت البيانية، وتناسب الآيات والسور المكية والمدنية ». ولعله يقصد حاشيته « فتوح الغيب ».

- وفي سنة ٧٤٥هـ توفي المفسر أبو حيان الأندلسي، وقد التزم في تفسيره « البحر المحيط » أن يذكر مناسبة الآية وارتباطها بما قبلها[(٤)].

- وممن ردّ كلامَ العز بن عبد السلام الإمامُ محمد بن أحمد العثماني الديباجي الشافعي، المعروف بابن المنفلوطي وبالملوي (٧١٣ - ٧٧٤هـ)[(٥)].

قال الزركشي[(٦)]: « قال بعض مشايخنا المحققين: قد وهم مَنْ قال: لا يطلب للآي الكريمة مناسبة . . . ».

وقد بين البقاعي أن المشار إليه هو الإمام المذكور، وأنه ذكر هذا في « كلام مفرد على قوله تعالى: ﴿ وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ﴾ [الأنعام: ١٦٥] ﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ﴾ [القصص: ٥][(٧)].

---

(١) هذا ما اعتمده الخفاجي في حاشيته على التفسير خلافاً للمشهور وهو سنة ٦٨٥هـ. انظر: كفاية الراضي ٤/١.

(٢) انظر: في علوم القرآن للأستاذ الدكتور أحمد حسن فرحات ص ٧٥.

(٣) تفسير الفاتحة الكبير ص ١٢١.

(٤) انظر: البحر المحيط ٤/١.

(٥) ترجمته في طبقات الداوودي ٦٣/٢، وانظر الفهرس الشامل ٤٢٢/٢.

(٦) البرهان ١٣٣/١.

(٧) نظم الدرر ٨/١ - ٩، وصرح باسمه السيوطي في الإتقان ٣٢٣/٣، ومعترك الأقران ٤٤/١.

ـ وأيد الإمامَ الملوي تلميذُهُ الزركشي (٧٤٥ ـ ٧٩٤هـ) إذ قال : « اعلم أن المناسبة علم شريف ، تحزر به العقول ، ويعرف به قدر القائل فيما يقول » . ثم راح يفصل القول في ذلك[١] .

أكتفي بذكر هؤلاء ـ وهناك غيرهم ـ وأتوقف عند نهاية القرن الثامن فليس من غرضي هنا استيعاب ذلك أيضاً .

* * *



(١) البرهان ١/١٣١ ـ ١٤٨ .

المطلب الخامس

تساؤلات يثيرها قول الشهراباني

تفيد عبارات الشهراباني : « ولم نكن سمعناه من غيره . . . » « وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة » أن علماء بغداد لم يكونوا عالمين به، ويثير هذا أكثر من تساؤل :

ومن ذلك أن يقال : ألم يطلع علماء بغداد في ذلك الوقت (الثلث الأول من القرن السابع) على ما تقدم في هذا العلم ، ولا سيما أن الحوم حوله في القرن الخامس ، والكلام فيه في القرن السادس كان موجوداً ، ولنتأمل قول الإمام أبي محمد الجويني (ت ٤٣٨هـ) - والد إمام الحرمين - في « تفسيره » في كلامه على قوله تعالى : ﴿ ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله ﴾ [البقرة : ١١٥] : « سمعت أبا الحسن الدهان يقول : وجه اتصالها [أي بما قبلها] هو أن ذكر تخريب بيت المقدس قد سبق ، أي فلا يجرمنكم ذلك واستقبلوها ، فإن لله المشرق والمغرب »[1] . ولنتأمل كذلك قول السيوطي في مقدمة رسالته « مراصد المطالع »[2]:

« إن من علوم القرآن العظيم : مناسبة مطالع السور ومقاطعها كما أوضحته في « الإتقان » وكتاب « أسرار التنزيل » ، وقد صرح بذلك الأئمة المحققون :

كصاحب الكشاف [٤٦٧ - ٥٣٨هـ]، وشيخه محمود بن حمزة الكرماني [؟ - ت بعد ٥٠٠هـ] صاحب « البرهان في متشابه القرآن » و « الغرائب والعجائب في التفسير »، والإمام فخر الدين [٥٤٤ - ٦٠٦هـ] ، والأصبهاني [٦٩٤ - ٧٤٩هـ]، وغيرهم » .

(١) نقله الزركشي في البرهان ١٤١/١ ، والسيوطي في الإتقان ٣٣٠/٣ .

(٢) المنشورة في مجلة الأحمدية العدد (٤) ص ٨٩ - ٩٠ .

إذن فالجويني تطرق إليه ، وكذلك الكرماني[١] ، والزمخشري ، والرازي - وأكثر منه - ، ويؤكد هذا قول الزركشي : « وتفسير الإمام فخر الدين فيه شيء كثير من ذلك »[٢] ، وقول السيد عبد الله بن الصديق الغماري : « والزمخشري يتعرض في تفسيره لبيان مناسبة بعض الآي ، لكن الإمام الرازي أكثر تعرضاً منه لبيان تلك المناسبة »[٣] وقول الدكتور محمد القاسم عن تفسير الرازي[٤] : « إن الكتاب حافل بالمناسبات الكثيرة ، سواء بين الآية والآية ، أو النجم والنجم ، أو أجزاء السور عامة ، أو بين السورة وسابقتها ولاحقتها » . وقد ورد في كلامه استعمال لفظ « المناسبة »[٥] .

ولا ننسى أن الرازي هو القائل في أواخر تفسير سورة البقرة [الآية : ٢٨٥][٦] :

« ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة، وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضاً معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته، ولعل الذين قالوا : إنه معجز بحسب أسلوبه أرادوا ذلك إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف ، غير متنبهين لهذه الأمور[٧] ، وليس الأمر في هذا الباب إلا كما قيل :

والنجم تستصغر الأبصار رؤيته والذنب للطرف لا للنجم في الصغر »

---

(١) وهذا على حسب إشارة السيوطي ، ولا بد من بحث عن جهود الكرماني واستقرائها في كتابيه « البرهان » و « الغرائب والعجائب » لنرى ماله في ذلك .

(٢) البرهان ١/١٣٠ .

(٣) جواهر البيان ص١٩ .

(٤) الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره ص ٤١ .

(٥) انظر تفسيره ، آخر تفسير سورة المائدة .

(٦) تفسير الرازي ٤/١٤٠ وانظر : الرازي مفسراً ص ١٦٣ - ١٦٤ .

(٧) قول الرازي هذا : « رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف » مما ينقض مقولة التاريخ لظهور هذا العلم في ذلك الوقت المتقدم : أوائل القرن الرابع الهجري .

هذا في المشرق ، وأما في المغرب فقد كان الإمام أبو بكر ابن العربي (٤٦٨ - ٥٤٣هـ) - عصري الزمخشري - يقول[١]:

« ارتباط آي القرآن بعضه ببعض ، حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني ، منتظمة المباني ، علم عظيم ، لم يتعرض له إلا « عالم واحد »[٢] عمل فيه سورة البقرة .

ثم فتح الله عز وجل لنا فيه ، فلما لم نجد له حملة ، ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ، ختمنا عليه ، وجعلناه بيننا وبين الله ، ورددناه إليه » .

وهذا الكتاب الذي يشير إليه هنا ذكره في كتابه « الناسخ والمنسوخ »[٣] في كلامه على سورة الأنعام فقال : « والأحكام فيها قليلٌ لعارضٍ بيَّنا وجهه في « ترتيب آي القرآن » ، وهو كتاب أخفيناه بعد أن جمعناه ، لما رأينا فيه من علوه على أقدار أهل الزمان ، وأنه ليس له في هذه الأقطار حفي ، فوضعناه في سرب خفي ».

وأعود فأتساءل : ألم تبلغ هذه المعلومات علماء بغداد فتثير لديهم الرغبة في هذا العلم والبحث فيه ؟ ألم يصل إليهم تفسير الزمخشري والرازي - إن لم تكن قد وصلت إليهم كتب الجويني والكرماني وابن العربي - ولدينا نص يفيد أن الزمخشري أرسل كتبه إلى بغداد ووقفها في مشهد أبي حنيفة[٤] ، ولا بد أن « التفسير » من ضمنها .

---

(١) في كتابه « سراج المريدين » . نقله الزركشي في البرهان ١٣٢/١ ، وتابعه السيوطي في الإتقان . ومنه نسخة مصورة في دار الكتب المصرية كما قال الأستاذ سعيد أعراب في كتابه « مع القاضي أبي بكر بن العربي » ص ١٣١ ، وليت له من يخدمه وينشره .

(٢) ما زال هذا العالم مجهولاً ، ويجب البحث عنه .

(٣) ٢١٠/٢ .

(٤) جاء في جوابه للحافظ أبي طاهر السلفي الذي أرسل إليه مستجيزاً : « ونقلت كتبي كلها إلى مشهد أبي حنيفة - رحمه الله - فوقفتها ، وأصفرت يدي منها ، إلا دفتراً واحداً قد تركته تميمة في عضدي ، وهو كتاب الله المبين » . أزهار الرياض ٢٨٤/٣ - ٢٨٥ .

وحين ترجم له ابن الجوزي البغدادي (٥١٠ ـ ٥٩٧هـ) قال: « وصنف التفسير الكبير »[١].

أما تفسير الرازي فهو مندرج في قول ابن الساعي البغدادي (٥٩٣ ـ ٦٧٤هـ) عن الرازي: « سارت تصانيفه في الأقطار، واشتغل بها علماء الأمصار »[٢] لكننا لا ندري متى وصل إلى بغداد[٣]، إلا أننا نعلم أنّ الإمام عبد الله بن عبد الرحمن الشارمساحي مدرس المالكية في « المستنصرية » (٥٨٩ ـ ٦٦٩هـ)[٤] « صنف كتاب « المآخذ » في مجلدين، بيّن فيهما ما في « تفسير » الفخر من الزيف والبهرج، وكان ينقم عليه كثيراً، ويقول: يورد شبه المخالفين في المذهب والدين على غاية ما يكون من التحقيق، ثم يورد مذهب أهل السنة والحق على غاية من الوهاء»[٥] فهو ـ إذن ـ مطلع على هذا التفسير مشتغل به، ولكن قد دخل الشارمساحي بغداد سنة (٦٣٣هـ) فهو حين دخول النيسابوري ـ على ما ارتأيته ـ لم يكن موجوداً، وحتى لو كان فإن رأيه بالتفسير ـ كما ترى ـ غير حميد، كما أننا لا ندري متى بدأ اهتمامه به.

وممن اشتغل بتفسير الرازي « العلامة برهان الدين النسفي المتكلم، شيخ الفلسفة ببغداد ...»[٦] فإن له « مختصر تفسير الرازي » ولكنه إنما قصد بغداد وأقام بها سنة (٦٧٥هـ)[٧].

---

(١) المنتظم ١٨/٣٨.

(٢) الجامع المختصر ٩/٣٠٧.

(٣) أما الرازي فلم يدخل بغداد، قال ابن الساعي في الجامع المختصر ٩/٣٠٧: « وكان يؤثر الوصول إلى بغداد فحال بينه وبين ذلك العوائق والأقدار ».

(٤) ترجمته في معجم المؤلفين ٦/٧١.

(٥) ذكر هذا نجم الدين الطوفي (٦٥٧ ـ ٧١٦) في « الإكسير لعلم التفسير » نقلاً عن شرف الدين النصيبي عن شيخه الشارمساحي. انظر: الإكسير ص ٢٦، ولسان الميزان ٤/٤٢٧ ـ ٤٢٨.

(٦) انظر التقديم لتفسير سورة الناس له ص ١٦.

(٧) المصدر السابق ص ٢٤.

ومن قبلهما عاد إلى بغداد ـ قاصداً الحج ـ وتوفي بها العلامة الموفق عبد اللطيف البغدادي (٥٥٧ ـ ٦٢٩هـ) وله من الكتب : « الرد على فخر الدين الرازي في تفسير سورة الإخلاص »[١] ولكن « تفسير سورة الإخلاص » هذا كتاب غير « التفسير الكبير »[٢].

وقد يجاب عن هذا التساؤل : بأن علماء بغداد يعلمون بهذه المصنفات ، ولكن لم يكن فيهم من توجه لهذا العلم واعتنى به وبرز فيه ، ولم يقدر أن جاء إلى بغداد في ذلك الوقت عالم مشتغل بهذا العلم غير أبي بكر النيسابوري ، فلم يسمعوا أحداً يلهج به ويسألهم عنه غيره . ولعلهم لم يكونوا عالمين به بالتفصيل والتوسع علمه هو .

وأبو الحسن الشهراباني ينفي سماعه من غيره ، وينفي علم علماء بغداد به ، ولا ينفي علمهم بوجوده والتطرق إليه في مؤلفات سابقة ، وعلمه بوجوده من حيث الجملة .



* * *

والتساؤل الثاني يتعلق بقول الشهراباني : « وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة » فَمَن كان في بغداد من العلماء المعروفين الذين لهم اشتغال بالدراسات القرآنية في النصف الأول من القرن السابع ؟

إن النظر ـ على قدر ما يتسع له الوقت الآن ـ يقودنا إلى ذكر هؤلاء :

١ ـ الإمام محمود بن أحمد الزنجاني (٥٧٣ ـ ٦٥٦هـ شهيداً) له « تفسير القرآن »[٣].

٢ ـ الإمام محيي الدين يوسف ابن الجوزي (٥٨٠ ـ ٦٥٦هـ شهيداً) له « معادن الإبريز في تفسير الكتاب العزيز »[٤].

---

(١) معجم المفسرين ٣٠٢/١ .

(٢) كشف الظنون ٤٤٩/١ .

(٣) طبقات الداوودي ٣١٠/٢ .

(٤) السابق ٣٨٢/٢ .

٣ ـ الإمام المؤرخ علي بن أنجب المعروف بابن الساعي (٥٩٣ ـ ٦٧٤هـ) له « مختصر تفسير البغوي »[١].

٤ ـ الإمام عبد الجبار بن عبد الخالق البغدادي (٦١٩ ـ ٦٨١هـ) له « مشكاة البيان في تفسير القرآن »[٢].

ومنهم :

٥ ـ الإمام عبد الله بن الحسين العكبري البغدادي، وله « تفسير القرآن » و « البيان في إعراب القرآن » و « متشابه القرآن »، ولكنه توفي سنة (٦١٦هـ)[٣].

٦ ـ الإمام عمر بن محمد السهروردي له « بغية البيان في تفسير القرآن » ولكنه توفي في المحرم سنة (٦٣٢هـ)[٤].

٧ ـ الإمام يوسف بن قُزُغْلي المعروف بسبط ابن الجوزي (٥٨١ ـ ٦٥٤هـ) له « تفسير » في سبعة وعشرين مجلداً[٥]، لكنه استوطن دمشق سنة بضع وست مئة[٦].

وأما المشتغلون بالإقراء والقراءات، ممن كان في سنة ٦٣٢هـ موجوداً فهم :

١ ـ أبو البركات عبد العزيز بن محمد ابن القبيطي (٥٦٣ ـ ٦٣٤هـ)[٧].

---

(١) السابق ١/٤٠٠ .

(٢) السابق ١/٢٦٤ .

(٣) السابق ١/٢٣٢ ، والإعراب مطبوع ، أما التفسير فذكر له نسخة مخطوطة . انظر الفهرس الشامل ١/٣٤١ .

(٤) السابق ٢/١٢ ، وانظر عن تفسيره الفهرس الشامل ١/٢٤٤ .

(٥) السابق ٢/٣٨٢ ، وفي منتخب المختار ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨ : في تسعة وعشرين .

(٦) الفوائد البهية ص ٢٣٠ .

(٧) طبقات القراء ٣/١١١٢ ط أحمد خان .

٢ ـ أبو القاسم هبة الله بن الحسن البغدادي المعروف بالأشقر (ت ٦٣٤هـ وقد قارب الثمانين)[١].

٣ ـ عبد العزيز بن دلف البغدادي الناسخ الخازن (٥٥١ ـ ٦٣٧هـ)[٢].

٤ ـ أبو الحسن علي بن أنجب البغدادي المأموني الحنبلي (٥٦٦ ـ ٦٤٢هـ)[٣].

٥ ـ إبراهيم بن محمود بن سالم البغدادي الأزجي (٥٦٣ ـ ٦٤٨هـ)[٤].

٦ ـ أبو منصور محمد بن علي بن عبد الصمد البغدادي المقرئ الخياط (٥٨١ ـ بعد ٦٥٠هـ)[٥].

٧ ـ ابن الداعي محمد بن عمر العباسي الرشيدي الواسطي (٥٧٧ ـ ٦٦٨هـ)[٦].

٨ ـ علي بن عثمان الوجوهي البغدادي (٥٨٢ ـ ٦٧٢هـ) صاحب « بلغة المستفيد في القراءات العشر »[٧].

٩ ـ عبد الصمد بن أحمد ابن أبي الجيش البغدادي شيخ بغداد (٥٩٣ ـ ٦٧٦هـ)[٨].

١٠ ـ يوسف بن جامع القفصي البغدادي الضرير (٦٠٦ ـ ٦٨٢هـ)[٩].

---

(١) الذيل لابن رجب ٢/٢١١ ، وطبقات القراء للذهبي ٣/١٠٩٥ .

(٢) معرفة القراء الكبار ٢/٦٢٦ ، الذيل ٢/٢١٧ .

(٣) طبقات القراء ٣/١٠٩٨ .

(٤) الذيل ٢/٢٤٣ ـ ٢٤٤ .

(٥) طبقات القراء ٣/١١٣١ .

(٦) طبقات القراء ٣/١١٣٥ وفيه : « تصدر للإقراء ببغداد قبل كائنة التتار ، وأقرأ الناس ، ثم سلم ، وعاد إلى واسط وأقرأ بها » .

(٧) طبقات القراء ٣/١١٦٧ ، الذيل ٢/٢٨٤ ـ ٢٨٥ .

(٨) معرفة القراء الكبار ٢/٦٦٥ ، طبقات القراء ٣/١١٥١ ، الذيل ٢/٢٩٠ ـ ٢٩٤ .

(٩) معرفة القراء الكبار ٢/٦٨٣ ، طبقات القراء ٣/١١٨٤ ، الذيل ٢/٣٠٣ ـ ٣٠٤ .

١١ ـ عبد الرحمن بن عبد اللطيف الملقب بالفويره (٥٩٩ ـ ٦٩٧م)[١].

وهكذا نجد أن المشتغلين بالتفسير (ولا سيما في سنة ٦٣٢هـ) قلة، ولعل هذا يفسر لنا التماس أهل بغداد من الإمام مجد الدين عبد السلام بن عبد الله ابن تيمية (٥٩٠ ـ ٦٥٢هـ) الإقامة عندهم.

قال الذهبي[٢]: « وبلغنا أن الشيخ المجد لمّا حج من بغداد في آخر عمره [٦٥١هـ] واجتمع به الصاحب العلامة محيي الدين ابن الجوزي، فانبهر له، وقال: هذا الرجل ما عندنا ببغداد مثله. فلما رجع من الحج التمسوا منه أن يقيم ببغداد، فامتنع واعتل بالأهل والوطن ».

وقد وُصف مجد الدين بالعلم الغزير، ومن ذلك أن له « اليد الطولى في معرفة القراءات والتفسير »[٣].

وكأنَّ الاهتمام بعلم المناسبة ظل بعيداً عن اهتمام البغداديين، إذ لا نجد ـ حسب المعلومات والمصادر المتاحة الآن ـ إشارة إلى تأليف في ذلك، إلى أن جاء العلامة أبو الثناء الألوسي (١٢١٧ ـ ١٢٧٠هـ)، فقد عرض لهذا العلم في تفسيره « روح المعاني »[٤].

وكذلك حفيده من بعده السيد محمود شكري الألوسي (١٢٧٣ ـ ١٣٤٢هـ) وقد

(١) طبقات القراء ١١٨٧/٣.

(٢) معرفة القراء الكبار ٦٥٤/٢، وطبقات القراء ١١٢٨/٣ وفيه: « سمعت شيخنا أبا العباس يقول: بلغنا ... » ونقله ابن رجب في الذيل ٢٥١/٢.

(٣) المصدران السابقان، وفي الذيل: « معرفة القرآن والتفسير ».

(٤) جاء في « التفسير والمفسرون » ٣٦١/١ عنه: « أنه يعنى بإظهار وجه المناسبات بين السور، كما يعنى بذكر المناسبات بين الآيات ».

بدأ بتأليف كتاب سماه « منتهى العرفان والفضل المحض في ربط بعض الآيات ببعض » ولكنه لم يكتب منه إلا اليسير[١] .

* * *

والتساؤل الثالث هو من جهة أخرى ويتعلق بقول الشهراباني : « وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه ». فما معنى هذا، وهل كان يقول هذا في درس خاص أو مجلس عام ؟ أم في الاثنين معاً ؟ وهل تولى شيئاً من التدريس وأقام في بغداد أو كان زائراً أو حاجاً ؟ كل هذه الأسئلة تعرض للناظر في عبارة الشهراباني ، ولا يمكن القطع بشيء من الإجابات عنها، ولكن لعل العبارة يستشف منها أنه كان يعقد مجالس يتكلم فيها، وكان من عادة الوافدين على بغداد أن يتكلموا ويعظوا[٢] .

وكانت العادة في بغداد أن يقرأ القراء قبل بدء الشيخ بإلقاء وعظه، وقد ذكر هذا الرحالة ابن جبير (٥٣٩ ـ ٦١٤هـ) فيما رآه في بغداد التي دخلها سنة (٥٨٠هـ) فقال[٣] :

« فأول من شاهدنا مجلسه منهم [أي من علماء بغداد] الشيخ الإمام رضي الدين القزويني رئيس الشافعية ، وفقيه المدرسة النظامية ، والمشار إليه بالتقديم في العلوم

(١) قال عنه تلميذه الأستاذ محمد بهجة الأثري (ت ١٤١٦هـ) في كتابه « محمود شكري الألوسي : سيرته ودراساته اللغوية » ص ١١٠ : « هو من منهج كتاب البقاعي الذي طبع حديثاً ، ولست أدري هل وقف عليه أو لا ؟ شرع في تأليفه في أوائل سنة ١٣٤١هـ ثم حالت منيته دون أمنيته في إتمامه » ا هـ

قلت : وقد رأيت مسودة المؤلف وهذا وصفها : كتب الألوسي بخطه سورة المائدة والأنعام والأعراف وشيئاً من النساء في أوراق . وعلق على المائدة في «١١» صفحة منها ، والتعليقات قليلة ـ في حواشي الصفحات ـ . وعلق على سورة الأنعام في صفحة واحدة ، وعلى سورة الأعراف في صفحتين ـ ويظهر أن بعض الصفحات سقط ـ وعلق على سورة النساء في «٩» صفحات . وجاء في آخرها : آخر النساء .

(٢) انظر على سبيل المثال : المنتظم ١٨/١٠ (حوادث سنة ٥٣٨هـ) .

(٣) رحلة ابن جبير ص ١٩٥ .

الأصولية . حضرنا مجلسه بالمدرسة المذكورة إثر صلاة العصر من يوم الجمعة الخامس لصفر المذكور ، فصعد المنبر[١] ، وأخذ القراء أمامه في القراءة على كراسي موضوعة ، فتوقوا وشوقوا ، وأتوا بتلاحين معجبة ، ونغمات محرجة مطربة[٢] ، ثم اندفع الشيخ الإمام المذكور فخطب خطبة سكون ووقار ، وتصرف في أفانين عن العلوم ، من تفسير كتاب الله عز وجل ، وإيراد حديث رسوله صلى الله عليه وسلم ، والتكلم على معانيه . . . »[٣] .

والظاهر أن أبا بكر النيسابوري مشى على هذه الخطة، وكان أكثر ما يتناول في كلامه علم المناسبة في الآيات والسور التي تقرأ عليه بحيث لفت الأنظار واستوجب التنبيه ، ولم يكن لعلماء بغداد عادة بذلك .



* * *

(١) وقد يجلس الواعظ على كرسي . انظر كتاب القصاص والمذكرين ص ١٤٣ - ١٤٧ .

(٢) يريد : مشجية محزنة .

(٣) وذكر مثل هذا عن الإمام ابن الجوزي ، فانظره .

الخاتمة

رأي أولي في أولية علم المناسبة

تبين لنا مما سبق أنّ التعريف بأبي بكر النيسابوري على أنه الحافظ عبدالله بن محمد بن زياد المتوفى سنة ٣٢٤هـ وجّه البحث في تاريخ علم المناسبة توجيهاً غير صحيح ، والآن فلابد من إعادة النظر في ذلك .

وكان أحد الأساتذة الأجلاء - مع أنه أرخ لأبي بكر النيسابوري بأنه المتوفى سنة ٣٢٤هـ - يرجع أسبقية إظهار هذا الفن إلى شيخ المفسرين الطبري (ت ٣١٠هـ) في تفسيره « جامع البيان » إذ ذكر فيه نبذاً ولطائف من المناسبات[١].

ويَرِدُ على هذا الرأي أمران :

الأول : أن الطبري والنيسابوري متعاصران، وإن كان الطبري ولد قبل النيسابوري بـ (١٤) سنة، ومات قبله بـ (١٤) سنة كذلك ، فهما مشتركان بـ (٧٢) سنة ، والحكم بأسبقية عصري على الآخر لابد له من دليل قوي .

الثاني : أنّ النيسابوري إن كان هو المتوفى سنة ٣٢٤هـ فهذا يلزم منه أن يكون الطبري من المشمولين بجملة : « وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة » فكيف يكون الطبري سابقاً إلى هذا العلم ، ويزري عليه النيسابوري بعدم علمه بالمناسبة ؟

ثم أرى أنه لابد من التفريق بين وجود نبذ ولطائف من هذا العلم في كتب التفسير ، ووجوده كعلم .

---

(١) انظر : « علم المناسبات وأهميته في تفسير القرآن » ص ٨٦ - ٨٧ .

فالطبري وغيره من المفسرين يذكرون نبذاً من ذلك من باب السياق والسباق[١]، ولكن أبا بكر النيسابوري يذكره على أنه : « علم المناسبة » .

على أن أبا بكر مسبوق بتسميته علماً، فأبو بكر ابن العربي سمّاه « علماً » كذلك ، كما مرّ في النص الذي نقله الزركشي من كتابه « سراج المريدين » .

ولابد من القول أننا لا ندري هل وضع أبو بكر النيسابوري شيئاً في هذا العلم ، أم اكتفى بالكلام عليه ؟

وحتى لو افترضنا أنه أفرده بالتأليف فهو مسبوق بـ « العالم الواحد » الذي عمل فيه سورة البقرة ، وبأبي بكر ابن العربي الذي كتب « ترتيب آي القرآن »[٢] .

والخلاصة أن أولية هذا العلم غير واضحة تمام الوضوح إلى الآن ، ولا سيما مع بقاء كثير من مصادر التفسير وعلوم القرآن مخطوطة بعيدة عن أيدي الباحثين ، وقد سبق معنا ذكر الجويني ما سمعه من أبي الحسن الدهان ، مما يدخل في هذا الباب ، وهو نص مهم ، وقد نقله الزركشي ثم السيوطي ، ولم يتوقف السيوطي عنده ولا من بعده من الدارسين - على أهميته - ، ولكن من يكون أبو الحسن الدهان هذا الذي يبدو من قوله هذا أنه يعالج فكرة « المناسبة » ؟ ولنلحظ أن قوله المنقول هو عن آية من سورة البقرة ، فهل له علاقة بما قاله ابن العربي عن ذلك « العالم الواحد » الذي عمل في هذا العلم « سورة البقرة » ؟ وماذا في تفسير الجويني غير هذا النص ؟ وهل وقف - يا ترى - أبو بكر النيسابوري على تفسير الجويني النيسابوري وأفاد منه ؟

(١) للدكتور محمد إقبال عروي بحث بعنوان « الوظيفة الترجيحية للسياق عند المفسرين » منشور في مجلة آفاق الثقافة والتراث ، العدد (٣٥) فانظره إن شئت .

(٢) وأما ما جاء في التقديم لرسالة السيوطي « مراصد المطالع » ص ٨٠ : « لم تذكر لنا المصادر شيئاً عمن أفرد علم المناسبات بالتأليف حتى عصر الإمام أبي جعفر بن الزبير (ت ٧٠٨هـ / ١٣٠٨م) » فهو موضع نظر .

ولماذا لم يطبع هذا « التفسير » إلى الآن ؟ هذه أسئلة تحتاج إلى أجوبة ووقفات ، وحسبي الآن إثارتها .

وبما أن « العالم الواحد » الذي ذكره ابن العربي مُبْهماً ما زال مجهولاً ، فإن من الصعب الحكم بأولية هذا العلم ، لكن أقدم إشارة نقف عليها - إلى هذا الوقت - هي إشارة الجويني إلى أبي الحسن الدهان .

أما إفراده بالتأليف فلعل الأولية لـ « العالم الواحد » الذي ذكره ابن العربي ، ثم لابن العربي نفسه ، والله أعلم .

* * *



نتائج البحث

ألخص فيما يأتي أبرز نتائج هذا البحث فأقول :

١ ـ إنَّ أبا بكر النيسابوري الذي نسب إليه السبق إلى علم المناسبة القرآنية ـ ابتداء من عصر السيوطي إلى هذا الوقت ـ ليس هو السابق إليه .

٢ ـ إن الترجمة التي وضعها له الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم وتابعه كل الذين كتبوا في هذا العلم ، وهي أنه الإمام الحافظ عبد الله بن محمد بن زياد الشافعي شيخ الشافعية بالعراق المتوفى سنة ٣٢٤ هـ : ليست ترجمة له .

وكذلك الترجمة التي وضعها الأستاذ محمد شعباني وهي أنه الإمام المقرئ محمد بن عبدوس المتوفى سنة ٣٣٨هـ .

وإن أبا بكر النيسابوري المقصود بكلام أبي الحسن الشهراباني ـ الذي نقله الزركشي ـ عالم من علماء القرن السابع الهجري جزماً ، ولم تظهر له ترجمة حتى الآن .

٣ ـ إن دور أبي بكر النيسابوري ينحصر في إظهار علم المناسبة في مدينة بغداد .

٤ ـ إن التاريخ لظهور علم المناسبة ـ باعتباره علماً ـ في مطلع القرن الرابع الهجري تبعاً لما سبق غير صحيح .

٥ ـ إن من أسباب هذه الأخطاء : تصرف السيوطي في كلام أبي الحسن الشهراباني ـ وكم جرّ التصرف من أخطاء ـ .

ومنها : تسرع المحقق محمد أبو الفضل إبراهيم في إلصاق ترجمة بأبي بكر النيسابوري على سبيل الجزم من غير دليل ، وهذا خطير ولا سيما حين تتشابه الأسماء والألقاب والأنساب .

ومنها : متابعة الأساتذة الدارسين لمن قبلهم - في هذه المسألة - من غير بحث عن مستندهم .

٦ - إن هذه الأسباب أدت إلى تصورات وأحكام مغلوطة، وبني عليها نسبة شيء لغير أهله، وغمط آخرين حقهم وجهدهم.

٧ - إن أبا الحسن الشهراباني ليس مجهولاً ، وإنه علم كبير من أعلام الإسلام في القرن السابع الهجري ، وليس من أهل القرن الرابع وليس تلميذاً للحافظ ابن زياد ! وإن الحكم على الرجال بالجهالة بجرة قلم أمر مؤسف جداً .

٨ - إن مصطلح « علم المناسبة » في كلام أبي الحسن الشهراباني قد يكون المقصود به ما يشمل علم « متشابه القرآن » وعلم « الروابط والترتيبات » .

وأوصي :

أ - بإعادة بحث تاريخ علم المناسبة في ضوء هذه النتائج لنعرف من هو مؤسس هذا العلم حقاً، ومتى بدأ بصورة مطلقة لا مقيدة وأين؟ وقد تطرق البحث إلى جوانب من هذا ، وما زال في الموضوع حاجة إلى التوسع والتحقق .

ب - كما أوصي بهذه المناسبة بإيلاء العناية الكافية لتاريخ علم التفسير ، وبحثه بدقة وشمول واستقصاء .

ج - ويلزم من هذا وصية أخرى ، وهي التوجه الجاد الرصين الصادق لطبع التراث التفسيري ، ونفض الغبار عنه ، ووضعه تحت أيدي الباحثين ، فما زالت هناك كتب مهمة جداً حبيسة الخزائن ! وهذا غريب جداً من أمة القرآن !! .

* * *

مصادر البحث

كتب التفسير :

- الأساس في التفسير لسعيد حوى ، دار السلام ، القاهرة، ط٤ (١٤١٤=١٩٩٣).
- البحر المحيط لأبي حيان ، مصورة مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت .
- تفسير الرازي ، دار الفكر ، بيروت (١٤١٤ = ١٩٩٣).
- تفسير سورة الناس للبرهان النسفي ، تحـ : د. عيادة بن أيوب الكبيسي ، من إصدارات دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث بدبي، ط١ (١٤٢٢ = ٢٠٠١).
- تفسير الفاتحة الكبير من « البحر المديد » لابن عجيبة ، تحـ : بسام محمد بارود ، دار الحاوي ، ط١ (١٤٢٠ = ١٩٩٩).
- حاشية الخفاجي على تفسير البيضاوي « عناية القاضي وكفاية الراضي »، مصورة دار صادر .
- نظم الدرر للبقاعي ، ط دائرة المعارف العثمانية في الهند .

علوم القرآن :

- أبو حيان وتفسيره البحر المحيط للدكتور بدر بن ناصر البدر ، مكتبة الرشد ، الرياض (١٤٢٠ = ٢٠٠٠).
- الإتقان للسيوطي ، تحـ : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المشهد الحسيني ، ط١ (١٣٨٧) .
- الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز لعز الدين بن عبدالسلام ، مصورة دار البشائر الإسلامية ، ط١ (١٤٠٨ = ١٩٨٧).
- الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره للدكتور محمد أحمد القاسم ، دار المطبوعات الدولية ، القاهرة ، ط١ (١٣٩٩ = ١٩٧٩).

- الإكسير في علم التفسير للطوفي ، تحـ : د. عبدالقادر حسين ، المطبعة النموذجية ، القاهرة (١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م).

- الإمام السيوطي وجهوده في علوم القرآن للدكتور محمد يوسف الشربجي ، دار المكتبي ، دمشق ، ط١ (١٤٢١ = ٢٠٠١).

- البرهان في ترتيب سور القرآن لابن الزبير الغرناطي :

١ ـ تحـ : د. سعيد الفلاح، منشورات جامعة الإمام بالرياض (١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م).

٢ ـ تحـ : محمد شعباني، منشورات وزارة الأوقاف المغربية (١٤١٠هـ = ١٩٩٠م).

- البرهان في علوم القرآن للزركشي :

١ ـ تحـ : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مصورة دار المعرفة ، بيروت .

٢ ـ تحـ : د. يوسف المرعشلي وآخرين ، دار المعرفة ، ط٢ (١٤١٥=١٩٩٤).

- البرهان في متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان للكرماني ، تحـ : أحمد عز الدين عبد الله خلف الله ، دار صادر ، بيروت ، ط٢ (١٤١٧هـ = ١٩٩٦م) .

- تاريخ التفسير لقاسم القيسي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد (١٣٨٥=١٩٦٦).

- التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإتقان لطاهر الجزائري، اعتنى به عبدالفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٣ (١٤١٢).

- التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي، مؤسسة التاريخ العربي ودار إحياء التراث العربي بيروت، ط٢ (د.ت).

- التناسب البياني في القرآن : دراسة في النظم المعنوي والصوتي للدكتور أحمد أبو زيد ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء، المغرب (١٩٩٢).

- تناسق الدرر في تناسب السور للسيوطي، تحـ : عبد الله محمد الدرويش ، عالم الكتب ، بيروت ، ط٢ (١٤٠٨هـ = ١٩٨٧م).

يعتبره جريمةً ، يعاقب عليها كما في القانون التونسي [١] ، وكذلك في القانون العراقي ، فلا يجوز الزواج من امرأة ثانية إلا بإذن القاضي ، ومن تزوج بأكثر من واحدة بدون علم القاضي يعاقب بالحبس مدة ، لا تزيد على سنة ، أو بالغرامة بما لا يزيد على مائة دينار ، هذا ما قرره مجلس قيادة الثورة العراقي في جلسته المنعقدة في (١٩٨٢/١/٢٧م) [٢] .

ونتيجة هذا المبحث : هو أن نبين فيه ، بأن التعريف الذي جاء في الشريعة الإسلامية للجريمة ، تعريف جامع مانع ، في حين أنه في القانون الوضعي ، تعريف جامد ، لأنه يخص الجريمة بما كان عليه مُساءلة قانونية أو عقاب قانوني ، وهذا فيه من القصور ما لا يخفى على أحد ، فإنه بتعريفه للجريمة ، يفتح الباب لكثير من الناس أن يجرموا ، ثم يقولوا : طالما أننا لا نقع تحت طائلة المسئولية لا من قريب ولا من بعيد ، فنفعل ما نشاء ، فيضرون أنفسهم ، ويضرون غيرهم تحت سمع القانون وبصره .

المبحث الخامس : مفهوم الوقاية من الجريمة :

الوقاية من الجرائم هي الأساس في علاج المجتمع ، فقد اهتمت بذلك السنة النبوية ، حيث لم تجعل العقاب هو الوسيلة الأولى للعلاج فقط ، بل قدمت له بمقدمات وقائية قبل الوقوع في العقوبة .

والوقاية : أن يجعل المسلم بينه وبين ما يضر وقاية ، ومن معاني الوقاية في اللغة : الحفظ والصيانة والحماية ، يقال : وقى الشيء : صانه عن الأذى وحماه ، قال الله تعالى : ﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ ﴾ [٣] ووقى الأمر : أصلحه [٤] .

ويمكن تعريف الوقاية من خلال المعاني اللغوية السابقة ، فنقول : الوقاية هي اتخاذ التدابير اللازمة التي تحفظ وتصون المرء من الوقوع فيما يضر بنفسه أو بغيره أو بهما معاً .

---

(١) انظر : شرح قانون الأحوال الشخصية لفريد فتيان صـ ٤٠ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) سورة الإنسان : ١١ .

(٤) انظر : المعجم الوسيط ، مادة وقى .

وتبعاً لما عرّفنا به الوقاية ، فإنه لا يقتصر التعريف على مجرد البعد عن الأشياء الحسية ، بل البعد أيضاً عن الأشياء المعنوية التي تلحق ضرراً بقلب الإنسان أو بعقله أو بدينه ، وهي في حدود الضروريات الخمس ، يعني ليست مخصوصةً بالبدن فقط ، إنما تتناول البدن والدين والنسل والعرض والمال . هذا هو مفهوم الوقاية من الجريمة .

المبحث السادس : ثمرات الوقاية من الجريمة :

سأتناول الحديث عن ثمرات الوقاية من الجريمة تفصيلاً وإجمالاً :

أما **تفصيلاً** : فهي على النحو التالي :

١- حماية النفس والمحافظة عليها وعدم الوقوع في الجريمة ، سواء كانت نفس الشخص ، أو نفس غيره ، أو هما معاً ، فيؤدي ذلك إلى الأمن والاستقرار النفسي ، وهذا يعني القضاء على الجريمة ، ومكافحتها أو تخفيفها بكل صورها وأشكالها ، على أن العلماء ذكروا أن حفظ النفس يكون بترتيب القصاص ، للاعتداء على النفس عمداً ، والدية للاعتداء عليها خطأً .

٢- حماية المال وحفظه في المجتمع وتنميته والعمل على زيادته ، ليزدهر الاقتصاد ، وتنشط التجارة والصناعة والزراعة وغيرها ، وليعم الرخاء ، فإننا نقضي على الرشوة والربا والغصب والسرقة والنهب ونحوها من الأخلاق الرذيلةِ ونشيع المعاملات المشروعة ، على أن العلماء ذكروا أن حفظ المال يكون بترتيب حد السرقة والحرابة .

٣- وقاية العقل من التسيب والانهيار ، فالمجتمع المتصف بالعقل ، معناه أنه يتصف بالحكمة والرَّوِيَةِ فتكون قراراته صائبةً وأفعاله سليمةً سديدة ، لذلك عاقب الإسلام شارب الخمر ، لأن في شربه له إذهاباً لعقله ، على أن العلماء قالوا إن حفظ العقل ، يكون بترتيب حد شرب الخمر.

٤- حفظ العرض من الانتهاك ، والنسل من الاعتداء على الحياة الزوجية ، وتحريم العلاقات خارج الزواج ، لذا منع الإسلام الزنا ، لأنه يؤدي إلى اختلاط الأنساب

وإضاعة الأولاد ، ويعكر الحياة الزوجية ، بل يقضي عليها ويقضي أيضاً على النسل والنوع الإنساني ، على أن العلماء قالوا : إن حفظ العرض يكون بترتيب حد القذف والزنا .

٥- حفظ الدين : والمقصود بحفظ الدين كما هو معروف : المحافظة على أحكام وأركان الشريعة ، وحفظها من الاستهزاء والسخرية والعبث ، لذا قرر الإسلام حد الردة ، للذين يعتدون على الدين أو يستهزئون به ، أو يصدون عن سبيله .

وهذه الخمسة التي ذكرتها ، هي المقاصد الخمسة المعروفة التي نزلت كل الشرائع السماوية بحفظها وحمايتها .

وأما جملة : فإن الوقاية من الجريمة تؤدي إلى القضاء عليها تماماً أو على الأقل تخفيفها أو تقليصها ، الأمر الذي يؤدي إلى حياة النفوس وترابط المجتمع وتماسكه ، فيؤدي المجتمع دوره وواجبه في الأرض ويأخذ مكانه اللائق .



الفصل الثاني
أسباب الوقوع في الجريمة
« وطرق الوقاية منها في ضوء السنة النبوية »

يمكن ردُّ كل أسباب الوقوع في الجريمة ، إلى سبب أساسي ، ألا وهو البعد عن الدين ، ثم يتفرع عن هذا السبب أسباب أخرى كثيرة فرعية ، سنتناولها بالشرح والتحليل ، مراعين الاختصار والإيجاز قدر الطاقة والإمكان ، ودونك البيان .

السبب الأول: ضعف الوازع الديني والأخلاقي (وهو الأكبر والأساسي) :

حقيقة النفس البشرية أنها مخلوقٌ له حاجاتٌ متعددة ، لأنه يجمع بين الطين والنفخةَ الإلهية ، وهي الروح ، ولكلٍّ حاجاته ومطالبه ، ولا بد من التوفيق بينهما ، بحيث لا يطغى جانبٌ على جانب .

وقد ينسى الإنسان ذلك ، فتسول له نفسه أن يقع في الجريمة ، لكن كيف والرقباء عليه كثيرون من أفراد المجتمع أو الحاكم ؟ إن نفسه لتسوِّلُ له أن يخدع هؤلاء جميعاً ، فيبتكر من أساليب الحيل والخداع ما ييسر له سبيل الوقوع في الجريمة ، لكن إذا قويَ الوازع الديني والأخلاقي ، المتمثل في سلامة الفطرة والعقل الراشد ومراقبة الله فإنه يكُفُّ عن ذلك .

من هنا كان من الأسباب الأساسية للوقوع في الجريمة : ضعف الوازع الديني والأخلاقي، وقد عبر النبي ﷺ عن ذلك بقوله : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ... »[١] ، وبقوله: « إذا زنى الرجل خرج منه الإيمان وكان عليه كالظُلَّةِ ، فإذا انقلع رجع إليه الإيمان »[٢] .

والوقاية هي : تقوية الوازع الديني والأخلاقي وتمكينه من النفس ، ويتحقق ذلك بالأساليب التالية :

---

(١) رواه مسلم في الإيمان : باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي (١/٧٦) ، رقم (١٠٠) من حديث أبي هريرةَ .

(٢) رواه أبوداود في كتاب السنة : باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه (٢/٦٣٤) ، رقم (٤٦٩٠) ، والحاكم في المستدرك (١/٢٢) ، في كتاب الإيمان من حديث أبي هريرة وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

١- التذكير بمعية الله التي لا تفارق العبد أبداً : قال تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [(١)] .

٢- تهيئة الصحبة الصالحة : كما قال ﷺ : « لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامَك إلا تقيٌّ » [(٢)] .

٣- تطبيق شرع الله تعالى : إن الإسلام يُشرِّعُ لمجتمعٍ مسلمٍ ، أسلم نفسه لله تعالى وارتضى حكم الله في جميع شئون حياته ، لذا نجد الجريمة فيه نادرة جداً ، لأنه ربّى أفراده تربيةً إسلاميةً صحيحةً ، فكانوا بذلك مسلمين حقيقةً ، لا إسلام وراثةٍ وتقليد ، أو إسلام ثرثرةٍ وكلام ، فليس الإيمان بالتمني ، ولكن الإيمان الحقيقي هو ما وقر في القلب وصدّقه العمل .

٤- التذكيرَ بالعاقبة والمصير : وقد دلت السنةُ النبويةُ على ما دلَّ عليه القرآن الكريم من أن الإيمان بالله تعالى وبرسوله وباليوم الآخر ، سببُ الطاعةِ وفعل الخير ، والبعد عن المعصية والشرِّ ، يقول ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جارَهُ » [(٣)] ، ويقول : « لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه » [(٤)] ، فالمؤمن لا يتركه إيمانه يسعى في إيصال الشر إلى الناس ؛ لأنه لا يحبُّ الشر لنفسه ، وإنما يحب لنفسه الخير ، والخير الذي يحبه لنفسه يحبه لغيره ؛ لأنه ناشئ من إيمانه .

---

(١) سورة الحديد : ٤ .

(٢) رواه أبو داود في الأدب : باب من يؤمر أن يجالس (٢/٦٧٥) ، رقم (٤٨٣٢) ، والترمذي في الزهد : باب ما جاء في صحبة المؤمن (٤/٢٧) ، رقم (٢٥٠٦) . ورواه الدارمي في الأطعمة : باب من كره أن يطعم طعامه إلا الأتقياء (٢/١٠٣) ، وأحمد في المسند (٣/٣٨) ، وابن حبان في صحيحه (موارد الظمآن رقم ٢٠٤٩) ، كلهم من حديث أبي سعيد الخدري . وسكت الترمذي على الحديث ، وقال النووي في رياض الصالحين صـ ١٧٨ ، رقم (٩٦٤) : « رواه أبو داود والترمذي بإسناد لا بأس به » .

(٣) رواه البخاري في الأدب : باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره (١٠/٥٤٦) ، رقم (٦٠١٨) من حديث أبي هريرة .

(٤) رواه البخاري في الإيمان : باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه (١/٧٨) ، رقم (١٣) ، ومسلم في الإيمان : باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحبَّ لأخيه المسلم ما يحبُّ لنفسه من الخير (١/٦٧) ، رقم (٧١) ، كلاهما من حديث أنس ، واللفظ للبخاري .

فالسنةُ النبويةُ لم تعمد إلى وضع طرق الوقاية من الجريمةِ فقط ؛ لأن الاعتماد على هذا الجانب وحده لا يكفي ، بل لا بُدَّ من رادع آخر يمنع الناس من الوقوعِ في الجرائم والمحظورات ، وهذا الرادع هو غرس الإيمان في قلب الإنسان .

السبب الثاني : الفراغ :

وهو عدم شغل الوقت بالنافع والمفيد . والوقاية منه : هو مَلْءُ الفراغ بالنافع والمفيد .

إن الفراغ قد يكون نعمةً ، إذا ملئَ بالصالح من الأقوال والأفعال ، وقد يكون نِقْمَةً، من حيث إهمالُه والإعراضُ عنه ، لأنه جزءٌ من حياة الإنسان ورأس ماله ، وقد جاء في الحديث : « نعمتان مغبونٌ فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ » [1] . وقد أخبر النبي ﷺ بأن الإنسان مسؤول عن أوقاته في حياته ، فيقول : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن : عمره فيما أفناه ، وعن علمه فيما فعل ، وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه » [2] .

وأخبر أيضاً بنزع البركة من الأعمار ، ولعل من مظاهرها عدم مَلء هذا الفراغ بالنافع والمفيد، يقول ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان ، وتكون السنة كالشهر ، والشهر كالجمعة ، وتكون الجمعة كاليوم ، ويكون اليوم كالساعة ، وتكون الساعة كالضِّرمة [3] بالنار » [4] .

وحث ﷺ على استغلال الوقت والحرص عليه ، فقال : « اغتنم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك » [5] .

---

(١) رواه البخاري في الرقاق : باب ما جاء في الرقاق (١١/٢٧٥) ، رقم (٦٤١٢) من حديث ابن عباس .

(٢) رواه الترمذي في أول أبواب صفة القيامة : باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص (٤/٣٦) ، رقم (٢٥٣٢) ، من حديث أبي برزة الأسلمي ، وقال : « هذا حديث حسن صحيح » .

(٣) الضِّرمة : الجمرة كما في المعجم الوسيط ، مادة ضرم .

(٤) رواه الترمذي في الزهد : باب ما جاء في تقارب الزمان وقصر الأمل (٣/٣٨٨) ، رقم (٢٤٣٤) ، وقال : « هذا حديث غريب » .

(٥) رواه الحاكم في المستدرك ، كتاب الرقاق (٤/٣٤١) ، وصححه على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي .

ونظراً لأهمية الوقت ، فقد عالج الإسلام الممثل في السنة النبوية هذه الظاهرة ، بحيث ملأت الفراغ بالنافع والمفيد ، وهناك صور كثيرة لملء هذا الفراغ ، فمنها :

١- تنظيم الرحلات وإقامة المخيمات الكشفية : ويمكن الاستفادة مما يعرف بالسرايا في العهد النبوي ، فإنه ﷺ لما هاجر إلى المدينة وضع نظاماً لحماية الدولة الناشئة الجديدة من خطر العدو الداخلي والخارجي ، فأنشأ نظام السرايا ، بأن يكلف جمع من الناس وعليهم أمير بمهمة تتمثل في :

أ- استكشاف الأرض المحيطة بالدولة ومَنْ يتحركون فوقها .

ب- تعويدهم الصبر والتحمل .

جـ- شغل أوقات الفراغ لديهم بالنافع والمفيد ، وإلا تحولت هذه الأوقات إلى أداة هدم للأفراد والمجتمع .

د- إرسال رسائل صامتة لقريش ، بأن تكف عن أذى المسلمين وملاحقتهم إذ هم اليوم غيرهم بالأمس ، وكل ذلك يمكن أن يظهر للباحث من خلال دراسة سرية عبد الله بن جحش وغيرها من السرايا التي كانت في العهد النبوي [١] .

٢- تخصيص أماكن لممارسة الألعاب الرياضية : وهو ما يعرف اليوم باسم الملاعب والأندية الرياضية ، وكان النبي ﷺ يحدد لأصحابه خارج المسجد غرضين يعدون بينهما جرياً أو ركوباً للدواب أو بممارسة الرماية ، وأكد ذلك ﷺ بقوله : « كل ما يلهو به الرجل المسلم باطل إلا رميه بقوس ، وتأديبه فرسه ، وملاعبته أهله ، فإنهن من الحق » [٢] .

---

(١) انظر تفصيل هذه السرايا والهدف منها في كتاب : سبل الهدى والرشاد لمحمد بن يوسف الصالحي ، (٦/٩-٣٧٨ ، وما بعدها) ، إذ كله حول السرايا وأهدافها جملة وتفصيلاً .

(٢) رواه أبو داود في الجهاد : باب الرمي (٢/١٦) ، رقم (٢٥١٣) ، والترمذي في الجهاد : باب ما جاء في فضل الرمي (٣/٩٥) ، رقم (١٦٨٧) ، والنسائي في الخيل : باب تأديب الرجل فرسه (٦/٢٢٢) ، وابن ماجه في الجهاد : باب الرمي في سبيل الله (٢/٩٤٠) ، رقم (٢٨١١) ، وأحمد في المسند (٤/١٥٤) ، والحاكم في المستدرك (١/٤١٧-٤١٨) ، وصححه ووافقه الذهبي . وقال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح » .

٣- التنزه بين الأشجار وعلى الشواطئ ، بين الماء والخضرة ، وهو ما يعرف الآن بالرحلات إلى الحدائق والأنهار والبحيرات ونحوها ، فقد جاء عن النبي ﷺ أنه ذهب إلى بئر أريس بالمدينة ، وقد وضع رجله في الماء كاشفاً عن ساقيه ، وكان يتبعه أصحابه كأبي بكر وعمر وعثمان[١] .

ويمكن أن يضاف إلى ذلك صور أخرى . وذلك بتخصيص أماكن لتعليم بعض الأعمال الحرفية « معاهد للتدريب » ، وإقامة المكتبات ، ونشرها في كل الأحياء ، تشجيعاً للقراءة والاطلاع ، وأيضاً إنشاء معاهد لحل مشكلة المجتمع البيئية والاجتماعية والاقتصادية ونحوها . وأيضاً تهيئة المؤسسات ، لإلحاق العاطلين عن العمل القادرين عليه بها ، إلى غير ذلك من كل ما يشغل أوقات الفراغ ، وهي كثيرة .

وعلاج هذا السبب : لا تكفيه هذه العجالة ، وإنما يحتاج إلى بحث مطول ، ونحن الآن بصدد إعداده تحت عنوان : « مَلْءُ الفراغ بين السنة النبوية وميثاق الفراغ الدولي » .

السبب الثالث : التكالب على الدنيا :

والوقاية منه : التزهيد في الدنيا والحث على التقلل منها .

خلق الله الدنيا ، لتكون ميدان سباق بين بني الإنسان ، يعبرون منه إلى الآخرة ، ولذا لم يحرمها عليهم ، وإنما وضع لتعاطيها قيوداً وضوابط ، منها :

١- أن تكون من حلال لا من حرام ، يقول ﷺ : « إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً »[٢] .

٢- أن تكون بعزة نفس لا بذل وهوان ، إذ يقول ﷺ : « تعس عبد الدينار والدرهم

---

(١) انظر : صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ : باب « لو كنت متخذاً خليلاً ... » (٧/٢٥)، رقم (٣٦٧٤) ، ومسلم في فضائل الصحابة : باب من فضائل عثمان (٤/١٨٦٧) ، رقم (٢٤٠٣) .

(٢) رواه مسلم في الزكاة : باب قبول الصدقة من الكسب الطيب (٢/٧٠٣) ، رقم (٦٥) ، من حديث أبي هريرة .

والقطيفة [١] والخميصة [٢] إن أُعْطِيَ رضي وإن لم يُعْطَ لم يرضَ » [٣] .

٣- وأن ينفقها إنفاقاً وسطاً ، فلا شح ولا تقتير ولا إسراف ولا تبذير ، قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [٤] . وقال : ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [٥] ، وقال ﷺ : « بحَسْب ابن آدم أُكُلاتٌ يُقِمْن صُلْبَه » [٦] .

٤- أن يؤدي حق الله فيها من زكاة وما في حكمها ، يقول الله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [٧] .

٥- أن لا يكون لها سلطان على القلوب ، وإنما تكون في أيدينا بحيث نعطيها لله عندما يطلبها منا ، وثقتنا أنه يخلف ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [٨] ، وقال ﷺ : « من تصدق بعدل [٩] تمرة من كسب طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبه ، كما يربي أحدكم فَلُوَّهُ [١٠] حتى تكون مثل الجبل » [١١] .

---

(١) القطيفة : كساء له خمل . النهاية ، مادة قطف .

(٢) الخميصة : ثوب خَز أو صوف مُعْلَم ، وقيل : لا تسمى خميصة إلا أن تكون سوداء مُعْلمة . النهاية، مادة خمص.

(٣) رواه البخاري في الرقاق ، باب ما يتقى من فتنة المال (٣٠٤/١١)، رقم (٦٤٣٥) من حديث أبي هريرة .

(٤) سورة الفرقان : ٦٧ .

(٥) سورة الأعراف : ٣١ .

(٦) رواه الترمذي في الزهد : باب ما جاء في هديه ﷺ في الأكل (١٨/٤) ، رقم (٢٤٨٦) من حديث المقدام بن مَعْدِ يَكْرِب ، وقال : « هذا حديث حسن صحيح » .

(٧) سورة التوبة : ١٠٣ .

(٨) سورة سبأ : ٣٩ .

(٩) العدل والعَدل بالكسر والفتح بمعنى المِثل . النهاية ، مادة عدل .

(١٠) فَلُوَّهُ : أي مُهره الصغير ، وقيل : هو العظيم من أولاد ذوات الحوافر . النهاية ، مادة فلا .

(١١) رواه البخاري في الزكاة : باب الصدقة من كسب طيب (٣٥٤/٣) ، رقم (١٤١٠) ، ومسلم في الزكاة : باب قبول الصدقة من الكسب الطيب (٧٠٢/٢) ، رقم (٦٣) ، كلاهما من حديث أبي هريرة واللفظ للبخاري .

في ضوء هذه المعايير ، لا حرج على المرء أن يأخذ الدنيا في أي صورة من صورها ، ومن ينسى هذه المعايير ، فإنه يتكالب على الدنيا ، ويصبح عبداً لها ، وقد يحمله التكالب على الوقوع في المحظور أو في الجريمة ، لإشباع شهواته وملذاته ، لذا كان التكالب على الدنيا على النحو الذي ذكر من أهم أسباب الوقوع في الجريمة.

والوقاية من التكالب على الدنيا ، إنما تكون بالتزهيد فيها والحث على التقلل منها، كما يظهر من الصور التالية :

أ- أنه ﷺ أخبر أن من أراد الله أن يحبه فليزهد فيها [١] .

ب- وأنها لا تساوي عند الله شيئاً ، « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافراً منها شربة ماء » [٢] .

جـ- وأنها سجن المؤمن وجنة الكافر [٣] ، وإنما كان سجناً ، لأن المؤمن فيها مقيد بقيود التكاليف ، فلا يقدر على حركة إلا بأمر شرعه ، والكافر منفكٌّ عن أي تكليف ، آمن من المخاوف ، يأكل ويتمتع ويلهيه الأمل ، وينسى الآخرة ولا يحسب لها أي حساب .

د- وأنها فانية ، قال ﷺ : « مالي وللدنيا ، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها » [٤] .

هـ- وأن حبها رأس كل خطيئة [٥] ، وإنما كانت كذلك لأنها توقع في الشبهات ثم

---

(١) رواه ابن ماجه في الزهد : باب الزهد في الدنيا (١٤٧٣/٢) ، رقم (٤١٠٢) ، من حديث سهل بن سعد الساعدي . قال النووي في رياض الصالحين صـ ٢٢٧ : « حديث حسن رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة » .

(٢) رواه الترمذي في الزهد : باب ما جاء في هوان الدنيا على الله (٣٨٣/٣) ، رقم (٢٤٢٢) من حديث سهل ابن سعد ، وقال : « هذا حديث صحيح غريب » ، ووافقه النووي في رياض الصالحين صـ ٢٢٩ .

(٣) رواه مسلم في أول الزهد (٢٢٧٢/٤) ، رقم (٢٩٥٦) من حديث أبي هريرة .

(٤) رواه الترمذي في الزهد : باب رقم (٣١) ، (١٧/٤) ، رقم (٢٤٨٣) ، وابن ماجه في الزهد : باب مثل الدنيا (١٣٧٦/٢) ، رقم (٤١٠٩) ، وأحمد في المسند (٣٠١/١) ، كلهم من حديث ابن مسعود . قال الترمذي : « هذا حديث صحيح » .

(٥) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٣٣٨/٧) ، رقم (١٠٥٠١) ، من حديث الحسن البصري مرسلاً بإسناد صحيح ، رواته ثقات ، وقال علي بن المديني : « مرسلات الحسن إذا رواها عنه الثقات صحاح » . انظر : الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة صـ ١٨٠ .

في المكروهات ثم في المحرمات ، وتشغل الإنسان عن الواجبات التي تجب عليه لله ولخلقه ، فلا يقوم بها ظاهراً ولا باطناً ، وأيضاً لو نظرنا إلى الحسد والكبرياء والغش وغير ذلك من الخصال الذميمة ، لوجدنا أن الدافع إلى ذلك هو حب الدنيا ، وإلا لما حسدنا ولا تكبرنا ولا غششنا ، يقول الله تعالى : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [١] .

و- وأخبر بأن الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم [٢] . والمعنى أن الدنيا مبغوضة ساقطة ، وما والاه : أي قاربه من الطاعة ، موصلة لمرضات الله تعالى ، ولا يفهم من هذا الحديث سب الدنيا مطلقاً ولعنها ، بل الملعون منها ما يبعد عن الله تعالى ويشغل عنه ، كما يدل عليه آخر الحديث [٣] .

ز- وأخبر بأنها مثل الذي يخرج من الإنسان ، فعن الضحاك بن سفيان [٤] قال : قال لي رسول الله ﷺ : « يا ضحاك ، ما طعامك ؟ » قلت : اللحم واللبن ، قال : « ثم يصير إلى ماذا ؟ » ، قلت : إلى ما قد علمت يا رسول الله ، قال : « فإن الله قد جعل ما يخرج من ابن آدم مثلاً للدنيا » [٥] .

ح- وحذّر ﷺ من الانجرار وراء الدنيا وزهرتها فقال : « إن مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها » [٦] .

---

(١) سورة القصص : ٨٣ .

(٢) رواه الترمذي في الزهد : باب ما جاء في هوان الدنيا على الله (٣/٣٨٤) ، رقم (٢٤٢٤) من حديث أبي هريرة . قال الترمذي : « هذا حديث حسن غريب » .

(٣) انظر : حاشية رياض الصالحين صـ ٢٢٩ .

(٤) هو الضحاك بن سفيان بن عوف بن كعب بن أبي بكر بن كلاب الكلابي أبو سعيد ، صحابي معروف ، كان من عمال النبي ﷺ على الصدقات . انظر : تقريب التهذيب (١/٣٧٢) .

(٥) رواه أحمد في المسند (٣/٤٥٢) ، والطبراني في الكبير رقم (٨١٣٨) ، وهو حديث حسن . انظر : السلسلة الصحيحة رقم (٣٨٢) .

(٦) رواه البخاري في الزكاة : باب الصدقة على اليتامى (٣/٤١٧) ، رقم (١٤٦٥) ، ومسلم في الزكاة : باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا (٢/٧٢٩) ، رقم (١٠٥٢) ، كلاهما من حديث أبي سعيد الخدري واللفظ للبخاري .

السبب الرابع : التوسع في المباحات :

قد يفطن المرء إلى خطورة تعاطي المحظورات الممثلة في الجرائم ، لكنه يتساهل مع نفسه في قضية المباحات والتوسع فيها ؛ معللاً فعله بأن الله تعالى يقول : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾[١] ؟ ويجره هذا التساهل إلى التوسع في المباحات بصورة قد تبطره وتجعله يجحد النعمة ، أو يفكر في الوقوع في الجريمة ، عندما لا تفي موارده بحاجاته المباحة ، التي توسع فيها ، وهذا هو الخطر الداهم الذي ألمح إليه النبي ﷺ بقوله : « ما ملأ آدميٌّ وعاءً شراً من بطنٍ »[٢] ، ومن قبل ألمح إليه رب العزة بقوله : ﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾[٣] ، وبقوله : ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾[٤] .

والوقاية من ذلك : إنما تكون بالتقلل من المباحات وعدم التوسع فيها قدر الطاقة والإمكان .

وقد أجمل النبي ﷺ ذلك كله في قوله : « من أصبح منكم آمناً في سِرْبِهِ[٥] معافى في جسده ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا »[٦] ، والحديث يدل على التوسط في طلب المباح والرضى باليسر منه والقناعة به . وقال : « ليس الغِنى عن كثرة العَرَض ولكن الغِنى غِنَى النفس »[٧] .

---

(١) سورة الأعراف : ٣٢ .

(٢) أخرجه الترمذي في الزهد : باب ما جاء في هديه ﷺ في الأكل (١٨/٤) ، رقم (٢٤٨٦) من حديث المقدام بن مَعْد يَكْرب ، وقال : « هذا حديث حسن صحيح » .

(٣) سورة الأعراف : ٣١ .

(٤) سورة الإسراء : ٢٦ ، ٢٧ .

(٥) السِّرب ، بكسر السين المهملة : النفس . النهاية ، والمصباح المنير ، مادة سرب .

(٦) رواه الترمذي في الزهد : باب ما جاء في الزهادة في الدنيا (٥/٤) ، رقم (٢٤٤٩) ، وابن ماجه في الزهد : باب القناعة (١٣٨٧/٢) ، رقم (٤١٤١) من حديث عبيدالله بن محصن الخطمي . قال الترمذي : « هذاحديث حسن غريب » .

(٧) رواه البخاري في الرقاق : باب الغنى غنى النفس (٣٢٧/١١) (رقم ٦٤٤٦) ومسلم في الزكاة : باب ليس الغنى عن كثرة العرض (٧٢٦/٢) (رقم ١٢٠) كلاهما من حديث أبي هريرة بهذا اللفظ .

السبب الخامس : الفقر وسوء الأوضاع الاقتصادية :

إن ارتباط الفقر بالجريمة قضية مغرقة في القدم ، فقد تحدث عنها أرسطو وأفلاطون ، وقدما لها الكثير من الآراء والفرضيات ، فالفقر في تقديرهما يولد الانفعالات النفسية لدى الفرد ؛ نتيجة شعوره بانعدام العدالة ، وهذا الوضع يقود إلى الرذيلة بجميع صورها ، والجريمة واحدة منها [١] .

ويرجع الفقر إلى مسألة موضوعية مهمة جداً ، وهي عجز الإنسان عن تحقيق الحاجات الرئيسية من مسكن ومأكل وملبس ، بصورة تتناسب مع الأوضاع السائدة في مجتمع من المجتمعات ، وقد أثبتت معظم الإحصائيات في العالم ، أن هناك ارتباطاً بين الفقر والظاهرة الإجرامية ، حيث يترتب على ذلك عدم قدرة بعض الأشخاص على إشباع حاجاته ، فيحاول تحقيق ذلك بطريق الجريمة [٢] ، كالسرقة والنهب والسلب والغش وخيانة الأمانة ، والنصب والاحتيال والتزوير والإفلاس التجاري وشيكات بلا رصيد ، والاعتداء على الآخرين ، واللواط والسِّحاق والزنا وغير ذلك .

الوقاية : للوقاية من الفقر وسائل كثيرة جمعها كلها أو جلها الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي في كتابه « مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام » ، ويضيق هذا البحث عن الدخول في دقائق هذه الوسائل ، ويكفينا منها هنا إشارات تتمثل في :

١ – تقوى الله القائمة على الإيمان به سبحانه وبكل ما أوجب الإيمان به، مع الإقلاع عن المعاصي ، صغيرها وكبيرها ، ظاهرها وباطنها ، ثم المحافظة على الفرائض ، والإكثار من النوافل ، فإن لهذا أعظم الأثر في مَلْءِ الصدر بالغنى والقناعة والرضى بالقليل ، وقد جاء في الحديث القدسي : « يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك ، وإن لا تفعل ملأت يديك شغلاً ولم أسد فقرك » [٣] ، على أن التقوى تحمل صاحبها على العمل

---

(١) انظر: علم الإجرام وعلم العقاب لعبود السراج صـ ٢٨٦ .

(٢) انظر: مبادئ علم الإجرام صـ ١٧١ .

(٣) رواه الترمذي في القيامة في آخر باب رقم (١٤) ، (٤/٥٨) ، رقم (٢٥٨٤) ، وابن ماجه في الزهد : باب الهم بالدنيا (٢/١٣٧٦) ، رقم (٤١٠٧) ، وأحمد في المسند (٢/٣٥٨) ، كلهم من حديث أبي هريرة ، واللفظ للترمذي . قال الترمذي : « هذا حديث حسن غريب » .

واستغلال كل فرصة وإتعاب النفس ، فيكون الغنى وتكون البركة ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [١] ، وقال : ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴾ [٢] .

٢- القضاء على البطالة والتسوُّل بكل الأساليب والوسائل الممكنة على النحو الذي سيأتي في السبب السادس .

٣- توظيف الزكاة وما في حكمها في سد حاجات الفقراء مرة بالاستهلاك ، ومرة بالاستثمار ، وكان ﷺ يجمع الزكاة ، ويجعل ولاته يأخذونها من الأغنياء ؛ لِتُرَدَّ على الفقراء ، كي لا يؤدي بهم الفقر إلى التسول والشحاذة [٣] .

٤- التعفف عن المسألة إلا عند الضرورة القصوى التي لا مفر منها، يقول ﷺ : « إني لأعلم أول ثلاثة يدخلون الجنة: الشهيد ، وعبد أدى حق الله وحق مواليه ، وفقير عفيف متعفف » [٤] .

٥- التعوذ من الفقر ، يقول ﷺ : « تعوذوا بالله من الفقر » [٥] ، وكان يقول : « اللهم إني أعوذ بك من الجوع ، فإنه بئس الضجيع » [٦] ، وكان يقول في دبر كل صلاة : « اللهم

(١) سورة الأعراف : ٩٦ .

(٢) سورة الجن : ١٦ .

(٣) انظر : حديث بعث معاذ إلى اليمن للدعوة الإسلامية في صحيح البخاري ، كتاب الزكاة : باب أخذ الصدقة من الأغنياء (٣/٤٥٥) ، رقم (١٤٩٦) ، ومسلم في كتاب الإيمان : باب الدعاء إلى الشهادتين (١/١٩٦) بشرح النووي .

(٤) رواه الترمذي في الجهاد : باب ما جاء في ثواب الشهيد (٣/٩٧) ، رقم (١٦٩٢) ، وقال : « هذا حديث حسن صحيح » ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (موارد الظمآن صـ ٢٩٣ ، رقم ١٢٠٣) ووافقهما العراقي على تصحيحه في تخريج الإحياء (٢/٢٢٠) ، ورواه أحمد في المسند (٢/٤٧٩) واللفظ له .

(٥) رواه النسائي في الاستعاذة : باب الاستعاذة من الجوع (٨/٢٦٢) ، وأحمد في المسند (٢/٥٤٠) من حديث أبي هريرة ، وشواهده الأحاديث المذكورة بعده .

(٦) رواه النسائي في الاستعاذة : باب الاستعاذة من الجوع (٨/٢٦٣) ، وابن ماجه في الأطعمة : باب التعوذ من الجوع (٢/١١١٣) ، رقم (٣٣٥٤) من حديث أبي هريرة بإسناد صحيح . وانظر : صحيح الجامع الصغير رقم (١٢٩٤) .

إني أعوذ بك من الكفر والفقر »[١] . وقال : « اللهم اقض عنا الدين واغننا من الفقر »[٢] .

٦- عدالة التوزيع ، بأن يأخذ كل واحد في الأمة نصيبه دون أن يقدم شفعاء أو وسطاء أو يبذل رشوة ونحوها ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾[٣] .

٧- الهدية والضيافة والهبة ونحوها ، فإنها من أعظم أسباب الوقاية من الفقر وما يؤدي إليه من جرائم ، يقول ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه »[٤] ، وقال : « تَهادَوا تَحابُّوا »[٥] . إلى غير ذلك من الأسباب في الوقاية من الفقر المؤدي إلى الوقوع في الجرائم .

السبب السادس : انتشار البَطالةِ والتَّسوُّلِ[٦] :

ولعل أهم الأسباب التي تدعو إلى البطالة ، ضعف النظام الاقتصادي ، وسوء تنظيمه وتخلفه ، وعدم عدالته ، وهو يهيئ للإنسان فرص الانحراف والانسياق في تياره المدمر ،

---

(١) رواه النسائي في الاستعاذة : باب الاستعاذة من الفقر (٨/٢٦٢) ، وأحمد في المسند (٥/٣٩ ، ٤٤) ، والحاكم في المستدرك (١/١٣٥) ، كلهم من حديث أبي بكرة ، وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي .

(٢) رواه أحمد في المسند رقم (٨٩٤٧ ، ٩٢٣٦) بإسناد صحيح كما قال الشيخ أحمد شاكر .

(٣) سورة البقرة : ١٨٨ .

(٤) رواه البخاري في الأدب: باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره (١٠/٥٤٦)، رقم (٦٠١٩)، ومسلم في اللُّقَطَة : باب الضيافة (١٢/٣٠) بشرح النووي ، كلاهما من حديث أبي هريرة بلفظهما .

(٥) رواه مالك في الموطأ في كتاب الجامع : باب ما جاء في المهاجرة (٢/٢٤٤) ، رقم (٤٤) مرسلاً من حديث عطاء بن أبي مسلم الخراساني بهذا اللفظ ، ورواه الترمذي في الولاء والهبة : باب ما جاء في حث النبي ﷺ على الهدية (٣/٢٩٨) ، رقم (٢٢١٣) من حديث أبي هريرة مرفوعاً بلفظ « تهادَوا ، فإن الهدية تذهب وَحَرَ (حقد) الصدر » ، وقال : « هذا حديث غريب من هذا الوجه » . وحسن الحديث الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير (٣/٧٠) ، والسيوطي في الجامع الصغير رقم (٣٣٧٣) ، ووافقه المناوي في فيض القدير (٣/٢٧١) .

(٦) البطالة : هي العجز عن الكسب لمرضٍ أو التعطل عن العمل بسبب ضيق فرص العمل ، أو الكسل أو الإهمال ونحو ذلك . والتسوُّل : هو الشحاذة .

نتيجة للأثر السيئ المترتب عليه ، سواء لناحية الفراغ الذي ينشأ عنه استغلاله بطريقة سيئة ، أو لناحية حرمان الإنسان من وسيلة مشروعة ، تحقق رغباته ، فينعكس سلباً على تصرفاته ، وينمي لديه الحقد والثورة على النظام والشعور بالنقص وعدم الثقة .

فالمهنة : تعتبر مصدر أمان واستقرار للإنسان ، وتتيح له القيام بدوره في المجتمع ، وهي من ناحية أخرى تحرره من سلطان الآخرين ، أو من الذي يتولى الإنفاق عليه وتجعله يشعر بالقيم المعنوية لوجوده وتحقيق آماله ، لذلك فإن الارتباط بمهنة معينة يعطيه الإحساس بكيانه الاجتماعي ، حيث ينصرف إلى متابعة العمل والإنتاج ، ورفع مستواه بالوسائل المشروعة مما يبعده عن اللهو والعبث والانحراف [١] .

وللبطالة آثار نفسية واجتماعية خطيرة ، يترتب عليها في النهاية ارتكاب بعض صور الجرائم ، فالشخص الذي وُجِدَ في حالة بطالة بعد عمل ، وخاصة إذا كان ربَّ أسرة ، يشعر بالعجز عن إعالة أفراد أسرته ، مما يُوَلِّدُ له ضيقاً نفسياً شديداً ، قد يلجأ بسببه أحياناً إلى الانتحار ، أو الحصول على المال بأي وسيلة حتى ولو كان بطريق الجريمة .

الوقاية : مقاومة البطالة : لقد قاوم الإسلام البطالة بصورٍ شتى يضيق المقام عن استيعابها هنا ، ومن أهم هذه الصور :

١ – الدعوة إلى العمل وترك التواكل ، فإن العمل في النافع والمفيد شغل للنفس بالحق ، والمرء ما لم يُشغل نفسه بالحق شغلته بالباطل ، يقول ﷺ : « ما أكل أحد طعاماً قط خير من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود ، كان يأكل من عمل يده » [٢] ، وسُئل النبي ﷺ : أي الكسب أطيب ؟ قال : « عمل الرجل بيده » [٣] .

٢ – تحريم الصدقة على غني أو قادر على العمل ، وفي ذلك يقول ﷺ : « لا تحل

(١) انظر : علم الإجرام والعقاب صـ ٩١ بتصرف .

(٢) رواه البخاري في البيوع : باب كسب الرجل وعمله بيده (٤/٣٨٠) ، رقم (٥٢٨) من حديث المقدام بن معديكرب .

(٣) رواه أحمد في المسند (٣/٤٦٦) ، والحاكم في المستدرك (٢/١٠) وصححه ، ووافقه الذهبي .

الصدقة لغني ولا لذي مِرَّة سَوِيٍّ »[١] ، وذو المرة السوي هو : السليم الأعضاء ، القوي المتبطل ، الكسول الذي لا يعمل ، ويعيش على صدقات الناس وزكواتهم ، ويأكلها حراماً؛ لأنها مال الفقراء والمساكين ، والمتبطل القادر على العمل لا تحل له الصدقة .

٣- ومنها الوقف الخيري ، وتحريم الربا ، والحث على القرض الحسن ، والهجرة في طلب الرزق الحلال ، وتأمين فرص العمل للعاطلين ، وغير ذلك من الصور الكثيرة .

وأما التسوُّل : فهو من أسباب البطالة ، ودافعه الطمع والجشع ، وهو مرض اجتماعي خطير ، يثير البلبلة ، ويبعث على الخوف والذعر والقلق ، وهو مظهر من مظاهر التخلف والتدني وانحطاط المجتمع وترديه .

الوقاية : مقاومة التسول : والوقاية من التسول في السنة النبوية هي :

١- التحذير من التسول تحذيراً يصل إلى حد التحريم إلا في ظروفٍ استثنائية ، كما جاء في حديث قَبيصة : « إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة :

أ- رجل تحمّل حمالةً ، فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك .

ب- ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله ، فحلت له المسألة حتى يصيب قِواماً من عيش - أو قال : - سداداً من عيش .

جـ- ورجل أصابته فاقةٌ حتى يقوم ثلاثة من ذوي الحِجا من قومه ، لقد أصابت فلاناً فاقة ، فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش - أو قال : - سداداً من عيش ، فما سواهن من المسألة يا قَبيصةُ ، سُحْتاً يأكلها صاحبها سُحْتاً »[٢] ، وقال : « ما فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر »[٣] .

---

(١) رواه أبو داود في الزكاة : باب من يُعطى من الصدقة وحدُّ الغني (٥١٤/١) ، رقم (١٦٣٤) ، والترمذي في الزكاة : باب ما جاء فيمن لا تحل له الصدقة (٨١/٢-٨٢) ، رقم (٦٤٧) ، والنسائي في الزكاة : باب إذا لم يكن له دراهم وكان له عِدْلُها (٩٩/٥) ، وابن خزيمة في صحيحه (٧٨/٤) ، كلهم من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص ، وقال الترمذي : « هذا حديث حسن » .

(٢) رواه مسلم في الزكاة : باب من تحل له المسألة (١٣٣/٧-١٣٤) بشرح النووي .

(٣) رواه الترمذي في الزهد : باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر (٣٨٥/٣) ، رقم (٢٤٢٧) ، وأحمد في المسند (٢٣١/٤) من حديث أبي كبشة الأنماري . قال الترمذي : « حديث حسن صحيح » .

٢- وتارة يبين ﷺ أنه سحت أي حرام فلا يعود عليه ذلك إلا بالضرر في نفسه وذويه ، يقول ﷺ : « كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به »[١] .

٣- وتارة بالترغيب في الصبر والعفة والمجاهدة حتى تصبح العفة خُلُقاً له ، وفي الحديث : « إنه من يَسْتَعِفُّ يُعِفُّهُ الله ، ومن يتصبرْ يُصبِّرْهُ الله ومن يستغنِ يُغنِه الله »[٢] .

٤- وتارة يبين ﷺ أن هذه المسألة تكون سبباً في فضيحة صاحبها يوم القيامة على رؤوس الأشهاد ، قال ﷺ : « لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله تعالى وليس في وجهه مُزْعَةُ[٣] لحم »[٤] .

٥- وتارةً كان النبي ﷺ يأخذ على الصحابة عهداً أن لا يسألوا الناس شيئاً ، فقد قال لهم في بيعة خاصة : تبايعون « على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ... ولا تسألوا الناس شيئاً »[٥] .

٦- وتارة كان ﷺ يبين لأصحابه بأن من ترك السؤال فثوابه الجنة ، فقد قال لأصحابه : « من يكفل لي أن لا يسأل الناس شيئاً وأتكفل له الجنة ؟ » ، فقال ثوبان : أنا ، فكان لا يسأل أحداً شيئاً[٦] .

---

(١) رواه الترمذي في أبواب الصلاة : باب ما ذكر في فضل الصلاة (٦٢/٢) ، رقم (٦٠٩) ، وابن حبان في صحيحه (موارد الظمآن رقم ٢١٠٦) من حديث كعب بن عُجْرة ، وقال الترمذي : « حديث حسن غريب » ، ورواه أحمد في المسند (٣٢١/٣ ، ٣٩٩) من حديث جابر .

(٢) رواه البخاري في الرقاق : باب الصبر عن محارم الله (٣٦٦/١١) ، رقم (٦٤٧٠) ، وفي الزكاة : باب الاستعفاف عن المسألة (٤٢٧/٣) ، رقم (١٤٦٩) ، ومسلم في الزكاة : باب فضل التعفف والصبر والقناعة (١٤٤/٧-١٤٥) بشرح النووي ، واللفظ للبخاري .

(٣) بضم الميم وحكي كسرها وسكون الزاي بعدها مهملة : أي قطعة يسيرة من اللحم ، كما في النهاية ، مادة مزع .

(٤) رواه البخاري في الزكاة : باب من سأل الناس تكثُّراً (٤٣١/٣) ، رقم (١٤٧٤) ، ومسلم في الزكاة : باب النهي عن المسألة (١٣٠/٧) بشرح النووي ، كلاهما من حديث ابن عمر ، واللفظ لمسلم .

(٥) رواه مسلم في الزكاة : باب في النهي عن المسألة (١٣٣/٧) بشرح النووي .

(٦) رواه أبو داود في الزكاة : باب كراهية المسألة (٥١٧/١)، رقم (١٦٤٣)، وأحمد في المسند (٢٧٥/٥ ، ٢٧٦) ، والبغوي في شرح السنة (١١٧/٦) ، وقال محققه : « إسناده صحيح » .

٧- وتارة يكون هذا الترغيب ببيان ثمرة ترك التسول ، من البركة الحسية أو المعنوية أو هما معاً ، فقد قال : « إن هذا المال خضرةٌ [١] حُلْوَةٌ ، فمن أخذه بطيب نفس بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه ، وكان كالذي يأكل ولا يشبع ، واليد العليا خير من اليد السفلى » [٢] .

إلى غير ذلك من الصور الكثيرة .

السبب السابع : ضعف الشعور بالمسؤولية الفردية والجماعية :

المسلم هو الذي يشعر بأن عليه تبعات وواجبات ، يجب أن يقوم بها ، وأنه مسؤول عن كل ما يصدر عنه تجاه نفسه أو تجاه الآخرين ، ولا يجوز له أن يتنصل أو أن يتهرب من المسؤولية أيا كانت هذه المسؤولية؛ لأن ذلك يتنافى مع حمل الأمانة التي شرف الله بها الإنسان .

إن عدم الشعور بالمسؤولية صفة من صفات المنافقين وخصلة من خصالهم ، وهو من الأمراض الاجتماعية الخطيرة التي تفقد الناس الثقة فيما بينهم ، وأيضاً فإن ذلك يؤدي إلى تعطيل الأعمال ، وإلى الفوضى والإخلال بالالتزامات الأدبية والمادية وضياع الحقوق ، وأخيراً الوقوع في الجريمة .

الوقاية : الوقاية من ذلك تكون بتقوية الشعور بالمسؤولية الفردية والجماعية على النحو التالي :

١- مراقبة الله ﷻ ، إذ المسلم الذي يخاف الله تعالى ، هو الذي يقوم بمسؤوليته ؛ لأنه يعلم أنه إن لم يؤدِّ مسؤوليته في الحياة الدنيا، فسيسأله الله يوم القيامة، يقول الله تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ

---

(١) شبه النبي ﷺ الرغبة في المال والميل إليه وحرص النفوس عليه ، بالفاكهة الخضراء الحلوة المستلذة ، فإن الأخضر مرغوب فيه على انفراده ، والحلو كذلك على انفراده ، فاجتماعهما أشد ، وفيه إشارة إلى عدم بقائه ؛ لأن الخضروات لا تبقى ، ولا تراد للبقاء . شرح النووي على مسلم (١٢٦/٧) .

(٢) رواه مسلم في الزكاة : باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى (١٢٦/٧) بشرح النووي ، من حديث حكيم بن حزام .

إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [١] ، ويقول ﷺ : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيما أفناه ، وعن علمه فيما فعل ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن جسمه فيما أبلاه » [٢] .

ولا يستقيم أمر الأمة ، ولا تتسق شؤونها إلا إذا قام كل من الحاكم بمسؤولياته ، وأخلص النصح لرعيته ، يقول ﷺ : « كلكم راعٍ ، وكلكم مسؤول عن رعيته » [٣] .

وهكذا ربى النبي ﷺ أصحابه ، فقد قال لأبي ذر لما طلب الإمارة : « يا أبا ذر ، إنك ضعيف ، وإنها أمانة ، وإنها يوم القيامة ، خزي وندامة إلا من أخذها بحقها ، وأدى الذي عليه فيها » [٤] . وقال ﷺ : « ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت ، وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة » [٥] .

٢- وضع الناس في المسؤولية بصورة ما من الصور ، فهذا عالم ، وهذا متعلم ، وهذا مجاهد ، وهذا حائك ، وهذا بزّار ، وهذا صانع ، وهذا مزارع ، وهذا مسؤول عن أهله وولده ، ، وهذا أمير ، وهذا مأمور ، وهكذا فالكل مسؤول .

٣- المحاسبة والثواب والعقاب : ذلك أن المرء ، إذا أدرك أنه محاسب ، وقد يعاقب أو يثاب ، حمله ذلك على الشعور بالمسؤولية والتفاني في القيام بها ،فعن أبي حُميد الساعدي قال: استعمل النبي ﷺ ابن اللُّتْبِيَّة [٦] رجلاً من الأزد على الصدقة ، فجاء بالمال ، فدفعه إلى

---

(١) سورة الصافات : ٢٤ .

(٢) رواه الترمذي في أول القيامة : باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص (٣٦/٤) ، رقم (٢٥٣٢) من حديث أبي برزة الأسلمي ، وقال : « هذا حديث حسن صحيح » .

(٣) رواه البخاري في الجمعة : باب الجمعة في القرى (٤٨٢/٢) ، رقم (٨٩٣) ، ومسلم في الإمارة : باب فضيلة الأمير العادل (٢١٣/١٢) بشرح النووي ، كلاهما من حديث أبي هريرة بلفظهما .

(٤) رواه مسلم في الإمارة : باب كراهة الإمارة بغير ضرورة من حديث أبي ذر (١٤٥٧/٣) ، رقم (١٨٢٥) .

(٥) رواه البخاري في الأحكام : باب من استرعى رعية فلم ينصح (١٥٨/١٣) ، رقم (٧١٥١) ، ومسلم في الإيمان : باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار (١٢٥/١) ، رقم (٢٢٧) ، كلاهما من حديث معقل بن يسار ، واللفظ لمسلم .

(٦) بضم اللام وإسكان التاء على الصحيح : نسبة إلى بني لُتْب ، وهي قبيلة معروفة . واسم ابن اللتبية هذا : عبد الله . شرح النووي على مسلم (٢١٩/١٢) .

النبي ﷺ ، فقال : هذا مالكم ، وهذه هدية أهديت لي ، فقال له النبي ﷺ : « أفلا قعدت في بيت أبيك وأمك فتنتظر أيهدى إليك أم لا ؟ » [١] .

ووجه الدلالة : أن النبي ﷺ ما وقف على هذه الصورة ، إلا بعد السؤال والمحاسبة، وقد قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ ﴾ [٢] .

وقد وعى عمر ﷺ هذه الحقيقة ، فكان يحاسب نفسه وعماله وأهل بيته ، ومن أقواله في ذلك : « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وتزينوا للعرض الأكبر، وإنما يخف الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه في الدنيا » [٣] .

السبب الثامن : الجهل :

ونعني به الجهل بماهية الجريمة وأفرادها ، فإن نفراً من الناس قد لا يدرك أن الزنا من الجرائم ، أو أن سفك الدماء من الجرائم ، أو أن شرب الخمر من الجرائم ، مع أن هذه الأمور معروفة مُدْرَكَةٌ بالفطرة ، لكن قد يحاط بالإنسان ، فتُغَطّى فطرته ، ولا يعلم ما الجريمة ؟ فلا يدرك أبعادها .

ثم نريد بالجهل أيضاً الجهل بالآثار المترتبة على الوقوع في الجريمة من ضرر للفرد ، ومن ضرر للجماعة ، وقد ألمح النبي ﷺ إلى هذا السبب عندما قال : « إن بين يدي الساعة لأياماً ، ينزل فيها الجهل ، ويرفع فيها العلم ، ويكثر فيها الهرْج ، والهرج: القتل » [٤] .
فالجهل مقدمة وهو السبب ، والنتيجة هي القتل وارتكاب الجرائم ، وهي نتيجة متوقعة

---

(١) رواه البخاري في الأيمان : باب كيف كانت يمين النبي ﷺ (٦٤٢/١١) ، رقم (٦٦٣٦) ، ومسلم في الإمارة : باب تحريم هدايا العمال (١٤٦٣/٣) ، رقم (٢٦) ، واللفظ لمسلم .

(٢) سورة الحشر : ١٨ .

(٣) انظر : الجامع للترمذي (٥٤/٤) .

(٤) رواه البخاري في الفتن : باب ظهور الفتن (١٦/١٣) ، رقم (٧٠٦٢ ، ٧٠٦٣) ، ومسلم في العلم : باب رفع العلم وقبضه (٢٠٥٦/٤) ، رقم (٢٦٧٢) ، كلاهما من حديث ابن مسعود وأبي موسى واللفظ للبخاري .

منتظرة ، فإن الناس إذا جهلوا ولم يسعوا إلى فك جهلهم ، وتنافسوا على الدنيا ، فأدى التنافس إلى القطيعة ، وربما أدى إلى الخصومات والشقاق الذي قد تؤدي نتيجته إلى القتل ، لذلك كان من الأسباب التي لا بد أن توضع في حساب من يعمل على معالجة الجريمة والوقاية منها قضية إزالة الجهل .

وقد ينتشر الجهل بسبب غياب العلماء لسبب أو لآخر ؛ إما لأنهم يموتون ، وإما لأنهم يُضَيَّقُ عليهم لأنهم يقولون كلمة الحق ، وإما لأنهم لم يشعروا بقيمة المسؤولية ، فيؤدوا واجبهم في تنوير الأمة وتعليمها ، يقول ﷺ : « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يُبْقِ عالماً ، اتخذ الناس رؤوساً جهالاً ، فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا »[١] .

الوقاية : الوقاية من الجهل هي القضاء عليه ، والدعوة إلى العلم ونشره بين الأمة ، ولهذا نهى النبي ﷺ عن الجهل ، فقال : « من لم يَدَعْ قول الزور والعملَ به ، والجهلَ ، فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه »[٢] .

فالخلاص من الجهل هو التسلح بالعلم والمعرفة ؛ لأن التعليم يلعب دوراً مهماً في مقاومة الظاهرة الإجرامية ، فهو دوماً يتضمن بالإضافة إلى جوانب المعرفة جوانب أخرى تربوية حميدة ، حيث يشير إلى القيم والمثل العليا ، ويشيد بها وباعتناقها دائماً ، ولهذا يقول ﷺ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم »[٣] .

وإلى ذلك أشار أفلاطون في أحد مؤلفاته إلى أن الإنسان مجرد حيوان متوحش إذا أغفل تعليمه ، فإذا تلقى العلم رجع إلى طبيعته الخيرة ، ويصبح أليفاً حراً .

---

(١) رواه البخاري في العلم : باب كيف يقبض العلم (١/٢٥٨) ، رقم (١٠٠) ، ومسلم في العلم : باب رفع العلم وقبضه (٤/٢٠٥٨) ، رقم (٢٦٧٣) ، كلاهما من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص ، واللفظ للبخاري.

(٢) رواه البخاري في الأدب : باب قول الله تعالى : ﴿ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴾ (١٠/٥٨٠) ، رقم (٦٠٥٧) من حديث أبي هريرة .

(٣) رواه ابن ماجه في المقدمة : باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (١/٨١) ، رقم (٢٢٤) من حديث أنس . وحسنه المزي لطرقه كما في زوائد ابن ماجه للبوصيري .

وانتهى معظم الفلاسفة السابقين إلى أهمية التعليم في البعد عن مسالك الجريمة ، وعبر عن ذلك « فيكتور هوجو » الأديب الفرنسي بقوله : « فتح مدرسة يعادل إغلاق سجن »[(١)] .

وهذا ما أكدت عليه السنة النبوية .

السبب التاسع : نسيان الموت والاستعداد للآخرة :

خلق الله الإنسان لمهمة في هذه الأرض ، وأعطاه أدوات وآلات ؛ لتنفيذ هذه المهمة ، منها : حواسه وعقله وقلبه ، كما أعطاه منهاجاً يشرح له كيفية أداء هذه المهمة ، ثم قضى أن يتحول الإنسان عن هذه الدنيا إلى الآخرة ؛ للقاء الله والحساب والمجازاة .

والإنسان حين تغيب عنه حقيقة الموت وضرورة الاستعداد للقاء الله ، تسيطر عليه نفسه الأمارة بالسوء ، وتعينه شياطين الإنس والجن ، وتغريه الدنيا ببريقها وزخارفها ، كي ينحرف ويستمر في الانحراف إلى أن يتبلد حسه ، وتموت عاطفته ، ولا يقيم للآخرة ولا للقاء الله وزناً .

وهكذا ينتهي به نسيان الموت ، وعدم الاستعداد للقاء الله ؛ لكي يجرم بكل ما يخطر بالبال ، وما لا يخطر بالبال من جرائم ، تصيب الآخرين في دمائهم وأموالهم وأعراضهم وحرماتهم ، بل تصيبه هو بالهلاك والدمار ، وقد نبّه النبي ﷺ إلى خطورة نسيان الموت ، وترك الاستعداد للقائه فقال : « الكَيِّسُ[(٢)] من دانَ نفسه[(٣)] ، وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله »[(٤)] .

---

(١) انظر : مبادئ علم الإجرام صـ ١٥٦ .

(٢) الكيس : العاقل ، كما في النهاية ، مادة كيس .

(٣) قال الترمذي في جامعه (٥٤/٤) : « ومعنى قوله : من دان نفسه يقول : يحاسب نفسه في الدنيا قبل أن يحاسب يوم القيامة » .

(٤) رواه الترمذي في القيامة : باب (١٤) ، (٥٤/٤) ، رقم (٢٥٧٧) ، وابن ماجه في الزهد : باب ذكر الموت والاستعداد له (١٤٢٣/٢) ، رقم (٤٢٦٠) ، وأحمد في المسند (١٢٤/٤) ، والبغوي في شرح السنة (٣٠٨/١٤) ، والحاكم في المستدرك (٥٧/١) ، كلهم من حديث شداد بن أوس . قال الترمذي : « هذا حديث حسن » ، ووافقه النووي في رياض الصالحين صـ ٤٥ ، وحسنه البغوي وصححه الحاكم .

الوقاية : الوقاية من هذا السبب تتحقق باتباع الأساليب والوسائل التي رسمها لنا رسول الله ﷺ ، ومنها :

١- المواظبة على ذكر الموت ، وعدم نسيانه وما يتبع ذلك من لقاء الله تعالى والحساب والمجازاة يقول ﷺ : « أكثروا ذكر هاذم اللذات - يعني الموت »[(١)] ، وقال: « اذكر الموت في صلاتك ، فإن الرجل إذا ذكر الموت في صلاته لحري أن يحسن صلاته ، وصلِّ صلاة رجل لا يظن أنه يصلي غيرها »[(٢)] .

٢- المواظبة على الأذكار ، لا سيما أذكار النوم واليقظة ، وركوب الدابة وعند الأسفار ، فإن هذه جميعاً تدور في شكلها ومضمونها حول تذكر الموت والاستعداد ليوم الرحيل . يقول ﷺ : « إذا جاء أحدكم فراشَه ، فَلْيَنْفُضْهُ بِصَنِفَةِ[(٣)] ثوبه ثلاث مرات وليقل : باسمك ربي وضعت جنبي ، وبك أرفعه ، إن أمسكت نفسي فاغفر لها ، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين »[(٤)] .

وعن ابن مسعود قال : كان النبي ﷺ إذا أمسى قال : « أمسينا وأمسى الملك لله والحمد الله ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ... وإذا أصبح قال ذلك أيضاً : أصبحنا وأصبح الملك لله »[(٥)] .

---

(١) رواه النسائي في الجنائز : باب كثرة ذكر الموت (٤/٤) ، والترمذي في الزهد : باب ما جاء في ذكر الموت (٣/٣٧٨-٣٧٩) ، رقم (٢٤٠٩) ، وقال : « غريب حسن » . ورواه ابن ماجه في الزهد : باب ذكر الموت والاستعداد له (٢/١٤٢٢) ، رقم (٤٢٥٨) ، وأحمد في المسند (٢/٢٩٣) بإسناد صحيح ، كما قال الشيخ أحمد شاكر في حاشية المسند ، رقم (٧٩١٢) ، ورواه ابن حبان في صحيحه (موارد الظمآن رقم ٢٥٥٩) صـ ٦٣٤ . وحسنه السيوطي في الجامع الصغير رقم (١٤٩٩) .

(٢) رواه الديلمي في مسند الفردوس ، وحسنه ابن حجر في تسديد القوس . انظر : صحيح الجامع الصغير رقم (٨٦٢) ، والسلسلة الصحيحة رقم (١٤٢١) .

(٣) الصَنِفَةُ : بفتح المهملة وكسر النون بعدها فاء : طرفه مما يلي طُرَّتُهُ . انظر : النهاية ، مادة صنف . وفتح الباري (١٣/٤٦٩) .

(٤) رواه البخاري في التوحيد : باب السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة منها (١٣/٤٦٧) ، رقم (٧٣٩٣) .

(٥) رواه مسلم في الذكر : باب التعوذ من شر ما عمل (٣/٢٠٨٩) ، رقم (٢٧٢٣) .

٣- عيادة المرضى ، وتشييع الجنائز ، فإن مشاهدة هؤلاء المرضى والوقوف على ما هم فيه من بلاء ومحنة ثم المشاركة في تشييع الجنائز ، كل هذا يذكر بالموت ويحمل على الاستعداد لليوم الآخر ، وقد جاء في الحديث : « أمرنا النبي ﷺ بسبع ونهانا عن سبع ، أمرنا باتباع الجنائز وعيادة المريض »[١] . وقال : « حق المسلم على المسلم خمس - وذكر منها - : عيادة المريض واتباع الجنائز »[٢] .

٤- زيارة المقابر بين الحين والحين ، والاعتبار بأحوال أهلها ، وأننا لا محالة صائرون إلى ما صار إليه هؤلاء ، فإن ذلك يحيي النفس ، ويحملها على تذكر هذه الحال دوماً والاستعداد لليوم الآخر ، قال ﷺ : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، فزوروها ، فإنها تُزَهِّدُ في الدنيا وتُذَكِّرُ الآخرة »[٣] .

٥- حضور مجالس الوعظ والتذكير بالموت واليوم الآخر؛ فإن ذلك يُحيي النفوس ، ويحملها على الاستعداد ليوم الرحيل ولقاء الله تعالى ، ولعل هذا يدخل في عموم قوله ﷺ : « من يُرِدِ الله به خيراً يُفَقِّهْهُ في الدين »[٤] .

٦- النظر في كتب الزهد ، وكتب الترغيب والترهيب ، فإنها حافلة بما يذكّر بالموت ، ويعينه على الاستعداد لليوم الآخر ، مثل كتاب إحياء علوم الدين للغزالي ، والترغيب والترهيب للمنذري ، ورياض الصالحين للنووي ، ومدارج السالكين لابن القيم ، إلى غير ذلك من أساليب ووسائل تذكّر بالموت ، وتحمل على الاستعداد لليوم الآخر .

---

(١) رواه البخاري في الجنائز : باب الأمر باتباع الجنائز (١٤٥/٣) ، رقم (١٢٣٩) من حديث البراء .

(٢) رواه البخاري في الجنائز : باب الأمر باتباع الجنائز (١٤٥/٣) ، رقم (١٢٤٠) ، ومسلم في السلام : باب من حق المسلم للمسلم رد السلام (١٧٠٤/٤) ، رقم (٢١٦٢) ، كلاهما من حديث أبي هريرة ، واللفظ للبخاري .

(٣) أخرجه ابن ماجه في الجنائز : باب ما جاء في زيارة القبور (٥٠١/١) ، رقم (١٥٧١) . وقال البوصيري في زوائد ابن ماجه : « إسناده حسن » . وأصل الحديث عند مسلم من حديث أبي هريرة في الجنائز : باب استئذان النبي ﷺ ربه ﷻ في زيارة قبر أمه (٦٧١/٢ ، ٦٧٢) ، رقم (٩٧٦ ، ٩٧٧) .

(٤) رواه البخاري في الاعتصام : باب قول النبي ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي » (٣٦٣/١٣) ، رقم (٧٣١٢) ، ومسلم في الزكاة : باب النهي عن المسألة (٧١٩/٢) ، رقم (١٠٣٧) ، كلاهما من حديث معاويةَ بلفظهما .

السبب العاشر : إيثار التفرد والعزلة لغير غرض شرعي :

والمراد بإيثار التفرد والعزلة : تفضيل حياة التفرد على حياة الجماعة بلا مسوغ شرعي مقبول ، وذلك بأن يعيش الفرد وحده بعيداً عن الناس لسبب أو لآخر .

ولا شك أن الوحدة أحياناً قد تكون قاتلة ، فربما يفكر المعتزل بأفكار قد تؤدي به في النهاية إلى ارتكاب الجريمة بحق نفسه أو بحق غيره أو بحقهما معاً ، وهذا ما ألمح إليه النبي ﷺ بقوله : « عليكم بالجماعة ، وإياكم والفرقة ، فإن الشيطان مع الواحد ، وهو من الاثنين أبعد ، من أراد بُحْبوحة [(١)] الجنة فليلزم الجماعة » [(٢)] ، ولعل ما يشهد لهذا الحديث قوله تعالى : ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾ [(٣)] . وقال ﷺ : « يد الله على الجماعة ، فإن الشيطان مع من فارق الجماعة يَرْكُضُ » [(٤)] . وعن ابن عمر : أن النبي ﷺ نهى عن الوحدة ، أن يبيت الرجل وحده أو يسافر وحده [(٥)] .

هذا مع مراعاة أن وقوع المعتزل في الجريمة ، قد يكون من قبيل القليل النادر ، لكنه سبب فلا ينبغي إغماضه أو إغفاله ، إذ أسباب الجرائم ، لا يشترط فيها الكثرة والعموم ، بل قد يكون في بعضها ما هو قليل نادر ، والإشارة إليه من باب درء المفسدة أو سد الذريعة .

الوقاية : تتمثل الوقاية في الآتي :

١ – مخالطة الجماعة والصبر عليها مع احتفاظ المرء بشخصيته في حياة اجتماعية نظيفة ، عملاً بقوله ﷺ : « عليكم بالجماعة » ، وبقوله : « فليلزم الجماعة » ، وبقوله : « يد الله مع

---

(١) بُحبوحة الجنة : وسطها . النهاية ، مادة بحبح .

(٢) رواه الترمذي في الفتن : باب في لزوم الجماعة (٣/٣١٥) ، رقم (٢٢٥٤) ، وأحمد في المسند (١/١٨ ، ٢٦) ، كلاهما من حديث ابن عمر ، واللفظ للترمذي ، وقال (أي الترمذي) : « هذا حديث حسن صحيح غريب » .

(٣) سورة القصص : ٣٥ .

(٤) رواه النسائي في كتاب تحريم الدم : باب قتل من فارق الجماعة (٧/٩٢) من حديث عرفجة بن شريح الأشجعي . بإسناد حسن صحيح متصل ، رواته كلهم ما بين ثقة أو صدوق .

(٥) رواه أحمد في المسند (٢/٩١) بإسناد صحيح . قاله الشيخ أحمد شاكر .

طريق الأصوليين»[١] .

فهنا نلاحظ أن السمعاني نسب إلى أهل اللغة خلاف ما قرروه في كتبهم[٢] .

ونرى ابن الجوزي لخّص هذا الأمر فقال : «وفصل الخطاب في هذا الباب ، أن الصحبة إذا أطلقت فهي في المتعارف تنقسم إلى قسمين :

أحدهما : أن يكون الصاحب معاشراً مخالطاً كثير الصحبة ، فيقال : هذا صاحب فلان ، كما يقال : هذا خادمه ، لمن تكررت خدمته ، لا لمن خدمه يوماً أو ساعة .

والثاني : أن يكون صاحباً له في مجالسةٍ أو مماشاة ولو ساعة ، فحقيقة الصحبة موجودة في حقه ، وإن لم يشتهر بها» .

قال : «فسعيد بن المسيب إنما عنى القسم الأول ، وغيره يريد القسم الثاني ، وعموم العلماء على خلاف قول ابن المسيب ، فإنهم عدّوا جرير بن عبد الله رضي الله عنه من الصحابة ، وإنما أسلم سنة عشر[٣] ، وعدّوا في الصحابة من لم يغز ، ومن توفي رسول الله

(١) قال البلقيني : «هذا الذي حكي عن السمعاني طريقة بعض الأصوليين ، والمشهور عندهم ما هو المعروف عند المحدثين» . محاسن الاصطلاح ص٤٨٧ ، وقال السخاوي : «إذ العمل عند المحدثين والأصوليين على الأول - يعني عدُّ الصاحب لمن رآه رؤية -» . فتح المغيث ٨٦/٤ ، وانظر ما سبق عن مذهب الأصوليين في ذلك .

(٢) قلت : ولم أر من نبه على ذلك ، إلا أني رأيت السخاوي أشار إلى ذلك حيث قال : «وادّعى - يعني السمعاني - أن اسم الصحابي يقع على ذلك من حيث اللغة» . فتح المغيث ٨٥/٤ .

(٣) قال البلقيني : «الذي جرى عليه الحفاظ المتأخرون أن إسلامه سنة عشر في شهر رمضان» . محاسن الاصطلاح ص٤٨٨ ، وقال الطحاوي : «صحّ عنه أن سيدنا رسول الله ﷺ قال له في حجة الوداع : استنصت لي الناس» . مشكل الآثار (٢٤٩٦) ٣٠٠/٦ ، قال ابن حجر : «ادعى بعضهم أن لفظ «له» زيادة ؛ لأن جرير إنما أسلم بعد حجة الوداع بنحو من شهرين ، فقد جزم ابن عبد البر أنه أسلم قبل موت النبي ﷺ بأربعين يوماً [الاستيعاب ٣٣٢/١-٣٣٣] ، وما جزم به يعارضه قول البغوي وابن حبان ، أنه أسلم في رمضان سنة عشر» ، قال ابن حجر : «وقع في رواية المصنف - يعني البخاري - لهذا الحديث في باب حجة الوداع (٤٤٠٥) بأن النبي ﷺ قال لجرير ، وهذا لا يحتمل التأويل ، فيقوي ما قاله البغوي» . فتح الباري ٢٦٢/١ .

ﷺ وهو صغير السنّ ، فأما من رآه ولم يجالسه ولم يماشيه ، فألحقوه بالصّحبة إلحاقاً ، وإن كانت الصحبة لم توجد في حقه»[١] .

فابن الجوزي يميل إلى أن حقيقة الصحبة إنما تكون لمن أكثر في صحبته للمصاحب ، ولذلك قال عمّن رآه ولم يجالسه : «فألحقوه إلحاقاً ، وإن كانت الصحبة لم توجد في حقه».

ثم هو يذكر في بداية كلامه أن كلا المعنيين من المتعارف ، بينما ذكر العلماء أن المعنى الأول هو المتعارف عليه ، وأما الثاني فهو الذي يفيده وضع اللغة .

وهذا كله فيمن رآه وهو في قيد الحياة ، أما من رآه بعد موته وقبل دفنه ، فالراجح أنه ليس بصحابي ، وإلا لعُدّ من اتفق أن يرى جسده المكرم وهو في قبره ولو في هذه الأعصار صحابياً ، وكذا من كشف له عنه من الأولياء فرآه كذلك على طريق الكرامة ،

قلت : وقد ناقش البلقيني موضوع إسلام جرير ، إلى أن ذكر حديثه في حجة الوداع ، وأنه أصح ما جاء عنه . محاسن الاصطلاح ص٤٨٧-٤٨٩ ، كما ناقشه ابن حجر في الإصابة ، ورجح أنه أسلم قبل سنة عشر ؛ وذلك لأن شريكاً حدّث عن الشيباني ، عن الشعبي ، عن جرير قال : قال لنا رسول الله ﷺ : إن أخاكم النجاشي قد مات . . . الحديث ، أخرجه الطبراني [قلت : وليس فيه «قال لنا» ، وإنما فيه «إن أخاكم» الطريقان الأخيران عن شريك] . المعجم الكبير (٢٣٤٦-٢٣٤٨) ٣٢٣/٢ ، فهذا يدل على أن إسلام جرير كان قبل سنة عشر ؛ لأن النجاشي مات قبل ذلك . الإصابة ٢٣٢/١ ، قال ابن حجر : «وإنما وقعت وفاته - يعني النجاشي - سنة تسع عند الأكثر» . فتح الباري ٢٣١/٧ ، والسخاوي في فتح المغيث ٨٧/٤-٨٨ ، وانظر التقييد والإيضاح ص٢٥٧ ، الإصابة ٢٣٢/١ ، مجمع الزوائد ١٥/٧ .

وحديث جرير في حجة الوداع عند البخاري في العلم - باب الإنصات إلى العلماء (١٢١) . فتح الباري ٢٦٢/١ ، وأطرافه (٤٤٠٥،٦٨٦٩،٧٠٨٠) ، ومسلم في الإيمان (٦٥) ٨١/١-٨٢ ، والنسائي في تحريم الدم - باب تحريم القتل ١٢٧/٧-١٢٨ ، وفي إحدى الروايتين : «قال لي» ، وابن ماجه في الفتن - باب لا ترجعوا بعدي كفاراً (٣٩٤٢) ١٣٠٠/٢ ، وأحمد في المسند ٣٥٨/٤، ٣٦٦، وابن منده في الإيمان (٦٥٧) ، والطبراني في المعجم الكبير (٢٤٠٢،٢٢٧٧) ٣٨٣/٢ ، والبغوي في شرح السنّة (٢٥٥٠) ، وابن أبي شيبة في المصنف ٣٠/١٥-٣١ .

(١) تلقيح فهوم الأثر ص١٠١ .

إذ حجة من أثبت الصحبة لمن رآه قبل دفنه أنه مستمر الحياة ، والحق أنه:هذه الحياة ليست دنيوية وإنما هي أخروية ، فلا تتعلق بها أحكام الدنيا ، فإن الشهداء أحياء ، ومع ذلك فإن الأحكام المتعلقة بهم بعد القتل جارية على أحكام غيرهم من الموتى ، والله أعلم(١) .

الشرط الثاني : اللقاء بالنبي ﷺ بعد النبوة :

حيث ذكروا في تعريف الصحابة : «من لقي النبي ﷺ» ، وصفة النبوة إنما تثبت بعد البعثة لا قبلها ، وذلك ليخرج من لقي النبي ﷺ قبل النبوة من قريش وغيرها ولو مات على الحنيفية ، فإنه لا يعدّ صحابياً ، كزيد بن عمرو بن نفيل(٢) ، وإن عدّه ابن منده(٣) والبغوي(٤) وغيرهما في الصحابة ، وفي ذلك نظر ؛ لأنه توفي قبل البعثة بخمس سنين ، عندما كانت قريش تبني الكعبة(٥) .

---

(١) فتح الباري ٧/٧ ، الإصابة ٨/١ ، فتح المغيث ٨٠/٤ .

(٢) زيد بن عمرو بن نفيل العدوي - والد سعيد بن زيد رضي الله عنه ، أحد المبشرين بالجنة ، وابن عمّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه - كان على دين إبراهيم الخليل عليه السلام ، وكان يحيي الموؤدة ، ويعيب على قريش ذبحهم لغير الله تعالى ، وقد مضى إلى بلاد الشام ليسأل عن الدين الحق عند اليهود والنصارى ، وأرشدوه إلى الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام . انظر خبره عند البخاري في مناقب الأنصار (٣٨٢٦-٣٨٢٨) فتح الباري ١٧٦/٧-١٧٨ ، والحاكم في المستدرك ٤٣٩/٣-٤٤٠ ، مروج الذهب ٥٩/١ .

(٣) هو محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى أبو عبد الله العبدي ، من كبار حفاظ الحديث في وقته (ت٣٩٥هـ) ، له كتاب «معرفة الصحابة» . انظر تذكرة الحفاظ ٤٣٣/٣ .

(٤) هو عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان البغوي (ت٣١٧هـ) ، كان محدث العراق في عصره ، له معجم الصحابة . انظر تذكرة الحفاظ ٢٤٧/٢ ، تاريخ بغداد ١١١/١٠ .

(٥) انظر فتح الباري ١٧٧/٧ ، سيرة ابن هشام ٢٣٩/١-٢٤٧ ، وقد ذكره ابن حجر في الصحابة ٥٦٩/١-٥٧٠ ، وانتقد السخاوي ذلك . فتح المغيث ٨٢/٤ ، مع أن ابن حجر أوضح أن ذكره له يأتي على أحد الاحتمالين في تعريف الصحابي ، وهو أنه من رأى النبي ﷺ مؤمناً به ، هل يشترط في كونه مؤمناً به أن تقع رؤيته بعد البعثة فيؤمن به حين يراه أو بعد ذلك ، أو يكفي كونه مؤمناً به أنه سيبعث ، كما في قصة عمرو وغيره .

وكذا لو رآه قبل النبوة ثم أدرك البعثة ولم يسلم إلا بعد وفاة رسول الله ﷺ ، فلا يُعدّ صحابياً ، أو أسلم قبل الوفاة ولم يلقه بعد الإسلام ، فلا يُعدّ صحابياً أيضاً ، كرسول هرقل[١] . قال السخاوي : «على أن أحمد خرّج في مسنده حديث رسول قيصر ، مع كونه إنما رأى النبي ﷺ في حال كفره»[٢] .

قلت : إن كان هناك دليل على أن رسول هرقل أسلم ، فإيراده هنا صحيح ، أما الحديث الذي أشار إليه السخاوي ، فإنه يدل على بقائه على الكفر ، حيث يقول الراوي فيه : فقيل لي : في هذه الكنيسة رسول قيصر إلى رسول الله ﷺ وهو شيخ كبير ، وهو الظاهر من قوله ﷺ حين لم يقبل دخول الإسلام ، فتلا رسول الله ﷺ قوله تعالى : ﴿**إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ**﴾ [آية ٥٦ القصص] .

الشرط الثالث : الإيمان به ﷺ عند اللقاء :

فقولهم في التعريف : «مؤمناً به» يدخل فيه كل مكلف من الجنّ والإنس رأى رسول الله ﷺ وهو مؤمن بالإسلام ديناً وبه رسولاً من عند الله تعالى ، ويخرج بقيد الإيمان

(١) لم أجد من أسماه ، إلا أن ابن حجر قال في فتح الباري : «سعيد بن أبي راشد التنوخي ، رسول قيصر إلى رسول الله ﷺ» . ٥٧/١ ، وليس ذلك في المسند .

(٢) قلت : قوله : رواه أحمد ، الأصح أن يقول : زاده عبد الله بن أحمد في زوائد المسند ، إذ فرق بين أن يرويه الإمام أحمد وبين أن يزيده ابنه ، والحديث جاء على الصورة التالية ، حدثنا عبد الله ، حدثنا سريج بن يونس من كتابه قال : حدثنا عباد بن عباد يعني المهلبي ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم من طريق سعيد بن أبي راشد مولى لآل معاوية [بينما قال ابن حجر : وفي المسند من طريق سعيد بن أبي راشد التنوخي رسول قيصر إلى رسول الله ﷺ . فتح الباري ٥٧/١] ، والرواية الثانية حدثنا عبد الله قال : حدثنا أبو عامر حوثرة ابن أشرس إملاء عليّ قال : أخبرني حماد بن سلمة ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن سعيد بن أبي راشد قال : «كان رسول قيصر جاراً لي زمن يزيد بن معاوية ، فقلت له : أخبرني عن كتاب رسول الله ﷺ قال : قدمت الشام ، فقيل لي : في هذه الكنيسة رسول قيصر إلى رسول الله ﷺ ، قال : فدخلنا الكنيسة فإذا أنا بشيخ كبير ، فقلت له : أنت رسول قيصر إلى رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، قال : قلت : حدثني عن ذلك ، فحدثه» . المسند ٧٤/٤ـ٧٥ ، فكأن في فتح الباري سقطاً ، وهو : من طريق سعيد بن أبي راشد التنوخي ، عن رسول قيصر ، فرسول قيصر لم يسلم كما هو في هذا الحديث .

من صحبه أو من لقيه كافراً ولو أسلم بعد ذلك، إن لم يجتمع به مرة أخرى بعد إسلامه.

والإيمان به ﷺ يعتبر بحسب الظاهر، وذلك مثل أطفال المسلمين؛ لأنهم لما كانوا بين أبوين مسلمَيْن اعتبروا من المسلمين، وإن كانوا لا عبرة بإيمانهم في ذلك العمر، ولكنهم بالنسبة للأحكام الشرعية يعاملون معاملة المؤمنين، والأصل أن يبقوا على الإيمان.

وقولهم في التعريف: «به» أي النبي ﷺ، ليخرج من لقيه من مؤمني أهل الكتاب قبل البعثة، وهل يدخل من لقيه منهم وآمن أنه سيبعث نبياً أو لا يدخل، مثل بحيرا الراهب[١] ونظرائه؟ محل احتمال[٢]، وينتفي دخولهم بالقيد السابق، وهو الاجتماع بالنبي ﷺ حال النبوة لا قبلها.

فالمعتبر من لُقِيّ المرء لرسول الله ﷺ، أن يكون ذلك بعد البعثة لا قبلها، ولهذا ذكر العلماء من الصحابة ولد النبي ﷺ إبراهيم رضي الله عنه[٣]، دون من مات قبل النبوة من أولاده كالقاسم[٤].

(١) ذكره ابن منده وتبعه أبو نعيم في الصحابة، قال ابن حجر: «وقصته معروفة في المغازي، وما أدري أدرك البعثة أم لا؟ وقال: وقد وقع في بعض السير أنه كان من يهود تيماء، وفي مروج الذهب للمسعودي [٦٤/١]: أنه كان نصرانياً من عبد القيس يقال له: «جرجيس» [سرجس]، وقصته مع النبي ﷺ في خروجه مع أبي طالب إلى الشام، ورؤيته للغمامة تظله، ورأى خاتم النبوة في كتفه، وأن النبي ﷺ كان ابن اثنتي عشرة سنة». انظر الإصابة في القسم الرابع ١٧٦/١-١٧٧.

(٢) وقال في النخبة: «محل نظر». نزهة النظر ص٥٦.

(٣) أمه مارية القبطية رضي الله عنها، ولدته في ذي الحجة سنة ثمان للهجرة، وعاش سبعة عشر أو ثمانية عشر شهراً، وقد سئل عبد الله بن أبي أوفى: «هل رأيت إبراهيم ابن النبي ﷺ؟ أَكْبَرَ؟ قال: مات صغيراً، لو قُضي أن يكون بعد محمدٍ نبي، عاش ابنه إبراهيم، ولكن لا نبي بعده». رواه البخاري (٦١٩٤).
وعن أنس رضي الله عنه قال: «ما رأيت أحداً أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ، كان إبراهيم مسترضعاً له في عوالي المدينة، وكان ينطلق ونحن معه، فيأخذه ويُقبّله». انظر الاستيعاب ٤١/١-٤٧، أسد الغابة ٤٤/١-٤٧، الإصابة ٩٣/١-٩٥.

(٤) أمه خديجة رضي الله عنها، وبه كان يكنى رسول الله ﷺ، ذُكر في السير، وهو بِكْرُه أول مولود، ولد قبل البعثة ومات صغيراً، وقيل: بعد أن بلغ سنّ التمييز، ورجح ابن حجر أنه مات بعد البعثة. ⇦

ويدخل الجنّ الذين آمنوا به بالشرط المذكور ، فإن الله تعالى قد أعلمنا أن نفراً من الجنّ آمنوا به وسمعوا القرآن ، فهم صحابة فضلاء وإن لم نعرفهم بأعيانهم .

قال الله تعالى : ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الجِنِّ يَسْتَمِعُونَ القُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۞ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ وَمَن لاَّ يُجِبْ دَاعِيَ اللهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾ [آية ٢٩-٣٢ الأحقاف] .

وقال جلا وعلا : ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً ۞ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلاَ وَلَداً﴾ .

إلى أن قالوا : ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلاَ يَخَافُ بَخْساً وَلاَ رَهَقاً﴾ [إلى آخر سورة الجنّ] .

فالنبي بعث إليهم قطعاً وهم مكلفون ، فيهم الطائعون وفيهم العصاة ، فمن عُرف اسمه منهم لا ينبغي التردد في ذكره في الصحابة ، وإن كان ابن الأثير عاب ذلك على أبي موسى المديني[١] ، ولم يستند في ذلك إلى حجة[٢] .

الإصابة ٣/٢٦٥ . قلت : ولذلك ذكره في الصحابة في القسم الثاني . وفي أسد الغابة ٣/٤٦٦-٤٦٧ ، وقال : «أكثر الناس على أن موته قبل الدعوة ، ولم يذكره في الاستيعاب» .

(١) محمد بن عمر الأصبهاني ، من حفاظ الحديث ، المديني نسبة إلى مدينة أصبهان ، له «تتمة معرفة الصحابة» (ت٥٨١هـ) . انظر وفيات الأعيان ٤/٢٨٦ .

(٢) انظر فتح الباري ٧/٧ ، الإصابة ١/٧-٨ ، ٣/٥١-٥٢ ، التقييد والإيضاح ص٢٥٤ ، المنهاج في شعب الإيمان للحليمي ١/٢٣٧ ، شعب الإيمان ١/٣٧١ ، التجريد ١/٤٦٢ .

الشرط الرابع : أن يموت المصاحب على الإسلام :

فقول العلماء : «ومات على الإسلام» ، فالمقصود أنه استمر على سيرته مع رسول الله ﷺ ، واستقامته وتمسكه بدينه طيلة حياته ، ولم يفارق هذه الدنيا إلا على الصورة التي فارق عليها رسول الله ﷺ ، ولقد كان هذا الأمر منتهى آمالهم ، وملازمتهم متابعة النبي ﷺ في كل أمورهم وأحوالهم ، والاستمرار على الطريق الذي عرفه منهم رسول الله ﷺ ، فها هو أبو بكر رضي الله عنه يقول : «لست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به ، فإني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ»[1] .

وكان عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قد أقره رسول الله ﷺ على صيام يوم وإفطار يوم ، فما كان يترك ذلك ، فلما كبر كان يقول : «ليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ» ، وكان إذا أفطر يوماً من الأيام التي التزم بصيامها يقضي مكانه يوماً آخر[2] .

ولو أردت تتبع مواقفهم تلك لطال بنا البحث ، فكل حياتهم بعد النبي ﷺ كانت امتداداً لحياتهم معه ، هذا الشرط يخرج من لقي رسول الله ﷺ مؤمناً به ثمّ ارتدّ عن الإسلام ومات على ردّته والعياذ بالله تعالى ، فإنه ليس صحابياً ، ولا يجوز إيراده في الصحابة اتفاقاً ، وقد وجد من ذلك عدد يسير ، وذلك مثل : عبيد الله بن جحش[3] ،

---

(١) رواه البخاري في فرض الخمس (٣٠٩٣) فتح الباري ٦/٢٢٧ ، وانظر أطراف الحديث (٣٧١٢، ٤٠٣٦، ٤٢٤١، ٦٧٢٦) ، ومسلم في الجهاد (١٧٥٩) ٣/١٣٨٠-١٣٨٢ ، وأبو داود في الخراج والإمارة والفيء (٢٩٦٨، ٢٩٧٠) ٣/٢٥١-٢٥٢ ط . الدعاس ، والترمذي في السير - باب ما جاء في تركة رسول الله ﷺ (١٦١٢، ١٦١٤) مختصراً ، وقال : «وفي الحديث قصة طويلة» ٤/١٥٧-١٥٨ ، والنسائي في قسم الفيء ٧/١٣٢ مختصراً جداً ، وأحمد في المسند ١/٤، ٦، ٩، ١٠، ١٤ .

(٢) حديث ابن عمرو في أفضل الصيام ، رواه البخاري في التهجد - باب من نام عند السحر (١٣١١) فتح الباري ٣/٢٠ ، وأطرافه (١١٥٢ ، ١١٥٣ ، ١٩٧٤ ، ١٩٧٥ ، ١٩٧٧ ، ١٩٧٨ ، ١٩٨٠ ، ٣٤١٨ ، ٣٤١٩ ، ٣٤٢٠، ٥٠٥٢ ، ٥٠٥٣ ، ٥٠٥٤ ، ٥١٩٩ ، ٦١٣٤ ، ٦٢٧٧) ، ومسلم في الصيام (١١٥٩) ٢/٨١٢-٨١٨ .

(٣) انظر شيئاً عنه في ترجمة أم حبيبة رضي الله عنها . الاستيعاب ٤/٤٣٩-٤٤٢ ، أسد الغابة ٤/٤٣٤ ، ⇦

الذي كان زوج أم حبيبة[١] رضي الله عنها ، فإنه أسلم معها وهاجر إلى الحبشة ، فتنصّر هو ومات على نصرانيته .

وعبد الله بن خطل ، الذي قُتِلَ وهو متعلق بأستار الكعبة[٢] ، وربيعة بن أمية بن خلف[٣] ، وهؤلاء ليس لهم رواية عن النبي ﷺ ، وغيرهم .

لكن إذا روى مثل هذا الرجل حديثاً سمعه من النبي ﷺ ، فالظاهر أنه متصل ،

الإصابة ٤/٤٣٧ .

(١) اسمها : رملة بنت أبي سفيان ، وقيل : هند ، وكنيتها أشهر من اسمها ، وُلِدَتْ قبل البعثة بسبعة عشر عاماً ، وَلَدَتْ لعبيد الله «حبيبة» في الحبشة ، فبها تُكنى ، وزوّجها النجاشي من رسول الله ﷺ وأصدقها عنه أربعمائة دينار ، وقدمت على رسول ﷺ المدينة سنة سبع . انظر الاستيعاب ٤/٤٣٩-٤٤٢ ، أسد الغابة ٥/٤٣٤-٤٣٥ ، الإصابة ٤/٤٣٧ .

(٢) قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : لما جاء يوم فتح مكة ، أمّن النبي ﷺ الناس كلهم إلا أربعة نفر وامرأتين : عكرمة ، وابن خطل ، ومقيس بن صبابة ، وابن أبي السرح [نسبه ابن حجر إلى الحاكم ، ولم أجد في المستدرك هذا القول ، إلا أنه قال : قد صحت الرواية في الكتابين أن رسول الله ﷺ أمر قبل دخول مكة بقتل عبد الله بن سعد ، وعبد الله بن خطل . المستدرك ٣/٤٦ ، وذكر أبو داود ما يتعلق بقتل ابن أبي السرح (٤٣٥٨) ٤/٣٤٣] . قاله في الاستيعاب ٣/٩١٨ ، وفي الإصابة ٤/١٠٩ ، وذكر ابن إسحاق سبب الأمر بقتله . سيرة ابن هشام ٤/٥٢-٥٣ .

(٣) أسلم يوم الفتح ، ثم شرب الخمر زمن عمر بن الخطاب فهرب إلى الشام ، ثم هرب إلى قيصر فتنصّر ومات عنده . أسد الغابة ٢/٦١٠ ، الإصابة القسم الرابع ١/٥٣٠-٥٣١ .

قال السخاوي : «وما وقع لأحمد في مسنده من ذكر حديث ربيعة بن أمية بن خلف الجمحي وهو ممن أسلم في الفتح وشهد مع النبي ﷺ حجة الوداع ، وحدث عنه بعد موته ، ثم لحقه الخذلان ، فلحق في خلافة عمر بالروم وتنصّر بسبب شيء أغضبه ، يمكن توجيهه بعدم الوقوف على قصة ارتداده» ، قال : «فقال شيخنا - يعني ابن حجر - : وإخراج حديث مثل هذا - يعني مطلقاً - في المسانيد وغيرها مشكل ، ولعل من أخرجه لم يقف على قصة ارتداده» . فتح المغيث ٤/٨٣ .

قلت : وحديثه غير مخرج في المسند ، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٤٦٠٣) ٥/٦٧ ، وليس فيه الرواية عنه ، وإنما هو رواية عن عبد الله بن الزبير أن ربيعة كان يوم عرفة تحت لبة ناقة النبي ﷺ ، وقال له الرسول ﷺ : اصرخ ، وكان صيّتاً . . . الحديث ، قال الهيثمي : «وهو مرسل ، ورجاله ثقات» . مجمع الزوائد ٣/٢٧٠ .

وذلك كمن سمع حديثاً في حالة كفره ورواه في حالة إسلامه ، كحديث أبي سفيان رضي الله عنه وهو عند قيصر الروم[١] ؛ لأن المعتبر حال الراوي حين الأداء .

وأما من ارتد ورجع إلى الإسلام في حياة رسول الله ﷺ ، كعبد الله بن سعد بن أبي السرح[٢] ، فهو صحابي ، وليس له أي ذكر في تحفة الأشراف ، أي ليس له رواية في الكتب الستة .

وأما من ارتدّ بعد وفاة النبي ﷺ ثم أسلم ومات مسلماً ، فجزم ابن حجر ببقاء اسم الصحبة له ، حيث قال :

«فالصحيح أنه معدود في الصحابة ؛ لإطباق المحدثين على عدّ الأشعث بن قيس[٣] ، وقرة بن هُبيرة[٤] ممن وقع له ذلك في الصحابة ، وإخراجهم أحاديثهم في المسانيد وغيرها»[٥] .



(١) وهو من رواية عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، أن أبا سفيان بن حرب رضي الله عنه أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش ، وكانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله ﷺ ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش وهم بإيلياء ، فدعاه في مجلسه وحوله عظماء الروم . . . الحديث . رواه البخاري في بدء الوحي - باب (٦) حديث (٧) فتح الباري ١/٤٢-٤٤ ، ومسلم ٢/١٩٧-٢٠٥ ، وأحمد في المسند ٦/٢٢٣-٢٣٢ ، وذكره الزبير بن بكار في جمهرة أنساب قريش بإسناده ص٤١١ .

(٢) كان ابن أبي السرح يكتب للنبي ﷺ ثم أزلّه الشيطان فارتد ، وأتى به عثمان رضي الله عنه يوم فتح مكة ، فبايعه النبي ﷺ . انظر الاستيعاب ٢/٣٧٥-٣٧٨ ، أسد الغابة ٢/٦١٠ ، الإصابة ٢/٣١٦-٣١٨ .

(٣) كان ممن ارتدّ ، وأُتي به إلى أبي بكر أسيراً ، فعاد إلى الإسلام وقُبل منه ذلك ، وزوّجه أبو بكر رضي الله عنه أخته . انظر الاستيعاب ١/١٠٩-١١١ ، أسد الغابة ١/١١٥-١١٧ ، الإصابة ١/٨٧-٨٩ ، نزهة النظر ص٥٦ ، مجمع الزوائد ٩/٤١٥-٤١٦ .

(٤) ارتد مع مسيلمة الكذاب ، ثم جاء إلى أبي بكر رضي الله عنه ، فاعتذر بأنه لم يكن مرتداً على الحقيقة . انظر الاستيعاب ٣/٢٥٣-٢٥٤ ، أسد الغابة ٣/٤٨٤ ، الإصابة ٣/٢٣٤-٢٣٥ ، البخاري في التاريخ ٥/١٨١-١٨٢ ، ولم يذكر ابن عبد البر وابن الأثير ردته ، وذكرها ابن حجر .

(٥) انظر فتح الباري ٧/٦ ، فتح الباقي ٣/٥ .

قلت (صالح) : أما الأشعث بن قيس ، فله ثلاثة أحاديث كما في تحفة الأشراف[١] ، وله في مسند الإمام أحمد ثمانية عشر حديثاً[٢] ، وله في معجم الطبراني الكبير حديثان[٣] .

وأما قرة بن هُبيرة ، فلم أجد له ذكر في التحفة ولا في مسند الإمام أحمد ، وأورد له الطبراني حديثاً واحداً[٤] ، وقد رواه البخاري في التاريخ[٥] .

ومن هؤلاء : طليحة الأسدي[٦] ، أسلم سنة تسع ثم ارتد وظلم نفسه وتنبأ بنجد ، وتمت له حروب مع المسلمين ثم انهزم وخذل ، ثم أسلم وحسن إسلامه لما توفي الصديق رضي الله عنه ، وأحرم بالحج ، فلما رآه عمر قال : يا طليحة ! لا أحبك بعد قتلك عكاشة ابن محصن وثابت بن أقرم ، فقال طليحة : هما رجلان أكرمهما الله بيدي ولم يهني بأيديهما .

قال الذهبي : «أبلى يوم نهاوند ، ثم استشهد رضي الله عنه وسامحه» .

وليس لطليحة هذا ذكر في تحفة الأشراف ، ولا له ذكر في التاريخ الكبير ، فلعله ليس له رواية عن النبي ﷺ .

بينما قال العراقي عمن ارتد ثم مات مسلماً : «في صحبته نظر» ؛ وذلك لأن الإمامين أبا حنيفة والشافعي رحمهما الله قد نصّا على أن الردة محبطة للعمل .

---

(١) الحديث الأول أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه . تحفة الأشراف ٧٦/١-٧٧ ، والحديث الثاني رواه أبو داود والنسائي ، والثالث رواه ابن ماجه . تحفة الأشراف ٧٨/١ ، والحديث الأخير رواه الطبراني في الكبير ٢٣٥/١-٢٣٦ .

(٢) انظر المسند ٢١١/٥-٢١٢ ، وفيها أحاديث مكررة .

(٣) انظر معجم الطبراني الكبير (٦٤٦-٦٤٨) ٢٣٦/١ .

(٤) معجم الطبراني الكبير (٧٠) ٣٣/١٩-٣٤ .

(٥) التاريخ الكبير ١٨١/٥-١٨٢ ، وقال : «له صحبة» .

(٦) انظر الاستيعاب ٢٥٤/٣ ، أسد الغابة ٩٣/٣-٩٤ ، الإصابة ٢٣٤/٣ ، سير أعلام النبلاء ١٩٧/٣-١٩٨ ط العمروي ، مختصر تاريخ دمشق لابن بدران ٢١٤/١١، ٢٢٠ .

قال : «والظاهر أنها محبطة للصحبة السابقة ، كقرة بن هُبيرةَ ، والأشعث بن قيس[1]»[2] .

مذاهب العلماء في إحباط العمل الصالح بالردة :

بيّن الحافظ العراقي أن مذهب أبي حنيفة والشافعي أن الردة محبطة للعمل .

قال في فواتح الرحموت بعد أن حكى مذهبين في الردة أحدهما لا تبطل ، والثاني أنها تبطل الصحبة :

«لكن الحق هو المذهب الأخير ، فإن الردة تبطل الأعمال بأسرها بالنّص القاطع ، والصحبة من أفضل الأعمال فتبطلها الردة ، فالصحبة التي حصلت قبل المراجعة إلى الإسلام كلا صحبة ، كصحبة الكافر حال كفره . . .»[3] . أهـ .

والنص المقصود هو قوله تعالى : ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آية ٢١٧ البقرة] .

وبيّن الإمام الشافعي ذلك في كتابه[4] ، ويفهم من كلامه أن المرتد إذا عاد إلى الإسلام ، فلا يحبط عنه شيء من عمله ، ونص على ذلك الرافعي من الشافعية[5] .

قال الإمام أبو حيان رحمه الله : «وظاهر هذا الشرط والجزاء ، ترتب حبوط العمل

---

(١) عن قيس بن أبي حازم قال : «شهدت جنازة فيها الأشعث بن قيس وجرير ، فقدّم الأشعث جريراً لأنه لم يرتدّ ، قال : وقد كنت ارتددت» .

(٢) انظر التبصرة والتذكرة ٣/٤-٥ ، التقييد والإيضاح ص٢٥١-٢٥٤ .

(٣) نقله في مسلم الثبوت ٣/١٨٠ .

(٤) الأم ٦/١٥٦ .

(٥) جمع الجوامع للمحلي ٣/٢٧١-٢٧٤ ، وانظر روائع البيان في تفسير آيات الأحكام للشيخ محمد علي الصابوني ١/٢٦٤-٢٦٥ .

على الموافاة[١] على الكفر ، لا على مجرد الارتداد ، وهذا مذهب جماعة منَ العلماء منهم الشافعي ، وقد جاء ترتب حبوط العمل على مجرد الكفر في قوله تعالى : ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ [آية٥ المائدة] ، و ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [آية٨٨ الأنعام] ، و ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ [آية١٤٧ الأعراف] ، و ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [آية٦٥ الزمر] ، والخطاب في المعنى لأمته .

وإلى هذا ذهب مالك وأبو حنيفة وغيرهما ، يعني أنه يحبط عمله بنفس الردة دون الموافاة عليها وإن رجع إلى الإسلام ، ويقول الشافعي : اجتمع ـ يقصد في الآية ـ مطلق ومقيد ، فتقييد المطلق ، ويقول غيره : هما شرطان ترتب عليهما شيئان :

أحد الشرطين : الارتداد ، ترتب عليه حبوط العمل .

الشرط الثاني : الموافاة على الكفر ، ترتب عليه الخلود في النار»[٢] .

وقال الألوسي : «واختلف الشافعيون فيما عدا الصحابة ، فيمن رجع إلى الإسلام بعد الردة ، هل يرجع له عمله بثوابه أم لا ؟ . فذهب البعض إلى الأول فيما عدا الصحبة، فإنها ترجع مجردة عن الثواب ، وذهب الجلّ إلى الثاني ، وأن أعماله تعود بلا ثواب ، ولا فرق بين الصحبة وغيرها» . قال : «ولعلّ ذلك هو المعتمد في المذهب»[٣] .

وقال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور : «وقد بني على هذا خلاف في بقاء حكم الصحبة للذين ارتدوا بعد النبي ﷺ ثم رجعوا إلى الإسلام ، مثل : قرة بن هبيرة العامري ، وعلقمة بن علاقة ، والأشعث بن قيس ، وعيينة بن حصين ، وعمرو بن معديكرب»[٤] .

---

(١) قوله : «الموافاة» يريد موافاة العبد أرض المحشر وهو على الكفر والعياذ بالله .

(٢) انظر البحر المحيط عند آية البقرة . وأحكام القرآن لابن عربي ٢٠٧/١-٢٠٨ ، التفسير الكبير للفخر الرازي ٤٠/٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٤٦/٢ ، تفسير التحرير والتنوير ٣٣٣/٢-٣٣٥ .

(٣) روح المعاني للألوسي ١٦٦/٢-١٦٧ تصحيح محمد حسين عرب ـ دار الفكر ـ بيروت .

(٤) تفسير التحرير والتنوير ٢٣٥/٢ .

وبهذا يتبين لنا أن الإمام الشافعي يذهب إلى عدم حبوط الصحبة بالردة إذا عاد إلى الإسلام ، بينما يرى الإمام أبو حنيفة ومالك أن الصحبة حبطت بمجرد الردة ، ولكن عودته إلى الإسلام تنقذه من عذاب النار .

ومن هنا يتبين أن كلام الإمام العراقي فيه شيء من التساهل ، حيث نسب إلى الإمام الشافعي القول بحبوط العمل بالردة ؛ لأنه يشترط لذلك الموت على الكفر والعياذ بالله .

المبحث الثالث : اشتراط بلوغ سن التمييز :

وأما اشتراط بلوغ سن التمييز عند اللقاء ، فقد اشترطه بعض العلماء ، والجمهور على عدم اشتراطه ، والمقصود بالتمييز : أن يكون قادراً على فهم ما يخاطب به من كلام ويستطيع ردّ الجواب . وهذا يختلف باختلاف الناس ، ولذلك كثر الكلام في ذلك ، والمرجع في هذا أن يعقل ويضبط ، فإن فَعَل فهو مميز وإلا فلا[(١)] ، دون أن يكون هناك سن معينة مَنْ بلغها اعتبر مميزاً ومَنْ لم يبلغها لم يعتبر مميزاً[(٢)] .

واشتراط التمييز أعم من كونه بالغاً[(٣)] ؛ لأن من شَرْط اللقيا التمييز دون البلوغ ، وعلى

(١) انظر تدريب الراوي ٢/٥-٧ .

(٢) وقد اعتبر الفقهاء سنّ التمييز هو سنّ سبع ، وذلك لما جاء عن النبي ﷺ أنه قال : «مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين ، فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها» ، عند أبي داود - باب متى يؤمر الصبي بالصلاة (٤٩٤) عن سبرة بن معبد ، و (٤٩٥) عن ابن عمرو ، والترمذي في الصلاة - باب ما جاء متى يؤمر الصبي بالصلاة (٤٠٧) عن سبرة ، وإسناده حسن ، وأحمد في المسند ٢/١٨٠-١٨٧ عن ابن عمرو ، و٣/٤٠٤ عن سبرة ، والحاكم في المستدرك عن سبرة ، وقال : «على شرط مسلم» ١/٢٥٨ ، وابن خزيمة في الصحيح ٢/١٠٢ ، والدارقطني في السنن ٣/٨٤ . وهذا بالنسبة لعامة الأطفال ، وقد يميز بعضهم الأمور قبل هذه السن ، كما قال محمود بن الربيع رضي الله عنه : «عقلت من النبي ﷺ مجة مجها في وجهي وأنا ابن خمس سنين من دلو» . عند البخاري في العلم (٧٧) فتح الباري ١/٢٠٧ ، وعن الزهري قال : «حدثني محمود بن الربيع ، وتوفي النبي ﷺ وهو ابن خمس سنين» . الكفاية ص١١١ ، فتح الباري ١/٢٠٧ .

(٣) قال ابن حجر : «ومنهم من اشترط في ذلك أن يكون حين اجتماعه به بالغاً وهو مردود أيضاً ؛ لأنه يخرج مثل الحسن بن علي رضي الله عنهما ونحوه من أحداث الصحابة» . فتح الباري ٧/٦ . ويخرج الحسين وابن الزبير والنعمان بن بشير وأبو الطفيل الكناني والسائب بن يزيد والمسور بن مخرمة وعمر بن أبي سلمة ⇦

هذا فلا يدخل في الصحابة من لقيه وهو لا يعقل ؛ لأنه غير مميز ، على مذهب من يشترطه ، وكذا لا يدخل الأطفال الذين حنّكهم أو مسح وجوههم أو دعا لهم[(١)] ، ولم يَرَوْه ﷺ بعد أن كبروا وميزوا ، وذلك مثل : عبد الله بن الحارث بن نوفل رضي الله عنه ، حنّكه النبي ﷺ ودعا له ، وما تُعرف له رؤية ولا رواية عن نبي الله ﷺ ، بل هو من كبار التابعين[(٢)] . والمنذر بن أبي سعيد الساعدي رضي الله عنهما ، ولد في عهد النبي ﷺ عام الفتح[(٣)] . وعبد الله بن أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنهما ، أخي أنس بن مالك لأمه ، لما ولدته أمه أم سليم قالت : «يا أنس ! اذهب به إلى النبي ﷺ فليحنّكه ، فكان أول شيء دخل جوفه ريقِ النبي ﷺ»[(٤)] ، ونحوهما ممن توفي النبي ﷺ عنهم قبل التمييز .

وقد ذكر العلماء أمثلة أخرى ممن لم يصل سنّ التمييز عند وفاة النبي ﷺ ، مثل : محمد بن حاطب[(٥)] ، وعبد الرحمن بن زيد بن الخطاب[(٦)] رضي الله عنهم ، وهما لا ينطبق

وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب ومحمود بن الربيع وسلمة بن مخلد وابن عباس . الكفاية ص١٠٥ .

(١) أخرج الحاكم من حديث عبد الرحمن بن عوف قال : «كان لا يولد لأحد مولود إلا أتى به النبي ﷺ فدعا له» . المستدرك (٨٥٤٢) وصححه ، قال الذهبي : «لا والله ، وسيناء كذّبه أبو حاتم» ٦٤٨/٤ .

وأخرجه ابن شاهين في كتاب الصحابة في ترجمة محمد بن طلحة بن عبيد الله ، قال : «لما ولد محمد بن طلحة أتيت به النبي ﷺ ليحنّكه ويدعو له ، وكذلك كان يفعل بالصبيان» . الإصابة ١/٥-٦،١٠ .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : «كان يؤتى بالصبيان فَيُبَرِّك عليهم ويحنّكهم» . رواه مسلم في الآداب (٢١٤٧) ١٦٩١/٣ .

(٢) انظر الإصابة في ترجمة أبيه ٢٩٢/١ ، تهذيب التهذيب ١٠٨/٥ .

(٣) انظر أسد الغابة ١٩٤/٤ ، وذكر أن الرسول ﷺ سمّاه المنذر ، وكذا في الإصابة ٤٨٠/٣ في القسم الثاني ، ولم يذكره في الاستيعاب .

(٤) ذكره في الاستيعاب ٩٢٩/٣-٩٣٠ ، أسد الغابة ٦٢٧/٢ ، الإصابة ٦٠/٢ في القسم الثاني .

(٥) فقد ذكره ابن حجر في الصحابة ، وقد روى عن النبي ﷺ وولد في الحبشة ، وجاء إلى المدينة مع أهل السفينة ، ويقال : إنه أول من سمّي محمداً في الإسلام من قريش ، وقد حفظ عن رسول الله ﷺ أنه رقاه حين احترقت يده . الخلاصة ص٣٣١ ، الإصابة ٣٧٢/٣-٣٧٣ ، توفي سنة (٧٤هـ) ، وقيل : (٨٦هـ) . تهذيب التهذيب ١٠٦/٩-١٠٧ .

(٦) كان له عند موت النبي ﷺ ست سنين . الإصابة ٦٩/٣ ، فهو قد كان مميزاً ، وانظر مجمع الزوائد

عليهما هذا الشرط ، فقد كانا مميزين عند الوفاة النبوية .

هذا والمراد بالرؤية : أن يراه في حالة اليقظة ؛ لأن اليقظان هو الذي يعتبر مميزاً في أحكام الدنيا ، أما من رآه في المنام ، وهو وإن كان قد رآه حقاً ؛ لقوله ﷺ : «من رآني في المنام فقد رآني حقاً ، فإن الشيطان لا يتمثل بي»(١) ، فذلك يرجع إلى الأمور المعنوية لا إلى الأحكام الدنيوية ، فلذلك لا يعدّ صحابياً ولا يجب أن يعمل بما أُمر به في تلك الحالة ، والله أعلم(٢) .

وذلك ـ كما قلت ـ لأن النائم يعتبر غير مميز في الحقيقة ، فقد يخطئ في السماع ، أو يخطئ في فهم المأمور به ، أو في الرؤية كلها ، وقد تلتبس عليه رؤيا بأخرى فتختلط عليه الأمور ، إلى آخر الاحتمالات الممكنة عقلياً ، وكذلك لأن رؤية الرجل لرسول الله ﷺ في المنام كرامة يكرم بها الرجل الرائي بحسب حاله من التقوى والصلاح ، لا بحسب

٤١٥/٩ .

(١) رواه البخاري في العلم ـ باب إثم من كذب على النبي ﷺ (١١٠) عن أبي هريرة . فتح الباري ٢٤٤/١ ، وأطرافه (٦٥٣٩،٦١٨٨،٦١٩٧،٦٩٩٣) ، وعن أنس في التعبير ـ باب من رأى النبي ﷺ في المنام (٦٩٩٤) . فتح الباري ٣٩٩/١٢-٤٠٠ ، وعن أبي قتادة ونصه : «من رآني فقد رأى الحق» ، وعنه : «إن الشيطان لا يتراءى بي» (٦٩٩٥،٦٩٩٦) . فتح الباري ٤٠٠/١٢ ، وعن أبي سعيد الخدري ونصّه : «من رآني فقد رأى الحق ، فإن الشيطان لا يتكونني» (٧٩٩٧) . فتح الباري ٤٠٠/١٢ ، ومسلم في الرؤيا (٢٢٦٦) عن أبي هريرة ، و (٢٢٦٧) عن أبي قتادة ، و (٢٢٦٨) عن جابر ١٧٧٥/٤-١٧٧٦ ، وأبو داود في الأدب ـ باب ما جاء في الرؤيا (٥٠٢٣) ١٧٩/٥ ط . الدعاس ، والترمذي في الرؤيا ـ باب من رآني في المنام (٢٢٨١) عن ابن مسعود ، وقال : «حسن صحيح» ٥٣٥/٤ ، وابن ماجه في الرؤيا ـ باب رؤية النبي ﷺ (٣٩٠٠) عن ابن مسعود ، و (٣٩٠١) عن أبي هريرة ، و (٣٩٠٢) عن جابر ، و (٣٩٠٣) عن أبي سعيد ، و (٣٩٠٤) عن أبي جحيفة ، و (٣٩٠٥) عن ابن عباس ١٢٨٤/٢-١٢٨٥ ، وأحمد في المسند عن ابن مسعود ٢٧٩/١،٣٦١،٤٠٠،٤٤٠،٤٥٠ ، وعن أبي سعيد ٥٥/٣ ، وعن أنس ٢٦٩/٣ ، وعن جابر ٣٥٠/٣ ، وعن أبي هريرة وأبي قتادة ٣٠٦/٥ ، وعن طارق بن أشيم ٣٩٤/٦ ، وعن أبي هريرة ٢٣٢/٢،٢٤٢،٢٦١،٣٥٠،٤١٠،٤١١،٤٢٥،٤٦٣،٤٦٩ .

(٢) فتح الباري ٧/٧ ، فتح المغيث للسخاوي ٨١/٤ .

الحقيقة التي عليها رسول الله ﷺ ، فلا يكون فيها مثل فضل الذي رآة حقيقة ؛ لأن الصحابي رأى النبوة على حقيقتها لا بحسبه .

هذا وصفة التمييز هذه لم يعمل بها من صنف في الصحابة ، فإنهم ذكروا مثل : محمد ابن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ، وإنما ولد قبل وفاة النبي ﷺ بثلاثة أشهر وأيام[١] ، وعبد الله بن ثعلبة بن صعير رضي الله عنهما ، مسح وجهه النبي ﷺ عام الفتح[٢] .

قال السخاوي : «ولأجل اختيار عَدِّ غير المميزين من الصحابة ، كان في بيت الصديق أربعة من الصحابة في نسق ، وهم : محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي

---

(١) ثبت في الصحيح أن أمه أسماء بنت عميس رضي الله عنها ، ولدته في حجة الوداع قبل أن يدخلوا مكة ، وذلك في أواخر ذي القعدة سنة عشر من الهجرة ، فأمر رسول الله ﷺ أن تغتسل فتهلّ ، والحديث عن عائشة رضي الله عنها . رواه مالك في الموطأ في الحج ـ باب الغسل للإهلال (٧٢٣) ٤١١/١ ، ومسلم في الحج (١٢٠٩، ١٢١٠) ، وأبو داود في المناسك ـ باب الحائض تهل بالحج (١٧٤٣) ٢٤٦/٢ ط . دعاس ، والنسائي في الحج ـ باب ما يفعل من أهلّ بالحج وأهدى ٢٤٥/٥ مختصراً ، وابن ماجه في الحج ـ باب النفساء والحائض تهلّ بالحج (٢٩١١) ٢٧١/٢ ، وأحمد في المسند ٣٧٠/٦ .

قال السخاوي : «وهو وإن لم تصح له نسبة الرؤية إليه ، صدق أن النبي ﷺ رآه ويكون صحابياً من هذه الحيثية خاصة ، وعليه مشى غير واحد ممن صنف في الصحابة» . فتح المغيث ٧٩/٤ .

(٢) قال السخاوي : «خلافاً للصفاقسي [أبو محمد عبد الواحد بن التين الصفاقسي (ت٦١١هـ) . انظر سيرة البخاري وهامشه ص١٥٠] شارح البخاري [اسم كتابه : المنجد الفصيح في شروح البخاري الصحيح] فإنه قال في حديث عبد الله بن صُعَير وكان النبي ﷺ قد مسح وجهه عام الفتح ، ما نصه : «إن كان عبد الله هذا عقل ذلك أو عقل منه كلمة كانت له صحبة ، وإلا كانت له فضيلة ، وهو من الطبقة الأولى من التابعين» ، قال السخاوي : «وإليه ذهب العلائي حيث قال في بعضهم : لا صحبة له ، بل ولا رؤية ، وحديثه مرسل» ، قال السخاوي : «وهو وإن سلم له الحكم لحديثهم بالإرسال ، فإنهم من حيث الرؤية أتباع فهو فيما نفاه [أي في الصحابة] مخالف الجمهور» . فتح المغيث ٧٩/٤ .

قلت : ولا وجه لقوله : «خلافاً للصفاقسي» ؛ لأنه أثبت له الفضيلة ، والمقصود فضل الصحبة برؤية النبي ﷺ له ، ولما كان يتكلم عن الحديث وهو رواية ، فلابد في إثباتها من التمييز ، وكذا يقال بالنسبة للعلائي ؛ لأنه تكلم عن المراسيل ، فهو يريد أن روايتهم عن النبي ﷺ منقطعة .

قحافة»[١] .

ومع اعتبار هؤلاء غير المميزين من الصحابة ، فأحاديثهم مراسيل[٢] أي غير متصلة .

قال ابن حجر : «والخلاف الجاري بين الجمهور وأبي إسحاق الإسفراييني[٣] ومن وافقه على ردّ المراسيل مطلقاً ، حتى مراسيل الصحابة الذين سمعوا من النبي ﷺ ، لا يجري في أحاديث هؤلاء ؛ لأن أحاديثهم لا من قبيل مراسيل كبار التابعين ، ولا من قبيل مراسيل الصحابة الذين سمعوا أحاديث من النبي ﷺ »[٤] .

فشرط التمييز كما تبين مما سبق ، إنما يشترط لقبول الرواية عن رسول الله ﷺ ، لا لإثبات الصحبة ، وإنْ كان بعض الأئمة يشترطون التمييز لإثبات الصحبة ، فقد قال الشيخ زين الدين العراقي : «ويدل على اعتبار التمييز مع الرؤية ، ما قاله شيخنا الحافظ أبو سعيد العلائي في كتاب المراسيل ، في ترجمة عبد الله بن الحارث بن نوفل : حنّكه النبي ﷺ ودعا له ، ولا صحبة له ولا رؤية ، وحديثه مرسلٌ أيضاً ، وفي ترجمة عبد الله ابن أبي طلحة الأنصاري : حنّكه النبي ﷺ ودعا له ، ولا تعرف له رؤية ، بل هو تابعي ، وحديثه مرسل . انتهى»[٥] .

---

(١) فتح المغيث ٧٩/٤ .

(٢) المقصود بالمرسل هو : ما رواه الراوي عن رسول الله ﷺ دون ذكره عمن سمعه منه وكان من التابعين ، ومنها مراسيل الصحابة ، وهي الأحاديث التي رواها الصحابة مرفوعة إلى النبي ﷺ ولم يسمعوها منه ، وإنما سمعوها من غيرهم من الصحابة ، وجمهور علماء الحديث على قبول مراسيل الصحابة دون غيرهم . انظر تدريب الراوي ١٥٩/١-٢٠٧ .

(٣) هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الإسفراييني (ت٤١٨هـ) . اللباب في تهذيب الأنساب ٥٥/١ ، طبقات الشافعية الكبرى ١١١/٣ ، فهو يرى ردّ كل حديث مرسل ، حتى مرسل الصحابة .

(٤) فتح الباري ٦/٧ ، وقال : «وهذا مما يلغز به ، فيقال : صحابي حديثه مرسل لا يقبله من يقبل مراسيل الصحابة» .

(٥) ذكره ابن أمير الحاج في التقرير والتحبير ٣٤٧/٢ .

المبحث الرابع : أثر رؤية النبي الكريم ﷺ :

اختار أهل الحديث هذا التوسع في تعريف الصحابي ؛ لأن رؤية النبي ﷺ شرف عظيم تحصل به البركة العظمى للرائي المؤمن الذي يقتبس من أنوار الهداية ما يرفع همّته للطاعة ، ويدفعه إلى التقوى والعمل الصالح ، فأعطوا حكم الصحبة لكل مؤمن رأى رسول الله ﷺ ومات على الإسلام . قال القاضي عياض : «وذهب بعض العلماء أن من صحب النبي ﷺ ورآه مرة في عمره وحصلت له مزية الصحبة ، أفضل من كل من يأتي بعدُ ، فإن فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل ، قالوا : وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»(١) .

قال شيخنا العلامة عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى رحمة واسعة : «إنما حكموا - إضافة إلى استنادهم إلى اللغة - بأن مجالسة ساعة لرسول الله ﷺ ، أو مشاهدة لحظة ، أو سماع كلمة فما فوقها منه عليه السلام تكسب صاحبها اسم الصحابي ؛ لشرف منزلة النبي ﷺ ؛ ولأن لرؤية نور النبوة قوة سريان في قلب المؤمن ، فتظهر آثارها على جوارح الرائي في الطاعة والاستقامة مدى الحياة ببركته ﷺ ، ويشهد لذلك ما رواه الصحابي الجليل عبد الله بن بُسر رضي الله عنه ، عنه ﷺ قال : «طوبى لمن رآني وآمن بي ، وطوبى لمن رأى من رآني وآمن بي»(٢) .

وقال الإمام السبكي : «والصحابي هو كل من رأى النبي ﷺ مسلماً ، وقيل : من طالت مجالسته ، والصحيح الأول ، وذلك لشرف الصحبة وعظم رؤية النبي ﷺ ، وذلك أن رؤية الصالحين لها أثر عظيم ، فكيف رؤية سيد الصالحين ، فإذا رآه مسلم لحظة ، انطبع قلبه على الاستقامة ؛ لأنه بإسلامه متهيئ للقبول ، فإذا قابل ذلك النور العظيم ، أشرق عليه وظهر أثره في قلبه وعلى جوارحه»(٣) .

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم ١/٤٨٥-٤٨٦ .

(٢) رواه الطبراني والحاكم كما في الجامع الصغير للسيوطي ٤/٢٨٠ بشرح فيض القدير للمناوي ، وهو حديث ثابت وله طرق كثيرة . لمحات في تاريخ السنة وعلوم الحديث ص٤٩ .

(٣) الإبهاج ١/٩ .

هذا وإن التربية الفاعلة التي ربّى رسول الله ﷺ هذا الجيل الكريم ، التربية التي جعلته يتفوق على كل الأجيال بأخلاقه السامية الرفيعة الفاضلة ، إنما هي أثر واضح من آثار صحبتهم لرسول الله ﷺ ، ويضيق البحث عن الإحاطة بالوجوه الإيجابية لهذه التربية التي نجدها في كل صحابي على حدة ، كما نراها في المجموع الذي اتصف بأنه خير القرون على الإطلاق ، وإني ذاكر أموراً رئيسة كبيرة مما ظهر من أثر هذه التربية النبوية للأصحاب الكرام رضي الله عنهم .

أولاً : الضبط النفسي : فقد رباهم على ضبط نفوسهم بحيث لا تتحرك انفعالاً ، وإنما تنطلق وفق ما توحي به العقيدة ، وما تحركها إليه شريعة الله تعالى ، ولذلك رأيناهم في مكة المكرمة يصبرون على إيذاء المشركين ، ورأيناهم ينطلقون بأوامر رسول الله ﷺ حتى لو لم تكن الظروف مواتية لتحركهم : ﴿**وَقَالُوا لاَ تَنفِرُوا فِي الحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ**﴾ [آية ٨١ التوبة] .

وقال تعالى : ﴿**قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ**﴾ [آية ٢٤ التوبة] ، إلى آيات كثيرة وحوادث كثيرة تظهر لنا أن الصحابة الكرام كانوا يضبطون نفوسهم ضبطاً تاماً عن الانفعالات النفسية ، ويتحركون بأمر الله تعالى .

ثانياً : التضحية من أجل العقيدة والإسلام : لقد علمهم رسول الله ﷺ بقوله وبحاله على التضحية بكل شيء من أجل هذا الدين ، فقد ترك رسول الله ﷺ أهله وماله وأرضه التي عاش عليها ، وهاجر إلى المدينة التي استنارت بحلوله فيها ، وكان يقدم كل شيء من وقته وجهده لأجل هذا الدين ، وهكذا كان الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، فقد ضحوا بمثل ما ضحى ، وقدموا كل ما لديهم لنصرة الإسلام ، بل حموه بأنفسهم وأموالهم وأهليهم ، فلم يعد عندهم همٌّ إلا دين الله تعالى ، فجزاهم الله عن الإسلام كل خير .

ثالثاً : الإيثار : كانوا مستعدين ليقدموا كل ما عندهم لإخوانهم المؤمنين ، وانظرهم في الهجرة حيث قدموا لإخوانهم كل ما لديهم وأسكنوهم في بيوتهم ، وأشركوهم في ثمر زرعهم ، واستعد بعضهم ليقاسم أخاه ماله وزوجتيه ، فلا غرو أن يقول الله تعالى فيهم : **﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّون مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** [آية٩ الحشر] .

هذا وقد أشارت آيات من كتاب الله إلى شيء من آثار رؤية النبي ﷺ وعوائد صحبته ، فقال تعالى : **﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾** [آية١٠٣ التوبة] ، فدعاء النبي ﷺ لأصحابه يكسبهم السكينة والطمأنينة في قلوبهم ، فهذا أثر من آثار هذه الصحبة المباركة .

وقال الله تعالى : **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [آية٦٤ النساء] ، فاستغفار رسول الله ﷺ للصحابة واستغفارهم لذنوبهم يؤكد قبول الله تعالى لتوبتهم ، وهذا أثر عظيم من آثار هذه الصحبة الكريمة .

وقد ذكر أصحاب رسول الله ﷺ تأثير حضورهم في مجلس رسول الله ﷺ في رفعة إيمانهم ، وقوة انطلاقهم الروحاني ، فعن حنظلة الأسيدي رضي الله عنه قال : لقيني أبو بكر رضي الله عنه فقال : كيف أنت يا حنظلة ؟ قال : قلت : نافق حنظلة ، قال : سبحان الله ما تقول ؟ قال : قلت : نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا النار والجنة ، حتى كأنا رأي عين ، فإذا خرجنا من عند رسول ﷺ عافسنا[1] الأزواج والأولاد والضيعات[2] ، فنسينا كثيراً ، قال أبو بكر رضي الله عنه : فوالله إنا لنلقى مثل هذا .

---

(١) عافسنا : أي عالجنا معايشنا وحظوظنا ، والمعافسة : المعالجة والممارسة والملاعبة . النهاية ٢٦٣/٣ .

(٢) الضيعات : جمع ضيعة ، وهي معاش الرجل من مال أو حرفة أو صناعة ، قال الزمخشري : «ضيعته : ⇦

فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ ، قلت : نافق حنظلة يا رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : وما ذاك ؟ .

قلت : يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة ، حتى كأنها رأي عين ، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ، فنسينا كثيراً .

فقال رسول الله ﷺ : «والذي نفسي بيده ، لو تدومون على ما تكونون عليه عندي ، وفي الذكر ، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طريقكم ، ولكن يا حنظلة ! ساعة وساعة - ثلاث مرات -»(١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قلنا : يا رسول الله إنا إذا كنا عندك رقّت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة ، وإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا ، وشممنا النساء والأولاد .

فقال : «لو تكونون كل حال على الحال الذي أنتم عليه عندي ، لصافحتكم الملائكة بأكفكم ، ولو أنكم في بيوتكم . .»(٢) .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال أصحاب رسول الله ﷺ : إنا إذا كنا عند النبي ﷺ رأينا من أنفسنا ما نحب ، فإذا رجعنا إلى أهلينا فخالطناهم أنكرنا أنفسنا ، فذكروا ذلك للنبي ﷺ ، فقال ﷺ : «لو تدومون على ما تكونون عندي في الحال ،

أشغاله» . الفائق ٢/٣٥٢ ، ولم يذكر الحديث ، وقال ابن الأثير : «أي المعايش» . النهاية ٣/١٠٨ .

(١) رواه مسلم في التوبة (٢٧٥٠) ٤/٢١٠٦-٢١٠٧ ، والترمذي في القيامة - باب رقم (٢٢) حديث (٢٦٣٣) وقال : «حديث حسن صحيح» ٤/٧٥-٧٦ ، وأحمد في المسند ٤/٣٤٦، ٣٦٢ ، والطيالسي في المسند (١٣٤٥) مختصراً ص١٩١ .

(٢) رواه الطيالسي في المسند (٢٥٨٣) ص٣٣٧ ، وأحمد في المسند ٢/٣٠٤-٣٠٥، ٤٤٥، ٣٦٢ ، وأبو نعيم في صفة الجنة (١٠٠، ١٣٦) ، والدارمي في الرقائق - باب في بناء الجنة (٢٨٢١) ٢/٤٢٩ ، والترمذي في صفة الجنة - باب ما جاء في صفة الجنة ونعيمها (٢٦٤٦) ٤/٧٩-٨٠ ، وابن المبارك في الزهد (١٠٧٥) ص٣٨٠ ، وابن حبان في الصحيح (٧٣٨٧) ١٦/٣٩٦-٣٩٧ ، والبزار ، والطبراني في الأوسط ، قال الترمذي : «هذا حديث ليس إسناده بذلك القوي ، وليس عندي بمتصل ، وقد رُوي هذا الحديث بإسناد آخر عن أبي هريرة» ٤/٨٠ ، قلت : ويصح الحديث لشواهده .

لصافحتكم الملائكة حتى تظلكم بأجنحتها ، ولكن ساعة وساعة»[١] .

وحتى الأطفال الذين جيء بهم إلى رسول الله ﷺ فدعا لهم ، فقد أصابهم من بركة هذه الرؤية وهذا الدعاء الشيء الكثير بفضل الله تعالى .

فعن أبي عقيل زهرة بن معبد ، عن جدّه عبد الله بن هشام وكان قد أدرك النبي ﷺ وذهبت به أمه زينب ابنة حُميد إلى رسول الله ﷺ فقالت : «يا رسول الله بايعه ، فقال النبي ﷺ : هو صغير ، فمسح على رأسه ودعا له»[٢] .

قال ابن حجر : «فيه إشارة إلى أن عبد الله بن هشام عاش بعد النبي ﷺ زماناً ببركة دعائه له»[٣] ، وفي رواية عن زهرة أنه كان يخرج به جدُّه عبد الله بن هشام إلى السوق فيشتري الطعام ، فيلقاه ابن عمر وابن الزبير رضي الله عنهم فيقولان له : «أشركنا ، فإن النبي ﷺ قد دعا لك بالبركة ، فيشركهم» .

وعن الجعيد بن عبد الرحمن قال : «رأيت السائب بن يزيد رضي الله عنه ابن أربع وسبعين جَلْداً ـ أي قوياً صلباً ـ معتدلاً ، فقال : قد علمت ما متعت به سمعي وبصري إلا بدعاء رسول الله ﷺ ، إذ ذهبت خالتي بي إليه فقالت : يا رسول الله إن ابن أختي شاكٍ فادع الله له ، قال : فدعا لي رسول الله ﷺ» ، زاد في رواية : «فمسح لي رأسي ودعا لي بالبركة ، وتوضأ فشربت من وَضُوئه ، ثم قمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه»[٤] .

---

(١) رواه ابن حبان في الصحيح (٣٤٤) ٢/٥٥-٥٦ بإسناد صحيح ، وأحمد في المسند ٣/١٧٥ ، والبزار: كشف الأستار (٣٢٣٤) ، قال الهيثمي : «ورجاله رجال الصحيح غير زهير بن محمد الرازي ، وهو ثقة» . مجمع الزوائد ١/٣٠٨ .

(٢) رواه البخاري في الشركة ـ باب الشركة في الطعام وغيره (٢٥٠١،٢٥٠٢) فتح الباري ٥/١٦١ ، وأطرافه (٦٣٥٣،٧٢١٠) .

(٣) فتح الباري ١٣/٢١٣ .

(٤) رواه البخاري في الوضوء ـ باب استعمال فضل وضوء الناس (١٩٠) فتح الباري ١/٣٥٤-٣٥٥ ، ⇐

وعن عبد الله بن هشام التميمي قال : «كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب ، فقال له عمر : يا رسول الله لأنت أحبّ إليّ من كل شيء إلا من نفسي ، فقال النبي ﷺ : لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحبَّ إليك من نفسك ، فقال له عمر : فإنه الآن ، والله لأنت أحبّ إليّ من نفسي ، فقال النبي ﷺ : الآن يا عمر»(١) .

قال ابن حجر : «في هذا الحديث إيماء إلى فضيلة التفكر ، فإن الأحبية المذكورة تعرف بالتفكير ، وذلك أن محبوب الإنسان إما نفسه وإما غيرها ، أما نفسه فهو أن يريد دوام بقائها سالمة من الآفات ، هذا هو حقيقة المطلوب ، وأما غيرها فإذا حققت الأمر فيه فهو بسبب تحصيل نفع ما على وجوهها المختلفة حالاً ومآلاً .

فإذا تأمل النفع الحاصل له من جهة الرسول ﷺ الذي أخرجه من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ، إما بالمباشرة وإما بالسبب ، علم أنه سبب بقاء نفسه البقاء الأبدي في النعيم السرمدي ، وعلم أن نفعه بذلك أعظم من جميع وجوه الانتفاعات ، فاستحق لذلك أن يكون حظه من محبته أوفر من غيره ؛ لأن النفع الذي يثير المحبة حاصل منه أكثر من غيره ولكن الناس يتفاوتون في ذلك بحسب استحضار ذلك والغفلة عنه ، ولا شك أن حظ الصحابة رضي الله عنهم من هذا المعنى أتم ؛ لأن هذا ثمرة المعرفة وهم بها أعلم»(٢) .

المبحث الخامس : فوائد معرفة الصحابة رضي الله عنهم :

إنهم الرعيل الأول الذي حمل الإسلام تطبيقاً عملياً شاملاً لكل نواحي الحياة ، فكانوا مثلاً يُحتذى به ، وأسوة تُقتدى في تطبيق الإسلام ، وواقعاً عملياً شهد نور النبوة واقتبس منها كل أفعاله ، فمعرفتنا بهم ومعرفة سيرهم وأحوالهم ، تدفع إلى العمل وتلهب الحماس في النفوس الشابة لتعمل بالإسلام ، وترفع رايته عالياً ، وتسير قدماً لتطبيق الإسلام في

وأطرافه (٣٥٤٠، ٣٥٤١، ٥٦٧٠، ٦٣٥٢) .

(١) رواه البخاري في الأيمان والنذور - باب كيف كان يمين النبي ﷺ (٦٦٣٢) ١١/٥٣٢ .

(٢) فتح الباري ١/٧٦-٧٧ .

المجتمع كما فعل أوائلنا .

ولأن معرفتهم عبادة لله تعالى ، فهم الذين أقبلوا على الإسلام ونهلوا من معينه ، ونقلوا إلينا كل ما نحتاجه ، وكانوا سبباً مباشراً في إسلام الناس ، ووصول العلم الذي جاء به إلى كافة الناس الذين جاءوا من بعدهم ، ويقول الله تعالى في كتابه : ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ ، فهم قد أحسنوا إلينا بالدلالة على الإسلام ، فلابد أن يكون جزاؤهم منا الإحسان أيضاً ، بمعرفتهم وذكر ما قدموا ، والدعاء لهم وإحسان الظن بهم .

قال الإمام ابن عبد البر : «ومن أوكد آلات السنن المعينة عليها والمؤدية إلى حفظها ، معرفة الذين نقلوها عن نبيهم رسول الله ﷺ إلى الناس كافة ، وحفظوها عليه ، وبلغوها عنه ، وهم صحابته الذين رعوها وأدوها ناصحين محتسبين ، حتى كمل بما نقلوه الدين ، وثبتت بهم حجة الله عزّ وجلّ على المسلمين . . .» ، إلى أن قال : «إنما وضع الله عزّ وجلّ أصحاب رسول الله ﷺ بالموضع الذي وضعهم فيه بثنائه عليهم من العدالة والدين والأمانة ، لتقوم الحجة على جميع أهل الملة بما أدوه عن نبيهم من فريضة وسنّة ، فصلى الله عليه ، ورضي عنهم أجمعين ، فنعم العون كانوا له على الدين في تبليغهم عنه إلى من بعده من المسلمين»[١] . وبمعرفتهم يعرف الحديث المرسل من الحديث المسند المرفوع[٢] ويميّز عن المقطوع ، فمعرفة كون الراوي صحابياً نعرف أن حديثه ليس بمرسل بل هو متصل ، وإن كان من قوله عرفنا أنه موقوف وليس بمقطوع ، وهكذا .

المبحث السادس : السُبل التي تعرف بها صحبة الصحابي :

توفي رسول الله ﷺ وخلّف جيلاً من الصحابة كان خيراً من كل الأجيال على مرور الزمن ، جيلاً صحبه وتربى على عينيه ، وتلقّى العلم من توجيهاته ، وتخرّج على يديه ،

(١) في فاتحة كتابه الاستيعاب في معرفة الأصحاب .

(٢) مقدمة ابن الصلاح ص١٥١ ، محاسن الاصطلاح ص٥٠٦ ، الاستيعاب ٥/٣ ، أسد الغابة ٥٧/٣-٥٨ ، سيرة ابن هشام ٥٧٣/٢-٥٧٥ ، تاريخ الطبري ١٢٤/٣-١٢٥ ، سير أعلام النبلاء ٣٠٧/١-٣٠٨ .

اقتدى بأفعاله ، واتبع سيرته ، وأحبه كل الحب ، وفداه أعظم الفداء .

وكان منهم من رأى النبي ﷺ وهو صغير مميز ، فلذا لم يعدّ من جيل الصحابة الكرام ولكنه نشأ بينهم ، وتربّى بإرشاداتهم وتوجيههم ، فكان يعرف الصحابة الذين سبقوه وكانوا على عهد المصطفى ﷺ ، وكان يشار إلى الرجل الذي كان من أصحاب رسول الله ﷺ ، فكان جيل التابعين يعرف الصحابة عن كثب ، ويدرك أدبهم ، ويرتفع بروحهم العالية ، فكيف عُرف الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ؟ .

ذكر العلماء أن هناك طرقاً يُعرف بها كون الرجل صحابياً ، وهذه الطرق هي :

١ - بالتواتر : كصحبة العشرة المبشرة بالجنة ، فإنه قد وصلتنا صحبتهم بنقل الجمّ الغفير ، وكذا من تواترت صحبتهم ممن كان معه في حلّه وترحاله ، وسلمه وحربه ، كزوجاته ﷺ وبناته ، وأصحاب الرايات في الحروب ، وأمراء السرايا .

٢ - بالاستفاضة والشهرة القاصرة عن حدّ التواتر : حيث ترد أخبار تبلغ حدّ الشهرة عن صحبتهم وسؤالهم النبي ﷺ ومعرفة الصحابة لهم ، كضمام بن ثعلبة السعدي رضي الله عنه ، الذي قدم على النبي ﷺ سنة تسع[(١)] ، وسأله عن صدق ما أخبر به الدعاة إلى الإسلام ، ثم قال : «آمنت بما جئت به ، وأنا رسول من ورائي من قومي ، وأنا ضمام بن ثعلبة» ، ثم رجع إلى قومه وأسلموا .

والحديث بقدومه ، رواه أنس بن مالك رضي الله عنه[(٢)] ، وأبو هريرة رضي الله

---

(١) رجح ابن حجر أن قدومه على النبي ﷺ كان سنة تسع . انظر الإصابة ٣/٤٨٦-٤٨٧ ، فتح الباري ١/١٤٨ ، الاستيعاب ٢/٧٥١-٧٥٣ ، أسد الغابة ٣/٥٧-٥٨ ، سيرة ابن هشام ٢/٥٧٣-٥٧٥ ، تاريخ الطبري ٣/١٢٤-١٢٥ ، سير أعلام النبلاء ١/٣٠٧-٣٠٨ .

(٢) رواه البخاري في العلم - باب ما جاء في العلم (٦٣) ١/١٧٩ ، ومسلم في الإيمان (١٢) ١/٤١-٤٢ والترمذي في الزكاة - باب من جاء إذا أديت الزكاة فقد قضيت ما عليك (٦١٩) ٢/٨٠٧ ط . بشار عواد ، وأبو داود في الصلاة - باب ما جاء في المشرك يدخل المسجد (٤٨٦) مختصراً ١/١٣١ ، والدارمي في الطهارة - باب فرض الوضوء والصلاة (٦٥٠) ١/١٠٨ ، والنسائي في الصيام - باب وجوب الصيام (٢٠٨٧-٢٠٨٩) ٤/١٢٣-١٢٦ ، وعبد بن حميد (١٢٨٥) ، والبغوي في شرح السنّة (٤،٣) ، وابن ⇦

عنه[١] ، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما[٢] ، وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنه[٣] ، فيصدق عليه أنه حديث مشهور من رواية هؤلاء ، ولا يعرف له غيره .

وعكاشة بن محصن رضي الله عنه[٤] ، الذي جاء ذكره في الحديث الذي جاء عن رسول الله ﷺ قال : «يدخل الجنة من أمتي زمرة هم سبعون ألفاً ، تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر» فقام عُكاشة بن محصن الأسدي فقال : يا رسول الله ! ادع الله أن يجعلني منهم ، قال : «اللهم اجعله منهم» ، ثم قام رجل من الأنصار ، فقال : يا رسول الله ! ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال : «سبقك بها عكاشة» .

وحديثه هذا رواه من الصحابة : أبو هريرة[٥] ، وابن عباس[٦] رضي الله عنهم .

خزيمة في الصحيح (٢٣٥٨) ، وابن حبان (١٥٤) ، وأبو عوانة ٣/١ ، وابن منده في الإيمان (١٣٠) ، والبيهقي في السنن ٣٢٥/٤ .

(١) رواه النسائي في الصيام ـ باب وجوب الصيام (٢٠٩٠) ١٢٦/٤ .

(٢) رواه أبو داود في الصلاة ـ باب ما جاء في المشرك يدخل المسجد (٤٨٧) مختصراً ١٣٢/١ ، والدارمي في الطهارة ـ باب فرض الوضوء (٦٥١-٦٥٢) ١٠٨/١-١٠٩ ، والطبراني في المعجم الكبير (٨١٤٩-٨١٥٢) ٣٠٥/٨-٣٠٧ ، ورواه الطبراني في الأوسط ، قال الهيثمي عن إحدى رواياته : «ورجال أحمد موثقون» ، وعن الرواية الثانية : «فيه عطاء بن السائب ، وهو ثقة ولكنه اختلط» . مجمع الزوائد ٢٩٠/١ .

(٣) رواه أحمد في المسند ١٦٢/١ ، ولم يذكر اسمه .

(٤) عُكّاشة ـ بضم أوله وتشديد الكاف وتخفيفها أيضاً ـ ابن محصن الأسدي ، في السابقين الأولين ، وشهد بدراً ، وهو من الذين يدخلون الجنة بغير حساب . الإصابة ٥٣٣/٤ ، سير أعلام النبلاء ٣٠٧/١-٣٠٨ .

(٥) رواه البخاري في اللباس ـ باب البرود والحبر والشملة (٥٨١٦) ٢٨٧/١٠ ، وفي الرقاق ـ باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب (٦٥٤٢) ٤١٣/١١-٤١٤ ، ومسلم في الإيمان (٢١٦، ٢١٧) ، وأحمد في المسند ٣٠٢/٢، ٣٥١، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٥٦، ٤٧٣، ٥٠٢ ، وابن منده في الإيمان (٩٧٠-٩٧٥) ، وابن حبان في الصحيح (٧٢٤٤) ٢٢٦/١٤-٢٢٧ ، وأبو عوانة في المسند ١٤٠/١-١٤١ ، وأبو نعيم في الحلية ١٨٤/٨-١٨٥ ، وفي صفة الجنة (٢٤٥-٢٤٧) ، والبيهقي في السنن ١٣٩/١٠ ، والدارمي (٢٨٢٣) ، والحاكم في المستدرك ٢٢٨/٣ .

(٦) رواه البخاري في الرقاق ـ باب ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (٦٤٧٢) مختصراً ٣١٢/١١ ، ⇦

وابن مسعود[١] ، وجابر بن عبد الله[٢] ، وأبو سعيد الخدري[٣] ، وعمران بن حصين[٤] ، وأم قيس بنت محصن[٥] ، وأسماء بنت أبي بكر الصديق[٦] رضي الله عنهم أجمعين ، فيصدق عليه أنه حديث مشهور ، وأن صحبته ثابتة بذلك .

٣ ـ بقول صحابي معروف الصحبة عن آخر بأنه صحابي : كحممة بن أبي حممة الدوسي ، الذي مات بأصبهان مبطوناً[٧] ، فشهد له أبو موسى الأشعري رضي الله عنه

وأطرافه (٥٧٠٥، ٥٧٥٢، ٦٥٤١) ، ورواه مسلم في الإيمان (٢٢٠) ١/١٣٧ـ١٣٨ ، والترمذي في صفة القيامة والرقاق والورع ـ باب (١٦) حديث (٢٤٤٦) وقال : «حسن صحيح» ٤/٢٣٨ـ٢٣٩ ، والنسائي في الكبرى (٧٦٠٤) ، وسعيد بن منصور ، وابن منده في الإيمان (٩٨١ـ٩٨٤) ، وأحمد في المسند (٢٤٤٨، ٢٩٥٤) ١/٢٧١، ٣٢١ ، وأبو عوانة في المسند ١/٨٥ـ٨٦ ، وابن حبان (٦٤٣٠) ١٤/٣٣٩ـ٣٤٠ ، والبيهقي في الشعب (١١٦٣) ، والبغوي (٤٣٢٢) .

(١) رواه أحمد في المسند مطولاً (٣٨٠٦) ١/٤٠١ ، و (٣٩٨٩) ١/٤٠٣ ، و (٤٠٠٠) ١/٤٢٠ ، وعبد الرزاق في المصنف (١٩٥١٩) ، والطبراني في الكبير (٩٧٦٦) ، وأبو يعلى في المسند (٥٣٣٩) ، وابن حبان مطولاً (٦٤٣١) ١٤/٣٤١ـ٣٤٣ ، وإسناده صحيح ، قال الهيثمي : «ورجالهما في المطول رجال الصحيح» . مجمع الزوائد ٩/٣٠٤ـ٣٠٥ ، ثم أورده مطولاً وقال : «رواه أحمد بأسانيد ، والبزار أتم منه ، والطبراني ، وأبو يعلى باختصار كثير ، وأحد أسانيد أحمد والبزار رجاله رجال الصحيح» . مجمع الزوائد ٩/٤٠٦ ، ورواه الطبراني (٩٧٦٨، ٩٧٦٩) ، والبزار (٣٥٣٨) .

(٢) قال الهيثمي : «رواه البزار عن شيخه عمر بن إسماعيل بن مجالد ، وهو مجمع على ضعفه» . مجمع الزوائد ٩/٤٠٦ ، كشف الأستار (٣٥٤١) .

(٣) البزار (٣٥) ، وأبو يعلى [مختصراً (١٠٣١) ٢/٣٠٤ وليس فيه موضع الشاهد] ، قال الهيثمي : «رواه البزار وفيه عطية وهو ضعيف وقد وثق ، ومحمود بن بكر لم أعرفه» . مجمع الزوائد ٩/٤٠٧ .

(٤) رواه الطبراني في الكبير (٣٨٠) ١٨/١٦٩ـ١٧٠ ، و (٤٢٥) مختصراً ١٨/١٨٢ ، ومطولاً (٦٠٥) ١٨/٢٤١ ، ورواه أحمد في المسند ٤/٤٣٦ ، وأبو عوانة في المسند ١/٨٧ .

(٥) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٤٤٥) ٢٥/١٨١ـ١٨٢ ، ومحمد بن سنجر في مسنده ، قال ابن حجر في فتح الباري ١١/٤٢٠ـ٤٢١ : «وعمر بن شبه في أخبار المدينة» .

(٦) قال الهيثمي : «رواه أحمد والطبراني ـ وفيه زيادة ـ ورجالهما ثقات» . مجمع الزوائد ٩/٤١ ، ورواه أحمد في المسند ٦/٣٥٤ـ٣٥٥ .

(٧) مبطوناً : أي الذي يموت بمرض بطنه كالاستسقاء ونحوه . النهاية ١/١٣٦ .

أنه سمع النبي ﷺ حكم له بالشهادة[١] .

أو بطريق اللزوم ، كأن يقول : كنت أنا وفلان عند النبي ﷺ ، أو سمع معي الحديث فلان من النبي ﷺ ، أو دخلت أنا وفلان على النبي ﷺ ، فيلزم منه كون الداخل معه صحابياً .

٤ ـ أن يخبر آحاد التابعين عن رجل بأنه صحابي : وذلك لأن التزكية من واحد مقبولة ، قال ابن حجر : «وهو الراجح»[٢] .

٥ ـ قول الصحابي : «**أنا صحابي**» : إذا كان ثابت العدالة[٣] وبشرط المعاصرة ، فأما

---

(١) ذكر ذلك أبو نعيم في تاريخ أصبهان ٧١/١ ، وأبو داود الطيالسي في المسند ١٤٢/٢ .

والحديث عن حميد بن عبد الرحمن الحميري ، أن رجلاً يقال له : «حممة» من أصحاب رسول الله ﷺ خرج إلى أصبهان غازياً في خلافة عمر رضي الله عنه ، فقال : «اللهم إن حممة يحب لقاءك ، فإن كان حممة صادقاً فاعزم له بصدق ، وإن كان كارهاً فاعزم له عليه وإن كره ، اللهم لا يرجع من سفره هذا» ، فأخذه الموت ، قال عفان مرةً : «البطن» فمات بأصبهان ، قال : فقام أبو موسى الأشعري رضي الله عنه فقال : «يا أيها الناس ألا إنا والله ما سمعنا فيما سمعنا من نبيكم ، وما بلغ علمنا إلا أن حممة شهيد» . وهو عند أحمد في المسند ٤٠٨/٤ ، وابن المبارك في الجهاد ص١٤٤ ، والطبراني في المعجم الكبير (٣٦١٠) ، وأبو الشيخ في طبقات محدثي أصبهان ٢٨٧/١ ، بسند صحيح . قال الهيثمي : «رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح غير داود بن عبد الله الأودي وهو ثقة وفيه خلاف» . مجمع الزوائد ٤٠٠/٩ ، وقال : «رواه الطبراني في الكبير وأحمد ، وفيه داود الأودي وثقه ابن معين في رواية ، وضعّفه في أخرى» . مجمع الزوائد ٣١٧/٢ . قال ابن حجر : «رواه أبو داود ـ هو الطيالسي ـ ومسدد والحارث في مسانيدهم ، وابن أبي شيبة في المصنف » . الإصابة ١٥٢/٢ ، وانظر مصنف ابن أبي شيبة ٥٢/٨ ، وانظر الإصابة ٨/١ ، تدريب الراوي ٢١٣/٢ .

(٢) الإصابة ٨/١ ، نزهة النظر ص٥٦ ، تدريب الراوي ٢١٣/٢ ، فتح المغيث ٩٦/٣ ، ولم يذكر ذلك ابن الصلاح ص١٤٦ ، والصحيح الذي اختاره أبو بكر الخطيب وغيره ، أنه يثبت ـ التعديل ـ بواحد ؛ لأن العدد لم يشترط في قبول الخبر ،فلم يشترط في جرح راويه وتعديله ، بخلاف الشهادات . مقدمة ابن الصلاح ص٥٢ ، محاسن الاصطلاح ص٢٩٣ ، الكفاية ص٩٧ ، تدريب الراوي ٣٠٨/١-٣٠٩ .

(٣) قال البلقيني : «فائدة : لا يقال : هذا منافٍ لما سيأتي عن الصحابة بأسرهم خصيصة ، وهي أنه لا يسأل عن عدالة أحد منهم ؛ لأنا نقول : الخصيصة لمن ظهرت صحبته ، لا لكل من ادعاها ؛ لجواز أن يكون فاسقاً فلا يقبل قوله» . محاسن الاصطلاح ص٤٩٠ ، يعني : اشتراط العدالة ينافي كون الصحابة عدولاً ⇐

شرط العدالة ؛ فلأن قوله قبل أن تثبت عدالته : «أنا صحابي» أو ما يقوم مقام ذلك ، يلزم قبوله إثبات عدالته ، فيصير بمنزلة قول القائل : أنا عدل ، وذلك لا يقبل كما هو معروف ، فيشترط ثبوت عدالته واستقرارها قبل قوله : «أنا صحابي» .

وأما شرط المعاصرة[١] ، فيعتبر بمضي مائة وعشر سنين من هجرة النبي ﷺ ؛ لقوله ﷺ في آخر عمره لأصحابه : «أرأيتكم ليلتكم هذه ، فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى على وجه الأرض ممن هو اليوم أحد»[٢] . زاد مسلم في حديث جابر رضي الله عنه : إن ذلك كان قبل موته ﷺ بشهر ، ولفظه : سمعت النبي ﷺ يقول - قبل أن يموت بشهر - : «أقسم بالله ما على الأرض من نفسٍ منفوسة اليوم ، يأتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ»[٣] . وقد كان آخر الصحابة موتاً ، أبو الفضل عامر بن واثلة رضي الله عنه ،

كلهم ؛ لأن هذا الاشتراط فيمن ادعى الصحبة ، لا فيمن ثبتت صحبته .

(١) قال ابن كثير : «إذا قال المعاصر [أي للنبي ﷺ ، بأن كان موجوداً قبل السنة العاشرة من الهجرة] العدل : أنا صحابي ، فقد قال ابن الحاجب في مختصره : احتمل الخلاف [منتهى الوصول ص٨٠]» ، يعني قبولاً ومنعاً ، كما في فتح المغيث ٩٢/٤ ، وانظر المسودة لآل تيمية ص٢٩٢ ، والتمهيد للكلوذاني ١٧٥/٣ إرشاد الفحول للشوكاني ص٧١ .

قال ابن كثير : «يعني لأنه يخبر عن حكم شرعي ، كما لو قال في الناسخ : هذا ناسخ لهذا ؛ لاحتمال خطئه في ذلك ، أما لو قال : سمعت رسول الله ﷺ قال كذا ، أو رأيته فعل كذا ، أو كذا عند رسول الله ﷺ ونحو ذلك ، فهو مقبول لا محالة إذا صح السند إليه ، وهو ممن عاصره عليه السلام» . انظر الباعث الحثيث ٥١٧/٢-٥١٨ .

(٢) رواه البخاري عن ابن عمر في العلم - باب السمر في العلم (١١٦) ٢٥٥/١ ، وفي مواقيت الصلاة - باب ذكر العشاء والعتمة (٥٦٤) ٥٤/٢ ، وباب السمر في الفقه والخير بعد العشاء (٦٠١) ٨٨/٢ ، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٥٣) ١٩٦٥/٤-١٩٦٦ عن ابن عمر، وأبو داود في الملاحم - باب قيام الساعة (٤٣٤٨) ١٢٥/٤ ، والترمذي في الفتن - باب رقم (٥٥) حديث (٢٣٥٢) وقال : «حديث صحيح» ٣٥٤/٣-٣٥٥ .

(٣) رواه مسلم في فضائل الصحابة (٢٥٣٨) ١٩٦٦/٤ ، والترمذي في الفتن - باب رقم (٥٥) حديث رقم (٢٣٥١) وقال : «حديث حسن» ٣٥٤/٣ ، وأحمد في المسند ٣٢٦/٣ ، وأبو يعلى في المسند ٤٣٣/٣.

وذلك سنة مائة وعشر سنين[١].

٦ ـ أن يكون من أمراء الفتوح في زمن الراشدين : فإنهم كانوا لا يُؤمَّرون إلا أفراداً من أصحاب النبي ﷺ ، فعن عتبة بن غزوان رضي الله عنه قال : «ولقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ ، ما لنا طعام إلا ورق الشجر ، قرحت أشداقنا ، فالتقطت بردة فشققتها بيني وبين سعد بن مالك ، فاتزرت بنصفها واتزر سعد بنصفها ، فما أصبح اليوم منا أحد إلا أصبح أميراً من الأمراء»[٢] ، وعتبة هذا قد سيره عمر بن الخطاب رضي الله عنه لفتح الأُبلّة ـ بلدة على شاطئ دجلة ـ فافتتحها ، واختط البصرة ، وهو أول من مصّرها وعمّرها ، وفتح عتبة دست ميسان[٣].

وأما سعد بن مالك الذي ذكره عتبة ، فهو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، وهو من القادة العسكريين في الدولة الإسلامية ، حيث استعمله عمر بن الخطاب على الجيوش الذين سيرهم لقتال الفرس ، وكان أميراً للجيش الذين هزموا الفرس بالقادسية وبجلولاء ، وفتح المدائن ـ مدائن كسرى بالعراق ـ وبنى الكوفة ، وولي العراق لعمر ، ثم لعثمان ، ثم لما قتل عثمان اعتزل الفتنة[٤] ، وسعد صحبته ثابتة بالتواتر لأنه من العشرة المبشرة بالجنة .

وفي إطلالة قصيرة على التراجم ، وجدت من ذلك الكثير ، ومن هؤلاء :

ـ خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنه ، فإن أول لواء عقده أبو بكر كان لخالد

---

(١) انظر الإصابة ١١٣/٤ ، ط . الحلبي ، الاستيعاب ١١٥/٤-١١٨ ، أسد الغابة ٥٣٠/٢-٥٣١ ، ١٨/٥-١٩ ، تدريب الراوي ٢٢٨/٢-٢٢٩ . قال ابن حجر : «رأى النبي ﷺ وهو شاب ، وحفظ عنه أحاديث ، وفي ذلك خلاف» . الإصابة ٢٣٠/٧ تحقيق البجاوي .

(٢) رواه مسلم في الزهد والرقاق (٢٩٦٧) ٢٢٧٨/٤-٢٢٧٩ ، قال ابن حجر : «قلت : وقد تقدم أنهم لا يؤمِّرون في الفتوح إلا الصحابة» . الإصابة ٥٠٣/٣ .

(٣) انظر أسد الغابة ٢٠١/٣-٢٠٢ ، الإصابة ٤٥٥/٢ ، سير أعلام النبلاء ٣٠٤/١-٣٠٦ .

(٤) انظر الاستيعاب ١٨/٢-٣٣ ، أسد الغابة ٣٠٦/٢-٣١١ ، الإصابة ٣٣/٢-٣٤ ، سير أعلام النبلاء ٩٢/١-١٢٤ .

هذا ، فخرج مجاهداً وشهد فتح أجنادين سنة (١٣هـ) ، ثم استشهد في معركة مرج الصفر قرب دمشق[١] .

- المثنى بن حارثة الشيباني رضي الله عنه ، صحابي كريم من كبار القادة الفاتحين ، مات بالعراق قبل وصول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه مدداً له[٢] .

- وعياض بن غَنْم الفهري رضي الله عنه ، صحابي من أول المهاجرين ومن القادة ، نزل الشام وفتح بلاد الجزيرة في أيام عمر رضي الله عنه[٣] .

- وميسرة بن مسروق العبسي رضي الله عنه ، كان أحد التسعة الذين وفدوا على النبي ﷺ ، كانت رايته أول راية دخلت مدينة حمص من أرض الشام ، وتولى سنة (٢٠هـ) قيادة جيش من أربعة آلاف ، زحف به من الشام إلى أرض الروم ، فظفر وغنم فكان جيشه أول جيش إسلامي يدخل أرض الروم[٤] .

- والعلاء بن الحضرمي رضي الله عنه ، ولاه رسول الله ﷺ البحرين ، وأقره أبو بكر رضي الله عنه ، ووجهه عمر رضي الله عنه إلى البصرة ، وقاتل في البحر ، وكان أول من فتح جزيرة بأرض فارس في الإسلام[٥] .

- ونعيم بن مقرِّن المزني رضي الله عنه ، خلف أخاه النعمان بن مقرِّن حين قتل بنهاوند ، فكانت على يديه فتوح كثيرة في الشرق ، وحاصر مدينة همْذان وكان أول من قاتل في الديلم من المسلمين[٦] .

- والمنذر بن أبي حميضة - وقيل : حمضة - قال ابن حجر : «له إدراك ، وكان من

---

(١) انظر الوافي بالوفيات ١٣/٢٥٢-٢٥٣ ، البداية والنهاية ٧/٣،٤،٣٢ .

(٢) انظر الإصابة ٣/٣٦١-٣٦٢ ، أسد الغابة ٤/٤٤-٤٥ .

(٣) انظر الإصابة ٣/٥٠ ، أسد الغابة ٣/٤٣٨ ، صفة الصفوة ١/٢٧٧-٢٧٨ .

(٤) انظر الإصابة ٣/٤٤٩ ، تهذيب تاريخ دمشق ٢/٣٦٤ ، أسد الغابة ٤/٢٠٦-٢٠٧ .

(٥) انظر أسد الغابة ٣/٢٧٢-٢٧٣ ، صفة الصفوة ١/٢٩٠-٢٩١ .

(٦) انظر أسد الغابة ٤/٢٤٨ ، البداية والنهاية ٧/١٢١-١٢٢ .

القادة ، شهد فتح الشام»[١] .

- والبراء بن مالك رضي الله عنه ، كان قائد الجيش في تُسْتر ، وهو أخو أنس بن مالك رضي الله عنه[٢] .

- وسعيد بن العاص بن سعيد بن العاص رضي الله عنه فتح طبرستان عام (٣٠هـ)[٣] .

- والربيع بن زياد بن أنس الحارثي رضي الله عنه ، افتتح سجستان (٢٩هـ) ، وولي خراسان فقاتل بلاد ما وراء النهر عام (٥١هـ) وانتصر عليهم[٤] .

ومن تتبع الأخبار الواردة في الردة والفتوح ، وجد من ذلك شيئاً كثيراً .

٧ ـ أن يثبت أن الرجل كان عام حجة الوداع من أهل المدينة ، أو مكة والطائف وما بينهما : سواء كان من الحضر أو الأعراب ، فإنهم أسلموا وشهدوا حجة الوداع ، ورأوا النبي ﷺ ، فصدق عليهم اسم الصحبة .

وهذه السُبل التي ذكرها العلماء لإثبات صحبة الصحابي ، هي سبل منطقية معقولة المعنى ، لابد أن يعتمد عليها الباحث الذي يريد أن يصل إلى الحق في هذا الموضوع الهام ، ولا يجوز لأحد أن يردها ويشيح في بحثه عن اعتبارها إلا إذا كان صاحب هوى يميل معه ويندفع بحكمه ، فلا يبصر الحق الصُراح ولا الشمس الوضّاءة في وضح النهار ، إنه إنسان يتبع رأياً لا يثبت في ميدان الاختبار ، ولا يرجح عند التمحيص ، فمن ثبتت صحبته بأحد الطرق السابق ذكرها ، هو صحابي له فضله وعدالته ، ونفي هذه الصحبة بدون دليل قاطع تجن على الحق ، وعدول عن السبيل القويم ، والله المستعان ، وعليه التكلان .

---

(١) انظر الإصابة ٥٠٣/٣ ، قال ابن حجر : «وقد تقدم أنهم كانوا لا يؤمرون في الفتوح إلا الصحابة ، وهذا يحتمل أن يدخل في ذلك» .

(٢) انظر الإصابة ١٤٣/١-١٤٤ ، الاستيعاب ١٣٧/١-١٣٨ .

(٣) الاستيعاب ٣٢٨/٢ - ٣٢٩ ، أسد الغابة ٦٢١/٢-٦٢٥ .

(٤) انظر الاستيعاب ١٧٥/٢-١٧٦ ، أسد الغابة ٤٨٨/٢ .

نتائج البحث :

الحمد لله تعالى في البدء والختام ، حيث وفقني سبحانه على إتمام هذا البحث الذي كنت أظنه أيسر مما كان عليه ، وقد تبين لي منه نتائج يمكن أن ألخصها في النقاط التالية :

١ ـ اختلاف العلماء في تعريف الصحابي سواء في ذلك أهل الحديث وغيرهم ، وبخاصة في القرون الأولى ، ثم استقرار الأمر عند المتأخرين في أنه : «من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام» ، دون شرط آخر ، اللهم إلا بعض علماء الأصول الذين اشترطوا طول مدة الصحبة ، وأرى أن الصواب مع الجمهور من غير هذا الشرط .

٢ ـ وجدت موضوعات العلم مختلفة تحتاج إلى تمحيص وتدقيق ، ونقل آراء العلماء فيها بدقة دون عموميات وإطلاقات لا نجدها في حيز الواقع ، كما وضح في البحث حيث قالوا : إن عامة أهل الحديث يأخذون بمعنى الصحبة اللغوية ولا يشترطون الملازمة ، مع أني وجدت أئمة من أهل الحديث يشترطون الملازمة لثبوت الصحبة .

٣ ـ الحاجة إلى الاستدلال على كثير من الأمور بالنصوص الشرعية وربطها بالأدلة لتكون أقوى في الدلالة ، وأقوم في الاحتجاج ، كما فعلت في قضية ما كان يشعر به الصحابة الكرام رضوان الله عليهم في مجالسة النبي ﷺ ، ودعوته للأطفال منهم .

٤ ـ متابعة الباحثين لبعضهم بعضاً في ذكر الأمثلة على قضية من القضايا ، حتى لو كانت مخالفة للقضية الممثل لها ، كما وجدت في قضية التمييز ، وتمثلهم ببعض الصحابة وأنهم غير مميزين ، علماً أنهم كانوا قد بلغوا سن التمييز .

والله أسأل أن يكون هذا البحث مساهمة في توضيح بعض الأمور التي تحتاج إلى توضيح وتجلية عما هي عليه وتمحيصها ، والتدقيق في القضايا العلمية المتعلقة بعلوم الحديث ، راجياً من الله تعالى السداد والتوفيق والفلاح .

والحمد لله في البدء والختام .

مراجع البحث

- الإبهاج ، للسبكي على بن عبد الكافي (٧٥٦هـ) ، وابنه عبد الوهاب بن علي (٧٧١هـ) ، شرح منهاج البيضاوي (٦٨٥هـ) ، تحقيق د . شعبان بن محمد إسماعيل ، مكتبة الكليات الأزهرية ١٤٠١هـ .

- الإحكام في أصول الأحكام ، للآمدي علي بن محمد (٦٣١هـ) ، تحقيق د . سيد الجميلي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٤٠٦هـ .

- الإحكام في أصول الأحكام ، لابن حزم الظاهري (٤٥٧هـ) ، دار الجيل ، بيروت ط . ثانية ١٤٠٧هـ .

- أخبار أصبهان ، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (٤٣٠هـ) ، الدار العلمية ، دلهي الهند .

- اختصار علوم الحديث ، لابن كثير إسماعيل بن عمر القرشي (٧٧٤هـ) ، انظر الباعث الحثيث .

- الأدب المفرد ، للبخاري محمد بن إسماعيل (٢٥٦هـ) ، ط . محمد فؤاد عبد الباقي المطبعة السلفية ١٣٧٥هـ .

- إرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة سنن خير الخلائق ، للنووي (٦٧٦هـ) ، تحقيق د. نور الدين عتر ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ١٤١١هـ .

- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (١٢٥٠هـ) ، تحقيق د . شعبان محمد إسماعيل ، دار السلام للطباعة ، مصر ، ط . أولى ١٣١٨هـ .

- أساس البلاغة ، لجار الله الزمخشري (٥٣٨هـ) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥م .

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، لابن عبد البر (٤٦٣هـ) ، تحقيق طه الزيني ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ط . أولى ، القاهرة (مع الإصابة) .

- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لابن الأثير الجزري (٦٣١هـ) تصحيح الشيخ عادل أحمد الرفاعي - دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .

- الإصابة لتمييز الصحابة ، لابن حجر أحمد بن علي العسقلاني (٨٥٢هـ) ، تحقيق طه الزيني ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ط . أولى ، القاهرة .

- أصول السرخسي ، لأبي بكر محمد بن أحمد بن أبي سهيل (٤٩٠هـ) ، تحقيق د . رفيق العجم ، دار المعرفة ، بيروت ١٤١٨هـ .

- ألفية مصطلح الحديث ، للسيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ) ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، طبع الحلبي ، مصر ١٣٥٣هـ .

- الأم ، للإمام الشافعي محمد بن إدريس المطلبي (٢٠٣هـ) ، تحقيق محمد زهري النجار ، ط٢ ، دار المعرفة ، بيروت ١٣٩٣هـ .

- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث بشرح الشيخ أحمد شاكر ، ط . أولى ١٤١٥هـ ، دار المعرفة ، الرياض .

- البحر المحيط في أصول الفقه ، للزركشي (٧٩٤هـ) ، ط . أولى ١٤٠٩هـ ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الكويت ، دار الصفوة ، مصر .

- تاج العروس من جواهر القاموس ، للفيروز آبادي محمد بن يعقوب (٨١٧هـ) ، تأليف محمد مرتضى الزبيدي (١٢٠٥هـ) ، القاهرة ١٣٠٦- ١٣٠٧هـ .

- تاريخ أصبهان ، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق المهراني الأصبهاني (٤٣٠هـ) ، تحقيق سيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .

- تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي علي بن أحمد بن ثابت (٤٦٣هـ) ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٩٤هـ .

- تاريخ دمشق ، لابن عساكر أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله (٥٧١هـ) ، تحقيق عمر بن غرامة العمروي ، دار الفكر ، بيروت ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .

- التبصرة والتذكرة شرح ألفية العراقي في المصطلح ، للعراقي زين الدين عبد الرحيم ابن الحسين (٨٠٦هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٣٩٩هـ .

- التحرير في أصول الفقه الجامع بين اصطلاح الحنفية والشافعية ، لكمال الدين محمد ابن عبد الواحد المشهور بابن الهمام (٨٦١هـ) . انظر تقرير التحرير ، وتيسير التحرير .

- تدريب الراوي شرح تقريب النواوي ، للسيوطي جلال الدين عبد الرحمن (٩١١هـ) ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، ط٢، دار إحياء السنة النبوية ١٣٩٩هـ .

- تذكرة الحفاظ ، للذهبي (٧٤٨هـ) ، تحقيق عبد الرحمن المعلمي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

- تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير إسماعيل بن عمر القرشي (٧٧٤هـ) ، تحقيق لجنة دار الخير ، ط٢ بيروت ١٤١٤هـ .

- تقريب التهذيب ، لابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) ، تحقيق محمد عوامة ، دار الرشيد ، حلب .

- تقرير التحرير في علم الأصول ، لابن أمير الحاج (٨٧٩هـ) ، ط . أولى ، دار الفكر ، بيروت ١٤١٧هـ .

- تيسير التحرير ، للعلامة محمد أمين المعروف بأمير بادشاه ، دار الفكر ، بيروت .

- التقييد والإيضاح لما أطلق وأغلق من مقدمة ابن الصلاح ، للعراقي (٨٠٦هـ) ، ط. أولى ، حلب .

- تلقيح فهوم أهل الأثر ، لابن الجوزي (٥٩٧هـ) ، ط . مصر .

- تهذيب التهذيب ، لابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) ، تصوير دار صادر ، بيروت.

- تهذيب الكمال ، للمزي (٧٤٢هـ) ، تحقيق د . بشار عواد ، مؤسسة الرسالة ، ط . أولى ١٤٠٠هـ ، بيروت .

- جامع التحصيل في أحكام المراسيل ، للعلائي ، تحقيق حمدي السلفي ، ط . أولى ١٣٩٨هـ ، الدار العربية ، بغداد .

- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، للخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) ، تحقيق أ. د. محمد عجاج الخطيب ، ١٤١٢هـ .
- الجرح والتعديل ، لابن أبي حاتم الرازي ، ط . حيدر آباد الدكن ، الهند ١٣٧١هـ .
- حلية الأولياء ، لأبي نعيم الأصهباني ، مطبعة السعادة ١٣٥١هـ ، مصر .
- خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ، للخزرجي ، ط . مصر ١٣٠١هـ .
- الرسالة ، للإمام الشافعي (٢٠٤هـ) ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ١٣٥٨هـ .
- روائع البيان في تفسير آيات الأحكام ، للشيخ محمد علي الصابوني - ط . أولى ، دار القرآن الكريم ، بيروت .
- روضة الناظر وجنة المناظر ، لابن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ) . انظر نزهة الخاطر .
- الزهد والرقائق ، عبد الله بن المبارك (١٨١هـ) ، تحقيق نزيه حماد ، مجمع البحوث الإسلامية ، الأزهر ١٩٧٨م .
- سلم الوصول لشرح نهاية السول في شرح منهاج الأصول ، للشيخ محمد بخيت المطيعي ، دار عالم الكتب ، بيروت .
- السنن ، لابن ماجه محمد بن يزيد (٢٧٣هـ) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط . عيسى البابي الحلبي ، مصر .
- السنن ، لأبي داود سليمان بن الأشعث (٢٧٥هـ) ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار إحياء التراث العربي .
- السنن ، للترمذي محمد بن عيسى بن سورة (٢٧٩هـ) ، تحقيق أحمد شاكر وفؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ، بيروت .
- السنن ، للدارقطني علي بن عمر (٣٨٥هـ) ، دار الفكر ، بيروت .
- السنن ، للدارمي أبي محمد بن عبد الرحمن (٢٥٥هـ) ، تحقيق مصطفى البغا .

- السنن الكبرى ، للبيهقي أحمد بن الحسين (٤٥٨هـ) ، دار الفكر ، بيروت .
- السنن ، للنسائي أحمد بن شعيب (٣٠٣هـ) ، دار الفكر ، بيروت .
- السنن الكبرى ، للنسائي ، ط . أولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١١هـ .
- السنة ، لابن أبي عاصم (٢٨٧هـ) تحقيق الألباني ، ط.المكتب الإسلامي ، بيروت.
- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ، د . مصطفى السباعي ، ط . أولى لدار الوراق ١٤١٩هـ ، المكتب الإسلامي .
- السيرة النبوية - وهي مستخرجة من كتابه التاريخ - ، لابن جرير الطبري ، تحقيق جمال بدران ، ط . أولى ، الدار المصرية اللبنانية ١٤١٤هـ .
- السيرة النبوية ، لمحمد بن هشام ، ط . الكليات الأزهرية ، القاهرة .
- شرح السنة ، للبغوي الحسين بن مسعود (٥١٦هـ) ، تحقيق الأرناؤوط ، ط . المكتب الإسلامي ، بيروت .
- شرح مشكل الآثار ، لأبي جعفر الطحاوي أحمد بن محمد بن سلامة (٣٢١هـ) ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، ط . مؤسسة الرسالة ١٤١٥هـ .
- شرح معاني الآثار ، للطحاوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٣٩٩هـ .
- صحيح ابن حبان (٣٧٥هـ) - الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان لابن بلبان الفارسي (٧٣٩هـ) ، ط . أولى ، دار الفكر ، بيروت .
- صحيح ابن خزيمة ، أبو بكر محمد بن إسحاق (٣١١هـ) ، تحقيق د . مصطفى الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ١٣٩١هـ .
- صحيح البخاري ، انظر فتح الباري .
- صحيح مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٦١هـ) ، عناية محمد فؤاد عبد الباقي ، مصر .
- صفة الصفوة ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (٥٩٧هـ) ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر .

- الطبقات ، لمسلم بن الحجاج ، تحقيق أبو عبيدة مشهور ، ط . أولى ١٤١١هـ .

- طبقات الشافعية ، لأبي بكر بن هداية الله الحسيني (١٠١٤هـ) ، حققه وعلق عليه عادل نويهض ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٤٠٢هـ .

- طبقات الشافعية الكبرى ، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (٧٧١هـ) ، ط . ثانية ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت .

- الطبقات الكبرى ، لمحمد بن سعد (٢٣٠هـ) ، دار التراث العربي ، بيروت .

- عمل اليوم والليلة ، لابن السني أبو بكر أحمد بن محمد الدينوري (٣٦٤هـ) ، طبع دائرة المعارف النظامية ، حيد آباد الدكن ١٣١٥هـ .

- عمل اليوم والليلة ، للنسائي أحمد بن شعيب (٣٠٥هـ) ، تحقيق د . فاروق حمادة، ط ٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٦هـ .

- الفائق لغريب الحديث ، لجار الله محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨هـ) ، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم طه ، ط٢ الحلبي ، مصر .

- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) ، ط . أولى الريان ، مصر .

- فتح المغيث شرح ألفية الحديث ، للسخاوي (٩٠٢هـ) ، تحقيق علي حسين ، ط . أولى ١٤٠٩هـ ، الجامعة السلفية بنارس ، الهند .

- فتح المغيث شرح ألفية الحديث ، للعراقي (٨٠٦هـ) ، ط . الهند .

- فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت ، لعبد العلي اللكنوي ، بولاق ١٣٢٢هـ .

- القاموس المحيط ، للفيروزآبادي ، ط . مؤسسة الحلبي ، القاهرة .

- قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ، للشيخ محمد جمال الدين القاسمي (١٣٢٢هـ) ، تحقيق محمد بهجة البيطار ، دار النفائس ، بيروت ١٤١٤هـ .

- كشف الأستار إلى زوائد البزار ، للهيثمي نور الدين علي بن أبي بكر (٨٠٧هـ) ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٣٩٩هـ .

- كشف الأسرار على أصول فخر الإسلام البزدوي ، لعبد العزيز بن أحمد البخاري (٧٣٠هـ) ، تعليق محمد المعتصم بالله البغدادي ، ط٢ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٤١٤هـ .

- الكفاية في علم الرواية ، للخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) ، ط . الهند ١٣٥٧هـ .

- لسان العرب ، لابن منظور محمد بن مكرم الإفريقي ، ترتيب يوسف خياط ونديم مرعشلي ، ط . دار لسان العرب ، بيروت .

- اللباب في تهذيب الأنساب ، لعز الدين بن الأثير الجزري (٦٣٠هـ) ، مكتبة المثنى ببغداد .

- لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث ، للشيخ عبد الفتاح أبو غدة ، ط٢ ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب .

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للهيثمي نور الدين علي بن أبي بكر (٨٠٧هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٤٠٢هـ .

- محاسن الاصطلاح وتضمين علوم الحديث لابن الصلاح ، لسراج الدين البلقيني عمر ابن نصر (٨٠٥هـ) ، تحقيق د . عائشة عبد الرحمن ـ بنت الشاطئ ـ ، ط . دار المعارف ، مصر ١٤١١هـ .

- المحدث الفاصل بين الراوي والواعي ، لحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي (٣٦٠هـ) تحقيق أ . د . محمد عجاج الخطيب ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠٤هـ .

- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، لأبي الحسن علي بن الحسين المسعودي (٣٤٦هـ) دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة ، بيروت ١٤٠٢هـ .

- المستدرك على الصحيحين ، للحاكم أبي عبد الله النيسابوري (٤٠٥هـ) ، دار المعرفة ، بيروت .

- المستصفى من علم الأصول ، لأبي حامد الغزالي (٥٠٥هـ) ، تقديم الشيخ إبراهيم محمد رمضان ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت ١٤١٤هـ .

- مسند ابن الجعد ، علي بن الجعد (٢٣٠هـ) ، تحقيق عبد المهدي عبد الهادي ، مكتبة الفلاح ، الكويت ١٤٠٥هـ .
- مسند أبي عوانة ، يعقوب بن إسحاق الإسفراييني (٣١٦هـ) ، ط . الهند .
- المسند لأبي يعلى ، أحمد بن علي التميمي (٣٠٧هـ) ، حققه حسين سليم أسد ، ط . دار المأمون ، دمشق ١٤٠٤هـ .
- المسند ، أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) ، ط . المكتب الإسلامي ، بيروت .
- المسند للحميدي ، عبد الله بن الزبير (٢١٩هـ) ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، عالم الكتب ، بيروت .
- مسند الشهاب ، للقضاعي (٤٥٤هـ) ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٥هـ .
- مسند الطيالسي ، سليمان بن الجارود (٢٠٤هـ) ، ط . الهند ١٣٢١هـ .
- المسند ، لعبد بن حميد (٢٤٩هـ) ، تحقيق السامرائي والصعيدي ، عالم الكتب ، بيروت ١٤٠٨هـ .
- المصنف ، لابن أبي شيبة عبد الله بن محمد (٢٣٥هـ) ، تعليق سيد اللحام ، دار الفكر ، بيروت ١٤١٤هـ .
- المصنف ، لعبد الرزاق الصنعاني (٢١١هـ) ، تحقيق الأعظمي ، توزيع المكتب الإسلامي ، بيروت ١٤٠٣هـ .
- المعجم الصغير ، للطبراني (٣٦٠هـ) مع الروض الداني ، تحقيق محمد شكور ، المكتب الإسلامي ، بيروت ١٤٠٥هـ .
- المعجم الكبير ، للطبراني ، تحقيق السلفي ، ط٢ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- معجم مقاييس اللغة ، لأحمد بن فارس ، تحقيق عبد السلام هارون .
- معرفة علوم الحديث للحاكم ، تحقيق معظم حسين ، المكتب التجاري ، ط٢

١٩٧٧م .

- مقدمة ابن الصلاح ، لأبي عمرو عثمان الشهرزوري (٦٤٢هـ) ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠٨هـ .

- المنتقى ، لابن الجارود عبد الله بن علي ، نشر حديث أكادمي ، باكستان .

- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، للنووي أبي زكريا يحيى بن شرف (٦٧٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٣٩٢هـ .

- المنهاج في شعب الإيمان ، للحليمي الحسين بن الحسن ، دار الفكر ، بيروت ١٩٧٩م .

- الموطأ ، لمالك بن أنس الأصبحي الإمام (١٧٩هـ) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط . الحلبي ، مصر .

- نزهة الخاطر العاطر شرح روضة الناظر وجنة المناظر ، لابن بدران الدمشقي ، ط٢ دار ابن حزم ومكتبة الهدى ، ١٤١٥هـ .

- نزهة النظر شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر ، لابن حجر ، مؤسسة ومكتبة الخافقين ، دمشق ١٤٠٠هـ .

- نهاية السول في شرح منهاج الوصول ، للبيضاوي ، انظر سلم الوصول .

- النهاية في غريب الحديث ، لابن الأثير محب الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (٦٠٦هـ) ، دار الفكر ، بيروت ١٤١٨هـ .

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لأحمد بن محمد (ابن خلكان) ، تحقيق د . إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت .

- اليواقيت والدرر شرح نخبة الفكر ، لعبد الرؤوف المناوي (١٠٣١هـ) ، تحقيق ربيع السعودي ، ط . أولى ، مكتبة الرشد ، الرياض ١٤١١هـ .

منهج الإمامين يحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي
في الرواية عن المجهولين الضعفاء

أ. حسن مظفر الرزو*

التعريف بالبحث :

يعد كل من الإمامين : يحيى بن سعيد القطان ، وعبد الرحمن بن مهدي من جهابذة نقاد علم الحديث دراية ورواية ، وقد اشتهرت عبارة : «ضعفه يحيى القطان وابن مهدي» في كتب الحديث ، واعتبرت قاعدة عامة للحكم على كمّ كبير من رواة الحديث ونقلته .

وللوقوف على الحدود النقدية لعبارات هذين الإمامين بهذا المضمار ، عمدنا إلى تتبع أقوالهما المنقولة في دواوين علم الجرح والتعديل ، مع التنقير عن علة الحكم الذي أصدره كل منهما بصدد رواة الحديث ؛ لكي تتضح لنا مفردات منهجهما النقدي لدى من يسير بهديه ، بحيث يمكن توظيفها في صيرفة الرجال دون الوقوع في لبس عند إصدار الحكم على هذا المحدث أو ذاك .

وقد ظهرت لنا بعد هذه الجولة في أقوالهما نتائج مهمة ستراها في آخر هذا البحث ، ونسأل الله أن نكون قد أصبنا الصواب ، والحمد لله رب العالمين .

* مدير مركز بحوث المعلوماتية والصناعة البرمجية في كلية الحدباء الجامعة في الموصل بالعراق ، ولد سنة (١٩٥٦م) ، وحصل على درجة بكالوريوس هندسة كيميائية من كلية الهندسة بجامعة بغداد سنة (١٩٧٨م) وعلى ماجستير هندسة محاكاة البيئة بالحاسوب من كلية الهندسة بجامعة الموصل سنة (١٩٨٧م) ، وله اشتغال بعلوم السنّة ، ومن كتبه : «عبد الله بن لهيعة دراسة نقدية تحليلية في تصحيح منزلته وأحاديثه» .

١ . مقدمة

بدأ علم الجرح والتعديل يستأثر باهتمام الباحثين في عموم رقعة العالم الإسلامي في وقتنا هذا ، فنشطت حركة تحقيق المخطوطات المبثوثة في مكتبات العالمين الإسلامي والغربي ، واحتشدت دور النشر بحجم كبير من دواوين الضعفاء ، والكتب المصنفة في طبقات رواة الحديث ونقلته ، وكجزء تكميلي لتحقيق هذه الأسفار الجليلة ، عمد الباحثون إلى التعليق على عبارات المؤلفين باعتماد ما شاع من كتب الرجال ، كميزان الاعتدال للحافظ الذهبي ، وتهذيب التهذيب لخاتمة الحفاظ ابن حجر العسقلاني ، والرفع والتكميل في الجرح والتعديل لأبي الحسنات اللكنوي ، وقد غفل البعض عن اعتماد قواعد محكمة قبل إصدار الحكم النقدي بشأن هذا المحدث أو ذاك ، وعمدوا مسرعين إلى إلصاق تهمة الضعف بهذا المحدث أو توثيق ذلك ، دون مكابدة مفردات الجرح والتعديل التي تقتضي ضرورة تعاهد كتب أئمة نقد الرجال وصيرفتهم ، والانكباب على دراسة ما نقل عنهم بأناة ؛ للوقوف على ما اصطلحوا عليه ، وضبط مناط إلصاق التهمة براوي الحديث لدى هذا الناقد وذاك ، فاختلطت الأقوال وتضاربت ، وازدادت الغشاوة عمقاً بين المفاهيم الأساسية لعلم الجرح والتعديل لدى أصحابه الذين أشادوا بنيانه الشامخ ، وبين من تجرأ على الولوج فيه دون دليل مرشد .

لذا فمن أجل إرساء قواعد رصينة في ميدان الجرح والتعديل ، والتجرؤ على وضع لبنة في البناء الشامخ لا تخرج عما شيّده السلف الصالح من علماء الأمة ونقّادها ، عكفت على إعداد هذا البحث لإزالة ما غمض من الأقوال المنقولة عن إمامي عصرهما ، وجهابذة علوم الحديث دراية ورواية : يحيى بن سعيد القطان ، وعبد الرحمن بن مهدي ، في تضعيف هذا المحدث والرواية عن ذاك ؛ لكي تكون بداية لدراسات أكثر شمولاً ، نتعاهد فيها بالسبر والتمحيص للتراث المبارك الذي ورثناه عن جهابذة هذا الفن ونقّاده ، فنفيد منه بإرساء قاعدة بيانات نتكئ إليها عند إصدارنا حكماً نقدياً بشأن حملة الحديث ،

ولنفتح الباب برفق أمام دراسة الحديث النبوي الشريف بمعايير سلفنا الصالح ، وبأدواتنا التي تفيد من الحاسوب الإلكتروني ، والذكاء الاصطناعي ، والتقنيات المعلوماتية الحديثة .

٢ . يحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي بين أئمة الحديث

زخر القرن الثاني بحركة نقدية نشطة في دائرتي دراية الحديث وروايته ، وكان الإمامان : يحيى بن سعيد القطان ، وعبد الرحمن بن مهدي من رواد هذه الحركة وجهابذتها ، وسنحاول في هذا المقام إلقاء الضوء على المواطن المهمة في سيرة هذين الإمامين ؛ لكي يقف القارئ على النقاط المضيئة في حياتهما .

٢ . ١ . من هو يحيى بن سعيد القطان ؟

هو الحافظ إمام النقاد ، أبو سعيد يحيى بن سعيد بن فروخ التميمي ، مولاهم البصري القطان الأحول ، ولد في بداية سنة عشرين ومائة ، كما نقل عنه عمرو بن علي الفلاس[(١)] ، عُني بالحديث أشدّ عناية ، فلازم الإمام شعبة بن الحجاج عشرين سنة ، يسمع حديثه ويدونه في أصوله ، دون أن يزيد على سماع أكثر من ثلاثة عشر حديثاً في كل يوم[(٢)] ، واستفاد من علمه في صيرفة الرجال ، وقد رحل في طلب الحديث ، فساد الأقران ، وانتهى إليه الحفظ والإتقان ، مع علو كعبه في علل الحديث ونقد الرجال .

سمع هشام بن عروة ، وعطاء بن السائب ، والأعمش ، وحميد الطويل ، وسفيان الثوري ، وسعيد بن أبي عروبة ، وخلقاً يصعب حصرهم[(٣)] ، وحدّث عنه شيوخه : شعبة ، والسفيانان ، ومن أقرانه : المعتمر بن سليمان ، وعبد الرحمن بن مهدي .

وقد تخرج به الحفاظ : كأبي بكر بن أبي شيبة ، وعلي بن المديني ، وأحمد بن حنبل ، وعمرو بن علي الفلاس ، ومسدد ، وغيرهم كثير[(٤)] .

---

(١) تاريخ بغداد ١٠/١٣٤ .

(٢) نفس المرجع ١٠/١٣٦ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٩/١٧٦ ، تهذيب التهذيب ١١/٢١٦ .

(٤) تهذيب التهذيب ١١/٢١٧ .

قال أحمد بن حنبل[١] : «ما رأيت في هـذا الشأن مثل يحيى بن سعيد» ، وقال في موطن آخر[٢] : « إلى يحيى بن سعيد القطان المنتهى في التثبت» .

وقال علي بن المديني - شيخ البخاري -[٣] : «ما رأيت أثبت من يحيى بن سعيد القطان» ، وذكر أن سفيان الثوري لما قدم البصرة ، سأل عن رجل يذاكره الحديث، فأتي بيحيى بن سعيد فذاكره ، فلما خرج قال لهم : «قلت لكم جيئوني بإنسان فجئتموني بشيطان»[٤] ، لانبهاره بحفظه وإتقانه .

أما معاصره عبد الرحمن بن مهدي فقال ليحيى بن معين ، عندما سأله عنه : «لا ترى بعينيك مثل يحيى بن سعيد القطان أبداً»[٥] . ولعلو شأنه في هذا المضمار ، فقد رضي به إمام الصنعة شعبة بن الحجاج حكماً بينه وبين مخالفيه ، فقضى عليه ، فقال له شعبة : «ومن يطيق نقدك يا أحول ؟»[٦] ، توفي رحمه الله في صفر سنة ثمان وتسعين ومائة[٧] .

٢.٢ . من هو عبد الرحمن بن مهدي ؟

هو الإمام الناقد سيد الحفاظ ، أبو سعيد عبد الرحمن بن مهدي بن حسان بن عبد الرحمن العنبري ، وقيل : الأزدي ، مولاهم البصري اللؤلؤي[٨] .

ولد سنة خمس وثلاثين ومائة ، قاله ابن حنبل وأبو الوليد الطيالسي[٩] .

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٧٦/٩ .

(٢) تاريخ بغداد ١٣٩/١٤ ، سير أعلام النبلاء ١٧٧/٩ .

(٣) سير أعلام النبلاء ١٨١/٩ .

(٤) تهذيب التهذيب ٢١٨/١١ .

(٥) سير أعلام النبلاء ١٧٧/٩ .

(٦) الجرح والتعديل ٢٣٢/١ ، شرح علل الترمذي ص١٩٢ . .

(٧) سير أعلام النبلاء ١٨٧/٩ ، تهذيب التهذيب ٢١٩/١١ .

(٨) الجرح والتعديل ٢٥١/١ ، تاريخ بغداد ٢٤٠/١٠ ، سير أعلام النبلاء ١٩٢/٩ ، تهذيب التهذيب ٢٧٩/٦ .

(٩) تاريخ بغداد ٢٤٠/١٠ ، سير أعلام النبلاء ١٩٣/٩ .

سمع الحديث من أئمة عصره ، كشعبة بن الحجاج ، وسفيان الثوري ، وحماد بن سلمة ، وأبان بن يزيد ، ومالك بن أنس ، وهشام الدستوائي ، وأمم سواهم .

وحدّث عنه : عبد الله بن المبارك ، وابن وهب ، وعلي بن المديني ، ويحيى بن معين وابن حنبل ، وابن أبي شيبة ، وخلق يتعذر حصرهم[١] .

كان عبد الرحمن بن مهدي أحد صيارفة الحديث ورجاله بشهادة أئمة عصره ، قال الإمام الشافعي رضي الله عنه[٢] : «لا أعرف له نظيراً في هذا الشأن» ، وقال علي بن المديني[٣] : «كان عبد الرحمن بن مهدي في الحديث كالسحر» ، وقال ابن حنبل[٤] : «عبد الرحمن بن مهدي إمام» .

توفي رحمه الله في رجب سنة مائة وثمان وتسعين ، وهو ابن ثلاث وستين سنة ، قاله الخطيب البغدادي[٥] ، بينما ذهب الذهبي وابن حجر العسقلاني أن وفاته كانت في جمادى الآخرة من نفس السنة[٦] ، والله أعلم .

٢ . ٣ . المكانة التي تبوأها يحيى القطان وابن مهدي في تاريخ هذا الفن :

بدأت إرهاصات التفتيش عن أحوال الرجال في الرواية والبحث عن النقل في الأخبار منذ عهد الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، رغبة منهم في ذب الكذب عن سنة المصطفى ﷺ ، قال مجاهد فيما أخرجه الإمام مسلم[٧] : جاء بشير بن كعب العدوي إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، فجعل يحدث ويقول : قال رسول الله ﷺ ، فجعل

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٩٣/٩ ، تهذيب التهذيب ٢٧٩/٦ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٩٤/٩ .

(٣) تهذيب التهذيب ٢٨١/٦ .

(٤) شرح علل الحديث ص١٥٨ .

(٥) تاريخ بغداد ٢٤٨/١٠ .

(٦) سير أعلام النبلاء ٢٠٦/٩ ، تهذيب التهذيب ٢٨١/٦ .

(٧) صحيح مسلم ٨١/١ .

ابن عباس لا يأذن لحديثه ولا ينظر إليه ، فقال : يا ابن عباس ! ما لي لا أراك تسمع حديثي ؟ أحدثك عن رسول الله ﷺ ولا تسمع ؟ فقال ابن عباس : إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول : قال رسول الله ﷺ ابتدرته أبصارنا ، وأصغينا إليه بآذاننا ، فلما ركب الناس الصعب والذلول ، لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف . ا هـ

كانت هذه البداية على طريق إرساء قواعد تلقي الرواية وتحملها ونقد الرجال ، وقد أخذ كبار العلماء بهذا المسلك ، واستنوا بسنة الصحابة الكرام بالتيقظ في الروايات ، كسعيد بن المسيب ، والقاسم بن محمد بن أبي بكر ، وسالم بن عبد الله بن عمر ، وعبيد الله بن عتبة ، وخارجة بن زيد بن ثابت ، وعروة بن الزبير ، وغيرهم ، ثم أخذ عنهم العلم وتتبع طرق الحديث ونقد الرجال : الزهري ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، وهشام بن عروة ، وسعد بن إبراهيم .

كانت هذه المرحلة خطوة أولى في حفظ السنن والرحلة فيها والتفتيش عنها ، مع مرافقة اليقظة وانتقاء رواة الحديث ، والإعراض عمن رمي بشبهة .

وشهدت المرحلة التي تلتها بدايات الكلام في الرجل والرجلين ؛ للفت انتباه طلبة الحديث إلى رؤوس المبتدعة ومن رمي بالكذب في روايته ، فتكلم الحسن البصري وطاووس في معبد الجهني ، وتكلم سعيد بن جبير في طلق بن حبيب ، وتكلم إبراهيم النخعي وعامر الشعبي في الحارث الأعور .

جاء بعد هؤلاء رواد علم الجرح والتعديل ، فبدءوا بالتنقيب في الأسانيد عمن اتهم ببدعة أو خروج عن دائرة الجماعة باعتقاد فاسد ، وعن الرواة الذين اتهموا بالكذب ، منهم : محمد بن سيرين ، وسفيان الثوري ، ومالك بن أنس ، وشعبة بن الحجاج ، وحماد ابن سلمة ، وحماد بن زيد ، والليث بن سعد ، وسفيان بن عيينة ، من بين هؤلاء كان شعبة بن الحجاج أميراً للمؤمنين في صنعة الحديث وفنونه ، فهو أكثر رحلة من مالك في طلب الحديث ، وأكثر تفتيشاً عن الرجال وأحوالهم .

وقد تلقّى عن هؤلاء الرسم في الحديث ، والتنقير عن الرجال ، والتفتيش عن الضعفاء وبيان مناط ضعفهم : يحيى بن سعيد القطان ، ووكيع بن الجراح ، وعبد الرحمن بن مهدي ، فبدأت على أيديهم إرهاصات المصطلح النقدي لصيرفة الرجال ، والتفتيش عن مواطن العلة في الآثار .

وقد نقل اللكنوي[١] تصنيفاً لطيفاً لطبقات نقاد الرجال وأساطينه بين متشدد ومتوسط، فبوأ في الطبقة الأولى : شعبة وسفيان الثوري ، وكان شعبة أشد من صاحبه ، وتقاسم الطبقة الثانية : القطان وعبد الرحمن بن مهدي ، واعتبر القطان مناراً للتشدد ، بينما جعل ابن مهدي متربعاً على مقام التوسط ، أما الطبقة الثالثة فأصحابها : يحيى بن معين في تشدده ، وأحمد بن حنبل فيما عرف عنه من توسطه .

إذن بات واضحاً بأن هذين الإمامين قد تبوآ مقاماً عالياً بين أئمة الحديث ، وهما شاهدان على الطبقة الثانية لجهابذة هذا الفن في جميع جوانبها التي تتأرجح بين توسط مقبول ، وتشدد رصين يحرص على درء الشبهات عن التراث النبوي الشريف .

٣ . يحيى القطان وابن مهدي ورواة الحديث :

عمدنا إلى التفتيش في كتب الضعفاء ودواوين رجال الكتب الستة ، لرصد المحدثين الضعفاء الذين نقلت أقوال يحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي فيهم ، فعثرنا على مجموعة لا بأس بها من الضعفاء الذين اتفق الإمامان على الإعراض عن الرواية عنهم، وآخرين اختلفت آراؤهما في الرواية عنهم ، فربما أعرض عن بعضهم يحيى القطان ، بينما لم يتوقف ابن مهدي بالرواية عنهم ، والعكس صحيح مع فئة أخرى منهم .

وسنتوقف لبرهة في هذا الفصل لنلقي الضوء على المحدثين الضعفاء الذين يقعون في هذه الدائرة ، واضعين نصب أعيننا تحقيق الغايات التالية :

أ ـ توفير قاعدة معلومات بأسماء معظم الضعفاء الذين أعرض بالرواية عنهم الإمامان

(١) انظر الرفع والتكميل ص٣٠٦ ط٣

يحيى القطان وابن مهدي ، ومن روى عنه أحدهما وتركه الآخر فلم يرو عنه .

ب ـ بيان مكانة هؤلاء المحدثين لدى نقاد هذا الفن ، تمهيداً للمقارنة مع منهج الإمامين في إصدار الحكم على الراوي .

ج ـ الوقوف على سبب إعراض كل من يحيى القطان وعبد الرحمن بن مهدي عن الرواية عن هذا المحدث وذاك ، لوضع الحدود الاصطلاحية التي يمكن اعتمادها كتعريفة دقيقة للرواية عن المحدث بدلالة ما ذهب إليه الإمامان من حيث الرواية عنه أو الإعراض عنه بالكلية .

٣ . ١ . مورد الروايات المنقولة عن الإمامين :

استأثر كل من عمرو بن علي الفلاس ومحمد بن المثنى وعلي بن المديني بمكانة الصدارة في دواوين الضعفاء وطبقات الرجال في نقل أقوال الإمامين : يحيى القطان وعبد الرحمن ابن مهدي في الإعراض بالرواية عن المحدثين الضعفاء ، أو القبول بالرواية عن هذا المحدث أو ذاك .

ويتبادر إلى الذهن بأن روايتهم عبارة عن حصيلة سؤالاتهم للإمامين بشأن هذا المحدث وذاك ، كانت مدونة في صحيفة يتداولها المشتغلون في علم الرجال ، حتى أضحت بعد حين تتبوأ مكاناً ثابتاً في كتب الضعفاء .

بالمقابل وردت روايات متفرقة نقلت موقف الإمامين من الرواية عن الضعفاء ، رواها كل من : الإمام أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، بيد أن هذه الروايات لا تتجاوز عدد أصابع اليد ، ويتسم بعضها بمناقضة ما رواه الإمامان عمرو بن علي الفلاس ، ومحمد بن المثنى .

لذا فإننا اعتمدنا أسماء الرجال الذين نقل قول الإمامين عنهم عند هؤلاء ، وأعرضنا عن نقل أقوالهم المخالفة لرواية الناقلين المشهورين في هذا المضمار ؛ لأنها لا ترتقي إلى معارضتها .

٣ . ٢ . موقف يحيى القطان وابن مهدي من رواة الحديث الضعفاء :

سنحاول في هذا المقام أن نورد معظم الرواة الذين يقعون في دائرة اهتمام الإمامين يحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي ، مصنفين إياهم حسب الموقف النقدي الذي اتخذ إزاءهم من قِبلهما ، مع بيان ما قيل فيهم من قِبل أئمة هذا الفن بإيجاز ومن غير إخلال .

٣ . ٢ . ١ . الرواة الذين أعرض الإمامان بالرواية عنهم :

١ . أبان بن أبي عياش العبدي : أحد الضعفاء ، وهو تابعي صغير يحمل عن الصحابي الجليل أنس رضي الله عنه وغيره ، كان شعبة يضعفه بالمرة ، حتى قال فيه : «لأن يزني الرجل خير من أن يروي عن أبان» ، وقال : «متروك الحديث» ، وضعفه يحيى بن معين ، والنسائي ، والجوزجاني ، وغيرهم(١) .

٢ . إبراهيم بن العلاء أبو هارون الغنوي : كان يروي عن : حطان الرقاشي ، وثقه جماعة من النقاد منهم : يحيى بن معين ، وحدّث عنه شعبة ، وقال ابن عدي : «متماسك» وقال الذهبي : «بصري صدوق»(٢) .

٣ . إبراهيم بن يزيد الخوزي : ممن يروي عن : طاووس ، وعطاء ، وروى عنه : وكيع بن الجراح ، وزيد بن الحباب ، وآخرون ، قال أحمد بن حنبل والنسائي : «متروك» وقال ابن معين : «ليس بثقة» ، وقال البخاري : «سكتوا عنه» ، أما ابن عدي فقال : «يكتب حديثه»(٣) .

٤ . إسماعيل بن رافع المديني : حدّث عن : سعيد المقبري ، والقرظي ، وروى عنه : مكي بن إبراهيم ، ووكيع بن الجراح وطائفة ، وقال العباس بن محمد : «سمعت يحيى بن

(١) الجرح والتعديل ٢/٢٩٥ ، تهذيب الكمال ٢/٢٠ ، الضعفاء ١/٣٩ ، ميزان الاعتدال ١/١١ .

(٢) الجرح والتعديل ٢/١٢٠ ، الضعفاء ١/٥٨ ، ميزان الاعتدال ١/٤٩ ، لسان الميزان ١/٨٩ .

(٣) الجرح والتعديل ٢/١٤٦ ، الضعفاء ١/٧٠ ، ميزان ١/٧٥ .

معين يقول : «ليس بشيء» ، وضعفه أحمد بن حنبل ، وقال الدارقطني : «متروك الحديث» ، وقال ابن عدي : «أحاديثه كلها مما فيه نظر»[١] .

٥ . **إسماعيل بن عبد الملك بن أبي الصفير** : يروي عن : سعيد بن جبير ، وعطاء ، وعنه : أبو نعيم ، وخلاد بن يحيى وطائفة ، قال أبو حاتم وابن معين : «ليس بالقوي» ، وقال العقيلي : «يكتب حديثه»[٢] .

٦ . **إسماعيل بن مسلم المكي** : يروي عن : الحسن ، ورجاء بن حيوة ، وأبي الطفيل وغيرهم ، وعنه : علي بن مسهر ، والمحاربي ، والأنصاري ، وآخرون ، قال أبو زرعة : «بصري ضعيف» ، سكن مكة ، وقال أحمد بن حنبل : «منكر الحديث» ، وقال النسائي : «متروك» ، قال علي بن المديني : «سمعت يحيى وسئل عن إسماعيل بن مسلم المكي ؟ فقال: كان لم يزل مختلطاً ، كان يحدثنا بالحديث الواحد على ثلاثة أضرب» ، من أجل هذا فقد ضعفه جمهرة من نقاد الرجال ، كابن معين ، وابن المديني ، والسعدي ، وغيرهم[٣] .

٧ . **أشعث بن سوار الكندي** : قاضي البصرة ، وهو الأثرم التوابيتي الأفرق ، روى عن : الشعبي ، والحسن وطبقتهما ، وحدّث عنه : شعبة ، وعبثر ، ويزيد بن هارون ، وغيرهم ، أخرج له الإمام مسلم في متابعات صحيحه ، قال الثوري : «هو أثبت من مجالد» ، ولينه أبو زرعة ، وضعفه يحيى بن معين والنسائي وابن حبان والدارقطني[٤] .

٨ . **أصبغ بن نباتة الحنظلي المجاشعي** : روى عن : الإمام علي كرم الله وجهه ، وعمار بن ياسر رضي الله عنه ، وعنه : ثابت البناني ، والأجلح الكندي ، وفطر بن خليفة وطائفة .

كان مفتوناً بحب الإمام علي حتى نقل قوله بالرجعة ، قال ابن معين : «ليس بثقة» ،

---

(١) الجرح والتعديل ١٦٨/٢ ، الضعفاء ٧٧/١ ، ميزان الاعتدال ٢٢٧/١ .

(٢) الجرح والتعديل ١٨٦/٢ ، الضعفاء ٨٥/١ ، ميزان الاعتدال ٢٣٧/١ .

(٣) الجرح والتعديل ١٩٨/٢ ، الضعفاء ٩١/١ ، ميزان الاعتدال ٢٤٨/١ .

(٤) الجرح والتعديل ٢٧١/٢ ، الضعفاء ٣١/١ ، ميزان الاعتدال ٢٦٣/١ .

وقال النسائي وابن حبان : «متروك» ، ولينه أبو حاتم[١] .

٩ . بريد بن عبد الله بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري : يروي عن : جدّه ، وعطاء ، وعنه : السفيانان ، وأبو أسامة ، وغيرهم ، كان ممن اختلف النقاد بشأنه ، فقد وثقه ابن معين والعجلي ، وقال أبو حاتم : «ليس بالمتين ، يكتب حديثه» ، وقال النسائي في موضع : «ليس به بأس» ، بينما قال في موضع آخر : «ليس بذاك القوي» ، أما أحمد فقال : «يروي المناكير»[٢] .

١٠ . بشير بن نمير القشيري البصري : حدّث عن : مكحول ، والقاسم بن عبد الرحمن ، وروى عنه : أبو عوانة ، ويزيد بن زريع ، وعبد الله بن وهب ، وطائفة ، قال ابن معين : «ليس بثقة» ، وقال ابن حنبل : «ترك الناس حديثه» ، ووسمه البخاري بالاضطراب ، بينما ذهب ابن عدي إلى أن عامة ما يرويه لا يتابع عليه[٣] .

١١ . بكير بن عامر البجلي : يروي عن : الشعبي وطبقته ، وعنه : وكيع بن الجراح وأبو نعيم ، رماه بالضعف ابن معين والنسائي ، وقال أبو زرعة : «ليس بالقوي» ، وقال : «ليس بذاك»[٤] .

١٢ . ثابت بن أبي صفية أبو حمزة الثمالي : روى عن : الصحابي الجليل أنس رضي الله عنه ، وعن الشعبي ، وآخرين ، وحدّث عنه : وكيع ، وأبو نعيم ، وطائفة ، قال أحمد وابن معين : «ليس بشيء» ، وقال النسائي : «ليس بثقة» ، أما أبو حاتم فقد لين حديثه ، وعدّه السليماني من زمرة الرافضة[٥] .

١٣ . ثوير بن أبي فاختة أبو الجهم : روى عن : الصحابي الجليل عبد الله بن عمر

(١) الجرح والتعديل ٣١٩/٢ ، تهذيب الكمال ٣٠٨/٣ ، ميزان الاعتدال ٢٧٠/١ .
(٢) الجرح والتعديل ٤٢٦/٢ ، الضعفاء ١٥٨/١ ، ميزان الاعتدال ٣٠٥/١ .
(٣) الجرح والتعديل ٣٦٨/٢ ، الضعفاء ١٥٣/١ ، ميزان الاعتدال ٣٢٥/١ .
(٤) الجرح والتعديل ٤٠٥/٢ ، الضعفاء ١٥٣/١ ، ميزان الاعتدال ٣٥٠/١ .
(٥) الجرح والتعديل ٤٥٠/٢ ، الضعفاء ١٧٢/١ ، ميزان الاعتدال ٣٦٣/١ .

رضي الله عنهما ، وزيد بن الأرقم ، وغيرهم ، وروى عنه : شعبة ، وسفيان الثوري ، قال ابن معين : «ليس بشيء» ، وضعفه أبو حاتم ، وجعله الدارقطني في عداد المتروكين ، وقال النسائي : «ليس بثقة»[(١)] .

١٤ . جابر بن يزيد الجعفي : أحد علماء الشيعة وحاملي رايتها ، اختلف النقاد بشأنه بين توهين شديد وإعراض تام عن الرواية عنه ، فقد تركه جمع غفير من أئمة هذا الشأن كالنسائي وليث بن أبي سليم وسفيان بن عيينة والجوزجاني وابن حبان البستي ، وعلى الطرف المقابل قال سفيان الثوري : «كان جابر الجعفي ورعاً في الحديث ، ما رأيت أورع منه» ، وقال شعبة : «صدوق» ، وقال في مقام آخر : «كان جابر إذا قال أخبرنا وحدثنا وسمعت فهو من أوثق الناس» ، كحد فاصل لتجاوز ما يدلسه من الروايات ، أما وكيع بن الجراح فقال : «ما شككتم في شيء فلا تشكوا أن جابراً الجعفي ثقة» ، ويبدو أن إفراطه في تشيعه وقوله بالرجعة وتدليسه لبعض رواياته ، السبب الأساس في تضعيفه وإلصاق التهم الشنيعة به ، فتأمل[(٢)] .

١٥ . جويبر بن سعيد البلخي : أبو القاسم الأزدي المفسر صاحب الضحاك ، قال ابن معين : «ليس بشيء» ، وقال الجوزجاني : «لا يشتغل به» ، وذهب النسائي والدارقطني إلى الحكم عليه بأنه متروك الحديث[(٣)] .

١٦ . الحارث بن عبد الله الهمداني الأعور : من كبار علماء التابعين ، روى عن : الإمام علي كرم الله وجهه ، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وروى عنه : عمرو بن مرة ، وأبو إسحاق ، وطائفة ، اتهم بالكذب في الرواية عن الإمام علي ، وقد كذبه الشعبي وعلي بن المديني وجرير بن عبد الحميد ، وضعفه ابن معين في إحدى الروايات عنه

---

(١) الجرح والتعديل ٢/٤٧٢ ، الضعفاء ١/١٨١ ، ميزان الاعتدال ١/٣٧٥ .

(٢) الجرح والتعديل ٢/٤٩٧ ، الضعفاء ١/١٩٤ ، ميزان الاعتدال ١/٣٧٩-٣٨٤ .

(٣) الجرح والتعديل ٢/٤٥٠ ، الضعفاء ١/٢٠٥ ، ميزان الاعتدال ١/٤٢٧ .

والدارقطني ، وقال النسائي : «ليس بالقوي» ، أما ابن عدي فقد اتهمه بأن عامة ما يرويه غير محفوظ ، إلا أن كل هذا لا يغمطه مكانته التي تبوأها بين علماء عصره ، قال أبو بكر ابن أبي داود : «كان الحارث الأعور أفقه الناس وأفرض الناس» ، وقد تحيّر في أمره الذهبي كما ذكر في سير أعلام النبلاء[١] ، وقال عنه في ميزانه[٢] : «وحديث الحارث في السنن الأربعة ، والنسائي مع تعنته في الرجال فقد احتج به وقوّى أمره ، والجمهور على توهين أمره مع روايتهم لحديثه في الأبواب ، فهذا الشعبي يكذبه ثم يروي عنه ، والظاهر أنه كان يكذب في لهجته في حكاياته ، وأما في الحديث النبوي فلا» .

١٧ . الحسن بن دينار أبو سعيد التميمي : روى عن : محمد بن سيرين وغيره ، وحدّث عنه : سفيان الثوري ، وأبو داود ، بالمقابل ضعفه يحيى بن معين ، وتركه عبد الله ابن المبارك ووكيع وابن حبان ، أما أحمد ويحيى القطان فكانا يكذبانه ، قلت : ورد في بعض كتب الرجال بأنه كان يرى رأي القدرية ، وكان ممن لا يحفظ[٣] .

١٨ . الحسن بن صالح بن حي الهمداني الثوري : أحد أعلام الزهد والورع ، روى عن : سماك بن حرب ، وقيس بن مسلم ، وطائفة ، وعنه : يحيى بن آدم وأحمد بن يونس ، وعلي بن الجعد ، وطائفة ، قال ابن معين : «ثقة» ، وقال : «هو أثبت من شريك» ، وقال أبو حاتم : «ثقة حافظ متقن» ، وقال أبو زرعة : «اجتمع فيه إتقان وفقه وعبادة وزهد» ، وقال النسائي : «ثقة ويؤخذ عليه تشيع قليل وترك الجمعة ، وكان يرى الخروج على الولاة الظلمة بالسيف»[٤] .

١٩ . داود بن يزيد الأودي أبو زيد الأعرج الكوفي : روى عن : أبيه ، وإبراهيم النخعي ، وأبي وائل ، وحدّث عنه : شعبة ، وأبو نعيم ، وخلاد بن يحيى ، وجماعة ،

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤/١٥٣،١٥٥ .

(٢) ميزان الاعتدال ١/٤٣٧ .

(٣) الجرح والتعديل ٣/١١ ، الضعفاء ١/٢٢٢ ، ميزان الاعتدال ١/٤٨٧-٤٨٩ .

(٤) الجرح والتعديل ٣/١٨ ، الضعفاء ١/٢٢٩ ، ميزان الاعتدال ١/٤٩٦-٤٩٩ .

روى عباس وعثمان الدورقي عن ابن معين قوله فيه : «ليس بشيء» ، وقال أبو حاتم : «ليس بقوي» ، وقال النسائي : «ليس بثقة» ، وضعفه أحمد وأبو داود[١] .

٢٠ . رباح بن أبي معروف بن أبي سارة المكي : روى عن : مجاهد ، وعطاء ، وعنه : أبو علي الحنفي ، وأبو نعيم ، وطائفة ، ضعفه ابن معين والنسائي ، وقال أبو حاتم وأبو زرعة : «صالح» ، أما ابن عدي فقال : «لم أجد له حديثاً منكراً»[٢] .

٢١ . سالم بن عبد الله بن سالم الخياط : روى عن : الحسن ومحمد ، وعنه : سفيان ابن عيينة وجماعة ، قال ابن معين : «ليس بشيء» ، وقال النسائي : «ليس بثقة» ، وقال الدارقطني : «لين الحديث» ، بينما ذهب ابن حبان إلى أنه لا يحتج به[٣] .

٢٢ . السري بن إسماعيل الهمداني الكوفي : قال النسائي : «متروك» ، وقال أحمد : «ترك الناس حديثه» ، وروى عباس الدوري عن ابن معين قوله : «ليس بشيء» ، وقال ابن المبارك : «تُرك الحديث عنه» ، وقال عبد الله بن أحمد : «سمعت أبي يقول : السري بن إسماعيل أحبّ إلي من عيسى»[٤] .

٢٣ . سلمى بن عبد الله أبو بكر الهذلي : قال يزيد بن زريع : «عدلت عن أبي بكر الهذلي عمداً» ، وقال يحيى بن معين : «ليس بشيء» ، وقال أبو حاتم : «أبو بكر الهذلي ليس بقوي ، لين الحديث ، يكتب حديثه ولا يحتج به» ، وقال أبو زرعة : «بصري ضعيف» ، وقال الذهبي : «واه»[٥] .

٢٤ . سليمان بن يسير أبو الصباح الكوفي : ويقال : ابن أسير ، وقيل : ابن قسيم ، قال عباس ، عن يحيى بن معين : «ليس بشيء» ، وضعفه أبو داود ، وقال البخاري :

---

(١) الجرح والتعديل ٤٢٧/٣ ، الضعفاء ٤٢/١ ، ميزان الاعتدال ٢١/١ .

(٢) الجرح والتعديل ٤٨٩/٣ ، تهذيب الكمال ٤٨/٩ ، ميزان الاعتدال ٣٨/٢ .

(٣) الجرح والتعديل ١٨٤/٤ ، الضعفاء ١٥١/٢ ، ميزان الاعتدال ١١١/٢ .

(٤) الضعفاء ١٧٦/٢ ، تهذيب الكمال ٢٢٩/١٠ ، ميزان الاعتدال ١١٧/٢ .

(٥) الجرح والتعديل ٣١٣/٤ ، الضعفاء ١٧٨/٢ ، ميزان الاعتدال ١٩٤/٢ .

«ليس بالقوي عندهم» ، أما النسائي فقال : «متروك» ، قال عبد الله بن أحمد : «سمعت أبي يقول : سليمان بن يسير لا يسوى شيئاً» ، وقال أبو حاتم : «ضعيف الحديث ليس بمتروك» ، وقال أبو زرعة : «واهي الحديث ، ضعيف الحديث»(١) .

٢٥ . الصلت بن دينار أبو شعيب البصري : قال ابن معين : «ليس بشيء» ، وقال أحمد : «متروك» ، وقال النسائي : «ليس بثقة» ، وذهب الجوزجاني والدارقطني إلى أنه ليس بقوي ، قال عبد الله بن أحمد : «سألت أبي عنه ؟ فقال : متروك الحديث ، ونهاني أن أكتب من حديثه شيئاً»(٢) .

٢٦ . طريف بن شهاب أبو سفيّان السعدي ضعفه ابن معين ، وقال أحمد : «ليس بشيء ، لا يكتب عنه» ، قال البخاري : «ليس بالقوي عندهم» ، أما النسائي فعده في المتروكين ، وقال أبو حاتم : «ضعيف الحديث ، ليس بقوي»(٣) .

٢٧ . طلحة بن عمرو الحضرمي : ضعفه ابن معين ، وقال أحمد والنسائي : «متروك الحديث» ، واتفق البخاري مع شيخه ابن المديني بالحكم عليه بأنه : «ليس بشيء» ، وقد ساق ابن عدي له جملة من الأحاديث مما فيه نظر ، وقال : «عامة ما يرويه لا يتابع عليه»(٤) .

٢٨ . عبد الأعلى بن عامر الثعلبي : ضعفه أحمد وأبو زرعة ، وقال أحمد : «روايته عن ابن الحنفية شبه الريح» ـ كأنه لم يصححها ـ وضعفها سفيان الثوري كذلك ، وقال ابن معين : «ليس بذاك القوي» .

قلت : أخرج له أصحاب الكتب الأربعة في سننهم(٥) .

---

(١) الجرح والتعديل ٤/١٥٠ ، الضعفاء ٢/١٤٥ ، ميزان الاعتدال ٢/٢٢٨ .

(٢) الجرح والتعديل ٤/٤٣٧ ، الضعفاء ٢/٢٠٩ ، ميزان الاعتدال ٢/٣١٨ .

(٣) الجرح والتعديل ٤/٤٩٢ ، الضعفاء ٢/٢٢٩ ، ميزان الاعتدال ٢/٣٣٦ .

(٤) الجرح والتعديل ٤/٤٧٨ ، الضعفاء ٢/٢٢٤ ، ميزان الاعتدال ٢/٣٤٠ .

(٥) الجرح والتعديل ٦/٢٥ ، الضعفاء ٣/٥٨ ، ميزان الاعتدال ٢/٥٣٠ .

٢٩ . عبد الحميد بن بهرام الفزاري : ممن اختلف في تضعيفه فقد وثقه يحيى بن معين وأبو داود ، بينما تركه الإمامان يحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي ، أما أبو حاتم فقال : «أحاديثه عن شهر بن حوشب صحاح» ، وقال في موضع آخر : «لا يحتج به»[(١)] .

٣٠ . عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقي : كان البخاري ممن يقوي أمره ، لذا توقف عن إدراجه في ديوان ضعفائه ، ونقل عباس الدوري عن يحيى بن معين قوله : «ليس به بأس ، وقد ضُعف» ، وقال أحمد : «ليس بشيء» ، وقال النسائي : «ضعيف» ، وقال الدارقطني : «ليس بالقوي» ، أما ابن حبان فقد اتهمه برواية الموضوعات عن الثقات ، وتدليس الرواية عن محمد بن سعيد المصلوب[(٢)] .

٣١ . عبد الله بن سعيد بن أبي سعيد المقبري : قال ابن معين : «ليس بشيء» ، وقال عمرو بن علي الفلاس : «منكر الحديث ، متروك» ، ومال إلى هذا الرأي أحمد بن حنبل والدارقطني ، وقال البخاري فيه : «تركوه»[(٣)] .

٣٢ . عبد الله بن عثمان بن خيثم المكي : روى ابن الدورقي عن ابن معين قوله : «أحاديثه ليست بالقوية» ، وقال أبو حاتم : «ابن خيثم ما به بأس ، صالح الحديث» ، وقال في موطن آخر : «لا يحتج به» ، ولين حديثه النسائي[(٤)] .

٣٣ . عبد الله بن مسلم بن هرمز المكي : ضعفه ابن معين والنسائي ، وقال أحمد : «ليس بشيء» ، أما ابن المديني فقال : «كان ضعيفاً ضعيفاً عندنا» ، وقال أبو حاتم : «ليس بالقوي ، يكتب حديثه»[(٥)] .

---

(١) الجرح والتعديل ٨/٦ ، الضعفاء ٤٣/٣ ، ميزان الاعتدال ٥٣٨/٢ .

(٢) الجرح والتعديل ٢٣٤/٥ ، الضعفاء ٣٣٣/٢ ، ميزان الاعتدال ٥٦١/٢-٥٦٤ .

(٣) الضعفاء ٢٥٨/٢ ، ميزان الاعتدال ٤٢٩/٢ .

(٤) الجرح والتعديل ١١١/٥ ، الضعفاء ٢٨٢/٢ ، ميزان الاعتدال ٤٥٩/٢ .

(٥) الجرح والتعديل ١٦٤/٥ ، الضعفاء ٣٠٢/٣ ، ميزان الاعتدال ٥٠٣/٢ .

٣٤ . عبد الوهاب بن مجاهد بن جبر المكي : روى ابن أبي مريم عن يحيى قال : «ليس يكتب حديثه» ، وروى عثمان بن سعيد عن يحيى : «ليس بشيء» ، وقال أحمد : «ليس بشيء ، ضعيف» ، ونقل البخاري عن وكيع قوله : «لم يسمع من أبيه» ، أما ابن عدي فقد ذهب إلى أن عامة ما يرويه عن أبيه لا يتابع عليه(١) .

٣٥ . عبيدة بن معتب الضبي أبو عبد الكريم : ضعفه أبو حاتم والنسائي ، وقال أحمد : «تركوا حديثه» ، وروى الدوري عن ابن معين : «ليس بشيء» ، وقال ابن خزيمة : «لا يحتج به» ، ونقل عن شعبة الرواية عنه قبل تغيره بأخرة(٢) .

٣٦ . عثمان بن مقسم البري أبو سلمة الكندي البصري : قال أحمد : «حديثه منكر» وقال الجوزجاني : «كذاب» ، وقال النسائي والدارقطني : «متروك» ، وقال الفلاس : «صدوق ، لكنه كثير الغلط ، صاحب بدعة» ، والبدعة التي يدعو إليها ، هي إنكاره الميزان يوم القيامة ، وكان يؤوله بالعدل ، وشدد النكير عليه يحيى بن معين فقال عنه : «عثمان البري ليس بشيء ، هو من المعروفين بالكذب ووضع الحديث» ، وقال ابن عدي: «عامة حديثه مما لا يتابع عليه إسناداً ومتناً ، وهو ممن يغلط الكثير ، ونسبه قوم إلى الصدق وضعفوه للغلط الكثير ، ومع ضعفه يكتب حديثه»(٣) .

٣٧ . عمارة بن جوين أبو هارون العبدي : ممن اتفق نقاد هذا الفن على تضعيفه ، فقد كذبه حماد بن زيد ، وقال شعبة : «لئن أقدم فتضرب عنقي أحبّ إليّ من أن أحدّث عن أبي هارون» ، وقال : «ليس بشيء» ، وقال ابن معين : «ضعيف ، لا يصدق في حديثه» ، وقال النسائي : «متروك الحديث» ، وقال الدارقطني : «متلون خارجي شيعي» ، وقال الجوزجاني : «كذاب مفتر»(٤) .

---

(١) الجرح والتعديل ٦/٦٩ ، الضعفاء ٣/٧٢ ، ميزان الاعتدال ٢/٦٨٢ .

(٢) الجرح والتعديل ٦/٩٤ ، الضعفاء ٣/١٢٩ ، ميزان الاعتدال ٢/٢٥ .

(٣) الجرح والتعديل ٦/١٧٦ ، الضعفاء ٣/٢٢٠ ، ميزان الاعتدال ٣/٥٦-٥٨ .

(٤) الجرح والتعديل ٦/٣٦٣ ، الضعفاء ٣/٣١٤ ، ميزان الاعتدال ٣/١٧٣ .

٣٨ . عمرو بن عبيد بن باب أبو عثمان البصري : أحد رؤوس المعتزلة ودعاتها ، قال ابن معين : «لا يكتب حديثه» ، وقال النسائي : «متروك الحديث» ، وقال أيوب ويونس : «يكذب» ، وقال الدارقطني : «ضعيف» ، وقال الفلاس : «عمرو متروك صاحب بدعة»(١) .

٣٩ . الفضل بن عيسى الرقاشي : قال أحمد : «ضعيف» ، وقال ابن عيينة : «كان يرى القدر» ، وقال أحمد بن زهير : «سألت ابن معين عن الفضل الرقاشي ؟ فقال : كان قاصاً رجل سوء ، قلت : فحديثه ؟ فقال : لا تسأل عن القدري الخبيث»(٢) .

٤٠ . قيس بن الربيع أبو محمد الكوفي الأسدي : كان صدوقاً في نفسه إلا أنه سيء الحفظ يخطئ كثيراً في مروياته ، وكان شعبة يثني عليه ، وقال أبو حاتم : «محله الصدق ، وليس بالقوي» ، وقال ابن معين : «ضعيف» ، وقال في موضع آخر : «لا يكتب حديثه» وممن ذهب إلى تضعيفه : وكيع بن الجراح وعلي بن المديني والدارقطني ، وقال النسائي : «متروك»(٣) .

٤١ . مبارك بن فضالة البصري : كان من علماء الحديث في البصرة ، قال يحيى بن معين : «صالح» ، وقال أبو داود : «شديد التدليس ، فإذا قال حدثنا ، فهو ثبت» ، وقال النسائي : «ضعيف» ، وقال أبو زرعة : «يدلس كثيراً ، فإذا قال حدثنا فهو ثقة» ، وكان عثمان يوثقه ، وقال ابن عدي : «عامة أحاديثه أرجو أن تكون مستقيمة»(٤) .

٤٢ . المثنى بن الصباح : قال أحمد : «لا يسوى حديثه شيئاً» ، وقال ابن معين : «المثنى رجل صالح في نفسه ، ليس بذاك» ، وقال النسائي : «متروك» ، ونقل البخاري عن

---

(١) الجرح والتعديل ٦/٢٤٦ ، الضعفاء ٣/٢٨٠ ، ميزان الاعتدال ٣/٢٧٣-٢٨٠ .

(٢) الجرح والتعديل ٧/٦٤ ، ميزان الاعتدال ٣/٣٥٦ ، الضعفاء ٣/٤٤٣ .

(٣) الجرح والتعديل ٧/٩٦ ، الضعفاء ٣/٤٧١ ، ميزان الاعتدال ٣/٣٩٣ .

(٤) ميزان الاعتدال ٣/٤٣١-٤٣٢ ، الجرح والتعديل ٨/٣٨٨ ، الضعفاء ٣/٢٩٤ .

القطان بأنه قد تركه لاختلاطه ، وذهب ابن عدي إلى أن الضعف بيّن على حديثه[١] .

٤٣ . **محمد بن أبي مليح الهذلي** : ضعفه الساجي وأورده في ديوان ضعفائه ، وذكره ابن حبان في الثقات[٢] .

٤٤ . **محمد بن جابر اليمامي السحيمي** : قال أحمد : «لا يحدث عنه إلا شرٌّ منه» ، وضعفه ابن معين والنسائي ، وقال البخاري : «ليس بقوي» ، وألقى أبو حاتم الضوء على سبب تضعيفه فقال : «ساء حفظه في الآخر وذهبت كتبه» ، لذا فقد نقل أن جملة من الأئمة والحفاظ قد رووا عنه ، كأيوب وابن عون وسفيان وشعبة ومسدد ، وطائفة[٣] .

٤٥ . **محمد بن السائب الكلبي أبو النضر الكوفي** : كان الكلبي يدعو إلى السبئية التي يقول أصحابها : إن علياً كرم الله وجهه لم يمت ، وإنه راجع إلى الدنيا لا محالة ليملأها عدلاً كما ملئت جوراً ، وإنه محمول في السحاب ، قال الثوري : «اتقوا الكلبي» ، وتركه يحيى بن معين وقال في رواية الدوري : «ليس بثقة» ، وقال أبو حاتم : «الناس ـ أي أهل الحديث ـ مجمعون على ترك حديثه ، وهو ذاهب الحديث لا يشتغل به»[٤] ، وقال الجوزجاني : «كذاب» ، بينما قال عنه علي بن الجنيد والحاكم والكرابيسي والدارقطني : «متروك»[٥] .

٤٦ . **محمد بن سالم أبو سهل الهمداني الكوفي** : ضعفه أئمة هذا الشأن ، فقال ابن المبارك : «اضربوا على حديثه» ، وكان أحمد لا يروي حديثه ، وقال السعدي : «غير ثقة» وقال ابن معين : «ضعيف»[٦] .

---

(١) الجرح والتعديل ٣٤٢/٨ ، الضعفاء ٢٩٤/٤ ، ميزان الاعتدال ٤٣٥/٣ .

(٢) الضعفاء ٣١/٤ ، لسان الميزان ٣٥٤/٤ .

(٣) الجرح والتعديل ٢١٩/٧ ، الضعفاء ٤١/٤ ، ميزان الاعتدال ٤٩٦/٣-٤٩٨ .

(٤) تهذيب التهذيب ١٨٠/٩ .

(٥) الجرح والتعديل ٢٧٠/٧ ، الضعفاء ٧٨/٤ ، ميزان الاعتدال ٥٥٨/٣ ، تهذيب التهذيب ١٨٠/٩ .

(٦) الجرح والتعديل ٢٧٢/٧ ، الضعفاء ٧٥/٤ ، ميزان الاعتدال ٥٥٦/٣ .

٤٧ . **محمد بن عبيد الله بن ميسرة العرزمي الكوفي** : كان من العبّاد ، وهو من شيوخ شعبة المجمع على ضعفهم ، قال أحمد : «ترك الناس حديثه» ، وقال ابن معين : «لا يكتب حديثه» ، وقال الفلاس : «متروك»[١] .

٤٨ . **مسلم بن كيسان أبو عبد الله الضبي الملائي** : ممن اتفق النقاد على تضعيفه ، قال الفلاس والنسائي : «متروك» ، وقال أحمد : «لا يكتب حديثه» ، وقال ابن معين : «ليس بثقة» ، أما البخاري فقال : «يتكلمون فيه»[٢] .

٤٩ . **ميمون أبو حمزة القصاب الكوفي التمار** : قال أحمد : «متروك الحديث» ، وقال الدارقطني : «ضعيف» ، وقال أبو حاتم : «يكتب حديثه» ، وقال النسائي : «ليس بثقة» ، وقال البخاري : «ليس بالقوي عندهم»[٣] .

٥٠ . **نجيح أبو معشر المديني مولى المهدي** : كان بصيراً بالمغازي والسير على ضعف فيه ، قال ابن معين : «ليس بالقوي» ، وقال ابن مهدي : «يعرف وينكر» ، وقال ابن المديني : «شيخ ضعيف» ، وقال البخاري : «منكر الحديث» ، وذهب إلى تضعيفه يحيى بن سعيد والنسائي والدارقطني ، قال ابن عدي : «وأبو معشر مع ضعفه يكتب حديثه» ، وإلى هذا ذهب عبد الحق[٤] .

٥١ . **نفيع بن الحارث أبو داود الأعمى** : كان من غلاة الرافضة ، ممن اتفقت آراء النقاد على تضعيفه ، فقال البخاري : «يتكلمون فيه» ، وقال ابن معين : «ليس بشيء» ، وقال النسائي والدارقطني : «متروك» ، وقال أبو زرعة : «لم يكن بشيء» ، ولم يجوّز ابن حبان الرواية عنه[٥] .

---

(١) الجرح والتعديل ٨/١ ، الضعفاء ٤/١٠٦ ، ميزان الاعتدال ٣/٦٣٥ .

(٢) الضعفاء ٤/١٥٣ ، ميزان الاعتدال ٤/١٠٦ .

(٣) الضعفاء ٤/١٨٧ ، ميزان الاعتدال ٣/٢٣٤ .

(٤) الجرح والتعديل ٨/٤٩٣ ، الضعفاء ٤/٣٠٨ ، ميزان الاعتدال ٤/٢٤٦ .

(٥) الجرح والتعديل ٨/٤٨٩ ، المجروحين ٣/٥٥ ، ميزان الاعتدال ٤/٢٧٢ .

٥٢ . يحيى بن أبي حيّة أبو جناب الكلبي : كان مدلساً ، ضعفه النسائي والدارقطني، وقال أبو زرعة : «صدوق يدلس» ، ونقل ابن الدورقي عن يحيى بن معين قوله : «ليس به بأس إلا أنه كان يدلس» ، وعده الفلاس متروكاً ، قال العقيلي : «قال أبو نعيم : أبو جناب ثقة وكان يدلس ، قال أبي : أحاديثه أحاديث مناكير» ، وقال ابن نمير : «صدوق كان صاحب تدليس ، أفسد حديثه بالتدليس كان يحدث بما لم يسمع»(١) .

٥٣ . يعقوب بن عطاء بن أبي رباح المكي : ممن ضعفه أحمد ، وقال أبو حاتم : «ليس بالقوي» ، وضعفه ابن معين برواية معاوية بن صالح عنه ، قال عبد الله بن أحمد : «سألت أبي عن يعقوب بن عطاء ؟ فقال : ضعيف الحديث ، وسمعته مرة أخرى يقول : يعقوب بن عطاء أحاديثه أحاديث مناكير»(٢) .

٥٤ . يونس بن خباب الأسيدي الكوفي : كان ممن اتفق الرجال على تضعيفه مع مغالاته في الرفض ، قال ابن معين : «رجل سوء ضعيف» ، وقال يحيى بن سعيد : «كان كذاباً» ، وقال النسائي : «ضعيف» ، وقال ابن حبان : «لا تحل الرواية عنه» ، وقال الدارقطني : «رجل سوء فيه شيعية مفرطة» ، واتهمه البخاري بكونه منكر الحديث(٣) .

٣ . ٢ . ٢ . من تركه يحيى القطان :

١ . بشر بن حرب أبو عمرو الندبي البصري : روى عن : أبي سعيد ، وجماعة ، وعنه : شعبة ، وحماد بن زيد ، قال أحمد : «ليس بالقوي» ، وقال ابن خراش : «متروك» ، بالمقابل كان حماد بن زيد يمدحه ، وقال عنه علي بن المديني : «كان ثقة عندنا» ، قال ابن عدي : «لا بأس به عندي ، لا أعرف له حديثاً منكراً»(٤) .

٢ . سليمان بن أيوب بن سليمان : أورده بن أبي حاتم في سِفره الجرح والتعديل ولم

(١) الجرح والتعديل ١٣٨/٩ ، الضعفاء ٣٣٩/٤ ، ميزان الاعتدال ٣٧١/٤ .

(٢) الجرح والتعديل ٢١١/٩ ، الضعفاء ٤٤٦/٤ ، ميزان الاعتدال ٤٥٣/٤ .

(٣) الجرح والتعديل ٢٣٨/٩ ، الضعفاء ٤٥٨/٤ ، ميزان الاعتدال ٤٧٩/٤ .

(٤) الجرح والتعديل ٣٥٣/٢ ، تهذيب الكمال ١١٠/٤ ، ميزان الاعتدال ٣١٤/١ .

يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً[(١)] .

٣ . **عاصم بن سليمان الأحول** : قال سفيان : «حفاظ الناس أربعة ، فذكر منهم عاصم بن سليمان» ، وقال أحمد : «ثقة من الحفاظ» ، ووثقه ابن المديني ، وقال الذهبي عندما ترجم له في ميزانه[(٢)] : «الحافظ الثقة» ، قال ابن معين : «كان يحيى القطان لا يحدث عن عاصم الأحول يستضعفه» ، وقال في موطن آخر : «عاصم بن سليمان الأحول ثقة» ، وقال أبو حاتم : «صالح الحديث» ، ووثقه أبو زرعة[(٣)] .

٤ . **عبادة بن صهيب أبو بكر الكلبي** : بصري كان يرى القدر ، قال عبد الله بن أحمد : «سألت أبي عن عبادة بن صهيب ؟ فقال : قد رأيته بالبصرة غير مرة ، كانت القدرية تنتحله وما كان صاحب كذب ، وكان عنده من الحديث أمر عظيم» ، لم يكتب عنه يحيى بن معين كما روى عباس الدوري ؛ لأنه كان داعية إلى مذهبه ، قال أبو بكر بن أبي شيبة : «تركنا حديثه قبل أن يموت بعشرين سنة» ، وقال أبو حاتم : «ضعيف الحديث ، منكر الحديث ، ترك حديثه»[(٤)] .

٥ . **عبد الرزاق بن همام الحميري** : قال النسائي : «فيه نظر لمن كتب عنه بأخرة ، روي عنه أحاديث مناكير» ، وقال ابن عدي : «حدّث بأحاديث في الفضائل لم يوافقه عليها أحد ، ومثالب لغيرهم مناكير ، ونسبوه إلى التشيع» ، وقال الدارقطني : «ثقة ولكنه يخطئ على معمر في أحاديث» ، وقال البخاري : «ما حدّث عنه عبد الرزاق من كتابه فهو أصح» ، قال عبد الله بن أحمد : «سمعت يحيى يقول : رأيت عبد الرزاق بمكة يحدث ، فقلت له : هذه الأحاديث سمعتها ؟ قال : بعضها سمعتها ، وبعضها عرضاً ، وبعضها ذكره ، وكل سماع» ، ثم قال يحيى : «ما كتبت عنه من غير كتابه سوى حديث

---

(١) الجرح والتعديل ١٠١/٤ ، تهذيب التهذيب ١٥٢/٤ .

(٢) ميزان الاعتدال ٣٥٠/٢ .

(٣) الجرح والتعديل ٣٤٣/٦ ، الضعفاء ٣٣٦/٣ ، تهذيب التهذيب ٤٢/٥ .

(٤) الجرح والتعديل ٨١/٦ ، الضعفاء ١٤٥/٣ ، ميزان الاعتدال ٣٦٧/٢ .

واحد»[١] .

٦ . **عمر بن عامر السلمي** : كان شعبة لا يستمرئه ، وضعفه يحيى بن معين في موضع ، وقوّاه في رواية أخرى ، ووثقه العجلي وابن حبان ، وقال فيه ابن المديني : «شيخ صالح» ، وضعفه النسائي ، وكان يحيى القطان لا يرضاه ، قال عبد الله بن أحمد : «سمعت أبي يقول : عمر بن عامر ثبت ثقة في الحديث ، إلا أنه كان مرجئاً» ، لذا فقد أخرج له الإمام مسلم في صحيحه ، والنسائي في سننه على تشدده في الرجال[٢] .

٧ . **محمد بن إسحاق بن يسار أبو بكر المخرمي** : إمام في السير والمغازي التي كانت هدفاً لسهام أهل الحديث ، مع اتهامه بالقدر والتدليس ، لذا فقد اختلفت آراء النقاد فيه فقال الإمام أحمد : «هو حسن الحديث» ، وقال ابن معين : «ثقة وليس بحجة» ، وقال ابن المديني : «حديثه عندي صحيح» ، وقال النسائي : «ليس بالقوي» ، وقال إمام النقاد شعبة ابن الحجاج : «ابن إسحاق أمير المؤمنين في الحديث» .

بالمقابل قال أبو داود : «قدري معتزلي» ، وقال سليمان التيمي : «كذاب» ، وهو قول هشام بن عروة ، بينما كان الإمام مالك يتّهمه ويقول عنه : «دجال من الدجاجلة» .

ويبدو واضحاً من تصفح سيرة هذا الإمام الجليل ، تهافت الاتهامات التي ألصقها بعض النقاد فيه ، فبعضها يعود إلى الهوة التي تفصل بين نقلة الحديث والإخباريين ، وأخرى تفتقر إلى دليل قاطع ، قال يعقوب بن شيبة : «سألت ابن المديني عن محمد بن إسحاق ؟ فقال : حديثه عندي صحيح ، قلت : فكلام مالك فيه ؟ قال : مالك لم يجالسه ولم يعرفه ، قلت: فهشام بن عروة ؟ قال : الذي قال هشام ليس بحجة»[٣] ، لذا فإن الإمام مسلم لم يتردد عن إيراد حديثه في صحيحه ، غير ملتفت إلى ما نقل عن مضعّفيه .

---

(١) الجرح والتعديل ٣٨/٦ ، الضعفاء ١٠٨/٣ ، ميزان الاعتدال ٦٠٩/٢-٦١٤ .

(٢) الجرح والتعديل ١٢٦/٦ ، الضعفاء ١٨٣/٣ ، ميزان الاعتدال ٢٠٩/٣ .

(٣) الجرح والتعديل ١٩١/٧ ، الضعفاء ٢٦/٤ ، ميزان الاعتدال ٤٦٨/٣-٤٧٥ .

٨ . مهدي بن هلال أبو عبد الله البصري : كان من القدرية على اتهامه بالكذب ، قال ابن معين : «صاحب بدعة ، يضع الحديث» ، وقال الدارقطني : «متروك» ، وساق ابن عدي له جملة في الكامل ، وقال معلقاً عليها : «عامة ما يرويه لا يتابع عليه» ، وقد كذّبه ابن المديني(١) .

٩ . ميمون أبو عبد الله مولى عبد الرحمن بن سمرة : قال أحمد : «أحاديثه مناكير» ، وقال ابن معين : «لا شيء» ، ونقل عن شعبة أنه كان رذلاً(٢) .

١٠ . هشام بن حجير المكي : ممن اختلف فيه ، فقد احتج به الشيخان في صحيحيهما ، وقال ابن شبرمة : «ما بمكة مثله» ، وقال العجلي : «ثقة صاحب سنة» ، وقال أبو حاتم : «يكتب حديثه» ، بالمقابل ضعفه يحيى بن معين ، وقد سئل عنه يحيى القطان ، فلم يرضه ، وضرب على حديثه(٣) .

١١ . الوليد بن عبد الله بن جميع الزهري الكوفي : ممن اختلف فيه ، وثقه ابن معين والعجلي والفلاس وأحمد وأبو زرعة ، وأخرج له الإمام مسلم ، والترمذي والنسائي وأبو داود في سننهم ، قال أبو حاتم : «صالح الحديث» ، وقال ابن حبان : «فحش تفرده فبطل الاحتجاج به» ، وقال الحاكم : «لو لم يذكره مسلم في صحيحه كان أولى»(٤) .

١٢ . يزيد بن سفيان أبو المهزم البصري : ضعّفه أئمة هذا الشأن ، روى عنه شعبة ثم أعرض عنه مصرحاً بقوله : «رأيت أبا المهزم ولو يعطى درهماً لوضع حديثاً» ، ضعفه ابن معين ، وقال النسائي : «متروك» ، وقال ابن عدي : «عامة ما يرويه غير محفوظ»(٥) .

٣ . ٢ . ٣ . من تركه يحيى القطان وروى عنه ابن مهدي :

---

(١) المجروحين ٣/٣٠ ، الضعفاء ٤/٢٢٧ ، ميزان الاعتدال ٤/١٩٦ .

(٢) الجرح والتعديل ٨/٢٣٤ ، الضعفاء ٤/١٨٥ ، ميزان الاعتدال ٤/٢٣٥ .

(٣) الجرح والتعديل ٩/٥٣ ، الضعفاء ٤/٣٣٧ ، ميزان الاعتدال ٤/٢٩٥ .

(٤) الجرح والتعديل ٩/٨ ، المجروحين ٣/٧٩ ، ميزان الاعتدال ٤/٣٣٧ .

(٥) الجرح والتعديل ٩/٢٦٩ ، المجروحين ٣/٩٩ ، ميزان الاعتدال ٤/٤٢٦ .

١ . أبان بن عبد الله بن صخر البجلي الكوفي : وثقه ابن معين وقال أحمد : «صدوق صالح الحديث» ، أما ابن عدي فقال : «أرجو أنه لا بأس به» ، وقد حسّن حديثه الذهبي[١] .

٢ . إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي : أحد الأئمة الأعلام الذين أثاروا صيحات دهشة واستغراب نقاد هذا الفن لتضعيف يحيى القطان له ، فقد عجب من حفظه أحمد بن حنبل وقال : «كان ثبتاً» ، واعتمده البخاري ومسلم في أصولهما ، وقال عنه أبو حاتم : «من أتقن أصحاب أبي إسحاق» ، وقال ابن المهدي عنه : «إسرائيل في أبي إسحاق أثبت من شعبة والثوري» .

بالمقابل نقل عن ابن المديني وابن حزم تضعيفه ، ولين حديثه يعقوب بن شيبة .

قال الذهبي : «كان يحيى القطان يحمل عليه في حال أبي يحيى القتات وكان لا يرضاه» ، وقال في موضع آخر : «وأما يحيى القطان فكان لا يحدث عنه ولا عن شريك ، وقد يروي عمن هو دونهما ، فإنه روى عن مجالد»[٢] .

قلت : قد تختلف المعايير النقدية التي يعتمدها هذا الناقد وذاك ، فلكل ناقد قنطرة تحمل لبناتها مفردات منهجه النقدي ، فمن جاز قنطرته فهو ثقة بمعياره ، ولا مشاحة في الاصطلاح ، بيد أن معياره لا يكون حكماً على بقية أئمة هذا الشأن ، إلا إذا أنيط حكمه بشواهد تشهد بصحة ما ذهب إليه من تضعيف هذا الراوي وتوثيق ذاك ، وبدونه فإن الحكم النهائي يكون لما اجتمع عليه النقاد بدليل قاطع ، والله أعلم .

٣ . الحجاج بن أرطأة أبو أرطأة النخعي : روى عن : الشعبي ، وعطاء ، وعمرو ابن شعيب ، ونافع ، وطائفة ، وتلقى عنه سفيان الثوري ، وشعبة ، وابن نمير ، وغيرهم. قال شعبة : «اكتبوا لحجاج بن أرطأة وابن إسحاق فإنهما حافظان» ، وقال أحمد :

---

(١) الجرح والتعديل ٢٩٦/٢ ، تهذيب الكمال ١٥/٢ ، ميزان الاعتدال ٩/١ .

(٢) الجرح والتعديل ٣٣٠/٢ ، الضعفاء ١٣١/١ ، ميزان الاعتدال ٢٠٨/١-٢١٠ .

«كان من الحفاظ» ، وقال الثوري : «ما بقي أحد أعرف بما يخرج من رأسه منه» ، وقال ابن معين : «ليس بالقوي ، وهو صدوق يدلس» ، وكان الزهري سيئ الرأي فيه جداً لا يراجع فيه ، وقال الدارقطني : «لا يحتج به» . قلت : لتهمة الضعف التي ألصقت بالحجاج موردان : الأول يتعلق برواية الحديث ؛ لكثرة تدليسه في رواياته ، والثاني حبه للشرف ، فنتج عنه تيه لا يليق بأهل العلم والمروءة ، إلا أنه كان علماً من الأعلام ، استفتي وهو ابن ست عشرة سنة ، وتزاحم على مجلسه طلبة العلم . أخرج له الإمام مسلم في صحيحه مقروناً بآخر ، والنسائي في مجتباه على تشدده[١] .

٤ . **حرب بن شداد أبو الخطاب القصاب البصري** : روى عن : شهر بن حوشب ، والحسن ، ويحيى بن أبي كثير ، وعنه : عبد الرحمن بن مهدي ، وأبو داود وطائفة ، احتج بمروياته أصحاب الكتب الستة ، وهو من رجال الصحيحين ، قال أحمد : «أخبرنا حرب بن شداد وكان ثقة» ، وقال ابن معين : «صالح» ، وقال أبو حاتم : «صالح الحديث» ، ووثقه ابن حبان البستي[٢] .

٥ . **الربيع بن صبيح السعدي** : قال أحمد : «لا بأس به» ، وقال ابن المديني : «هو عندنا صالح وليس بالقوي» ، وذهب ابن معين والنسائي إلى تضعيفه ، وضعفه ابن حبان وقال فيه : «كان من عباد أهل البصرة وزهادهم ، إلا أن الحديث لم يكن من صناعته»[٣] .

٦ . **الربيع بن عبد الله بن خطاف البصري الأحدب** : وهاه ابن معين ، وقال النسائي وغيره : «ليس بالقوي» ، وروى أحمد عن عبد الرحمن بن مهدي أنه ثقة ، وقال عبد الله بن أحمد : «سألت أبي عن الربيع ؟ فقال : ثقة» ، وذكره ابن حبان في الثقات ، ووثقه ابن شاهين[٤] .

---

(١) الجرح والتعديل ١٥٤/٣ ، الضعفاء ٢٨٠/١ ، ميزان الاعتدال ٤٥٨/١-٤٦٠ .

(٢) الجرح والتعديل ٢٥٠/٣ ، الضعفاء ٢٩٤/١ ، ميزان الاعتدال ٤٧٠/١ .

(٣) الضعفاء ٥٢/٢ ، تهذيب الكمال ٩١/٩ ، ميزان الاعتدال ٤٠/٢ .

(٤) الجرح والتعديل ٤٦٦/٣ ، الضعفاء ٤٩/٢ ، ميزان الاعتدال ٤٢/٢ .

٧ **شريك بن عبد الله النخعي** : قال ابن المبارك : «ليس حديث شريك بشيء» ، وقال الجوزجاني : «سيئ الحفظ مضطرب الحديث مائل» ، وروى معاوية بن صالح عن ابن معين : «صدوق ثقة إلا أنه إذا خالف فغيره أحبّ إلينا منه» ، وقال أبو حاتم : «شريك صدوق وله أغاليط» ، وقال النسائي : «ليس به بأس» . بالمقابل فقد أخرج له الإمام مسلم متابعة ، وقد نقلت روايتان تؤشر بوضوح على سبب ترك يحيى القطان الرواية عن شريك، الأولى : رواها ابنه محمد بن يحيى ، عن أبيه قال : «رأيت تخليطاً في أصول شريك» ، والثانية : نقلها عبد الجبار بن محمد قال : «قلت ليحيى بن سعيد : زعموا أن شريكاً إنما اختلط بأخرة ! قال : ما زال مخلطاً»[١] .

٨ . **شعبة بن عياش أبو بكر الكوفي** : قال عبد الله بن أحمد : «قال أبي : أبو بكر بن عياش ثقة ، وربما غلط» ، قال عمرو بن علي الفلاس : «كان يحيى بن سعيد إذا ذكر عنده أبو بكر بن عياش كلح وجهه وأعرض ، وكان عبد الرحمن يحدث عنه» ، قال الذهبي : «صدوق ربما يهم»[٢] .

٩ . **شهر بن حوشب الأشعري** : قال ابن معين : «ثقة» ، وقال أبو زرعة : «لا بأس به» ، وقال النسائي : «ليس بالقوي» ، وقال أبو حاتم : «لا يحتج به» ، وقد أسرف ابن عدي في تجريحه فقال فيه : «ممن لا يحتج به ، ولا يتدين بحديثه» ، فقد ذهب إلى الاحتجاج بحديثه طائفة ، قال أحمد : «ما أحسن حديثه» ووثقه ، وقال يعقوب الفسوي : «شهر وإن تكلم فيه ابن عون ، فهو ثقة»[٣] .

١٠ . **صالح بن أبي الأخضر البصري** : ضعفه جمهرة من أئمة هذا الفن كابن معين والنسائي ، والبخاري ، وأبي زرعة ، والترمذي ، وابن عدي ، وقال العجلي : «يكتب

(١) الجرح والتعديل ٣٦٥/٤ ، الضعفاء ١٩٣/٢ ، ميزان الاعتدال ٢٧٠/٢ .

(٢) الضعفاء ١٨٩/٢ ، ميزان الاعتدال ٢٧٤/٢ .

(٣) الجرح والتعديل ٣٨٢/٤ ، ميزان الاعتدال ٢٨٣/٢ ، تهذيب التهذيب ٣٢٤/٤ .

حديثه ، وليس بالقوي» ، وقال الجوزجاني : «اتهم في حديثه» ، وقال أبو حاتم : «لين الحديث» ، بينما قال أحمد بن حنبل : «يستدل به ويعتبر به»[١] .

١١ . عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب : قال ابن معين : «ليس به بأس يكتب حديثه» ، وقال أحمد : «صالح لا بأس به» ، وقال النسائي : «ليس بالقوي» ، وقال ابن عدي : «هو في نفسه صدوق» .

وقد ضعفه علي بن المديني ، وألحقه ابن حبان في عداد المتروكين ؛ لأنه كان ممن غلب عليه الصلاح والعبادة ، فغفل عن حفظ الأخبار مع تفاحش خطئه[٢] .

١٢ . عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب الهاشمي :قال ابن معين : «ضعيف» ، وقال أبو حاتم : «لين الحديث» ، وقال ابن خزيمة : «لا أحتج به» ، وقال ابن المديني : «كان ضعيفاً» ، وكان مالك إمام المدينة لا يروي عنه ، بيد أنه رغم ما قيل فيه ، فقد احتج به أحمد بن حنبل ، وإسحاق[٣] .

١٣ . عمران بن دَاوَر أبو العوام القطان : كان عمران من الحرورية الخوارج ، أفتى في أيام إبراهيم بن عبد الله بن حسن بفتوى أباح فيها استخدام السيف ، غير أنه لم يكن داعية إلى مذهبه ، ضعفه النسائي وأبو داود ، وقال أحمد : «أرجو أن يكون صالح الحديث» ، بينما روى عنه عبد الرحمن بن مهدي[٤] .

١٤ . كثير بن شنظير أبو قرة : قال أبو زرعة :«لين» ، وقال أحمد : «صالح الحديث» وقال النسائي : «ليس بالقوي» ، وقال ابن عدي : «أحاديثه أرجو أن تكون مستقيمة» .

وقد اختلفت أقوال ابن معين فيه لدى الناقلين عنه ، فروى عثمان بن سعيد عن

---

(١) الجرح والتعديل ٣٩٤/٤ ، الضعفاء ١٩٨/٢ ، ميزان الاعتدال ٢٨٨/٢ .

(٢) الضعفاء ٢٨٠/٢ ، ميزان الاعتدال ٤٦٥/٢ .

(٣) الجرح والتعديل ١٥٣/٥ ، الضعفاء ٢٩٩/٢ ، ميزان الاعتدال ٨٨٤/٢ .

(٤) الضعفاء ٣٠١/٣ ، ميزان الاعتدال ٢٣٦/٣ .

يحيى : «ثقة» ، وروى الدوري عنه : «ليس بشيء»[١] .

١٥ . ليث بن أبي سليم الكوفي الليثي : كان من أوعية العلم ، عابداً ناسكاً ، قال أحمد : «مضطرب الحديث ولكن حدث الناس عنه» ، وقال النسائي : «ضعيف» ، وقال ابن معين : «لا بأس به» ، وقال ابن حبان : «اختلط في آخر عمره» . وقد نقل عبد الله بن أحمد بن حنبل رواية تؤشر بوضوح على تشدد يحيى القطان في تضعيفه ، فقال : «حدثنا أبي قال : ما رأيت يحيى بن سعيد أسوأ رأياً في أحدٍ منه في ليث ، ومحمد بن إسحاق ، وهمام ، لا يستطيع أحد أن يراجعه فيهم !»[٢] .

١٦ . محمد بن سليم أبو هلال العبدي الراسبي : كان من علماء البصرة ممن يرون القدر ، وثقه أبو داود ، وقال أبو حاتم : «محله الصدق ، ليس بذاك المتين» ، وقال النسائي : «ليس بالقوي» ، وقال ابن معين : «صدوق» ، أما ابن عدي فذهب إلى أن أحاديثه عن قتادة عامتها غير محفوظة[٣] .

١٧ .همام بن يحيى العوذي البصري : أحد علماء البصرة وثقاتها ، ابتلي بسوء الحفظ غير أن كتابه كان يسعفه من هذا البلاء ، بيد أنه كان يخالف في بعض الأوقات ، فلا يرجع إلى كتابه فأخطأ في غير موضع ، قال أبو حاتم : «ثقة ، في حفظه شيء» ، وقال أحمد : «همام ثبت في كل مشايخه» ، وقال أبو زرعة : «لا بأس به» ، وقال يزيد بن زريع : «كتابه صالح ، وحفظه لا يساوي شيئاً» ، قال عمرو بن علي الفلاس : «كان يحيى لا يرضى حفظه ولا كتابه ولا يحدّث عنه ، وكان عبد الرحمن يحدّث عنه»[٤] .

١٨ . يزيد بن أبان الرقاشي البصري : كان من قصاص البصرة المرموقين ، أعرض النقاد عن الرواية عنه لضعفه ، قال شعبة بن الحجاج : «لأَنْ أزني أحبّ إليّ من أنْ أحدث

(١) الجرح والتعديل ١٥٣/٧ ، الضعفاء ٦/٤ ، ميزان الاعتدال ٤٠٦/٣

(٢) الجرح والتعديل ١٧٧/٧ ، الضعفاء ١٦/٤ ، ميزان الاعتدال ٤٢١/٣ .

(٣) الجرح والتعديل ٢٧٣/٧ ، الضعفاء ١١٠/٤ ، ميزان الاعتدال ٥٧٤/٣ .

(٤) الجرح والتعديل ١٠٧/٩ ، الضعفاء ٣٦٧/٤ ، ميزان الاعتدال ٣٠٩/٤ .

عن يزيد الرقاشي» ، وقال أحمد : «كان يزيد منكر الحديث» ، وقال النسائي : «متروك» وضعفه الدارقطني ، بينما قال ابن عدي في الكامل : «أرجو أنه لا بأس به»[١] .

٣ . ٢ . ٤ . من حدّث عنه يحي القطان ثم تركه :

١ . أسامة بن زيد الليثي مولاهم : قال أحمد بن حنبل : «ليس بشيء» ، فراجعه ابنه عبد الله فيه ، فقال : «إذا تدبرت حديثه تعرف فيه النكرة» ، وقال يحيى بن معين : «ثقة» ، وقال النسائي : «ليس بالقوي» ، وقال أبو حاتم : «يكتب حديثه ولا يحتج به» ، وقال ابن عدي : «ليس به بأس» .

نقل ابن الجوزي اختلاف الروايات المنقولة عن ابن معين عنه ، فقال مرة : «ثقة صالح» ، وقال مرة أخرى : «ليس به بأس» ، وقال مرة أخرى : «ترك حديثه بأخرة» .

قلت : والصحيح أن هذا القول الأخير ليحيى بن سعيد كما ورد عن عمرو بن علي الفلاس قال[٢] : «كان يحيى يحدثنا عن أسامة بن زيد ثم تركه» ، وقد روى عباس وأحمد ابن أبي مريم عن يحيى : «ثقة» ، زاد ابن أبي مريم عنه : «حجة»[٣] .

٢ . جابر بن يزيد الجعفي : تقدم الكلام عنه في الفقرة (٣.١ ، ترجمة رقم ١٤) ، والذي يبدو لنا من تقصي أخباره ، أن يحيى القطان قد روى عنه في البداية بعد أن غض النظر عما قيل في تشيعه ، بيد أن تدليسه للروايات جعله يتوقف عن الرواية عنه فيما بعد ، والله أعلم .

٣ . عمرو بن عبيد بن باب البصري : سبق التحدث عنه ، بيد أن ما أردنا قوله في هذا المقام ، هو أن يحيى القطان كان يحدث عن عمرو بن عبيد غير ملتفت إلى ما شاع بين أئمة النقد من تضعيفه والتوقف عن السماع عنه ، لذا فقد اشتد النكير عليه في الرواية

---

(١) الجرح والتعديل ٩/٢٥١ ، الضعفاء ٤/٣٧٣ ، ميزان الاعتدال ٤/٤١٨ .

(٢) الكامل ١/٣٩٤ .

(٣) الكامل ١/٣٩٤ ، الضعفاء ١/٨١ ، ميزان الاعتدال ١/١٧٤ .

عن الداعية المعتزلي المبتدع ، حتى فقد صوابه معاذ بن معاذ فصاح بمسجد البصرة قائلاً له : «أما تتقي الله ؟ تروي عن عمرو بن عبيد وقد سمعته يقول كذا وكذا !» ، لذا فإن توقف يحيى القطان في الرواية عنه كانت نتيجة للضغط الناجم عن معاصريه من أهل الحديث ، وليس بناءً على تغير مذهبه في عمرو بن عبيد ذاته ، والله أعلم[١] .

٤ . **موسى بن سيار الأسواري** : كان قدرياً ، قال أبو حاتم عنه : «مجهول» ، وقد ضعفه يحيى القطان وقال : «ليس حديثه بشيء»[٢] .

٥ . **يحيى بن عبيد الله بن موهب المديني** : في البداية وثقه يحيى القطان وروى عنه ثم عاد فضعفه وأعرض عن الرواية عنه ، قال ابن معين : «ليس بشيء» ، وقال أحمد بن حنبل : «أحاديثه مناكير» ، وقال سفيان بن عيينة : «ضعيف» ، وذهب ابن عدي إلى أن سبب ضعفه يعود إلى أن بعض مروياته لا يتابع عليها[٣] .

٣ . ٢ . ٥ . من تركه يحيى القطان ثم عاد فحدّث عنه :

١ . **إسماعيل بن عبد الملك بن أبي الصفير الأسدي** : سبق ذكره ، وقد أورد الذهبي في ميزانه[٤] قول يحيى القطان : «تركته ثم كتبت عن سفيان عنه» ، ولعله قد توفرت لديه قرائن تعضد رواية سفيان عنه لضبطه أصوله ، أو ثبوت سماعه عنه قبل خفة ضبط أو اختلاط ، والله أعلم .

٢ . **الوليد بن عبد الله بن جميع الزهري الكوفي** : وثقه ابن معين والعجلي ، وقال أحمد وأبو زرعة : «ليس به بأس» ، وقال أبو حاتم : «صالح الحديث» ، وقال ابن حبان : «فحش تفرده فبطل الاحتجاج به» ، وقال الحاكم : «لو لم يذكره مسلم في صحيحه لكان

---

(١) الضعفاء ٣/٢٨٠ ، ميزان الاعتدال ٣/٢٧٤-٢٧٧ .

(٢) الجرح والتعديل ٨/١٤٦ ، الضعفاء ٤/١٧١ ، ميزان الاعتدال ٤/٢٢٧ .

(٣) الجرح والتعديل ٩/١٦٧ ، الضعفاء ٤/٤١٥ ، ميزان الاعتدال ٤/٣٩٥ .

(٤) ميزان الاعتدال ١/٢٣٧ .

أولى» ، ونعت العقيلي حديثه بالاضطراب[١] .

قال عمرو بن علي الفلاس[٢] : «كان يحيى لا يحدثنا عنه ، فلما كان قبل موته بقليل أخذتها من علي الصائغ فحدثني بها ، وكانت ستة أحاديث» .

٦ . ٣ . من تركه عبد الرحمن بن مهدي :

١ . أبان بن أبي حاتم البجلي : سكت عنه البخاري ، ووثقه أبو حاتم الرازي ، ونقل ابن حجر العسقلاني في التهذيب توثيق ابن معين وأحمد بن حنبل له ، وقال ابن عدي : «هو عزيز الحديث ، عزيز الروايات ، لم أجد له حديثاً منكر المتن أذكره ، وأرجو أنه لا بأس به» ، أما ابن حبان فقد اتهمه بالخطأ الفاحش والانفراد بالمناكير[٣] .

٢ . إسماعيل بن خليفة أبو إسرائيل العبسي : قال يحيى بن معين : «صالح الحديث» ، وقال في موضع آخر : «ضعيف» ، وقال أبو زرعة : «صدوق إلا أن في رأيه غلواً» ، وقال أبو حاتم : «حسن الحديث جيد اللقاء ، وله أغاليط ، لا يحتج بحديثه ويكتب حديثه» ، قال الجوزجاني : «مفتر زائغ» ، وقال النسائي : «ضعيف» ، واتهمه العقيلي بكثرة الوهم والاضطراب في حديثه مع سوء مذهبه ، أما ابن عدي فقد قال فيه : «عامة ما يرويه يخالف الثقات ، وهو في جملة من يكتب حديثه» .

وقد ألقى عمرو بن علي الفلاس الضوء على سبب إعراض ابن مهدي عن الرواية عنه فقال : «سألت عبد الرحمن عن حديث أبي إسرائيل ؟ فأبى أن يحدثني به ، وقال : كان يشتم عثمان رضي الله عنه»[٤] .

٣ . إسماعيل بن عياش أبو عتبة العنسي الحمصي : عالم أهل الشام ، أخذ عن : شرحبيل بن مسلم ، ومحمد بن زيد الألهاني ، وبحير بن سعد ، وخلق ، وعنه : سفيان

(١) الضعفاء ٣١٧/٤ ، ميزان الاعتدال ٣٣٧/٤ ، لسان الميزان ٤٢٥/٧ .

(٢) التاريخ الكبير ٣١٧/٤ ، الجرح والتعديل ٩/ت٣٤ ، ميزان الاعتدال ٣٣٧/٤ .

(٣) المجروحين ٩٩/١ ، الضعفاء ٤٢/١ ، تهذيب التهذيب ٩٦/١ .

(٤) المعرفة والتاريخ ١٣٣/٣ ، المجروحين ١٢٤/١ ، تهذيب الكمال ٧٩/٣ .

الثوري ، وابن إسحاق ، وسعيد بن منصور ، وهنّاد ، والحسن بن عرفة ، وخلق .

قال ابن معين : «ثقة» ، وقال يزيد بن هارون : «ما رأيت أحفظ من إسماعيل بن عياش» .

بالطرف المقابل لينه أبو حاتم ، وضعفه ابن المديني بتضعيف ابن مهدي له ، والنسائي وابن حنبل .

ومصدر اتهامه بالضعف يعود إلى إغرابه بالرواية عن ثقات الحجازيين وغلطه عن المدنيين ـ كما ذكر ابن حبان ـ بيد أن القولِ الفصل فيه يمسك بزمامه إمام الصنعة البخاري ، وذلك بتصحيح حديثه عن أهل بلده ، أما إذا حدّث عن غيرهم ففيه نظر ، قال دحيم : «هو في الشاميين غاية ، وقد ظهر لي من تقصي أخباره ظهور الوهم في بعض مروياته»[١] .

٤ . **إسماعيل بن يعلى أبو أمية الثقفي البصري** : روى عن : نافع ، وهشام بن عروة ، وعنه : زيد بن الحباب ، وشيبان ، وطائفة ، قال ابن معين : «ضعيف ، ليس حديثه بشيء» ، وقال النسائي والدارقطني : «متروك» ، وقال البخاري : «سكتوا عنه» ، وقد أورد ابن عدي عنه بضعة عشر حديثاً معروفة ، بيد أنها منكرة الإسناد[٢] .

٥ . **الحسن بن صالح بن حي الهمداني الثوري** : سبق ذكره ، ويبدو بأن تشيع الحسن بن صالح وتركه لصلاة الجمعة وكونه يرى السيف ، وراء ترك ابن مهدي للراوية عنه ، قال عمرو بن علي الفلاس : «سألت ابن مهدي عن حديث الحسن بن صالح ، فأبى أن يحدثني به ، وقال : قد كان ابن مهدي يحدث عنه ثلاثة أحاديث ثم تركه»[٣] .

٦ . **الحسن بن عمارة أبو محمد الكوفي الفقيه** : روى عن : ابن أبي مليكة ، وعمرو

---

(١) الجرح والتعديل ، ٢/١٩١ ، الضعفاء ١/٩٠ ، ميزان الاعتدال ١/٢٤٠-٢٤٤ .

(٢) الضعفاء ١/٩٥ ، ميزان الاعتدال ١/٢٥٤ .

(٣) ميزان الاعتدال ١/٤٩٩ .

ابن مرة ، وخلق ، وعنه : السفيانان ، وعبد الرزاق ، وشبابة .

كان شعبة كثير النكير عليه ، وقال أحمد وأبو حاتم ومسلم والدارقطني : «متروك» ، وقال ابن معين : «ليس حديثه بشيء» ، وقال الجوزجاني : «ساقط»(١) .

٧ . **زفر بن الهذيل بن قيس العنبري** : أحد الفقهاء العباد ، وثقه ابن معين وقال فيه: «زفر صاحب الرأي ثقة مأمون» ، وقال ابن سعد : «لم يكن في الحديث بشيء» ، وقال الذهبي : «صدوق» ، ووثقه ابن حبان وقال : «كان متقناً حافظاً» ، قال بشر بن السري : «ترحمت يوماً على زفرٍ وأنا مع الثوري ، فأعرض بوجهه عني»(٢) .

٨ . **شعيب بن صفوان بن الربيع بن ركين** : قال أبو حاتم : «لا يحتج به» ، وقال أحمد : «لا بأس به» ، وقال ابن عدي : «عامة ما يرويه لا يتابع عليه»(٣) .

٩ . **عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العمري** : روى عثمان الدارمي عن ابن معين قوله فيه : «ضعيف» ، وقال البخاري : «ضعفه ابن المديني جداً» ، وضعفه الإمام أحمد ، قال أبو حاتم : «كان في نفسه صالحاً ، وفي الحديث واهياً» ، وقال أبو زرعة : «ضعيف الحديث»(٤) .

١٠ . **عبد الرحيم بن زيد العمي** : قال ابن معين : «كذاب» ، وقال في موضع آخر : «ليس بشيء» ، وقال أبو حاتم : «تُرك حديثه» ، وهو مذهب البخاري ، وقال أبو زرعة : «واه» ، وقال الجوزجاني : «غير ثقة» ، وضعفه أبو داود(٥) .

١١ . **عبد العزيز بن أبي حازم المدني** : قال أحمد : «لم يكن يعرف بطلب الحديث ، ولم يكن بالمدينة بعد مالك أفقه منه» ، وقال ابن معين : «صدوق» ، وقال ابن المديني :

---

(١) الجرح والتعديل ٢٧/٣ ، الضعفاء ٢٤٠/١ ، ميزان الاعتدال ٥١٣/١-٥١٥ .

(٢) الجرح والتعديل ٦٠٨/٣ ، الضعفاء ٩٧/٢ ، ميزان الاعتدال ٧١/٢ .

(٣) الجرح والتعديل ٣٤٨/٤ ، ميزان الاعتدال ٢٧٦/٢ ، تهذيب التهذيب ٣٠٩/٤ .

(٤) الجرح والتعديل ٢٣٣/٥ ، الضعفاء ٣٣١/٢ ، ميزان الاعتدال ٥٦٤/٢ .

(٥) الجرح والتعديل ٣٣٩/٥ ، الضعفاء ٧٨/٣ ، ميزان الاعتدال ٦٠٥/٢ .

«كان حاتم بن إسماعيل يطعن عليه في أحاديث رواها عن أبيه» ، أمـا الذهـبي فقـال عنـه : «أحد الثقات»[(١)] .

١٢ . عبد الله بن لهيعة بن عقبة الحضرمي : اختلفت آراء النقاد في ابن لهيعة اختلافاً بيناً بين موثق يرقى به إلى مصاف الأئمة الأثبات ، وبين مـن يوهنـه ويعـرض عـن مروياتـه كعبد الرحمن بن مهدي .

قال أحمد : «من كان مثل ابن لهيعة بمصر في كـثرة حديثـه وضبطـه وإتقانـه» ، وقـال سفيان الثوري : «كان عند ابن لهيعة الأصول وعندنا الفروع» .

بالمقابل فقد ضعفه يحيى القطان ، وابن معين ، والنسائي ، وأبو زرعة ، وأبو حاتم ، وقال الجوزجاني : «لا ينبغي أن يحتج به»[(٢)] .

١٣ . عبد الله بن المسور بن عون الهاشمي : قال أحمد : «أحاديثه موضوعة» ، وتركه النسائي والدارقطني ، قال الذهبي : «ليس بثقة»[(٣)] .

١٤ . عبيس بن ميمون أبو عبيدة التيمي : قال أحمد والبخاري :«منكر الحديـث» ، وضعفه ابن معين وأبو داود ، وقال عمرو بن علي الفلاس : متروك ، أما ابن حبـان فقـال : «يروي عن الثقات الموضوعات توهماً» ، قال النسائي : «ليس بثقة» ، وقال ابـن عـدي : «عامة ما يرويه مناكير»[(٤)] .

١٥ . علي بن صالح بن حي الهمداني : ممن اختلف النقاد في شأنه ، فقـد وثقـه ابـن معين والنسائي ـ على تشدده ـ ، بينما نقل محمد بـن المثنى توقـف ابـن مـهدي في الروايـة عنه[(٥)] .

---

(١) الجرح والتعديل ٣٨٢/٥ ، الضعفاء ١١/٣ ، ميزان الاعتدال ٦٢٦/٢ .

(٢) الجرح والتعديل ١٤٥/٥ ، الضعفاء ٢٩٤/٢ ، ميزان الاعتدال ٤٧٥/٢-٤٨٢ .

(٣) الجرح والتعديل ١٦٩/٥ ، الضعفاء ٣٠٥/٢ ، ميزان الاعتدال ٥٠٤/٢ .

(٤) الجرح والتعديل ٣٤/٧ ، الضعفاء ٤١٧/٣ ، ميزان الاعتدال ٢٦/٣ .

(٥) الجرح والتعديل ١٩٠/٦ ، الضعفاء ٢٣٣/٣ ، ميزان الاعتدال ١٣٢/٣ .

١٦ . عنبسة بن سعيد القطان : اختلف فيه فوثقه أبو داود ، وضعفه ابن معين وأبو حاتم الرازي[١] .

١٧ . فليح بن سليمان المدني : أحد كبار علماء عصره ، احتاز قنطرة الشيخين فأخرجا له في صحيحيهما ، بيد أن نقاد الحديث قد ضعفوه ، فقال أبو حاتم والنسائي : «ليس بالقوي» ، وقال أبو داود : «لا يحتج بفليح» ، وقال الدارقطني : «يختلفون فيه ولا بأس به» .

واختلفت أقوال ابن معين فيه ، فروى عثمان بن سعيد عنه : «ضعيف» ، ونقل الدوري قوله : «لا يحتج به» .

أما الذهبي فقد ذهب مذهب أبي حاتم والنسائي في الحكم عليه[٢] .

١٨ . كامل بن العلاء أبو العلاء السعدي الكوفي : ممن اختلف أئمة الشأن في الحكم عليه ، فقد وثقه ابن معين ، وقال النسائي : «ليس بالقوي» ، ونقل في موضع آخر عنه : «ليس به بأس» ، وأدخله ابن عدي في عداد الضعفاء بكامله ، واستدرك قائلاً : «لم أر للمتقدمين فيه كلاماً ، وفي بعض رواياته أشياء أنكرتها ، ومع هذا أرجو أنه لا بأس به» ، أما ابن حبان فاتهمه بقلب الإسناد ورفع المراسيل من حيث لا يدري[٣] .

١٩ . محمد بن أبي حميد المديني : قال عبد الله بن أحمد : «سمعت أبي يقول : محمد ابن أبي حميد أحاديثه مناكير» ، وقال في موضع آخر : «ليس هو بقوي في الحديث» ، بالمقابل قال ابن معين : «محمد بن أبي حميد ليس بشيء»[٤] .

٢٠ . مسلمة بن علقمة المازني : ممن اختلف فيه ، فقد وثقه يحيى بن معين ، وقال أبو حاتم : «صالح الحديث» ، وضعفه أحمد وقال فيه : «شيخ ضعيف روى عن داود

(١) الضعفاء ٣/٣٦٦ ، ميزان الاعتدال ٣/٢٩٩ .
(٢) الجرح والتعديل ٧/٨٤ ، الضعفاء ٣/٤٤٦ ، ميزان الاعتدال ٣/٣٦٣ .
(٣) الجرح والتعديل ٧/١٧٢ ، الضعفاء ٤/٨ ، ميزان الاعتدال ٣/٤٠٠ .
(٤) الضعفاء ٤/٦١ ، ميزان الاعتدال ٣/٥٣١ ، تهذيب التهذيب ٩/١٣٢ .

مناكير»[١] .

٢١ . مندل بن علي العنزي الكوفي : كان من المتشيعة ، قال أبو حاتم : «شيخ» ، وقال أبو زرعة : «لين» ، وضعفه أحمد ، قال محمد بن عثمان : «سمعت يحيى وسئل عن مندل وحبان بن علي ؟ فقال : هما صالحان وليس بذاك»[٢] .

٢٢ . يعقوب بن إبراهيم أبو يوسف القاضي : صاحب أبي حنيفة النعمان ، إمام في الفقه والورع ، لم يكن موفور الحظ مع أصحاب الحديث ، شأن بقية الفقهاء الذين يتداولون الحديث فيتتبع المحدثون هفواتهم ، قال عمرو بن علي الفلاس : «صدوق كثير الغلط» ، وقال البخاري : «تركوه» ، وقال أبو حاتم : «يكتب حديثه» ، وقد نقل عن ابن معين تليينه . قال ابن عدي : «ليس في أصحاب الرأي أكثر حديثاً منه ، إلا أنه يروي عن الضعفاء الكثير مثل الحسن بن عمارة وغيره ، وكثيراً ما يخالف أصحابه ويتبع الأثر ، وإذا روى عنه ثقة وروى هو عن ثقة فلا بأس به» .

قلت : لا يسلم الفقيه من سهام المحدث إذا روى الحديث أو الأثر ، كما أن السادة الحنفية كانوا بنظر المحدثين أصحاب الرأي الذين هم على طرف نقيض مع أهل الحديث والأثر ، لذا فليس بمستغرب أن يُضعّف أبو يوسف القاضي وهو إمام جليل من أئمة الفقهاء ، فللمحدثين موازين تختلف عن موازين الفقهاء ، وكل ينظر إلى المسألة بميزانه[٣] .

٧ . ٣ . من تركه ابن مهدي وحدّث عنه يحيى القطان :

١ . الحسن بن ذكوان أبو سلمة البصري : روى عن : ابن سيرين ، وطاووس ، وأبي رجاء ، وخلق يصعب حصرهم ، وعنه : يحيى القطان ، وعبد الوهاب ، وعطاء ، وطائفة ، وضعفه ابن معين وأبو حاتم ، وقال النسائي : «ليس بالقوي» ، أما ابن عدي

---

(١) الضعفاء ٤/٢١٢ ، ميزان الاعتدال ٤/١٠٩ .

(٢) الجرح والتعديل ٨/٤٣٤ ، المجروحين ٣/٢٤ ، ميزان الاعتدال ٤/١٨٠ .

(٣) الضعفاء ٤/٤٤ ، ميزان الاعتدال ٤/٤٤٧ .

فقال عنه : «يروي أحاديث لا يرويها غيره» ، قال الذهبي : «وهو صالح الحديث ، ذكره ابن حبان في الثقات» ، قال علي بن المديني : «حدّث يحيى عن الحسن بن ذكوان ولم يكن عنده بالقوي»(١) .

٢ . **حصين والد داود بن الحصين** : قال البخاري : «حديثه ليس بالقائم» ، وقال في موضع آخر : «في حديثه نظر» ، ورماه ابن حبان بالاختلاط في آخر عمره ، حتى كان لا يدري ما يحدث به ، اختلط حديثه القديم بحديثه الأخير ، فاستحق الترك بمعيار ابن حبان(٢) .

٣ . **قابوس بن ظبيان الجنبي الكوفي** : قال أبو حاتم : «لا يحتج به» ، وكان ابن معين شديد النكير عليه ، وقال النسائي : «ليس بالقوي» ، وقال ابن حبان : «رديء الحفظ ، يتفرد عن أبيه بما لا أصل له ، فربما رفع المرسل وأسند الموقوف» ، أما ابن عدي فقد كان أقل صرامة في نقده ، فقال فيه : «أحاديثه متقاربة ، وأرجو أنه لا بأس به»(٣) .

٨ . ٣ . من حدّث عنه ابن مهدي ثم أمسك عنه :

١ . **إسماعيل بن عبد الملك بن أبي الصفير** : سبق ذكره .

٢ . **إسماعيل بن عياش أبو عتبة العنسي الحمصي** : سبق ذكره ، ويبدو أن وقوف ابن مهدي على أوهام إسماعيل بن عياش المتكررة في بعض مروياته ، قد جعله يمسك في الرواية عنه ، والله أعلم .

٣ . **جابر بن يزيد الجعفي** : سبق ذكره ، ويبدو بأن توثيق الثوري وشعبة ووكيع بن الجراح لم يجد نفعاً لدى ابن مهدي ، بعد أن ظهر له ما يدلسه جابر من الروايات وإفراطه في التشيع وقوله بالرجعة ، مع ما كان يتسم به ابن مهدي من موقف صارم إزاء أهل

---

(١) الجرح والتعديل ٣/١٣ ، الضعفاء ١/٢٢٣ ، ميزان الاعتدال ١/٤٨٩ .

(٢) المجروحين ١/٢٧٠ ، الضعفاء ١/٣١٥ ، ميزان الاعتدال ١/٥٥٥ .

(٣) الجرح والتعديل ٧/١٤٥ ، الضعفاء ٣/٤٨٩ ، ميزان الاعتدال ٣/٣٦٧ .

البدع والمتشيعة ، والله أعلم .

٤ . **سعيد بن بشير مولى بني نصر** : قال أبو حاتم : «محله الصدق» ، وقال البخاري: «يتكلمون في حفظه» ، وضعفه ابن معين والنسائي ، وذكره أبو زرعة في ديوان ضعفائه وقال : «لا يحتج به» . بالمقابل فقد وثقه شعبة ودحيم فيما نقله عنهما ابن الجوزي ، وقال ابن عيينة «كان حافظاً»(١) .

٥ . **عبد الملك بن أعين الكوفي** : كان رافضياً صاحب رأي كما قال العقيلي في ضعفائه ، قال ابن معين : «ليس بشيء» ، وذكره البخاري في تاريخه الكبير ولم يتكلم فيه بجرح ، وقد أخرج له الشيخان في صحيحيهما بعد أن جاز قنطرة شروطهما في الرجال .

كذلك وثقه ابن حبان والعجلي ، أما أبو حاتم فقال فيه : «من أعتى الشيعة ، محله الصدق ، صالح الحديث ، يكتب حديثه»(٢) .

٤ . **قيس بن الربيع أبو محمد الكوفي الأسدي** : سبق التحدث عنه ، قيل لابن حنبل : «لم تركوا حديثه ؟ قال : كان يشيع ، وكان كثير الخطأ ، وله أحاديث منكرة» .

أما شعبة ـ إمام النقاد ـ فكان لا يميل إلى رأي من ذهب إلى تضعيفه ، فقال لمعاذ بن معاذ : «ألا ترى إلى يحيى بن سعيد يتكلم في قيس بن الربيع ! والله ما له إلى ذلك سبيل» وقال محمد بن المثنى : «كان شعبة وسفيان يحدثان عن قيس ، وكان يحيى وابن مهدي لا يحدثان عنه ، وحدّث عنه ابن مهدي ثم أمسك» .

وقد سرد له ابن عدي في كامله جملة من الأحاديث ثم قال : «ولقيس غير ما ذكرت من الحديث ، وعامة رواياته مستقيمة ، والقول قول شعبة أنه لا بأس به»(٣) .

٧ . **محمد بن جابر اليمامي** : سبق التحدث عنه ، روى عنه شعبة ، وأخرج له أبو

---

(١) الضعفاء ١٠١/٢ ، ميزان الاعتدال ١٢٨/٢-١٣٠ .

(٢) الجرح والتعديل ٣٤٣/٥ ، الضعفاء ٣٤/٣ .

(٣) الضعفاء ٤٧١/٣ ، ميزان الاعتدال ٣٩٥/٣ .

داود وابن ماجه القزويني في سننهما ، ولم تسعف الذهبي العبارة التي حاول الدفاع فيها عمن لم يجد في جعبته مسوغاً كافياً لتضعيفهم مع إيراد ترجمتهم في ميزانه فقال عنه : «وفي الجملة قد روى عن محمد بن جابر أئمة وحفاظ»(١) .

٤ . موازنة نقدية بين ما ذهب إليه الإمامان بصدد رواة الحديث وما ذهب إليه بقية صيارفة الرجال :

تسلم الإمامان : يحيى القطان ، وعبد الرحمن بن مهدي راية علم الحديث وصيرفة الرجال من جهابذة الفن ، كسفيان الثوري ، ومالك بن أنس ، وشعبة بن الحجاج ، وحماد بن سلمة ، والليث بن سعد ، وحماد بن زيد ، فأخذا عنهم الرسم في الحديث والتنقير عن أحوال الرجال لتمييز الضعفاء من المحدثين ، وقد كان هذان الإمامان من أكثر النقاد تنقيراً عن شأن رواة الحديث وأتركهم للضعفاء والمتروكين ، مع لزوم الدين والورع الشديد .

وسنحاول في هذا المقام أن نلقي مزيداً من الضوء على ما توفرت لدينا من أدلة استطعنا من خلالها تشكيل هيكلية المنهج النقدي الذي اعتمده كل منهما في صيرفة الرجال وترك الرواية عن الضعفاء والمجروحين ، لكي نمهد للمرحلة الأخيرة من رحلتنا المباركة معهما ، فنسبر حدود العبارة التي اعتمدت كمؤشر على الضعفاء الذين أعرضا عن الرواية عنهم ، أو أعرض أحدهما وروى الآخر لهم .

٤ . ١ . منهج الإمام يحيى بن سعيد القطان :

مهد يحيى القطان رحمه الله لأهل العراق رسم الحديث ، وأرسى لهم قواعد دقيقة لنقد الرجال ، وقد اكتسب مفردات هذا الفن من طول صحبته لإمام المحدثين شعبة بن الحجاج التي امتدت على عمق زمني مقداره عشرون عاماً ، صقلت أيامها موهبته وزادت درايته في هذا الشأن ، حتى بات من النادر أن تجد مسألة في العلل والرجال خلت من رأي راجح

(١) الضعفاء ٤/٤١ ، ميزان الاعتدال ٣/٤٩٨ .

ليحيى القطان فيها[١] .

كان يحيى القطان صلباً في الذب عن حياض السنة النبوية المباركة ، فاعتمد معياراً صارماً في نقد الرجال ، حتى نقل عنه أبو قدامة قوله[٢] : «تأدية الأمانة في الذهب والفضة أيسر منه في الحديث» ، وقد تبوأ بسعة علمه ودقة فهمه وصرامة منهجه النقدي مكان الصدارة في هذا الفن ، حتى قال عنه علي بن المديني[٣] : «ما رأيت أحداً أعلم بالرجال من يحيى بن سعيد ، ما رأيت بعيني مثله» .

وقد اشتهر بكثرة تحريه في صيرفة الرجال، وعدم تساهله بالرواية عمن عرف بأدنى جرح ، حتى قال عن نفسه[٤] : «إن لم أرو إلا عمن أرضى ، ما رويت عن خمسة أو نحو ذلك» ، لأجل هذا اعتبره المشتغلون بهذا الفن من المتعنتين في نقد الرجال ؛ لأنه يلصق تهمة الضعف بالراوي لأدنى خطأ أو وهم ، ويتشدد في التوثيق ، قال علي بن المديني : «سألت يحيى بن سعيد عن محمد بن عمرو بن علقمة فقال : تريد العفو أو تشدد ؟ قلت : لا بل أشدد ، فقال : ليس هو ممن تريد»[٥] .

قال الذهبي[٦] : «كان يحيى بن سعيد متعنتاً في نقد الرجال» ، وقال في ترجمة سفيان ابن عيينة بميزانه[٧] : «يحيى متعنت جداً في الرجال» ، وقال اللكنوي : «هناك جمع من أئمة الجرح والتعديل لهم تشدد في الجرح ، فيجرحون الراوي بأدنى جرح ويطلقون عليه ما لا

(١) شرح علل الحديث ص٣١ .

(٢) المرجع السابق ص٣٣٨ .

(٣) تاريخ بغداد ١٣٩/١٤ ، سير أعلام النبلاء ١٧٧/٩ ، تهذيب التهذيب ٢١٧/١١ .

(٤) شرح علل الحديث ص٣٧٦ .

(٥) المرجع السابق ص٣٩٥ .

(٦) سير أعلام النبلاء ١٨٣/٩ .

(٧) ميزان الاعتدال ١٧١/٢ .

ينبغي» وعدّ يحيى القطان منهم[١] .

ولكي تكون الصورة أكثر وضوحاً لدى القارئ عن منهجه في الكلام عن الرجال ، سنوجز ما توفر لدينا من قرائن استطعنا استنباطها من المعلومات المتناثرة في كتب الحديث دراية ورواية ، تؤشر بوضوح نحو مذهبه في صيرفة الرجال ، وكما يلي :

١ . كان لا يتساهل في نقد الرجال فيضعف الراوي بأدنى جرح ، حرصاً منه على سنة المصطفى ﷺ من موارد الضعف والوضع .

قال علي بن المديني[٢] : «كان في يحيى تشدد» ، وقال أحمد بن حنبل[٣] : «رحم الله يحيى القطان ، ما كان أضبطه وأشد تفقده» .

٢ . كان يعمد إلى ترك الرجل الذي يحدث من حفظه إذا وجد منه اختلافاً في بعض مروياته بين حين وآخر ، حتى وإن لم يتهمهم بالكذب ، بينما حدث عن هؤلاء أئمة أعلام كعبد الله بن المبارك ، ووكيع بن الجراح ، وعبد الرحمن بن مهدي ، وغيرهم من الأئمة[٤] .

٣ . لم يتشدد بالإعراض عن الرواية عن أهل البدع والأهواء الذين لم يتهموا بالكذب[٥] . فعن علي بن المديني قال : «قلت ليحيى بن سعيد : إن عبد الرحمن بن مهدي يقول : أترك من كان رأساً في البدعة يدعو إليها ، قال يحيى : كيف تصنع بقتادة ؟ كيف تصنع بأبي داود وعمر بن ذر ؟ وعدّ يحيى قوماً ، ثم قال : هذا ، إنْ تركَ هذا الضرب ترك ناساً كثيراً»[٦] .

---

(١) الرفع والتكميل ص٢٧٥ .

(٢) تهذيب التهذيب ٦/٢٨٠ .

(٣) تاريخ بغداد ١٤/١٤٠ ، تهذيب التهذيب ١١/٢١٨ .

(٤) شرح علل الحديث ص٣٩٦ .

(٥) المرجع السابق ص٣٥٦ .

(٦) الضعفاء ١/٨ .

٤ . التشدد في الرواية عن الصالحين والعباد لاتهامهم بعدم إتقان الرواية على أصولها والتساهل في رواية الحديث ، وقد نقل الإمام مسلم في تقدمة صحيحه[١] : «لم نر الصالحين في شيء أكذب منهم في الحديث» ، وزاد في رواية علي بن المديني عنه : «لأنهم يكتبون عن كل من يلقون ولا تمييز لهم فيه»[٢] .

إذن على ضوء المنهج النقدي لابن القطان ، فإن غياب المعيار النقدي لدى العباد والصالحين يجعلهم بعيدين عن دائرة علم الحديث ، لذا فلا ينبغي الركون إلى مروياتهم .

٥ . كان ينشد ضالته في دائرة الحديث بطريق المتن (الإسناد) فيركز على نقلته وسلامتهم من شبهة الضعف والوهم ، نائيا بمجساته النقدية عن متن الحديث الذي لا يهمه بكثير أمام الطريق التي أوصلت به إلى دائرة نقده .

قال محمد بن عبد الله بن عمار[٣] : «قال يحيى بن سعيد : لا تنظروا إلى الحديث ، ولكن انظروا إلى الإسناد ، فإن صح الإسناد ، وإلا فلا تغتروا بالحديث إذا لم يصح الإسناد» .

٤ . ٢ . منهج الإمام عبد الرحمن بن مهدي :

كان الإمام عبد الرحمن بن مهدي ممن تلقى الحديث النبوي الشريف عبر قناتين : القناة الأولى كإمام من أئمة الحديث وجهابذة نقاده ، والقناة الثانية بصفته أحد رواد فقهاء الحديث الذين لم تقتصر لديهم صنعة الحديث على التحري عن أحوال نقلته ، بل امتدت اهتماماتهم فشملت سبر ما يحويه المتن من دلالات ومعان ، لذا فليس يستغرب أن يصحب ابن مهدي إمام الفقهاء أبا عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ، ويتوج صحبتهما بتصنيف الإمام الشافعي كتاب الرسالة ، إجابة لمسألته بوضع كتاب له في معاني القرآن ،

---

(١) صحيح مسلم ١/١٨ .

(٢) شرح علل الحديث ص٣٧٦ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٩/١٨٨ .

ويجمع قبول الأخبار فيه ، وحجة الإجماع ، وبيان الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة[١] .

وعليه ستكون الآن أمام منهج جديد ، اشتبكت من خلاله الخيوط النقدية لدراية الحديث وروايته وفقهه في إرهاصاتها الأولى ، فابن مهدي قد امتدت خبرته إلى صيرفة الحديث ورجاله ، وبات الحديث لا يقتصر لديه على نقد طريق نقلته ، بل أصبح متن الحديث يحمل دلالة موضوعية يستفاد منها في إثباته ، أو اللجوء إلى المعارضة والترجيح بالقرائن .

قال علي بن المديني : «أعلم الناس بالحديث عبد الرحمن بن مهدي»[٢] ، وقال نعيم ابن حماد : «قلت لابن مهدي : كيف تعرف الكذب ؟ فقال : كما يعرف الطبيب المجنون»[٣] .

وقال ابن حبان في ثقاته - كما نقل عنه ابن حجر - : «كان ممن حفظ وجمع وتفقه وصنف وحدث»[٤] .

بعد كل هذا لن تصبح المقارنة عسيرة بين عبد الرحمن بن مهدي ويحيى بن سعيد القطان ، فكلاهما من أئمة هذا الفن ، إلا أن الأول رائد في علل الحديث ودرايته ، والثاني ناقد بصير بالرجال يعتمد منهجاً دقيقاً في صيرفتهم .

قال أحمد بن حنبل[٥] : «ما رأيت بالبصرة مثل يحيى بن سعيد ، وبعده عبد الرحمن ، وعبد الرحمن أفقه الرجلين» ، وقال في رواية أخرى[٦] : «كان يتوسع في الفقه ، وكان أوسع فيه من يحيى» ، وقال علي بن المديني : «لو حلفت بين الركن والمقام ، لحلفت بالله

(١) تاريخ بغداد ٢/٦٤ .

(٢) تذكرة الحفاظ ١/٣٣٠ .

(٣) تاريخ بغداد ١٠ / ٢٤٧ ، سير أعلام النبلاء ٩/١٩٧ ، تذكرة الحفاظ ١/٣٣١ .

(٤) تهذيب التهذيب ٦/٢٨١ .

(٥) المرجع السابق ٦/٢٨٠ .

(٦) تاريخ بغداد ١٠ / ٢٤١ ، سير أعلام النبلاء ٩/١٩٤ .

أني لم أر قط أعلم بالحديث من عبد الرحمن بن مهدي ، وكان يحيى بن سعيد أعلم بالرجال ، وكان عبد الرحمن أعلم بالحديث»[١] .

لذا فإننا لن نستغرب إرسال يحيى بن سعيد لصدقة بن الفضل إلى عبد الرحمن بن مهدي عندما سأله عن حديث أشكل عليه ، لأن السؤال كان يقع في دائرة علم ابن مهدي ، أما هو فإمام في نقد الرجال[٢] .

وعلى ضوء ما توفرت لدينا من أدلة ، سنحاول أن نلقي الضوء على أهم مفردات المنهج النقدي الذي اعتمده عبد الرحمن بن مهدي في نقد الرجال .

١ . الرجال بمعيار ميزانه ـ في علم الحديث ـ ثلاثة : حافظ متقن لا يختلف في الرواية عنه ، ورجل يهم في بعض المواضع بيد أن الغالب على حديثه الصحة ، وهذا لا يترك حديثه ويجتنب ما وهم فيه من الروايات ، والثالث غلب عيه الوهم والغلط الفاحش والكذب ، وهذا لا مجال للاجتهاد في ترك حديثه والإعراض عنه .

قال أحمد بن سنان[٣] : «كان ابن مهدي لا يترك حديث رجل إلا رجلاً متهماً بالكذب ، أو رجلاً الغالب عليه الغلط» ، وهو بهذا المعيار أقل تشدداً من يحيى بن القطان الذي يروي عن الطبقة الأولى دون الثانية التي يروي عنها ابن مهدي .

٢ . كان متشدداً بالرواية عن أهل البدع والأهواء ، فيعرض بالكلية عمن يدعو إلى بدعته ، سواء عرف بالكذب أم لم يعرف عنه ، عن علي بن المديني قال : «قلت ليحيى ابن سعيد : إن عبد الرحمن بن مهدي يقول : أترك من كان رأساً في البدعة يدعو إليها»[٤] وقال أبو بكر بن خلاد[٥] : «سمعت ابن مهدي يقول : ثلاثة لا يؤخذ عنهم ، فذكر

(١) تاريخ بغداد ٢٤٤/١ ، تذكرة الحفاظ ٣٣١/١ ، سير أعلام النبلاء ١٩٨/٩ .

(٢) تاريخ بغداد ٢٤١/١ ، سير أعلام النبلاء ٢٠١/٩ ، تهذيب التهذيب ٢٨٠/٦ .

(٣) شرح علل الحديث ٣٩٨/١ .

(٤) سير أعلام النبلاء ١٩٩/٩ .

(٥) شرح علل الحديث ٣٩٩/١ .

وصاحب بدعة يدعو إلى بدعته» .

ويبدو بأنه كان يتأرجح بين قبول ورد رواية بقية المبتدعة استناداً إلى منهج خاص اعتمده ، لم تسعفنا موارد الأدلة التي بين أيدينا في الوقوف عليه ، ففي بعض الروايات المنقولة عنه نجد لديه نزعة متشددة ترفض التعامل مع أي مبتدع ، لا بل يذهب في بعضها إلى عدم مخالطتهم أو الصلاة معهم ، أو حتى في بعض الأحيان تنشأ لديه رغبة قوية في ضرب أعناقهم .

قال أبو بكر بن الأسود[١] : «سمعت ابن مهدي يقول بحضرة يحيى القطان ، وذكر الجهمية فقال : ما كنت لأناكحهم ولا أصلي خلفهم» ، وقال إبراهيم بن زيادَ سبلان[٢] : «قلت لعبد الرحمن بن مهدي : ما تقول فيمن يقول القرآن مخلوق ؟ فقال : لو كان لي سلطان لقمت على الجسر ، فلا يمر بي أحد إلا سألته ، فإذا قال : مخلوق ، ضربت عنقه وألقيته في الماء» .

بالمقابل نجده يروي عن بعض المبتدعة ويشدد النكير على من أعرض عن الرواية عنهم لبدعتهم دون غيرها من علل الرجال ، فعن سليمان بن أحمد قال : «قلت لعبد الرحمن بن مهدي : أسمعك تحدث عن رجل من أصحابنا هم يكرهون الحديث عنه ، قال : من هو؟ قلت : محمد بن راشد الدمشقي ، قال : ولم ؟ قلت : كان قدرياً ، فغضب وقال : فما يضره أن يكون قدرياً»[٣] ، وقال محمد بن أبان البلخي[٤] : «سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول : من رأى رأياً ولم يدع إليه احتمل ، ومن رأى رأياً ودعا إليه فقد استحق الترك» .

---

(١) حلية الأولياء ٦/٩ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٩٥/٩ .

(٣) الضعفاء ٦٦/٤ .

(٤) تهذيب الكمال ١٦٣/١ .

٣ . كان لا يتساهل في الرواية بالمعنى ، قال أحمد بن حنبل[١] : «ما كان أشد تتبعه للألفاظ وأشد توقيه» .

٤ . بدأ متساهلاً في الرواية عن بعض المحدثين ، ثم تشدد فأعرض عنهم وعمن غلب الوهم على مروياتهم ، قال ابن حنبل[٢] : «كان عبد الرحمن بن مهدي أولاً يتساهل في الرواية عن غير واحد ، ثم تشدد بعدُ ، كان يروي عن جابر الجعفي ثم تركه» .

ولعل في رواية أبي عامر العقدي ما يلقي الضوء على بدايات هذا التحول ، قال[٣] : «أنا كنت سبب عبد الرحمن بن مهدي في الحديث ، كان يتبع القصاص ، فقلت له : لا يحصل في يدك من هؤلاء شيء» ، فكان في إعراضه عن القصاص ورواياتهم وولوجه برفق في رياض الحديث الشريف ، قد احتاز عقبة أثمر عنها نضوج أدواته النقدية ، وصقل موهبته في دائرة علوم الحديث ، حتى أمسى يرى في كتابة حديث الضعفاء إضاعة لحجم مماثل من أحاديث الثقات ، قال ابن مهدي[٤] : «لا ينبغي للرجل أن يشغل نفسه بكتابة أحاديث الضعفاء ، فإن أقل ما فيه أن يفوته بقدر ما يكتب من حديث أهل الضعف يفوته من حديث الثقات» .

٥ . كان منصفاً في إعراضه عن رواية المحدث الضعيف ، فلا يعرض بالكلية عن جميع مروياته ، بل يروي ما شهدت القرائن له بالصحة وانتفاء الوهم ، قال عمرو بن علي الفلاس ـ كما نقل الذهبي في ترجمة عبد الله بن عثمان بن خيثم المكي[٥] ـ : «كان عبد الرحمن يحدثنا عن الرجل بالحديث ، ولا يحدث بحديثه كله»[٦] .

(١) تاريخ بغداد ١٠/٢٤٠ ، شرح علل الحديث ص٤٦٨ ، تهذيب التهذيب ٦/٢٨٠ .

(٢) الكفاية في علم الرواية ص٩٢ .

(٣) تاريخ بغداد ١٠/٢٤٠ .

(٤) الكفاية في علم الرواية ص١٣٣ .

(٥) ميزان الاعتدال ٢/٤٥٩ .

(٦) الضعفاء ٢/٢٠ .

٥ . موقف الإمامين من الرواة على ضوء ما نقل عنهما :

خصصنا جهدنا لإبانة مصادر الضعف لدى المحدثين الذين تكلم فيهم الإمامان يحيى ابن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي ، وكان حصيلة الموقف النقدي لهما أن ظهرت أمامنا محاور لتعاملهم مع هؤلاء المحدثين ، فهناك الرواة الذين أعرضا عن الرواية عنهم بالكلية ، والرواة الذين روى عنهم أحدهما وأعرض الآخر عنهم ، وأخيراً رواة حدّث عنهما الإمامان أو أحدهما في بداية الأمر ، ثم توقفا بالرواية عنهم لقرائن جديدة توفرت لديهم عن هؤلاء الرواة .

لذا سنحاول الآن اقتطاف ثمار السبر النقدي للرواة ، لبيان المزيد من منهج الإمامين في الرواية عن المحدثين ، ولكي نمهد الطريق أمام إصدار حكم دقيق بشأن دلالة العبارات التي تداولها أئمة الشأن عند نقدهم للرجال ، على ضوء ما ذهب إليه القطان وابن مهدي من الرواية عن المحدث الفلاني أو الإعراض عنه .

وقد وضعنا نصب أعيننا الأهداف التالية :

١ . الموازنة بين ما ذهب إليه الإمامان في نقدهما لرواة الحديث من جهة ، والروايات المنقولة عن بقية أساطين نقد الرجال ، كشعبة بن الحجاج ، ويحيى بن معين ، وأحمد بن حنبل ، وغيرهم .

٢ . تحديد دلالة كل عبارة ومدى مطابقتها لما ذهب إليه بقية النقاد .

٣ . إرساء محددات اصطلاحية لكل عبارة ، مع بيان المساحة التي تشملها في دائرة نقاد الرجال .

٥ . ١ . رواة الحديث الذين اتفق الإمامان على الإعراض عنهم :

إذا ألقينا نظرة فاحصة على تراجم جملة من الرواة الذين اتفق الإمامان على الإعراض عنهم ، فإننا نجد بينهم من قد حاز توثيق أساطين هذا الفن ، كشعبة ويحيى ابن معين ، وآخرين اختلف فيهم بين توثيق وتضعيف ، وفئة ثالثة ضعفوا إلا أنهم لم يتوقف النقاد

بالرواية عنهم ، كذلك هناك فئة أخيرة اتفقت أقوال جهابذة الرجال عنهم مع ما نقل عن القطان وابن مهدي .

فمن رواة الحديث الذين وثقوا ونقلت بعض الروايات في تجريحهم نذكر : إبراهيم بن العلاء الغنوي ، أشعث بن سوار الكندي ، جابر بن يزيد الجعفي ، الحسن بن صالح بن حي الهمداني ، عبد الحميد بن بهرام الفزاري ، ومبارك بن فضالة البصري .

أما من تطابق الحكم النقدي لأساطين هذا الفن عليهم من رواة الحديث مع ما نقل عن إعراض الإمامين بالرواية عنهم ، فنذكر منهم : أبان بن أبي عياش ، إبراهيم بن يزيد الخوزي ، إسماعيل بن رافع المديني ، إسماعيل بن مسلم المكي ، أصبغ بن نباتة الحنظلي ، بشر بن نمير القشيري ، ثابت بن أبي صفية الثمالي ، ثوير بن أبي فاختة ، جويبر بن سعيد البلخي ، الحسن بن دينار التميمي ، داود بن يزيد الأودي ، سالم بن عبد الله الخياط ، السري بن إسماعيل الهمداني ، سليمان بن يسير الكوفي ، الصلت بن دينار ، طريف بن شهاب السعدي ، طلحة بن عمرو الحضرمي ، عبد الله بن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عبد الوهاب بن مجاهد بن جبر المكي ، عبيدة بن معتب الضبي ، عثمان بن مقسم البري ، عمارة بن جوين العبدي ، عمرو بن عبيد بن باب ، الفضل بن عيسى الرقاشي ، المثنى بن الصباح ، محمد بن السائب الكلبي ، محمد بن سالم الهمداني ، محمد بن عبيد الله بن ميسرة ، مسلم بن كيسان الضبي ، ميمون القصاب الكوفي ، نفيع بن الحارث الأعمى ، يعقوب بن عطاء بن أبي رباح ، ويونس بن خباب الأسيدي .

أما بقية المحدثين ، فقد ضعف بعضهم دون توثيق ، أو وثقهم البعض وضعفهم آخرون ، بيد أن النقاد لم يعرضوا بالرواية عنهم .

٥ . ٢ . الرواة الذين توقف يحيى القطان بالرواية عنهم :

يقترن اسم الإمام يحيى القطان في كتب علوم الحديث بمعيار التشدد في نقد الرجال ، لذا فليس بمستغرب أن نجد بين قائمة أسماء رواة الحديث الذين توقف بالرواية عنهم ، من

أجمع أساطين الحديث ونقاده على توثيقه .

وممن أثار ضجة في تضعيف يحيى القطان له ، إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي ، وعاصم بن سليمان الأحول ، اللذان كانا من الثقات الحفاظ ، وكذلك أعرض صاحبنا عن جملة من المحدثين الثقات ، وبعضهم قد اجتاز بعدُ قنطرة الشيخين : البخاري ومسلم ، وبعضهم ممن وثقهم جهابذة النقاد ، كابن حنبل وابن معين ، وروى عنهم ابن مهدي ، والنسائي - في بعض الأحيان - على تشدده وتعنته في الرجال .

بيد أن قائمته لم تخل من ضعفاء اتهموا بعدم الضبط أو البدعة والدعوة إلى بدعتهم ، وغيرها من الأمور التي تخرم العدالة .

فمن الثقات الذين أعرض بالرواية عنهم : أبان بن عبد الله بن أبي حازم ، حرب بن شداد القصاب ، شهر بن حوشب الأشعري ، عمر بن عامر السلمي ، محمد بن إسحاق ابن يسار ، محمد بن عمرو بن علقمة الليثي ، وهمام بن يحيى العوذي .

وإذا أردنا أن نقف على مدار تشدده في إلصاق تهمة الضعف بهذه الطبقة من الرواة ، لوجدناه يدور حول تشدده في ضبط الراوي للأخبار ، والتدليس في الروايات ، أو اختلاطه بأخرة مما نجم عنه اختلاط حديثه الجديد بالقديم ، فصعب تمييز صحيحه من سقيمه ، كما هو الحال مع عبد الله بن لهيعة مثلاً .

أما إن ظهرت الحجة بين السماع القديم والجديد ، فإنه التزم الإنصاف ، كما هو الحال مع عطاء بن السائب الكلبي ، فقد نقل عنه قوله[1] : «من سمع من عطاء بن السائب قديماً فسماعه صحيح ، وسماع شعبة وسفيان من عطاء بن السائب صحيح ، إلا حديثين عن عطاء بن السائب عن زاذان ، قال شعبة : سمعتهما منه بأخرة» .

٥ . ٣ . الرواة الذين تركهم يحيى القطان وروى عنهم ابن مهدي :

يتجلى الفرق واضحاً بين المنهج النقدي الذي اعتمده كل من يحيى القطان

(١) شرح علل الحديث ص٧٣٤ .

وعبدالرحمن بن مهدي في هذه الفئة من المحدثين ، فمما لا شك فيه أن إعراض يحيى القطان عن الرواية عن هؤلاء يعكس تشدده في نقد الرجال واعتماده منحى نقدياً صارماً في صيرفتهم ، ويكاد يكون الرجال الذين أعرض عنهم صاحبنا وروى عنهم ابن مهدي ، قد نقل توثيقهم بالاتفاق في بعض المواضع ، أو عن بعض الأئمة في مواضع أخرى ، مع استثناءات محدودة مثل : صالح بن أبي الخضر البصري ، وعبد الله بن عمر بن حفص ، وعبد الله بن محمد بن عقيل ، وعمران بن داود بن القطان ، والليث بن أبي سليم ، ويزيد ابن أبان الرقاشي .

وتعنت ابن القطان بالإعراض عن هؤلاء الرجال له ما يبرره وفق منظوره الشخصي في نقد الرجال ، باستثناء عدم توفر قرائن بين أيدينا تبرر تضعيفه لإسرائيل بن يونس السبيعي الإمام المتقن ، ويأتي بعده حرب بن شداد .

٥ . ٤ . الرواة الذين حدث عنهم القطان ثم تركهم :

وتضم هذه القائمة جملة من المحدثين الذين توفرت ليحيى بن سعيد القطان ـ بعد فترة من روايته عنهم ـ ما يجعله يعيد النظر في صيرفتهم بمعيار أشد حداثة ، فينجم عن ذلك توقفه بالرواية عنهم ، ويبدو أن إعراضه بالرواية عن جابر الجعفي كان نتيجة لكثرة تدليسه بالروايات .

أما تركه للرواية عن عمرو بن عبيد ، فناجم عن الضغوط وكثرة نكير أئمة الحديث لروايته عن هذا المبتدع ـ بنظرهم ـ فاضطر مرغماً إلى الإعراض عن روايته ، وأما تركه لرواية موسى بن يسار ويحيى بن عبيد الله بن موهب ، فيعود إلى وقوفه على مواطن الضعف في مروياتهم مما يجعلهما يفتقران إلى أهلية اجتياز قنطرته فأعرض عنهما بلا تردد .

٥ . ٥ . من تركه القطان ثم عاد فحدث عنه :

ويقع في هذه القائمة الراوي إسماعيل بن عبد الملك بن أبي الصفير الأسدي ، فتضعيف القطان له ـ في البداية ـ له ما يبرره لضعفه ، بيد أن روايته عن سفيان موثوقة

يمكن الركون إلى صحتها ، فعاد إلى الراوية عنه في مساحة محددة من الروأيات التي تقتصر على مساحة مروياته عن سفيان ، لكثرة ملازمته إياه ، ووقوفه على أصوله الصحيحة التي تنأى عنها سُحب الشك والوهم .

٥ . ٦ . الرواة الذين تركهم ابن مهدي :

لم تخل قائمة الرواة الذين توقف الإمام ابن مهدي بالرواية عنهم ممن قد وثق ، أو أخرج له الشيخان في صحيحيهما ، أو أصحاب الكتب الأربعة ، منهم : أبان بن أبي حازم البجلي ، وإسماعيل بن عياش العنسي ، والحسن بن صالح بن حي ، وزفر بن الهذيل ابن قيس ، وعلي بن صالح الهمداني ، وعنبسة بن سعيد القطان ، وفليح بن سليمان المدني ، وكامل بن العلاء السعدي ، ومسلمة بن علقمة المازني .

ولا يخرج تضعيف هؤلاء عن دائرة المعيار النقدي الذي اعتمده في صيرفته للرجال ، والذي يختلف بين ناقد وآخر .

بينما يبقى تضعيفه للحسن بن صالح بن حي بسبب تشيعه وتركه لصلاة الجمعة ؛ لتشدده في هذا الجانب ، وإعراضه بالرواية عن زفر بن الهذيل ؛ لأنه كان في عداد مدرسة أصحاب الرأي الذين يناوئهم أهل الحديث بشدة ، وهو في عدادهم .

٥ . ٧ . الرواة الذين تركهم ابن مهدي وروى عنهم يحيى القطان :

لا يظهر لدينا واضحاً من تراجم الرجال الذين يقعون في هذه الدائرة ما يلقي الضوء على الاختلاف بين الإمامين في الحكم على الرجال ، فمن تركهم ابن مهدي قد ضعفوا من أئمة الشأن لعلل تقع في ساحتي الدراية والرواية ، ولا علاقة بها ببدعة ، أو تنافس شخصي نجم عن معاصرة ، أو اختلاف في العقيدة والرأي ، إذن ليس هناك ما يبرر فعله بتركهم بينما قد روى عنهم يحيى القطان - رغم تشدده - ، سوى أن لكل ناقد دائرة يقع داخل حدودها الرجال الذين نالوا توثيقه بمعياره النقدي ، أما من يقع خارجها فهو ضعيف لا يميل إلى الرواية عنه .

٥. ٨. الرواة الذين حدث عنهم ابن مهدي ثم أعرض عنهم :

ويبدو من قائمة هؤلاء الرواة بأن ابن مهدي قد أصبح أكثر صرامة في نقد الرجال ، فأعرض عمن روى عنهم في البداية متجاوزاً لبعض مواطن الخلل الملتصق بهم أو بمروياتهم ثم عاد فغربلهم بمعيار أكثر تشدداً ، فلم يسلموا من تضعيفه فأعرض بالرواية عنهم .

٦. إعادة صياغة مفردات المنهج النقدي للإمامين :

ذكرنا في بداية هذا المبحث ما توفر لدينا من مفردات مبثوثة في كتب الجرح والتعديل ومصطلح الحديث وعلومه ، حول المنهج النقدي ليحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي ، بيد أن سبرنا لمواقفهما من الرواة بين قبول وإعراض ، أثمر الوقوف على مفردات جديدة يمكن إضافتها كلبنات إضافية إلى بناء منهجهما النقدي ، مما يوضح الصورة ويكشف اللبس . لذا سنحاول بيان ما تم التوصل إليه عن كل منهما ، إضافة إلى ما ذكرناه في الفقرتين (٢ ، ٣) ببداية هذا الفصل .

٦. ١. ما استدرك على منهج يحيى بن سعيد القطان :

يمكن إجمال ما أمكن استدراكه على المنهج النقدي ليحيى بن سعيد القطان بما يلي :

أ ـ أن المعيار النقدي ليحيى القطان أشد صرامة مما انتهجه يحيى بن معين ، فكم من رجل لم يجتز قنطرته وقد وثقه يحيى بن معين وروى عنه ، نذكر منهم : إبراهيم بن العلاء الغنوي ، وبريد بن عبد الله الأشعري ، والحسن بن صالح الهمداني ، وغيرهم .

ب ـ رغم طول ملازمته لأمير النقاد شعبة بن الحجاج ، فإنه لم يعتمد جميع من روى عنهم شيخه ، فكم من راو للحديث حدث عنه شعبة ، بيد أنه لم يرق إلى توثيق يحيى بن سعيد ، فأعرض بالرواية عنهم ، نذكر منهم : أشعث بن سوار الكندي ، وثوير بن أبي فاختة ، وجابر بن يزيد الجعفي ، وغيرهم .

ج ـ يعتبر البدعة في إصدار حكمه النقدي على الراوي وإن لم يشتهر بالدعوة إلى بدعته ، ويجعلها قرينة إضافية في الحكم عليه ، مثاله : موقفه من جابر بن يزيد الجعفي ،

والحارث بن عبد الله الأعور ، والحسن بن دينار التميمي ، وعبادة بن صهيب الكلبي .

د - إن تضعيفه للزهاد والعباد لم يستند دائماً إلى أدلة قاطعة عن وجود الخلل في مروياتهم وعدم ضبطهم وتساهلهم بالرواية ، فقد يعرض عن أحد النساك المتعبدين لأنه يراه بمنظاره بعيداً عن دائرة الحديث ليس إلا ، وخير دليل على ذلك ، إعراضه بالرواية عن الحسن بن صالح الهمداني مع استفاضة توثيق أئمة الشأن له ، وتشدده في تضعيف ليث ابن أبي سليم .

هـ - يتوقف بالرواية عمن رمي بالاختلاط وإن كان اختلاطه بأخرة ، فتمسي جميع مرويات من رمي بالاختلاط لا تصلح للاحتجاج لديه ، مثاله : إعراضه بشدة عن الرواية عن الليث بن أبي سليم الكوفي .

٦ . ٢ . ما استدرك على منهج عبد الرحمن بن مهدي :

يمكن إجمال ما أمكن استدراكه على المنهج النقدي لعبد الرحمن بن مهدي بما يلي :

أ - تشدد بأخرة في نقد الرجال فأعرض بالرواية عمن لم يكثر الوهم في مروياته بما يبرر تركه ، ومن هؤلاء : علي بن صالح الهمداني ، وقد وثقه من بعده يحيى بن معين والنسائي رغم تشدده في الرجال .

ب - رغم أن ابن مهدي كان من أئمة فقهاء المحدثين ، غير أنه كان لا يميل إلى أصحاب الرأي - وهم أحد أئمة المدرسة الفقهية - لذا فقد أعرض بالرواية عن زفر بن الهذيل رغم توثيق ابن معين له .

ج - اتخذ نفس الموقف مع الفقهاء الذين لم يكن الحديث صناعتهم فأعرض عنهم ، نذكر مثالاً على ذلك : عبد العزيز بن أبي حازم وهو أحد فقهاء زمانه .

٦ . ٣ . آراء نقاد الرجال بموقف الإمامين من المحدثين الضعفاء :

تكاد تجمع أقوال نقاد رجال الحديث على الانضواء تحت راية موقف نقدي موحد إزاء ما نقل عن يحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي في المحدثين الضعفاء ، ومفاد هذا الموقف أن يحيى القطان كان نقي الرجال لا يحدث إلا عن ثقة ، إلا أنه بالمقابل

متشدد في نقدهم ينبذ الرجل بأدنى جرح معرضاً بالرواية عنه ، لذا فإن تركه للرواية عن محدث لا يخرجه من حيز الاحتجاج به مطلقاً ، فإذا اتفق قوله مع قول عبد الرحمن بن مهدي في ترك الرواية عن ذلك المحدث ، فهو ضعيف لا يؤبه به .

أما إذا اختلف الإمامان في نقد الرجل ، فقد مال النقاد إلى قول عبد الرحمن بن مهدي ؛ لأنه أكثر قصداً في صيرفة الرجال من يحيى القطان المشهور بتعنته .

قال علي بن المديني[١] : «إذا اجتمع يحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي على ترك رجل لم أحدث عنه ، فإذا اختلفا أخذت بقول عبد الرحمن لأنه أقصدهما ، وكان في يحيى تشدد» ، وقال النسائي[٢] : «لا يترك الرّجل عندي حتى يجتمع الجميع على تركه ، فأما إذا وثقه ابن مهدي وضعفه يحيى بن القطان مثلاً ، فلا يترك ، لما عرف من تشدد يحيى ، ومن هو مثله في النقد» .

وإلى هذا ذهب الإمام البخاري[٣] ، والذهبي[٤] ، والحافظ ابن حجر[٥] .

وقد عقد اللكنوي في كتابه النفيس «الرفع والتكميل»[٦] إيقاظاً لمن كرّس نفسه لدراسة علوم الرجال وصيرفتهم فبين في هذا الإيقاظ مدلول قول أئمة الشأن في الراوي : «تركه يحيى القطان» ، فقال في أحد مواضعه : «فاعرف أن مجرد تركه لا يخرج الراوي من حيز الاحتجاج به مطلقاً» .

٧ . بيان حدود العبارات النقدية المنقولة عن يحيى القطان وابن مهدي :

إن اعتماد ما ذهب إليه الإمامان يحيى بن سعيد القطان ، وعبد الرحمن بن مهدي في

---

(١) تاريخ بغداد ٢٤٣/١٠ ، تهذيب التهذيب ٢٨٠/٦ .

(٢) الرفع والتكميل ص٣٠٧ .

(٣) شرح علل الحديث ص٣٩٨ .

(٤) تذكرة الحفاظ ٢٩٨/١ .

(٥) هدي الساري ص١٤٧ .

(٦) الرفع والتكميل ص١٧٠ .

إصدار الحكم على الرجال بين توثيق وتوهين ، ينبغي أن يستند إلى حدود أكثر وضوحاً مما نقلناه عن أئمة هذا الشأن لعدة أسباب ، منها :

١ . تقاصر الهمم في عصرنا الراهن عن احتواء التراث النقدي الهائل الذي نقل لنا بين ثنايا كتب الجرح والتعديل ، مع عدم وضوح مفردات المنهج النقدي لكل إمام من أئمة هذا الشأن .

٢ . إن ما ذهب إليه الإمام علي بن المديني أو غيره بشأن ما قد نقل عن الإمامين من اتفاق على ترك الرواية عن محدث أو إعراض أحدهما عنه ، لا يمثل قاعدة مطلقة في نقد الرجال ،بل تعكس موقفاً نقدياً خاصاً بصاحب هذا المذهب-ليس إلا .

فالإمام ابن المديني يذهب إلى التوقف عن الحديث عمن اجتمع يحيى القطان وابن مهدي على ترك الحديث عنه ، ويقبل بمن حدث عنه ابن مهدي دون يحيى القطان ، وهذا مؤشر على منهجه النقدي ، وليس بالضرورة أن يعتمد مثل هذا القول من قِبل ناقد آخر كابن معين ، أو البخاري ، أو غيرهما . والدليل على ما ذهبنا إليه ، أقوال العلماء في توثيق بعض من انطبقت عليه شروط علي بن المديني .

٣ . إن علم الجرح والتعديل بحر لا قرار له ، ونقد الرجال وصيرفتهم تختلف فيه مذاهب النقاد ، فلكل ناقد مقومات إضافية للتوثيق أو التضعيف ، وكل منهم يتأرجح بين تشدد أو توسط أو تساهل . لذا فالحكم ينبغي أن يكون مستنداً إلى احتواء ما نقل عن أئمة هذا الفن ، والموازنة بين أقوالهم بميزان تعتبر فيه اصطلاحاتهم .

من أجل هذا ، فإننا قد أسهبنا في إيراد الأقوال المنقولة جرحاً وتعديلاً عن جلّ الرواة الذين تناولهما يحيى القطان وابن مهدي ، لكي يكون المرء على بينة من أمره قبل إصدار الحكم بشأن كل مذهب من مذاهبهم ، وقد تحرينا في إيراد الحدود النقدية لعبارات هذين الإمامين ، الإيغال ببطء في دائرتهما النقدية ، مؤثرين إدراج الحدود العامة فالخاصة فالأكثر خصوصية ، لكي تكون أسهل تناولاً ، وتتضح مفردات المنهج لدى من يسير بهديه ، بحيث يمكن توظيفها في صيرفة الرجال ، دون الوقوع في لبس عند إصدار الحكم

على هذا المحدث أو ذاك . وسنشرع الآن بإيراد هذه الحدود :

١ . كل من تكلم فيه الإمامان يحيى القطان وعبد الرحمن بن مهدي فضعفاه باتفاق ، أو ضعفه أحدهما وروى عنه الآخر ، قد أدرج في حشد المحدثين الضعفاء بدواوين الضعفاء والمتروكين .

٢ . كل من حدث عنه الإمامان ، فهو ثقة **عندهما** فيما حدثا عنه ، قال يحيى بن أبي كثير الطائي : «قال أبو حاتم : يحيى إمام لا يحدث إلا عن ثقة»[(١)] .

ونقل الأثرم عن الإمام أحمد بن حنبل قوله : «إذا حدّث عبد الرحمن بن مهدي عن رجل ، فهو ثقة»[(٢)] . أما قيد ثبوت ثقته بما حدثا عنه ، فقد يروي أحدهما عن فلان بعض حديثه ، وتتوفر لديه قرائن إضافية بضعف شريحة محددة فيتوقف عن روايتها .

قال عمرو بن علي الفلاس[(٣)] في ترجمة عبد الله بن عثمان بن خيثم المكي : «وكان عبد الرحمن يحدثنا عن الرجل بالحديث ، ولا يحدّث بحديثه كله»[(٤)] .

وكذلك قد حدّث يحيى القطان عن الحسن بن ذكوان البصري في بعض المواطن مع كونه ليس بالقوي عنده[(٥)] . وقال عمرو بن علي الفلاس[(٦)] : «قال لي يحيى : لا تكتب عن معتمر إلا عمن تعرف ، فإنه يحدّث عن كل من سمع» .

٣ . يحيى القطان أكثر تشدداً في نقد الرجال من عبد الرحمن بن مهدي ، وكان أعلم بالرجال منه ، فإذا وقفت على من وثقه فاعتمد عليه واذهب مذهبه في توثيقه ، أما إذا ضعف رجلاً فتأن في أمره كما قال الذهبي[(٧)] ، حتى ترى قول غيره فيه ، فما اتفق قوله

(١) تهذيب التهذيب ٢٦٩/١١ .

(٢) تاريخ بغداد ٢٤٣/١٠ ، سير أعلام النبلاء ٢٠٣/٩ ، تهذيب التهذيب ٢٨١/٦ .

(٣) ميزان الاعتدال ٤٥٩/٢ .

(٤) الضعفاء ٢٠/٢ .

(٥) ميزان الاعتدال ٤٨٩/١ .

(٦) الكفاية في علم الرواية ص٩١ .

(٧) سير أعلام النبلاء ١٨٣/٩ .

مع غيره فهو طابع تضعيف لا فكاك منه ، وما اختلف فعليك بسبر أقوال أئمة الشأن والتفتيش عن مناط إلصاق التهمة به قبل إصدار حكمك النهائي بصدده .

٤ . عبد الرحمن بن مهدي أعلم بصواب الحديث من يحيى القطان ، كان متوسطاً في بداياته ، ثم عاد فتشدد بأخرة في نقده للرجال ، فإذا انفرد عن يحيى القطان بتضعيف محدث ، فينبغي الاحتكام إلى أقوال بقية النقاد ، والتزام الحذر إن كان متهماً ببدعة ؛ لأنه كان شديد الحمل على من رمي ببدعة . قال الذهبي في ترجمة علي بن صالح بن حي بميزانه[1] بعد إيراده لرواية محمد بن المثنى عن تضعيف ابن مهدي له : «ولا يدل هذا على قدح ولابد ، وقد وثقه ابن معين والنسائي» .

٥ . كل من حدّث عنه عبد الرحمن بن مهدي فهو عدل مقبول الحديث **لديه** ، وإن لم ينقل عنه عبارة صريحة بتوثيقه .

قال الخطيب البغدادي[2] : «إذا قال العالم : «كل من أروي لكم عنه وأسميه فهو عدل رضا مقبول الحديث» ، كان هذا القول تعديلاً منه لكل من روى عنه وسماه ، وقد كان ممن سلك هذه الطريقة عبد الرحمن بن مهدي» . قال الذهبي في ترجمة عبد الرحمن بن بديل : «وقد روى عنه عبد الرحمن بن مهدي مع تنقّيه للرجال»[3] .

وخلاصة القول في هذا المقام ، بأن ما ذهب إليه الإمامان يحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي في تركهما للرواية عن هذا الرجل وذاك ، لا يصلح أن يكون دليلاً مطلقاً يستند إليه بإناطة تهمة الضعف برواة الحديث ، بل يستأنس به كدليل إضافي عندما تتفق النصوص المنقولة عن بقية النقاد مع ما نقل عنهما ، أو يرجح بمذهبهما عند تعارض الأقوال في توثيق الراوي أو توهينه ، والله أعلم .

---

(١) ميزان الاعتدال ١٢٣/٣ .

(٢) الكفاية في علم الرواية ص٩٢ .

(٣) ميزان الاعتدال ٥٤٩/٢ .

قائمة المراجع

- التاريخ الكبير ، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، بدون تاريخ ، المطبعة النظامية بحيدر آباد الدكن ، الهند .

- تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي ، بدون تاريخ ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

- تذكرة الحفاظ ، لشمس الدين الذهبي ، مكتبة الحرم المكي ، ١٣٧٤هـ ، مكة المكرمة .

- التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح ، لأبي الوليد سليمان ابن خلف الباجي ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ، دار اللواء للنشر والتوزيع ، الرياض .

- تهذيب التهذيب ، لابن حجر العسقلاني ، الطبعة الأولى ١٣٢٦هـ ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن .

- تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، لأبي الحجاج يوسف المزي ، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

- الجرح والتعديل ، لابن أبي حاتم الرازي ، الطبعة الأولى ، بدون تاريخ ، مطبعة مجلس المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن .

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، لأبي نعيم الأصبهاني ، الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

- الرفع والتكميل في الجرح والتعديل ، لأبي الحسنات اللكنوي ، الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ ، مكتبة المطبوعات ، بيروت .

- سير أعلام النبلاء ، لشمس الدين الذهبي ، بدون تاريخ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لابن العماد الحنبلي ، بدون تاريخ ، المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت .

- شرح علل الترمذي ، لابن رجب الحنبلي ، تحقيق ودراسة د . همام عبد الرحيم سعيد ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ، مكتبة المنار ، الزرقاء ، الأردن .

- الضعفاء ، للعقيلي ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ، مكتبة المعارف ، الرياض .

- الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، الطبعة الأولى ١٣٧٧هـ ، دار صادر ، بيروت .

- العبر في خبر من غبر ، لشمس الدين الذهبي ، الطبعة الأولى ١٣٨٠هـ ، مطبعة حكومة الكويت .

- الكفاية في علم الرواية ، للخطيب البغدادي ، بدون تاريخ ، دار مكتبة الهلال ، بيروت .

- لسان الميزان ، لابن حجر العسقلاني ، بدون تاريخ ، دار الفكر ، بيروت .

- المجروحين من المحدثين الضعفاء والمتروكين ، لابن حبان البستي ، بدون تاريخ ، دار المعرفة ، بيروت .

- المعرفة والتاريخ ، ليعقوب بن سفيان الفسوي ، الطبعة الأولى ، مطبعة العاني ، بغداد .

- ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، لشمس الدين الذهبي ، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ ، دار إحياء الكتب العربية ، بيروت .

- هدي الساري مقدمة فتح الباري ، لابن حجر العسقلاني ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ دار الكتب العلمية ، بيروت .

من حديث عيسى بن سالم الشاشي
المتوفى سنة ٢٣٢ هـ

دراسة وتحقيق
د. عبد العزيز شاكر الكبيسي*

التعريف بالبحث:

يعد جزء الإمام عيسى بن سالم الشاشي من الأجزاء الحديثية المهمة، وتعود هذه الأهمية لأمور عديدة:

أولها: أن الإمام الشاشي ـ صاحب الجزء ـ قد عاش في القرن الثالث الهجري، الذي يعد العصر الذهبي للسنة النبوية المطهرة.

وثانيها: أن كثيراً ممن صنفوا في السنة النبوية، قد رووا أحاديث من طريق صاحب هذا الجزء، منهم:

الإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل في زياداته على المسند، والإمام أبو يعلى الموصلي، والإمام الطبراني، وابن أبي عاصم، والضياء المقدسي صاحب «المختارة»، وغيرهم.

وثالثها: كون هذا الجزء من مظان الموقوف والمقطوع، لاشتماله على آثار كثيرة موقوفة على الصحابة والتابعين.

ومن هنا رأيت أن من الأهمية بمكان أن يخرج هذا الجزء الحديثي إلى عالم النور، بعدما ظل حبيساً في خزائن المخطوطات دهراً من الزمن.

* مدرس الحديث النبوي في قسم الدراسات الإسلامية بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ـ جامعة الإمارات العربية المتحدة. ولد سنة (١٩٦٦م)، وحصل على درجة الدكتوراه في التخصص المذكور من كلية العلوم الإسلامية بجامعة بغداد سنة (١٩٩٦م) بدرجة امتياز، وكان عنوان رسالته: «الإمام ابن خزيمة ومنهجه في كتابه الصحيح». وله عدة بحوث.

المقدمة

الحمد لله الذي أبدع كل شيء فأحسنه ، وأرسل رسوله محمداً ﷺ بهذا الدين فبلغه وبيّنه ، واختار له من الأصحاب والأتباع من نهضوا بنقله وتلقينه وحفظه وتدوينه ، وصلاة ربي وسلامه على رسوله الأمين ، وآله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد :

فقد حظيت السنة النبوية المطهرة منذ أن بزغت في الوجود شمسها بجهود كبيرة ، وطاقات عظيمة ، وخدمات جليلة ، حيث توافر عليها علماء الإسلام حفظاً وفهماً ، تطبيقاً وتبليغاً ، جمعاً وتدويناً ، شرحاً وتوضيحاً ، بياناً ونقداً لمتونها وأسانيدها ، وبذلوا في سبيل ذلك غاية وسعهم وعنايتهم .

وكان من أولئك الأئمة الأعلام : الإمام عيسى بن سالم الشاشي ، المتوفى سنة ٢٣٢هـ ، الذي جمع قسماً من أحاديث رسول الله ﷺ في جزء حديثي له ، وقد أشار عليّ بعض الأخوة بدراسة حياة هذا الإمام الجليل ، وتحقيق جزئه الحديثي ، وبيان منهجه فيه ، وذلك لأهمية هذا الجزء ، حيث يعود زمن تصنيفه إلى القرن الهجري الثالث الذي يمثل العصر الذهبي للسنة النبوية المطهرة ، فشمرت عن ساعد الجد ، ويممت وجهي صوب هذا الإمام الجليل ، باحثاً عن سيرته ومنهجه ، محققاً لجزئه .

هذا وقد قسمت بحثي إلى قسمين :

القسم الأول : يشتمل على دراسة حياة المصنف وبيان منهجه في جزئه الحديثي .

القسم الثاني : تحقيق هذا الجزء .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

أولا : ترجمة الإمام الشاشي[١]

أولا : اسمه ونسبه وولادته : اقتصرت المصادر التاريخية التي ترجمت للإمام الشاشي رحمه الله تعالى على ذكر اسمه واسم أبيه ، دون أن تسوق لنا بقية النسب كما هي عادة تلك المصادر عند الحديث عن علم من الأعلام .

ونسبه ـ كما ورد في المصادر التي وقفت عليها ـ هو : عيسى بن سالم الشاشي[٢] .

وأما كنيته : فقد ذكرت المصادر التاريخية التي ترجمت له أن الإمام كان يكنى بأبي سعيد[٣] ، ولم أقف على ذكر ولد له بهذا الاسم ،لكن الظاهر في إطلاق الكنى أنّ المتقدمين لا يلتزمون بأسماء الأولاد ، أو باسم من هو أكبرهم سناً .

وأما لقبه : فهو « عويس » ، كما ذكر ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل[٤] والخطيب في تاريخ بغداد[٥] وابن حجر[٦] ، وغيرهم ، وقيل : لقبه أبو عويس[٧] .

وعويس : صيغة تصغير ، ولعل ذلك اللقب أطلق عليه في صغره ، تحبيباً له .

والشاشي : نسبة إلى « الشاش » مدينة وراء نهر سيحون ، وكانت ثغراً من ثغور

---

(١) انظر ترجمته في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢٧٨/٦ ، الثقات لابن حبان ٤٩٤/٨ ، تاريخ بغداد ١٦١/١١ ، تكملة الإكمال لابن نقطة ٤٨٧/٣ ، الإكمال في ذكر من له رواية في مسند الإمام أحمد لأبي المحاسن الحسيني ص٣٣٠ ، المقتنى في سرد الكنى للذهبي ٢٧٤/١ ، تعجيل المنفعة لابن حجر ص٣٢٨ ، نزهة الألباب في الألقاب لابن حجر ٤٢/٢ ، ٢٦٩ .

(٢) انظر المصادر السابقة .

(٣) انظر الجرح والتعديل ٢٧٨/٦ ، الثقات ٤٩٤/٨ ، المقتنى في سرد الكنى ٢٧٤/١ ، الإكمال في ذكر من له رواية في مسند الإمام أحمد ص٣٣٠ ، تعجيل المنفعة ص٣٢٨ ، نزهة الألباب في الألقاب ٤١/٢ .

(٤) الجرح والتعديل ٢٧٨/٦.

(٥) تاريخ بغداد ١٦١/١١.

(٦) نزهة الالباب في الألقاب ٤١/٢.

(٧) المصدر السابق ٢٦٩/٢.

الترك[١]، وقد خرج منها جماعة من العلماء منهم : أبو علي الحسن بن حاجب بن حميد الشاشي ، أحد الرحالين في طلب الحديث ـ كما وصفه بذلك ابن الأثير في اللباب ـ المتوفى سنة أربع عشرة وثلاثمائة ، وأبو سعيد الهيثم بن كليب بن شريح بن معقل الشاشي ، المتوفى سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة ، والإمام أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل القفال الشاشي ، الفقيه الشافعي المشهور ، وأحد أئمة الدنيا في التفسيروالحديث والفقه واللغة ، المتوفى سنة ست وستين وثلاثمائة[٢] ، ولم تذكر لنا المصادر التاريخية تاريخ ولادته .

ثانياً : رحلاته العلمية : لما كانت الرحلة رافداً مهماً من روافد تحصيل العلم ، وعاملاً مهماً من عوامل جمعه ، وتمحيصه والتثبت فيه ، نجد أن الإمام الشاشي لم يكتف بعلماء بلده فحسب ، بل تاقت نفسه إلى اللقاء بعلماء الأمصار الإسلامية والاستفادة منهم وتحمل الحديث عنهم ، على عادة طلبة العلم المبرزين ، حيث جرت عادتهم أنهم يحصلون علوم بلدهم ، ويأخذون ما لدى مشايخهم ، حتى إذا تم لهم ذلك ، ارتحلوا في طلب العلم ، وجابوا أقطار الأرض للازدياد والتحصيل ، ولم تذكر لنا كتب التراجم الأمصار والبلدان التي رحل إليها الإمام الشاشي ـ رحمه الله تعالى ـ ، ولاشك أنه قد ارتحل إلى عدة بلدان ، فتلك كانت عادة المحدثين في ذلك الوقت ، ولعل سبب إغفال المصادر ذكر رحلاته يعود إلى أن البيئة التي عاش فيها كانت تزخر بفحول العلماء في كل فن ، والله تعالى أعلم .

ثالثاً : شيوخه : تتلمذ الإمام الشاشي على يد كبار العلماء في عصره ، ممن كان يشار إليهم بالبنان ، ولم تتوسع كتب التراجم في سرد شيوخه حيث اقتصرت على ذكر واحد منهم أو اثنين فقط ، وقد قمت باستخراج الذين حدَّث عنهم في جزئه الذي بين أيدينا ، فبلغوا أحد عشر شيخاً ، ومن خلال النظر في تراجمهم يتبين لنا ما يأتي :

---

(١) انظر : معجم البلدان للحموي ٣٠٨/٣، اللباب في تهذيب الأنساب لابن الاثير ١٧٤/٢ ، لب الألباب في تحرير الأنساب للسيوطي ٤٤/٢. والشاس هي التي تسمى اليوم طاشقند عاصمة جمهورية أوزبكستان . انظر : بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٧٧ .

(٢) انظر المصادر السابقة .

أولاً : أن الإمام الشاشي رحمه الله تعالى لم يقتصر في رواياته على الثقات فحسب ، حيث روى عن بعض الضعفاء والمتروكين ، كإبراهيم بن هدبة الفارسي ، وإسحاق بن نجيح ، وبقية بن الوليد ، وحماد النصيبي ، ووهب بن عبد الرحمن القرشي ، وميسرة بن عبد ربه ، ويمكن تصنيفهم على النحو الآتي :

١ ـ من ضُعِّف بسبب تدليسه ، مثل بقية بن الوليد .

٢ ـ من ضعف بسبب ترك روايته ، كأبي هدبة الفارسي

٣ ـ من ضعف بسبب كذبه ووضع الحديث ، كميسرة بن عبد ربه ، ووهب بن عبد الرحمن القرشي .

ولعل ذلك يعود إلى أنه ـ رحمه الله تعالى ـ حينما روى عن هؤلاء ، إنما روى عنهم لغرض ظاهر ، هو أن يعرف الحديث من أين مخرجه ، وهل المنفرد به عدل أو مجروح ، وقد جرت عادة المحدثين أنهم اذا اسندوا فقد برءوا من التبعة .

ثانياً : أنه ـ رحمه الله تعالى ـ قد شارك الإمام أحمد في الرواية عن خالد بن حيان .

ثالثاً : تنوع شيوخه ما بين مصري وكوفي وبصري وشامي ومدني ومكي .

وفيما يأتي أقدم تعريفاً بكل واحد من شيوخه ، مرتباً ذكرهم على حروف المعجم :

١ ـ إبراهيم بن هدبة : هو إبراهيم بن هدبة أبو هدبة الفارسي ، متروك ، حدّث عن أنس بالأباطيل[١] . وقد روى عنه الشاشي حديثاً واحداً في هذا الجزء برقم «٦٠».

٢ ـ إسحاق بن نجيح الملطي : كذاب[٢].

روى عنه الشاشي رواية واحدة موقوفة على الحسن البصري .

---

(١) انظر : الضعفاء والمتروكين للنسائي ١٢/١ ، الجرح والتعديل ١٤٣/٢ ، المجروحين ١١٤/١ ، الضعفاء الكبير ٦٩/١ ، طبقات المحدثين بأصبهان ٣٥١/١ ؛ تاريخ بغداد ٢٠١/٦ ، الكشف الحثيث ص٤٠ ، ميزان الاعتدال ١٩٩/١ـ٢٠٠ ، لسان الميزان ١٢٠/١ .

(٢) انظر : التاريخ الكبير ٤٠٤/١ ، الجرح والتعديل ٢٣٥/٢ ، تهذيب الكمال ٨٩/١ ، الكاشف ١١٤/١ ، ميزان الاعتدال ٣٥٤/١ ، تهذيب التهذيب ٢٥٢/١ ؛ تقريب التهذيب ص١٠٣ ، الخلاصة ٢١٧/١ ، الأنساب ٣٨٩/٥ ، اللباب ٢٥٤/٣ ، لب الألباب ٢٧٤/٣.

٣ ـ **بقية بن الوليد بن صائد** : الحمصي ، صدوق كثير التدليس عن الضعفاء ، ت ١٩٧هـ[١]. روى عنه الشاشي روايتين ختم بهما جزءه الحديثي الذي بين أيدينا .

٤ ـ **الحسن بن عمرو** ، ويقال : الحسن بن عمر أبو المليح الرقي ، ثقة ، ت ١٨١هـ[٢]. وقد اكثر الإمام عيسى بن سالم الشاشي من الرواية عنه ، حيث بلغت مروياته في الجزء الذي بين أيدينا «٣٨» رواية ، وهذا العدد يعادل ثلث الجزء تقريباً .

٥ ـ **حماد بن عمرو أبو إسماعيل النصيبي** : واهي الحديث[٣].

روى عنه الشاشي روايتين ، ولعل تحديثه عنه كان ببغداد .

٦ ـ **خالد بن حيان ، ابو زيد الرقي الخراز** : لا بأس به ، ت ١٩١[٤].

روى عنه الشاشي رواية واحدة في علامات اقتراب الساعة.

٧ ـ **عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي** ، المروزي ، الإمام العلم الكبير ، ت ١٨١هـ[٥] . وقد أكثر الإمام الشاشي من الرواية عنه ، حيث بلغ عدد مروياته عنه «٣٠» رواية ، وهو ما يعادل ربع الجزء تقريباً .

---

(١) تاريخ بغداد ١٢٣/٧ ، المجروحين ٢٠٠/١ ، الكامل لابن عدي ٤٣/١ ، ضعفاء ابن الجوزي ١٤٦/١ ، تهذيب الكمال ١٥٥/١ ، ميزان الاعتدال ٤٦/٢ ـ ٥٤ ، البداية والنهاية ٢٣٧/١٠ ، طبقات الحفاظ ص١٢٠ ، لب الألباب ٢١٨/٢ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٩٤/٨ ، سؤالات أبي داود لأحمد ٢٨٠.

(٣) تاريخ ابن معين رواية عثمان الدارمي ١/ ٨٩ ، تاريخ بغداد ١٥٤/٨ ، المغني في الضعفاء ١٨٩/١ ، ميزان الاعتدال ٣٦٨/٢ ـ ٣٦٩ .

(٤) انظر التاريخ الصغير (الأوسط) ٢٦٨/٢ ، التاريخ الكبير ١٤٥/٣ ، الجرح والتعديل ٣٢٦/٣ ، الثقات لابن حبان ٢٢٣/٨ ، تاريخ بغداد ٢٩٦/٨ ، الكنى للدولابي ١٦٢/٢ ، تهذيب الكمال ٣٥١/١ ، الكاشف ٢٦٧/١ ، ميزان الاعتدال ٤٠٩/٢ ، تهذيب التهذيب ٨٤/٣ ، لسان الميزان ٥٠٧/٧ ، الخلاصة ٢٧٥/١ .

(٥) انظر تاريخ بغداد ١٥٢/١٠ ، طبقات الشيرازي ص٩٤ .

٨ - **عبيد الله بن عمرو بن أبي الوليد الأسدي** ، مولاهم ، الرقي ، أحد الأئمة الفقهاء ، ت ١٨٠هـ[١]. روى عنه الإمام الشاشي «٤١» رواية ، وهو ما يعادل ثلث الجزء تقريباً .

٩ - **عيسى بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي الكوفي** ، ت ١٨١هـ[٢].

١٠ - **ميسرة بن عبد ربه الفارسي** ثم البصري ، يضع الحديث [٣].

روى عنه الإمام الشاشي رواية واحدة في مجيء جبريل إلى النبي ﷺ ، وعليه عصابة خضراء .

١١ - **وهب بن وهب بن كثير بن عبد الله بن زمعة** ، البختري القرشي المدني ، كذاب ، ت ٢٠٠[٤].

روى عنه الإمام الشاشي رواية واحدة في بيان أجر من أخذ لقمة من مجرى البول أو الغائط .

رابعاً : تلاميذه : كان الإمام عيسى بن سالم الشاشي محط الرحال لطلاب العلم ، ومهوى الأفئدة لأهل الحديث ، فنهلوا من معينه ، وروى عنه جهابذة العلم في عصره ، وقد جمعتهم مما توصلت إليه من روايات تلاميذه عنه ، وما ذكره أئمة الجرح والتعديل والمؤرخين في كتبهم ، كابن أبي حاتم ، والخطيب البغدادي ، وابن عساكر ، وابن حجر ، وغيرهم .

---

(١) تاريخ بغداد ١١/١٦١.

(٢) انظر الثقات لابن حبان ٧/٢٣٨، تاريخ بغداد ١١/١٥٢، تذكرة الحفاظ ١/٢٧٩، تهذيب التهذيب ٨/٢١٢، طبقات الحفاظ ص ١٢٤ .

(٣) انظر الضعفاء والمتروكين للنسائي ١/٩٩، الجرح والتعديل ٨/٢٥٤، المجروحين ٣/١١، الضعفاء الكبير ١/١٠٩ ، الكامل لابن عدي ٦/٤٢٩ ، الكشف الحثيث ص ٢٦٥ ، المغني في الضعفاء ٢/٦٨٩ ، ميزان الاعتدال ٦/٥٧٣ ، لسان الميزان ٦/١٣٩ .

(٤) انظر تاريخ بغداد ١٣/٤٨١ - ٤٨٧ ، موضع أوهام الجمع والتفريق ٢/٥١٠ ، لسان الميزان ٦/٢٣١.

وفيما يأتي أقدم سرداً بأسمائهم ، مرتباً ذكرهم حسب حروف المعجم :

١ ـ **إبراهيم بن هانئ النيسابوري**[(١)].

٢ ـ **أحمد بن الحسن بن عبد الجبار بن راشد الصوفي** ، ت ٣٠٦هـ[(٢)].

٣ ـ **أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى** ، أبو يعلى ، الموصلي ، الإمام الحافظ المشهور ، صاحب المسند ، ت ٣٠٧هـ[(٣)].

روى أبو يعلى في مسنده من طريق شيخه الشاشي أربعة أحاديث[(٤)].

٤ ـ **أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني** ، الإمام الحافظ ، صاحب التصانيف ، ت ٢٨٧هـ[(٥)].

٥ ـ **إدريس بن عبد الكريم المقرئ**[(٦)].

٦ ـ **جعفر بن محمد بن عبد الله بن بشر بن كزال** ، أبو الفضل السمسار[(٧)].

٧ ـ **عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل** بن هلال الذهلي الشيباني المروزي ، الإمام الحافظ الكبير ، ت ٢٩٠هـ[(٨)].

---

(١) انظر موضح أوهام الجمع والتفريق ٢/٥١٠ .

(٢) انظر تاريخ بغداد ٤/٨٦ ، العبر للذهبي ٢/١٣١ ، ميزان الاعتدال ١/٢٢٦ ، المنتظم لابن الجوزي ٦/١٤٩ ، شذرات الذهب لابن العماد ٢/٢٤٧ .

(٣) انظر تاريخ أصبهان ٢٩٩ ، دول الإسلام ١/١٤٦ ، سير أعلام النبلاء ١/١٧٤ ـ ١٨٢ ، العبر ٢/٣٥٤ ، تذكرة الحفاظ ٢/٧٠٧ ، البداية والنهاية ١١/١٣٠ ، مرآة الجنان ٢/٢٤٩ ، طبقات الحفاظ ص٣٠٦ .

(٤) انظر مسند أبي يعلى ١/٣٨٤ ، ٣ /٣٨٣ ، ١٠/٤٦٣ ، ١٢/١١٨ .

(٥) سير أعلام النبلاء ١٣/٤٣٦ ـ ٤٣٧ .

(٦) انظر تاريخ بغداد ١١/١٦١ .

(٧) انظر سؤالات الحاكم للدارقطني ١/١٠٨ ، تاريخ بغداد ٧/١٨٩ ، سير أعلام النبلاء ١٤/١٠٨ ، المغني في الضعفاء ١/١٣٤ ، ميزان الاعتدال ٢/١٤٦ ، لسان الميزان ٢/١٢٦ .

(٨) انظر تاريخ بغداد ٩/٣٧٥ ـ ٣٧٦ ، الجرح والتعديل ٥/٧ ، سير أعلام النبلاء ١٣/٥٢٣ ، تهذيب التهذيب ٥/١٤١ ، شذرات الذهب ٢/٢٠٣ .

قلت : روى الإمام عبد الله بن أحمد في زوائده على المسند حديثاً واحداً عن الإمام الشاشي[١].

٨ ـ **عبد الله بن محمد بن عبد العزيز المرزبان البغوي** ، الإمام الحافظ ، مسند عصره ، ت ٣١٧هـ[٢].

قلت : وهو الذي يروي هذا الجزء الذي بين أيدينا عن شيخه الإمام الشاشي . قال الحافظ ابن حجر : « روى عنه أبو القاسم البغوي نسخة »[٣].

٩ ـ **أبو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم** بن يزيد بن فروخ الرازي ، الإمام المتفق عليه بلا مدافعة ، الحافظ الكبير ، ت ٢٦٤هـ[٤].

١٠ ـ **محمد بن بشر** بن مطر أبو بكر الوراق ، ت ٢٨٥هـ[٥].

١١ ـ **محمد بن سليمان بن داود بن عيسى** ، أبو جعفر الرازي المنقري المصري[٦].

١٢ ـ **محمد بن الفضل بن جابر بن شاذان** ، أبو جعفر السقطي ، ت ٢٨٨هـ[٧].

١٣ ـ **محمد بن يوسف** ، أبو جعفر ، المعروف بابن التركي ، ت ٢٩٥هـ[٨].

١٤ ـ **محمد بن عبد الله بن سليمان** الحضرمي الكوفي ، الملقب بـ « مُطيَّن » ، الإمام العلم الحافظ ، ت ٢٩٧هـ[٩].

---

(١) انظر زوائد عبد الله بن أحمد في المسند ، ترتيب وتخريج أخينا الفاضل الدكتور عامر حسن صبري ٢٠٠ ـ ٢٠١ .

(٢) انظر تاريخ بغداد ١٠/١٣ ، سير أعلام النبلاء ١٤/٤٥٦ .

(٣) تعجيل المنفعة ٣٢٨ .

(٤) انظر الجرح والتعديل ٦/٢٧٨ ، الإرشاد ٢/٦٧٩ .

(٥) انظر تاريخ بغداد ١١/١٦١ ، تكملة الإكمال ٣/٤٨٧ ، تعجيل المنفعة ص ٣٢٨ .

(٦) انظر موضح أوهام الجمع والتفريق ٢/٥١٠ ، ميزان الاعتدال ٦/٣٦ .

(٧) انظر تاريخ بغداد ٣/١٥٣ ، المعجم الكبير ٣/٨٠ .

(٨) انظر تاريخ بغداد ٣/٣٩٥ .

(٩) انظر التقييد ص٧١ ، تذكرة الحفاظ ٢/٦٦٢ ، سير أعلام النبلاء ١٤/٤١ .

١٥ ـ موسى بن هارون ، أبو عمران البزاز ، الإمام الحافظ الناقد ، ت ٢٩٤هـ[١] .

١٦ ـ يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام ، أبو زكريا البغدادي ، إمام المحدثين في زمانه[٢] .

قلت : روى الإمام يحيى بن معين عن الإمام الشاشي ـ وهو أكبر منه ـ حديث : « إن النبي ﷺ كان إذا أراد أن يعتكف صلى الفجر ، ثم دخل المكان الذي يعتكف فيه » ، كما ذكر ذلك أبو القاسم البغوي ـ راوي الجزء عن المصنف ـ بعد إخراجه لهذا الحديث[٣] .

قلت : رواية يحيى بن معين عنه ـ وهو مَنْ هو ـ فيها دلالة على مكانة الإمام الشاشي ـ رحمه الله تعالى ـ .

١٧ ـ أبو جعفر بن مناذر الجوهري[٤] .

خامساً : ثناء العلماء عليه :

أثنى كثير من العلماء على الإمام الشاشي ـ رحمه الله تعالى ـ وأقروا له بالعلم والحفظ والإتقان .

فقد ذكره الحافظ ابن حبان في « الثقات »[٥] ، وقال الخطيب البغدادي : « كان ثقة »[٦] ، وقال الحافظ ابن حجر معقباً على كلام أبي المحاسن الحسيني في الشاشي بأنه « فيه نظر » : « قلت : قال ابن أبي حاتم : يكنى أبا سعيد ، وهو ثقة »[٧] .

---

(١) انظر السنن الواردة في الفتن ١٦١/١١.

(٢) انظر الجرح والتعديل ١٩٢/٩ ، الثقات لابن حبان ٢٦٢/٩ ـ ٢٦٣ ، الكاشف ٣٧٦/٢ ، طبقات الحفاظ ص ١٨٩.

(٣) انظر حديث رقم (٩١).

(٤) انظر شعب الإيمان للبيهقي ٥٣١/٧ .

(٥) انظر : الثقات ٤٩٤/٨ .

(٦) تأريخ بغداد ١٦١/١١ .

(٧) تعجيل المنفعة ص ٣٢٨ .

ولم أقف على مستند للحسيني فيما ذهب إليه ، ولا شك أن كلامه هذا مردود كما بيّن الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - فقد وثقه الحافظ ابن أبي حاتم وابن حبان والخطيب - كما تقدم آنفاً - .

كما ذكر محقق مسند أبي يعلى أنه وقف في إحدى نسخه الخطية على عبارة قد كتبت فوق اسم « عيسى بن سالم » في الحديث رقم (٦٧٥٠) هي : « مختلف فيه »[١].

قلت : لم أقف على أحد قد ضعّف عيسى بن سالم الشاشي سوى الحسيني ، وقد تقدم كلام الحافظ ابن حجر في الرد عليه ، وتوثيق كبار أئمة الجرح والتعديل له .

سادساً : وفاته :

أغفلت كتب التراجم ذكر تاريخ وفاته ومكانها ، ولكن يستفاد من رواية لتلميذه البغوي أوردها الخطيب في تاريخه أن وفاته كانت سنة اثنتين وثلاثين ومائتين بطريق حلوان[٢].

تغمده الله تعالى برحمته الواسعة ، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير ما يجزي به العلماء العاملين .

* * *

(١) انظر : مسند أبي يعلى ١٢/١١٧ .

(٢) انظر تاريخ بغداد ١١/١٦١ . وحُلْوان - بضم أوله ، وإسكان ثانيه - تطلق على عدة مواضع :

١ - حلوان العراق : وهي في آخر حدود السواد مما يلي الجبال في بغداد ، وكانت مدينة كبيرة عامرة ، قال بعضهم : « ليس بأرض العراق بعد الكوفة والبصرة وواسط وبغداد وسُرَّ مَنْ رأى أكبر منها » ، وينسب إليها خلق كثير من أهل العلم ، وتقع حلوان اليوم بالقرب من مدينة خانقين في شمال شرق العراق .

٢ - وتطلق حلوان أيضاً على قرية من أعمال مصر ، بينها وبين الفسطاط نحو فرسخين من جهة الصعيد ، وتشرف على النيل .

٣ - وتطلق أيضاً على بليدة بقوهستان نيسابور ، وهي آخر حدود خراسان مما يلي أصبهان . انظر معجم البلدان ٢ /٢٩٠ - ٢٩٤.

والمراد ها هنا : حلوان العراق ، والله تعالى أعلم .

ثانياً : دراسة جزء عيسى بن سالم الشاشي

وتتضمن ما يأتي :

أولاً : تعريف الجزء في اللغة والاصطلاح وفوائده :

الجزء في اللغة : النصيب والقطعة من الشيء[١]. وفي اصطلاح المحدثين : هو الكتاب الذي يضم أحاديث مروية عن رجل واحد أو موضوع واحد ، سواء كان ذلك الرجل في طبقة الصحابة أو من بعدهم ، أو أحاديث متعلقة بموضوع واحد[٢]، وتكمن فوائد الأجزاء الحديثية في اشتمالها على بعض النصوص التي قد لا يجدها الباحث في كتب السنة الكبيرة ، وهي تدل على مدى العناية بحديث رسول الله ﷺ ، ونقل أقوال الصحابة والتابعين وأخبارهم ، مما يسهل الكشف والوقوف على حياة السلف .

ثانياً : موضوع الجزء : اشتمل هذا الجزء الذي بين أيدينا على «١٢٠» حديثاً ، وقد تنوعت موضوعاته الحديثية من : صلاة ، وصوم ، وصدقة ، وحج ، ونكاح ، وطلاق ، وبيوع ، وجهاد ، كما اشتمل الجزء على أحاديث الرقائق والمواعظ والمناقب والفضائل ، وأوردها المصنف بإسناده المتصل دون تبويب على طريقة السنن والجوامع أو ترتيب على طريقة المسانيد ، بل جاءت متداخلة ، فتراه تارة يذكر حديثاً في الصلاة ، ثم يعقبه بذكر حديث عن فضل الإنفاق في سبيل الله عَزَّوجلَّ ، ثم يورد أثراً عن الصحابي الجليل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الحث على حمد الله تعالى .

وسأورد فيما يأتي هذه الموضوعات حسب ترتيب الجوامع ، مع الإشارة إلى أرقام الأحاديث المتعلقة بكل موضوع :

١ ـ كتاب العلم : ٥١ ، ٥٤ .

٢ ـ كتاب الطهارة : ٥٨ ، ١٠٠ ، ١١٢ .

٣ ـ كتاب الصلاة : ٩ ، ١٠ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٣٠ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦.

---

(١) لسان العرب لابن منظور ٦١١/١ .

(٢) دراسة في مناهج المحدثين ، للدكتور عامر حسن ، والدكتور أمين القضاة ص ٢٦١.

٤ ـ كتاب الصيام : ٤ ، ٥٦ ، ٦٠ ، ٨٥ .

٥ ـ كتاب الزكاة : ٤٩ .

٦ ـ كتاب الحج : ١٥ ، ١١٥ .

٧ ـ كتاب الجهاد والسير : ٢ ، ١٤ ، ٢٨ .

٨ ـ كتاب النكاح : ٢١، ٥٣ ، ١٠٢ ، ١٠٣ .

٩ ـ كتاب الطلاق : ٣٧ ، ٤٠ ، ٥٠ ، ١١٣ .

١٠ ـ كتاب الرضاع : ١٨ .

١١ ـ كتاب الإمارة والبيعة : ٥٥ ، ١٠٧ .

١٢ ـ كتاب البيوع : ٧٤ ، ٩٣ ، ١٠٩ .

١٣ ـ كتاب الحدود والقصاص : ٣١ ، ٧٣ .

١٤ ـ كتاب المناقب والفضائل : ١٦ ، ١٧ ، ٢٤ ، ٤١ ، ٦٥ ، ٦٧، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٨ ، ٩٢ ، ٩٧ ، ١٠٨ ، ١١١ ، ١١٤.

١٥ ـ كتاب الرقاق : ٣ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ١١ ، ١٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٢ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ١٠١ ، ١١٠ ، ١١٩ ، ١٢٠.

١٦ ـ كتاب التفسير : ١٣، ٣٥، ٣٩، ٥٢، ٩٨، ٩٩، ١١٦، ١١٧، ١١٨ .

١٧ ـ كتاب اللباس : ٤٥ ، ٦٣ .

١٨ ـ كتاب العتق وما يتعلق به : ٥٧ ، ٦٤ .

١٩ ـ ما يتعلق بمعجزات النبي ﷺ وخصائصه : ٢٠ ، ٢٩ .

ثالثاً : أهمية الجزء : تكمن أهمية هذا الجزء الذي بين أيدينا ، في كونه قد صنف في أوائل القرن الهجري الثالث ، وكان فيما بعد مورداً لمن صنّف في السنة النبوية ، حيث روى كثير من الأئمة بعض أحاديث الجزء من طريق الإمام الشاشي ، كما سيأتي بيان ذلك عند الحديث عن إثبات نسبة الجزء إلى مصنفه .

كما اشتمل جزء الإمام الشاشي على جملة من أقوال السلف من الصحابة والتابعين وهديهم ، من أمثال : عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وحذيفة بن اليمان ، والحسن بن علي ، وابن عباس ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وأبي الدرداء ، وأبي هريرة ، والحسن البصري ، وميمون بن مهران ، وقتادة بن دعامة السدوسي ، وعمر بن عبدالعزيز ، ومجاهد ، والزهري ، وشريح ، وغيرهم .

ومن فوائد هذا الجزء الذي بين أيدينا ، بل من فوائده النادرة ، انفراده ببعض المتابعات والشواهد الصحيحة لبعض الأحاديث ، كما في حديث : « ٢٨ ، ١٠٧ » .

رابعاً : إثبات نسبة الجزء إلى مصنفه : لدينا من الأدلة القاطعة التي تؤكد صحة هذا الجزء إلى الإمام عيسى بن سالم الشاشي منها :

أ - قول الحافظ ابن حجر في ترجمة الشاشي : « روى عنه أيضاً أبو القاسم البغوي نسخة »[1].

ب - نقول العلماء نصوصاً من هذا الجزء ، وفيما يأتي أورد هذه النصوص مرتبة على حسب وفيات ناقليها :

١ - الإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل (٢٩٠هـ) : روى في زوائد المسند حديث حنين الجذع ، والحديث في جزء الشاشي برقم (٢٠) .

٢ - الإمام أبو يعلى الموصلي (٣٠٧هـ) : روى في مسنده حديثين (١/٣٤٨ ، ١٢/١١٨) من طريق شيخه عيسى بن سالم به ، والحديثان في الجزء برقم (٢٦) و(٨١)

٣ - الإمام أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٣٦٠هـ) : روى في معجمه الكبير (٣/٨٠) حديثاً واحداً ، قال : « حدثنا موسى بن هارون ومحمد بن الفضل السقطي قالا : حدثنا عيسى بن سالم الشاشي به » ، والحديث في الجزء برقم (٤١)[2].

---

(١) تعجيل المنفعة ١/٣٢٨ .

(٢) قلت : روى الطبراني عدة أحاديث في المعجم الأوسط ٤/٣١٣ ، ٥/٢٢٧ ، ٥/٢٦٠ ، ٨/٧٨ ، والمعجم الكبير ١/٢٧٠ ، ٢٤/٣٣٦ عن عيسى بن سالم بواسطة راو واحد ، ولم ترد في الجزء الذي بين أيدينا .

٤ ـ الإمام أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي (٤١٨هـ) : روى في كتابه شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسُّنة (٤/٨٠٠) حديث حنين الجذع ، قال : « أخبرنا عيسى بن علي ، أخبرنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي ، قال : حدثنا عيسى بن سالم أبو سعيد الشاشي به » ، والحديث في الجزء برقم (٢٠).

٥ ـ الإمام أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني (٤٣٠هـ) : روى نصاً في كتابه حلية الأولياء (٨٧/٤) قال : « حدثنا حبيب بن الحسن ، حدثنا عبد الله بن محمد البغوي ، حدثنا عيسى بن سالم به »، ويقابله في الجزء برقم (٨٣)[١].

٦ ـ الإمام أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) : روى في كتابه تاريخ بغداد حديثين ، الأول في ١٧٢/٥ قال : « أخبرني أحمد بن مرحب ، أخبرنا عيسى ابن علي بن عيسى حدثنا عبد الله بن محمد البغوي حدثنا عيسى بن سالم به » ، والحديث في الجزء برقم (٥).

والحديث الثاني في ٤٢٠/٧ قال : « أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبان الهيتي ، حدثنا أبو الفتح الحسن بن محمد البغدادي ، حدثنا ابن بنت منيع حدثنا عيسى بن سالم به »، والحديث في الجزء برقم (٤٩)[٢].

٧ ـ الإمام ابن عساكر الدمشقي (٥٧١) : روى في تاريخ دمشق (١٦)نصاً :

الأول : في ٢٩٤/١٢ بإسناده إلى الشاشي ، والحديث في الجزء برقم (٢٧).

الثاني : في ٨٤/١٩ من طريق البغوي عن الشاشي ، والحديث في الجزء برقم (٧٨).

الثالث : في ٥٦/٢٠ من طريق البغوي ـ أيضاً ـ عن الشاشي ، والحديث في الجزء برقم (٧٠) .

(١) قلت : روى له في الحلية أحاديث أخرى لم ترد في الجزء الذي بين أيدينا . انظر ٨٣/٤ ، ٨٦ ، ٩٥ ، ٢١٤/٥ ، ١٨١/٨ .

(٢) قلت : روى له حديثاً آخر أيضاً لم يرد في الجزء . انظر ١٦١/١١ .

الرابع : فـي ١٧٦/٢٨ مـن طريق البغـوي عـن الشاشي ، والحديث في الجـزء برقم (٨٥).

الخامس : في ٢٧٠/٢٩ مـن طريق البغـوي عـن الشـاشي ، والحديث في الجـزء برقم (٧٩) .

السادس : في ٢٢٤/٦٠ من طريق البغوي عن الشاشي ، والحديث في الجزء برقم (٨٠).

السابع : في ٦١/ ٣٤٨ بإسناده إلى الشاشي ، والحديث في الجزء برقم (٧١).

الثامن والتاسع والعاشر : في ٣٥٤/٦١ بأسانيده إلى الشـاشي ، وهـي في الجـزء برقم (٧٦ ، ٧٧ ، ٨٣) .

الحادي عشر : في ٣٥٦/٦١ من طريـق البغـوي عـن الشـاشي ، والحديث في الجزء برقم (٦٣) .

الثاني عشر والثالث عشر : في ٣٦٥/٦١ باسناده إلى الشاشي ، والحديثـان في الجزء برقم (٧٥،٣٦).

الرابع عشـر : في ٢٧٢/٦٢ من طريـق البغـوي عـن الشـاشي ، والحديث في الجزء برقم (٦٨).

الخامس عشر : في ١٥٨/٧٠ مـن طريـق البغـوي عـن الشـاشي ، والحديث في الجزء برقم (٥٦).

السادس عشر : في ١٥٨/٧٠ من طريـق البغـوي عـن الشـاشي ، والحديث في الجزء برقم (١١٣).

٨ ـ الإمام أبـو عبـد الله محمـد بـن عبـد الواحـد بـن أحمـد الحنبلي المشـهور بالضيـاء المقدسي (٦٤٣)، روى في كتابه « الأحـاديث المختـارة » حديثين ، الأول : في ٣٩٣/٣ قال : « أخبرنا زاهر بن أحمد بن حامد الثقفي بأصبهان ، أن الحسين بن عبد الملك الأديب أخبرهم ، قال : أخبرنا إبراهيم سبط بحرويه ، أخبرنا أبو بكر محمد بن المقرئ ، أخبرنا أبو يعلى الموصلي ، أخبرنا إسماعيل بن عبد الله بن خالد ، وعيسى بن سالم جميعاً قالا : أخبرنا عبيد الله بن عمرو به » والحديث في الجزء برقم (٢٠).

والحديث الثاني : في ٢٠٤/٨ قال : « وأخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بأصبهان ، أن فاطمة بنت عبد الله أخبرتهم ، أن محمد بن عبد الله قال : أخبرنا سليمان بن أحمد الطبراني ، حدثنا علي بن عبد العزيز ، حدثنا عيسى بن سالم به » . والحديث في الجزء برقم (١١١)[١] .

ج - الإسناد المتصل إلى مؤلفه : حيث وصل هذا الجزء الحديثي إلينا من طريق محمد ابن عبد الرحمن المسعودي ، عن أبي الفرج ظهير بن زهير بن علي الرفاء ، عن أبي الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله النقور البزاز ، عن أبي القاسم عيسى بن علي بن عيسى بن داود بن الجراح الوزير ، عن أبي القاسم عبد الله بن محمد البغوي ، عن عيسى ابن سالم الشاشي صاحب الجزء ، كما سيأتي بيان ذلك .

د - وجود السماعات الكثيرة المدونة على نسختي الجزء كما سيأتي .

خامساً : وصف النسختين اللتين اعتمدتهما في تحقيق الجزء :

اعتمدت في تحقيق هذا الجزء على نسختين خطيتين ، وإليك وصفهما :

النسخة الأولى : نسخة مصورة من المكتبة الظاهرية ، وتقع في (١٣) ورقة ، من ٧٣ - ٨٥ ، وهي نسخة قيمة جداً ، وعليها سماعات وقراءات كثيرة ، وقد كتبت هذه النسخة بخط نسخ معتاد ، وكلماتها غير منقوطة في الغالب ، ويعود تاريخ نسخها إلى القرن السادس الهجري : سنة (٥٣٦هـ) ، وكاتب هذه النسخة وراويها : محمد بن عبد الرحمن بن محمد المسعودي ، عن أبي الفرج ظهير بن زهير بن علي الرفاء، عن أبي الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله ابن النقور ، عن أبي القاسم عيسى بن علي بن عيسى بن داود بن الجراح الوزير ، عن أبي القاسم عبد الله بن محمد البغوي ، عن مصنفه عيسى بن سالم الشاشي .

وقد اتخذت هذه النسخة أصلاً ، لأنها نسخة قيمة، ولخلوها من الأخطاء ، وسأترجم لرواة هذه النسخة لاحقاً .

---

(١) قلت : روى حديثاً آخر لم يرد في الجزء . انظر المختارة ٢٣٢/١٠ - ٢٣٣ .

النسخة الثانية : نسخة مصورة من المكتبة الظاهرية أيضاً ، وتحمل الرقم (٣١٥) حديث .

وتقع في ١٧ ورقة ، من ٩٧ - ١١٣ ، وعدد الأسطر في الصفحة الواحدة (٢٥) سطراً ، وهي نسخة قيمة أيضاً ، عليها سماعات وقراءات كثيرة أيضاً ، ويعود أقدم السماعات فيها إلى عام ٥٩٩ هـ ، وهي نسخة مصححة ، ويعود تاريخ نسخها إلى القرن السادس الهجري ، وقد كتبت بخط نسخ منقوط ، وكاتبها : سليمان بن إبراهيم بن هبة الله بن رحمة السعردي ، وقد روى هذا الجزء عن الشيخ العلامة تاج الدين أبي اليمن زيد بن الحسن الكندي ، عن أبي عبد الله الحسين بن علي بن أحمد الشالنجي ، عن أبي الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن النقور ، عن أبي القاسم عيسى بن علي بن عيسى بن داود بن الجراح ، عن أبي القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز ، عن مصنفه ، فتلتقي هذه النسخة مع نسخة الأصل في ابن النقور .

خامسًا : ترجمة رواة النسخة المعتمدة :

وصل إلينا جزء عيسى بن سالم الشاشي من طريق محمد بن عبدالرحمن بن محمد المسعودي ، عن أبي الفرج ظهير بن زهير بن علي الرفاء ، عن أبي الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله النقور البزاز ، عن أبي القاسم عيسى بن علي بن عيسى بن داود بن الجراح الوزير ، عن أبي القاسم عبد الله بن محمد البغوي ، عن عيسى بن سالم الشاشي صاحب الجزء به .

وفيما يأتي تعريف موجز بكل واحد منهم :

١ - تاج الدين ، أبو سعيد محمد بن عبد الرحمن المسعودي البنجديهي المروزي الصوفي ، الإمام المحدث الفقيه اللغوي المتفنن ، ت ٥٨٤هـ[(١)].

٢ - ظهير بن أبي سعد الرفاء ، أبو الفرج الهمذاني ، ت ٥٥٤ هـ[(٢)].

(١) انظر سير أعلام النبلاء ٢١/١٧٣ ، ميزان الاعتدال ٦/٢٣٦ .

(٢) انظر تاريخ دمشق ٤٧/١٧١ ، تكملة الإكمال ٤/٧٨ .

٣ ـ أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن النقور البغدادي البزاز ، الشيخ الجليل الصدوق ، مسند العراق ، ت ٤٧٠هـ[١] .

٤ ـ عيسى بن علي بن عيسى بن داود بن الجراح البغدادي ، والد الوزير العادل أبي الحسن ، الشيخ الجليل العالم المسند[٢] .

٥ ـ عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي ، وقد تقدمت ترجمته عند الحديث عن تلاميذ الشاشي .

سابعاً : السماعات التي على النسخة المعتمدة :

سمع هذا الجزء عدد من العلماء الأجلاء الذين يشار إليهم بالبنان ، وفيما يأتي أورد بعض هذه السماعات المثبتة على النسخة التي اعتمدتها في التحقيق ، والتي تؤكد صحة نسبة هذا الجزء إلى مصنفه ، وتكشف عن القيمة العلمية لهذه النسخة المعتمدة :

١ ـ سمع هذا الجزء على الشيخ الجليل المسند بدر الدين أبي العباس أحمد بن شيبان بن تغلب الشيباني ، بسماعه من أبي حفص ابن طَبَرْزَد ، بقراءة كاتب السماع يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف المزي : أخوه محمد ، والجماعة السادة : تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني ، وأخوه عبد الله ، وكمال الدين محمود بن محمد بن أحمد التفليسي ، وشمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن سلعة ، وابن عمه عبد الرحمن بن أحمد ، وإبراهيم بن أحمد بن معن الحريري ، وعمر بن إبراهيم بن جماعة ، ومحمد بن أحمد بن أبي بكر الدمشقي ، وعبد الأحد بن سعد الله بن عبد الأحد بن بخيخ[٣] ، وأحمد بن أبي بكر بن عبد الغني بن بخيخ ، وعلي بن أبي بكر

(١) انظر تاريخ بغداد ٣٨١/٤ ، سير أعلام النبلاء ٣٧٢/١٨ .

(٢) انظر تاريخ بغداد ١٧٩/١١ ، سير أعلام النبلاء ٥٤٩/١٦ ـ ٥٥٠ ، طبقات المحدثين للذهبي ص ١١٨ ، ميزان الاعتدال ٣٨٤/٥ .

(٣) قلت : بُخيخ ـ بضم الباء وفتح الخاء ـ وقد ترجم الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة ٣١٤/٢ لعبد الأحد هذا ، وأشار مصححه إلى أن في نسخة منه : نجيح ، لكن صوابه : بخيخ ، كما في المشتبه للذهبي ص ٥١ ، و« توضيحه » لابن ناصر الدين ٣٧٠/١ ، و« التبصير » لابن حجر ٦٦/١ .

ابن يوسف الحرانيون، وصح ذلك في يوم السبت الثاني من رمضان سنة إحدى وثمانين وستمائة .

٢ ـ قرأته على أم أحمد زينب بنت أحمد بن كامل بن عمرة المقدسي ، عن أبي حفص ابن طبرزذ حضوراً ، وصح ذلك يوم السبت السادس عشر من جمادى الآخرة سنة أربع وثمانين وستمائة ، بسفح جبل قاسيون ظاهر دمشق المحروسة ، وكتب يوسف ابن الزكي عبد الرحمن المزي .

٣ ـ وقال الحافظ المزي رحمه الله تعالى : « وقرأته على الفخر ابن البخاري » .

٤ ـ سمِع هذا الجزء على أبي عبد الله الحسين بن علي بن أحمد المقرئ ، بسماعه من أبي الحسين بن النقور ، بقراءة ابن النادر : أبو اليمن زيد بن الحسين الكندي وآخرون ، في رمضان سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة .

٥ ـ وسمعه على أبي منصور محمد بن عبد الملك بن الحسن بن خيرون ، بسماعه من أبي جعفر محمد بن أحمد ، عن ابن الجراح : أبو حفص عمر بن محمد بن طبرزذ وآخرون في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وخمسمائة ببغداد .

٦ـ سمعه على أبي حفص عمر بن محمد بن معمر بن طبرزذ ، بسماعه من ابن خيرون ، بقراءة أبي موسى عبد الله بن عبد الغني المقدسي : عبد الرحمن أبو عمر . . .[1] وعلي ابن أحمد بن عبد الواحد ، وزينب بنت أحمد بن كامل ، حضرت في الثالثة ، وابن شيبان ابن تغلب ، وزينب بنت مكي الحراني ، وإسماعيل بن أبي عبد الله بن حماد العسقلاني وآخرون ، يوم السبت الثامن من شوال سنة أربع وستمائة بسفح قاسيون .

ثامناً : طريقتي في التحقيق :

١ ـ قمت بنسخ الجزء على قواعد الإملاء الحديثة ، وقد عانيت صعوبة في ذلك ؛ لأن الخط الذي نسخ به الجزء قديم غير منقوط في أغلبه ، ولا يجري على قواعد الإملاء .

٢ ـ قابلت الجزء (الأصل) بالنسخة الأخرى التي حصلت عليها ، والتي رمزت لها بالحرف (ب) ، وذكرت ما كان من زيادة نافعة منها ، وأشرت إلى مصدرها .

---

(١) غير واضحة في الأصل .

٣ ـ قمت بترقيم الأحاديث كلها .

٤ ـ أرجعت صيغ الأداء المختصرة إلى أصلها .

٥ ـ حذفت اسم راوي الجزء واسم مصنفه في أول الأحاديث ، لما فيه من الإطالة التي لاحاجة إليها ، وليس هو من عمل المصنف .

٦ ـ قمت بتخريج الأحاديث والآثار تخريجاً متوسطاً ، وحكمت على كل واحد منها بما يناسبها من الصحة أو الضعف ، وقدمت في التخريج ما وافق المصنف في شيوخه ثم شيوخ شيوخه وهكذا ، كما ذكرت متابعات الحديث وشواهده إن لزم الأمر .

٧ ـ شرحت الألفاظ الغريبة التي تحتاج إلى شرح ، بالرجوع إلى كتب المعاجم وغريب الحديث .

٨ ـ قمت بالتعليق على بعض الأحاديث بما يناسب المقام .

وفي نهاية المطاف ، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يمنَّ عليَ بالصواب ، ويعصم القلم من الزلل ، والنفس من الهوى ، ويجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم ، إنه نعم المولى ونعم النصير ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

* * *

الله

من حديث أبي سعيد عيسى بن سالم الشاشي رواية أبي القسم
عبد الله بن محمد البغوي عنه رواية أبي القسم عيسى بن علي بن عيسى بن
داود بن الجراح الوزير عنه رواية أبي الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن
عبد الله بن النقور البزاز عنه رواية أبي الفرج ظهير بن رهين بن علي
الرفا عنه كتابة سماع محمد بن عبد الرحمن بن محمد المسعودي عفا الله عنه

وقال الحافظ المزي رحمه الله
وقرأته على الحراني الطحان

سمع هذا الجزء على الشيخ الجليل المسند بدر الدين أبي العباس أحمد بن شعبان بن عطية الشيباني
بسماعه من أبي حفص طبرزد بقراءة كاتب السماع يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف المزي
أخوه محمد والجماعة ابنا تقي الدين أبو العباس [illegible] عبد الحليم بن تيمية الحراني وأخوه عبد الله و[illegible]
[illegible] الفلكيين و[illegible] عبد الرحمن سلم وابن عمه عبد الرحمن [illegible] وابن عمهم [illegible]
وعمهم [illegible] وأحمد بن أبي بكر الدمشقي وعبد الأحد [illegible] عبد الله بن عبد الأحد [illegible] وأحمد بن أبي بكر [illegible]
[illegible] ويوسف الحرانيون وصح ذلك في يوم السبت الثاني من [illegible] سنة [illegible]

قرأته على أم أحمد زينب بنت أحمد بن كامل بن عمر المقدسي عن أبي حفص طبرزد
حضورًا وصح ذلك يوم السبت السادس عشر من جمادى الآخرة سنة أربع و[illegible]
سبع وتسعين [illegible] دمشق المحروسة وكتب يوسف بن الزكي عبد الرحمن [illegible]

صورة الغلاف للنسخة الأصل

صورة الصفحة الأولى للنسخة الأصل

صورة الصفحة الأخيرة للنسخة الأصل

صورة الصفحة الأولى للنسخة (ب)

صورة الصفحة الأخيرة للنسخة (ب)

من حديث أبي سعيد عيسى بن سالم الشاشي

رواية : أبي القاسم عبد الله بن محمد البغوي ، عنه .

رواية : أبي القاسم عيسى بن علي بن عيسى بن داود بن الجراح الوزير ، عنه .

رواية : أبي الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن النقور البزاز ، عنه .

رواية : أبي الفرج ظهير بن زهير بن علي الرفا ، عنه كتابة .

سماع : محمد بن عبد الرحمن بن محمد المسعودي .

بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت

أخبرنا الشيخ الجليل أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن النَّقور البزَّاز بجامع المنصور يوم الجمعة قال : حدثنا أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى بن داود الجراح الوزير ، قال : حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي ، قال : حدثنا أبو سعيد عيسى بن سالم الشاشي إملاء من كتابه[1] في جمادى سنة ثلاثين ومائتين قال :

١ ـ حدثنا عبد الله بن المبارك ، عن معمر ويونس بن يزيد ، عن الزُّهري ، عن أبي الأحوص ، عن أبي ذر ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا قامَ أحدُكم إلى الصلاةِ فإنَّ الرَّحمةَ تُواجِهُهُ فلا تَنْحَرِفوا** »[2] .

---

(١) في نسخة (ب) زيادة : يوم السبت .

(٢) إسناده حسن ، معمر : هو ابن راشد البصري ، ثقة ثبت فاضل ، التقريب ص٥٤١ . ويونس بن يزيد بن أبي النجاد ، ثقة ، غير أن في روايته عن الزهري وهماً قليلاً ، التقريب ص٦١٤. والزهري : هو محمد بن مسلم بن عبيد الله الزهري ، الفقيه الحافظ ، متفق على جلالته وقدره ، التقريب ص٥٠٦ ، وأبو الأحوص : هو مولى بني ليث ، أو غفار ، قال ابن حجر في التقريب ص٦١٧ : مقبول .

أخرجه ابن المبارك في مسنده (٥٤)، والزهد (١١٨٥)، وأحمد (٢١٤٨٦)، وابن خزيمة (٩١٤)، عن معمر به بنحوه . وأخرجه أيضاً في الزهد (١١٨٥) وأحمد (٢١٣٧٠)، وابن حبان (٢٢٧٤)، عن يونس به بنحوه .

⇦

٢ ـ حدثنا عبد الله بن المبارك ، عن زائدة ، عن الرُّكين بن الربيع ، عن الربيع بن عُمَيلَة[١] ، عن خُرَيم بن فاتك الأسدي ، عن النبي ﷺ قال : « **مَنْ أَنفقَ نفقةً في سبيل الله جُعِلَتْ في ميزانه كُل غَداةٍ** »[٢] .

٣ ـ حدثنا عبد الله بن المبارك ، عن مالك بن أنس ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس بن مالك قال : سمعت عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ سَلَّمَ عليه[٣] رجل فَردَّ عليه السلامَ ، فقال عمر للرجل[٤]: كيف أنتَ ؟ فقال الرَّجلُ : أَحْمَدُ الله إليكَ . فقال عمر : هذا الذي أردتُ منكَ »[٥] .

وأخرجه أحمد (٢١٣٦٨)، والترمذي (٣٧٩)، وأبو داود (٩٤٥)، والنسائي في المجتبى (١١٩١)، وابن ماجه (١٠٢٧)، وابن خزيمة (٩١٣)، وابن حبان (٢٢٧٣)، والبيهقي في الكبرى (٣٣٦١)، كلهم من طريق سفيان بن عيينة عن الزهري به بنحوه .

(١) في نسخة (ب) سقط من الإسناد « الربيع بن عميلة »

(٢) إسناده صحيح ، زائدة : هو ابن قدامة الثقفي ، ثقة ثبت ، التقريب ص٢١٣. والركين ـ بالتصغير ـ ابن الربيع بن عميلة الفزاري ، ثقة ، التقريب ص٢١٠. والربيع بن عميلة ـ بالتصغير ـ ثقة ، التقريب ص٢٠٦ ، وخُريم ـ بالتصغير ـ ابن فاتك الأسدي ، صحابي ، التقريب ١٩٣ .

ـ أخرجه ابن حبان (٤٦٤٧)، من طريق حبان بن موسى عن عبد الله بن المبارك به . وأخرجه الترمذي (١١٢٥) من طريق معاوية بن عمرو ، وأخرجه الحاكم ٩٦/٢ من طريق الحسين ، كلاهما عن زائدة به . وأخرجه النسائي في المجتبى (٣١٨٦)، والبيهقي في الكبرى (٤٣٩٥)، من طريق سفيان ، وأخرجه ابن حبان (٦١٧١) من طريق شيبان ، كلاهما عن الركين به ، وقال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح » . وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ».

ـ قلت : من أخرج هذا الحديث جعل يُسير بن عَميلة بين الربيع وخُريم ، ورووه بلفظ : « من أنفق نفقة في سبيل الله كتبت له بسبعمائة ضعف » ، وهو من باب المزيد في متصل الأسانيد ، وكلا الطريقين صحيح .

(٣) في الأصل ونسخة (ب) : «عليّ» والصواب « عليه » ، كما أثبته ؛ لأن هذا هو المتعين من السياق ، وفي الموطأ ٩٦١/٢ : « وسلم عليه رجلٌ » .

(٤) في نسخة الأصل : « لرجل » .

(٥) إسناده صحيح ، إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري ، ثقة حجة ، التقريب ص١٠١ .

ـ أخرجه ابن المبارك في الزهد (٦٩) عن مالك به بنحوه ، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (٣٨٦)، ⇦

٤ ـ حدثنا ابن المبارك ، عن هارون بن إبراهيم قال : سمعت الحسن يقول : « صُمْ[١] ، ولا تَبْغِ في صَوْمِكَ[٢] ، قيل : وما تبغي في صومك ؟ قال : يقول : ارفعوا كذا وكذا ، فإني أُريد أن أصومَ غداً »[٣].

٥ ـ حدثنا عبد الله بن المبارك ، عن ابن عُيينة ، عن عبد الله بن أبي بكر قال : سمعت أنس بن مالك يقول : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « **يَتْبَعُ الميِّتَ ثلاثةٌ ، فيرجعُ اثنان، ويبقى واحدٌ ، يَتْبَعُهُ أهلُهُ ومالُهُ وعمَلُه ، فَيَرْجعُ أهلُه ومالُه ، ويبقى عملُه** »[٤].

٦ ـ حدثنا ابن المبارك ، أخبرنا عبد الله بن سعيد بن أبي هند ـ يعني عن أبيه ـ عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « **نِعمتانِ مَغْبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس : الصحةُ والفراغُ**[٥] »[٦].

وابن أبي الدنيا في الشكر (٣٤) ، والبيهقي في شعب الإيمان ١٠٩/٤ من طرق عن مالك به ، وأخرجه مالك في الموطأ ٩٦١/٢ بنحوه .

(١) في الأصل : صوم . وهو تصحيف .

(٢) في نسخة (ب) : وما تبغي في صومه . وقوله : « ولا تبغ في صومك » أي : لا تطلب الرياء والسمعة والشهرة في صومك . انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١٤٣/١ .

(٣) إسناده صحيح . أخرجه ابن المبارك في الزهد (٢١٩) عن هارون به بنحوه .

(٤) الحديث صحيح . وعبد الله : هو عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن أبي حزم الأنصاري ، ثقة ، التقريب ص٢٩٧ . أخرجه الخطيب في تأريخه ٧٢/٥ من طريق المصنف به . وأخرجه ابن حبان في صحيحه (٣١٠٧) من طريق ابن المبارك عن ابن عيينة به . وأخرجه أحمد في مسنده (١٢١٠١)، والبخاري في صحيحه (٦١٤٩)، ومسلم في صحيحه (٢٩٦٠)، والترمذي في سننه (٢٣٧٩)، والنسائي في سننه (١٩٣٧)، والحاكم في المستدرك (٢٤٩)، والحميدي في مسنده (١١٨٦) كلهم من طريق سفيان بن عيينة به .

(٥) قوله : « نعمتان مغبون » : قال الكرماني : « الغبن : النقص في البيع ، وهذان الأمران ـ أي الصحة والفراغ ـ إذا لم يستعملا فيما ينبغي ، فقد بيعا ببخس لا تحمد عاقبته ، فإن من صح بدنه ، وفرغ عن أشغاله وأسباب معاشه ، وقصّر في نيل الفضائل وشكر نعمة كفاية الأرزاق ، فقد غبن كل الغبن في تجارة سوق الآخرة » . انظر شرح الكرماني ١٩١/٢٢ - ١٩٢ .

(٦) الحديث صحيح . أخرجه الترمذي في سننه (٢٢١٦٣) من طريق صالح بن عبد الله ، وسويد بن

٧ ـ حدثنا ابن المبارك ، حدثنا عبد الوارث بن سعيد أبو عبيدة ، عن رجل ، عن الحسن أنَّه كان يقول : « ابن آدم ! إياكَ والتَّسْويفَ ، فإنَّكَ بيومكَ ولستَ بغَدٍ ، فإن يَكُ غدٌ[1] لكَ فاكسَبْ في غَدِكَ كما كسَبتَ في اليوم ، وإنْ لا يكنْ غدٌ[2] لكَ لم تندمْ على ما فرّطتَ في اليوم »[3].

٨ ـ قال [ابن المبارك][4]: وحدثني غيره عن الحسن قال : « وأدركتُ أقواماً كان أحدُهم أشَحَّ[5] على عُمرِه منه على دِرهمِهِ وديناره »[6].

نصر ، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٦٣١٥) من طريق عبد الله بن عثمان ، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده (٦٨٤) من طريق شداد بن حكيم ويحيى بن عبد الحميد ، كلهم : عن ابن المبارك به . وأخرجه أحمد (٢٣٤٠)، والبخاري في صحيحه (٦٠٥٣)، والترمذي في سننه (٢٢١٦٤)، وابن ماجه (٤١٧٠)، والدارمي (٢٧٠٧)، والحاكم في المستدرك (٧٨٤٥)، والطبراني في الكبير (١٢٢٣٢) كلهم من طريق عبد الله بن سعيد بن أبي هند به . وأخرجه الطبراني في الأوسط (٦٣٥) ، والكبير (١٢٢٣١) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس به .

قال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح ، ورواه غير واحد عن عبد الله بن سعيد بن أبي هند فرفعوه ، وأوقفه بعضهم عن عبد الله بن سعيد بن أبي هند ».

وقال الحاكم بعد إخراجه لهذا الحديث : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين » . قلت : قد غفل الحاكم ـ رحمه الله تعالى ـ عن كون الحديث في صحيح البخاري فأطلق عبارته تلك .

(١) في الأصل « غداً » ، وهو خطأ ، والتصحيح من نسخة (ب).

(٢) في الأصل « غداً » أيضاً ، وهو خطأ ، والتصحيح من نسخة (ب).

(٣) إسناده ضعيف ، فيه راو لم يسم . أخرجه الخطيب في اقتضاء العلم العمل (١١٣) من طريق هناد بن السري ، عن ابن المبارك به ، بلفظ : « ابن آدم ! إياك والتسويف ، فإنك بيومك ولست بغد ، فإن يك غد لك ، فكن في غد كما كنت في اليوم ، وإن لم يكن غد لك ، لم تندم على ما فرطت في اليوم » .

(٤) إضافة لا توجد في الأصل ، ولا في نسخة (ب) .

(٥) قوله « أشح » : الشح : هو بخل مع حرص ، وذلك فيما كان عادة . التعاريف للمناوي ٢/٢٤٥ .

(٦) إسناده ضعيف ، فيه راو لم يسم . أخرجه ابن أبي الدنيا في العمر والشيب (٨٠) من طريق عبدان بن عثمان ، عن ابن المبارك به بمثله . وهو آخر أثر ذكره أبي الدنيا في مصنفه .

٩ - حدثنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن محمد بن إسماعيل ، قال : « رأيتُ سعيدَ ابن جُبير وعطاءً[١] يُومئان إيماءً »[٢].

١٠ - حدثنا ابن المبارك[٣] ، عن سفيان ، عن أبي هاشم الواسطي ، عن أبي وائل « أنه كان يومئُ والحَجَّاجُ يخطب »[٤].

١١ - حدثنا ابن المبارك[٥] ، عن محمد بن عمرو الأنصاري ، عن علي بن زيد ، أن عطية بن أبي عطية أخبره « أنه رأى ابن أُم مكتوم يوماً[٦] من أيام الكوفة عليه دِرْعٌ سابِغةٌ[٧] يجرها ، قال : وقد حُجِب بَصَرُه »[٨].

---

(١) هو ابن أبي رباح ، من كبار أئمة الفقه والحديث .

(٢) إسناده صحيح ، وسفيان هو ابن سعيد الثوري الإمام المشهور ، أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٣٨٥/٢ من طريقه عن الثوري به بنحوه .

- قوله « إيماء » : الإيماء : هو الإشارة بالأعضاء كالرأس واليد والعين والحاجب ، والمراد به ها هنا : الإشارة بالرأس . النهاية ٨١/١ .

(٣) في الأصل : ابن مبارك .

(٤) إسناده صحيح ، وسفيان هو : الثوري ، وأبو هاشم هو : يحيى بن دينار ، وقيل : ابن الأسود ، وقيل : ابن نافع ، ثقة ، التقريب ص٦٨٠ ، وأبو وائل هو : شقيق بن سلمة الأسدي الكوفي ، ثقة ، مخضرم ، التقريب ص٢٦٨ . أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٤٧٥/١ من طريقه عن وكيع عن سفيان به بنحوه .

(٥) في الأصل : ابن مبارك .

(٦) في الأصل : يوم . وهو تصحيف ، والتصحيح من نسخة (ب) .

(٧) قوله : «درع سابغة» : هي التي يجرها في الأرض أو على كعبيه طولاً وسعة . انظر لسان العرب لابن منظور ٤٣٣/٨ .

(٨) إسناده ضعيف : فيه محمد بن عمرو بن عبيد الأنصاري ، ضعيف ، التقريب ص٥٠٠ ، وعلي بن زيد ابن جدعان : ضعيف ، التقريب ص٤٠١ . وعطية ابن أبي عطية : ذكره البخاري في تاريخه الكبير ١١/٧ ، وسكت عليه ، وقال العقيلي : مجهول . . . وفي حديثه اضطراب ، ولا يتابع عليه . الضعفاء الكبير للعقيلي ٣٥٧/٣ .

١٢ - حدثنا ابن المبارك[١]، عن موسى بن عُلَيّ، قال: سمعت أبي يقول: سمعت عبد العزيز بن مروان يحدّث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « **شَرُّ ما في الرجلِ شُحٌّ هالِعٌ، وجُبنٌ خالِع** »[٢].

١٣ - حدثنا ابن المبارك[٣]، عن مبارك، عن الحسن أنه سمعه يقول في قوله عزوجل ﴿ **اصْبِروا وصَابِرُوا ورَابِطُوا** ﴾[٤] قال: « أمرهم بأن يَصْبِروا على دينهم، ولا يتركوه

أخرجه ابن المبارك في الجهاد ص١١٠ من طريقه عن محمد بن عمرو به بنحوه. وذكره البخاري في تاريخه الكبير ١١/٧ معلقاً عن أحمد بن محمد عن ابن المبارك به بنحوه. وأخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (ص٨٢٨ - ٨٢٩)، من طريق قتادة عن أنس بلفظ آخر. قلت: وكان ذلك يوم القادسية كما صرحت بذلك الروايات الأخرى، ولله در هذا الصحابي الذي شارك في أعظم أيام الفتوحات الإسلامية بطولة وهو فاقد البصر، مقبلاً غير مدبر، يجر درعاً سابغة - رضي الله عنه وأرضاه - يندب نفسه، ويحض قائد الجيش على أن يحمِّله الراية، ويحتج له على ذلك بأنه ضرير لا يستطيع الفرار.

(١) في الأصل: ابن مبارك.

(٢) إسناده حسن: موسى بن عُلَيّ - بالتصغير -، صدوق ربما أخطأ، التقريب ص٥٥٣. وعبد العزيز ابن مروان بن الحكم، صدوق، التقريب ص٣٥٩. ووالد موسى هو: علي بن رباح بن قصير اللخمي، أبو عبد الله المصري، ثقة، والمشهور فيه عُلَيّ بالتصغير، وكان يغضب منها، التقريب ص٤٠١. أخرجه ابن المبارك في الجهاد (١١١) من طريقه به. وأخرجه أحمد (٧٩٩٧) من طريق عبد الرحمن بن مهدي، وعبد بن حميد في مسنده (١٤٢٨) من طريق عبد الملك، وأحمد أيضاً (٨٢٤٦)، وأبو داود في سننه (٢٥١١)، وابن راهويه في مسنده (٤١)، وابن حبان (٣٢٥٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٨٣٤٢)، والقضاعي في مسند الشهاب (١٣٣٨) من طريق أبي عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المقرئ، كلاهما عن موسى بن علي به.

قوله: «شح هالع»: الهلع: هو أشد الجزع والضجر. النهاية في غريب الحديث ٢٦٨/٥.

وقوله: «جبن خالع»: أي الذي يخلع قلبه من شدته. غريب الحديث للهروي ١٦٢/٣.

(٣) في الأصل: ابن مبارك.

(٤) سورة آل عمران، الآية (٢٠٠).

لشدة ، ولا رخاء ، ولا يُسرٍ، ولا ضُرٍّ[١] ، وأمرهم أن يُصابِروا الكفار، وأن يرابطوا المشركين »[٢].

١٤ ـ حدثنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن قتادة ، أنه كان يقول : « صَابِروا المشركينَ ورَابِطوا في سبيلِ الله عز وجل[٣] »[٤].

١٥ ـ حدثنا ابن المبارك ، عن حيوة بن شريح ، قال : أخبرني أبو هانيء الخَوْلاني أنَّ عمرو بن مالك أخبره أنه سمع فَضَالة بن عُبيد يحدِّث عن رسول الله ﷺ قال : « **مَن ماتَ على مرتبةٍ مِن هذه المراتب ، بُعثَ عليها يوم القيامة** »

قال : حيوةٌ : « رباط[٥] حَجٌّ أو نحو ذلك »[٦].

١٦ ـ حدثنا ابن المبارك[٧]، عن معمر قال حدثني ثمامة بن عبد الله بن أنس ، أنه

---

(١) في الأصل : ولا يسرا ولا ضرا . وهو تصحيف .

(٢) إسناده ضعيف ، لعنعنة مبارك بن فضالة البصري ، صدوق يدلس ويسوّي . انظر التقريب ص٥١٩. أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤/٢٢٠ ـ ٢٢١) من طريق سويد بن نصر عن ابن المبارك به .

(٣) ليس في نسخة (ب) قوله : ـ عز وجل ـ .

(٤) إسناده صحيح ، ومعمر هو ابن راشد الأزدي مولاهم ، أبو عروة البصري ، ثقة ثبت فاضل ، إلا أن في روايته عن ثابت والأعمش وهشام بن عروة شيئاً ، وكذا فيما حدث به بالبصرة . التقريب ص٥٤١ . أخرجه الطبري في تفسيره ٤/٢٢١ من طريق عبد الرزاق عن معمر به بنحوه .

(٥) لعل الصحيح : رباط أو حج . كما في رواية الحاكم .

(٦) إسناده حسن ، وأبو هانئ هو : حميد بن هانئ الخولاني المصري ، لا بأس به . التقريب ص١٨٢ . أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٨/٢٩٠ من طريق المصنف به . وأخرجه ابن المبارك في الجهاد ص١٧٣ من هذا الطريق بنحوه . وأخرجه أحمد (٢٣٩٨٦) من طريق إسحاق بن إبراهيم ، والحاكم في المستدرك (٢٦٣٧) من طريق عبدان كلاهما عن ابن المبارك به . وأخرجه أحمد أيضاً (٢٣٩٩٠) والطبراني في الكبير (٧٨٤) من طريق أبي عبد الرحمن المقرئ عن حيوة وابن لهيعة عن أبي هانئ به . وأخرجه أحمد (٢٣٩٩٠)، والطبراني في الكبير (٧٨٥) من طريق عبد الله بن وهب عن أبي هانئ به . قال الحاكم : « حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » .

(٧) في الأصل : ابن مبارك .

سمع أنس بن مالك يقول : « لما طُعِنَ حرامُ بن مِلْحان[١] ـ وكان خالَه ـ يومَ بئرِ معونةَ ، قال بالدم هكذا ، فنضحه على وجهه ، ثم قال : فُزْتُ وربِّ الكعبة »[٢].

١٧ ـ حدثنا ابن المبارك ، عن حميد ، عن أنس : « أن أبا طلحة[٣] كان يرمي بين يدي رسول الله ﷺ ، وكان رسول الله ﷺ[٤] يرفع رأسه من خلفه ينظر أين تقع النَّبْلُ ، فيتطاول أبو طلحة [بصدره][٥] يقي به رسولَ الله ﷺ ، يقول : هكذا يا رسول الله ، جعلني الله فداك ، نَحري دون نَحرِك »[٦] .

---

(١) هو الصحابي الجليل حرام بن ملحان بن خالد بن زيد بن حرام الأنصاري ، خال أنس بن مالك ، استشهد في يوم بئر معونة . انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٤٧/٢ .

(٢) حديث صحيح ، ثمامة بن عبد الله بن أنس بن مالك ، وثقه أحمد والنسائي . انظر تهذيب الكمال ٤٠٦/٤ . أخرجه ابن المبارك في الجهاد (٨٠) من هذا الطريق بنحوه . وأخرجه البخاري في صحيحه (٣٨٦٥) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٨٢٩٧) من طريق حبان عن ابن المبارك به بنحوه . وأخرجه الطبراني في الكبير (٣٦٠٧) من طريق عبد الله الأنصاري عن ثمامة به . وأخرجه أحمد (١٣٢١٨) من طريق إسحاق عن أنس به مطولاً . وأخرجه أحمد أيضاً (٣٨٨١) ، ومسلم (٦٧٧) ، والطبراني في الصغير (٥٣٦) من طريق ثابت البناني عن أنس به مطولاً .

قلت : من رواه مختصراً زاد «ورأسه» بعد قوله : «فنضحه على وجهه» .

(٣) هو الصحابي الجليل زيد بن سهل الأنصاري ، مشهور بكنيته ، مات غازياً في البحر ـ رضي الله عنه ـ ، واختلف في وفاته ، فقيل : سنة ٣١هـ ، وقيل : سنة ٣٤هـ . انظر الإصابة ٦٠٧/٢ .

(٤) في نسخة (ب) : وكان النبي ﷺ .

(٥) لم ترد في الأصل ، ولا في نسخة (ب). والزيادة من مصادر التخريج لهذا الحديث .

(٦) إسناده صحيح، وحميد هو : ابن أبي حميد الطويل ، أبو عبيدة البصري ، ثقة مدلس ، التقريب (ص١٨١) . قلت : وقد صرح بالتحديث في رواية البيهقي . أخرجه ابن المبارك في الجهاد (٨٤) من هذا الطريق . وأخرجه ابن حبان (٤٥٨٢) ، (٧١٨١) من طريق الحسن بن عيسى ، وحبان بن موسى . والحاكم في المستدرك (٥٥٠٩) من طريق علي بن الحسن بن شفيق ، كلهم عن ابن المبارك به بنحوه . قال الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ». وأخرجه أحمد في مسنده (١٢٠٤٣) ، وفضائل الصحابة (١٥٦٧) من طريق محمد بن أبي عدي ، والبيهقي في سننه الكبرى (٨٢٨٤) من طريق معتمر ، كلاهما عن حميد به . وأخرجه البخاري في صحيحه (٣٦٠٠) (٣٨٣٧)، ومسلم (١٨١١) ، ⇦

١٨ ـ حدثنا عبيد الله بن عمرو[١]، عن يحيى بن سعيد، عن عمرة، عن عائشة، أنها قالت: «نزل[٢] في القرآن: (عشرُ رَضَعاتٍ معلوماتٍ)، قالت: ثم نزل بعد (خمسُ رضعاتٍ معلوماتٍ)، وكانت عائشة لا يدخل عليها أحد إلا من رضع خمسَ رَضَعاتٍ »[٣].

وأبو يعلى في مسنده (٣٩٢١) من طريق عبد العزيز بن صهيب عن أنس به. وأخرجه ابن سعد في طبقاته (٣/ ٥٠٤)، وأحمد في مسنده (١٤٠٩٠) مطولاً، والحاكم في المستدرك (٢٥٤٧) مطولاً أيضاً، وعبد ابن حميد (١٣٤٧) من طريق ثابت عن أنس به. قال الحاكم: « هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه ». ووافقه الذهبي.

قوله: «نحري دون نحرك »: أي أفديك بنفسي. فتح الباري ٣٦٢/٧.

(١) في نسخة (ب): «يعني الأسدي الرقي».

(٢) في الأصل: نزلت.

(٣) حديث صحيح، ويحيى بن سعيد هو الأنصاري المدني، أبو سعيد القاضي، ثقة ثبت، التقريب ص٥٩١. أخرجه مسلم في صحيحه (١٤٥٢)، وابن الجارود في المنتقى (٦٨٨)، والدارقطني في سننه (٣٠)، والبيهقي في سننه الكبرى (١٥٣٩٨) كلهم من طريق يحيى بن سعيد الأنصاري عن عمرة به. وأخرجه مالك في الموطأ (١٢٧٠)، والشافعي في المسند ص٢٢٠، وابن راهويه في مسنده (١٠٠٧)، ومسلم (١٤٥٢)، والنسائي في سننه (٢٢٥٣)، وأبو داود في سننه (٢٠٦٢)، والدارمي (٢٢٥٣)، وابن حبان (٤٢٢٢)، والبيهقي في سننه الكبرى (٥٤٤٨) كلهم من طريق عبد الله بن أبي بكر عن عمرة به. وأخرجه ابن ماجه في سننه (١٩٤٢) من طريق القاسم بن محمد عن عمرة به.

قلت: كل من أخرج هذا الحديث ممن أشرت إليهم آنفا، لم يذكر قول عمرة: « وكانت عائشة لا يدخل عليها أحد إلا من رضع خمس رضعات »، واقتصروا على ذكر قول عائشة وحده.

قلت: ما ذكرته أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنه « نزل في القرآن عشر رضعات، ثم نزل خمس رضعات معلومات »، قد أجمعت الأمة على أن هذا لا يُتلى، وأنه ليس في القرآن المتلو. قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم ٢٨٥/٢: « النسخ ثلاثة أنواع: أحدها: ما نسخ حكمه وتلاوته كعشر رضعات، والثاني: ما نسخت تلاوته دون حكمه كخمس رضعات، وكالشيخ والشيخة إذا زنيا، والثالث: ما نسخ حكمه وبقيت تلاوته، وهو الأكثر ».

١٩ ـ حدثنا عبيد الله بن عمرو ، عن يحيى بن سعيد ، عن القاسم بن محمد ، قال : « ذكرنا عنده صلاة الظهر ، فقال[١] : أدركتُ وما يُصلّونَ إلا بالعشيِّ »[٢] .

٢٠ ـ حدثنا عبيد الله بن عمرو ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن ابن أُبيٍّ بن كعْب عن أبيه قال : « كان رسول الله ﷺ يصلي إلى جِذْعٍ ـ وكان عريشاً[٣] ـ وكان يخطبُ إلى ذلك الجذع ، فقال رجال من أصحابه : يا رسول الله ! نجعل لك شيئاً تقوم عليه يوم الجمعة ؛ حتى يراك الناسُ ، ويسمع الناسُ خطبتَك ، فقال : « **نعم** » ، فصُنِعَ له ثلاثُ درجات ، فقام عليها كما كان يقوم ، فأصغى[٤] إليه الجذع فقال لـه : « **اُسكن** » ثم التفت [ـ يعني إلى أصحابه ـ فقال لهم : « **هذا الجذعُ حَنَّ إلي فقلتُ له : اسكن**][٥] **إن تشأ أغرِسُكَ في الجنةِ فيأكلُ منكَ الصالحونَ، وإن تشأ أُعيدُكَ رَطْباً كما كنت ، فاختار الآخرةَ على الدنيا** » ، فلما قُبِضَ النبيُّ ﷺ دُفعَ إلى أُبيّ ، فلم يزل عنده حتى أكلته الأَرَضَة »[٦] .



(١) في نسخة (ب) : قال .

(٢) إسناده صحيح ، ويحيى بن سعيد : هو الأنصاري . أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٥٤٦/١ من طريق مالك عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن القاسم بن محمد به نحوه .

قوله : « بالعشي » أي ما بعد الزوال . انظر النهاية ٢٤٢/٣ .

(٣) قوله : « عريشا » العريش : هو كل ما يستظل به . النهاية ٢٠٧/٣ .

(٤) قوله : « فأصغى » أي مال . انظر النهاية ٣٣/٣.

(٥) ما بين المعكوفتين ليست في الأصل ، وهي من نسخة (ب) .

(٦) إسناده حسن ، وابن أبي بن كعب هو الطفيل ـ كما وقع مصرحاً به عند أحمد في المسند وغيره ـ قال العجلي : « مدني تابعي ثقة » . وعبد الله بن محمد بن عقيل ، مختلف في الاحتجاج بحديثه ، قال الذهبي في الميزان ٤٨٥/٢ : « حديثه في مرتبة الحسن » ، وقال ابن حجر في التقريب ص٣٢١ : « صدوق ، في حديثه لين » . أخرجه الإمام عبد الله بن أحمد في زوائده على مسند أبيه ١٣٨/٥ من طريق المصنف به ، وأخرجه أحمد ١٣٧/٥ ، وابن ماجه (١٤١٤) ، والطحاوي في مشكل الآثار (٤١٧٦) من طريق عبيد الله ابن عمرو به ، وأخرجه الشافعي في مسنده (١٤٣/١) ، والبيهقي في دلائل النبوة (١٧/٦) من طريق عبد الله ابن محمد بن عقيل به .

⇦

٢١ ـ حدثنا عبيد الله بن عمرو ، عن يحيى بن سعيد ، عن بُشَير بن يسار ، عن حصين بن محصن ، عن عمة له ، أنها أتت النبي ﷺ في حاجة لها، وأنه قال لها ذات يوم : « **أذاتُ زوجٍ أنتِ ؟** » قالت : قلت : نعم .قال : « **فكيف أنتِ [له]**[1] ؟ قالت[2]: ما آلوه[3]، إلا ما عَجَزت عنه . قال : « **فانظري أينَ أنتِ منهُ ، فإنهُ جنَّتُكِ ونارُكِ** »[4].

٢٢ ـ حدثنا عبيد الله بن عمرو ، عن يحيى بن سعيد ، عن أبي بكر بن حزم ، عن عبَّاد بن تميم ، عن عبد الله بن زيد الأنصاري ، عن النبي ﷺ : « أنه خرج يستسقي، فلما أراد أن يدعو ، استقبل القبلة وحوّل رداءه »[5].

والحديث وإن كان في إسناده عبد الله بن محمد بن عقيل ، إلا أن أحاديث حنين الجذع من الأحاديث المتواترة ، ولا يزال الرواة يروونها ويستشهدون ببعضها البعض . انظر : فتح المنان للغمري ٣٤٧/١.

(١) ليست في الأصل ، وقد ذكرت هذه الزيادة مصادر التخريج .

(٢) في نسخة (ب) : فقالت .

(٣) ما آلوه : أي ما أستطيعه . النهاية في غريب الحديث ٦٣/١ .

(٤) إسناده صحيح ، يحيى بن سعيد : هو الأنصاري ، وبُشير ـ بالتصغير ـ هو ابن يسار الحارثي ، مولى الأنصار ، مدني ثقة فقيه ، التقريب ص١٢٦ . وحصين : هو ابن محصن الأشهلي ، معدود في الصحابة ، وروايته عن عمته ، التقريب ص١٧٠. أخرجه أحمد (١٩٠٢٥)، والحميدي (٣٥٥)، والنسائي في الكبرى (٨٩٦٢ ، ٨٩٦٣ ، ٨٩٦٩)، والطبراني في الأوسط (٥٣٢)، والكبير (١٨٣/٢٥)، والحاكم في المستدرك (٢٧٦٩)، والبيهقي في الكبرى (١٤٤٨٣) من طرق عن يحيى بن سعيد به .

قال الحاكم : « صحيح ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبي .

(٥) حديث صحيح ، أبو بكر هو ابن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري المدني القاضي ، ثقة ، التقريب ص٦٢٤. وعبّاد : هو ابن تميم بن غزية الأنصاري المازني المدني ، ثقة ، وقد قيل : إن له رؤية ، التقريب ص٢٨٩. أخرجه أحمد (١٦٤٩٥ ، ١٦٤٧٩)، والبخاري(٩٨٢) ومسلم (٨٩٤)، وأبو داود (١١٦٦)، وابن ماجه (١٢٦٧)، والدارمي (٥٣٣)، وابن خزيمة (١٤٠٧)، والبيهقي في الكبرى (١٨١٤) من طرق عن يحيى بن سعيد به . وأخرجه أحمد (١٦٤٨١ ، ١٦٤٨٢ ، ١٦٤٨٣ ، ١٦٤٨٤ ، ١٦٤٨٦)، والحميدي (٤١٥)، والشافعي (٧٩)، والبخاري (٦٩٠ ، ٩٦٥ ، ٩٧٧ ، ٩٧٨ ، ٩٧٩ ، ٩٨٠ ، ٩٨١ ، ٥٩٨٣)، ومسلم (٨٩٤) وأبو داود (١١٦١ ، ١١٦٢ ، ١١٦٤ ، ١١٦٧)، والترمذي ⇐

٢٣ ـ حدثنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : « تبكي الأرضُ على المؤمن أربعين صباحاً »[١].

٢٤ ـ حدثنا ابن المبارك ، عن يونس ، عن الزهري ، قال : حدثني سعيد بن المسيب ، أن أبا هريرة حدثه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **يدخل من أمتي الجنة زُمْرةٌ هم سبعون ألفاً تُضيءُ وجوهُهم إضاءةَ القمرِ ليلةَ البدرِ** » ـ يعني أهلَ الجنة[٢] ـ قال أبو هريرة : فقام عُكَّاشة بن مِحْصن الأسدي فقال : يا رسول الله ! ادعُ الله أن يجعلني منهم ، فقال : « **اللهمَّ اجعله منهم** » ، ثم قام رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله ! ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال : « **سبقك بها عُكّاشة** »[٣].

---

(٥٥٦)، والنسائي في المجتبى (١٥٠٩ ، ١٥١٠ ، ١٥١١ ، ١١١٩ ، ١١٥٢)، وابن ماجه (١٢٦٧)، وعبد بن حميد (٥١٦)، وابن خزيمة (١٤٠٦ ، ١٤١٠ ، ١٤٢٠ ، ١٤٢٤)، والبيهقي في الكبرى (٤٩٩ ، ١٨١٣ ، ١٨١٥) من طرق عن عباد بن تميم به .

قوله : « وحول رداءه » أي قَلَبَه . قال النووي في شرح صحيح مسلم ١٨٨/٦: « والتحويل شُرّع تفاؤلاً بتغير الحال من القحط إلى نزول الغيث والخصب ، ومن ضيق الحال إلى سعته » وقيل غير ذلك .

(١) إسناده ضعيف ، وسفيان هو الثوري ، وأبو يحيى هو القتات ، اسمه : زاذان ، وقيل : دينار ، وقيل غير ذلك ، لين الحديث ، التقريب ص٦٨٤. أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ١٢٥/٢٥ من طريق عبد الرحمن عن سفيان به .

(٢) في نسخة (ب) : يعني : الجنة .

(٣) حديث صحيح ، ويونس : هو ابن يزيد بن أبي النجاد الأيلي ، ثقة إلا أن في روايته عن الزهري وهماً قليلاً ، وقد تقدم ذكره . أخرجه أحمد من طريق إبراهيم بن إسحاق الطالقاني (٩١٩١)، والبخاري من طريق معاذ بن أسد (٦١٧٦) ، كلاهما عن ابن المبارك به ، وأخرجه مسلم (٢١٦) من طريق ابن وهب عن يونس به ، وأخرجه البخاري (٥٤٧٤)، والبيهقي في الكبرى (٢٠٢٧١) من طريق شعيب عن الزهري به ، وأخرجه أحمد (٨٠٠٣ ، ٩٨٨٤)، ومسلم (٢١٦)، والدارمي (٢٨٠٧)، وابن حبان (٧٢٤٤) من طريق محمد بن زياد عن أبي هريرة به .

قلت : عُكَّاشة ـ بضم أوله وتشديد الكاف وتخفيفها أيضاً ـ هو : ابن محصن بن حرثان بن قيس بن مرة الأسدي ، من السابقين الأولين ، شهد بدراً ، واستشهد في قتال أهل الردة . انظر الإصابة ٥٣٣/٤ .

قال ابن حبان : « سبقك بها عكاشة » لفظة إخبار عن فعل ماض مرادها الزجر عن الشيء الذي من أجله ⇐

٢٥ ـ حدثنا عبيد الله بن عمرو الأسدي الرَّقي ، عن ابن عقيل ، عن حمزة ، عن أبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول على المنبر : « **ما بالُ رجالٍ يقولون : رَحِمُ رسول الله لا تنفعُ يوم القيامة ، والله إن رحمي لموصولة في الدنيا والآخرة ، وإني أيها الناس فرطٌ لكم يوم القيامة على الحوض ، وإن رجالاً يقولون**[١] : **يا رسول الله ! أنا فلان بن فلان . قال : فأقول : أمَّا النسبُ فقد عرفتُ ، ولكنَّكم أحدثتم بعدي وارتددتم القَهْقَرى** »[٢] .

٢٦ ـ حدثنا عبيد الله بن عمرو الرقي ، عن ابن عقيل ، عن محمد بن علي ، عن علي بن أبي طالب أنه سمى ابنه الكبير حمزة وسمى حسيناً[٣] بعمه جعفر ، قال : فدعا

أطلق هذه اللفظة ، وذلك أن المصطفى ﷺ لما دعا لعكاشة ، وقال : « اللهم اجعله منهم »، ثم قام الآخر ، فلو دعا له لقام الثالث والرابع ، وخرج الأمر إلى ما لا نهاية ، ولبطل وعيد الله جل وعلا لمن ارتكب المزجورات من هذه الأمة لرسول الله ﷺ أن يدخلهم النار ، فحسمهم عن نفسه بلفظة إخبار مرادها الزجر عنه » . الإحسان ٢٢٦/١٦ .

(١) في الأصل : يقول . والتصحيح من نسخة (ب) .

(٢) إسناده مضطرب ، والحديث من حيث هو صحيح ، وابن عقيل : هو عبد الله بن محمد بن عقيل ، وقد اضطرب في روايته ، فقد رواه الإمام أحمد ١٨/٣ من طريق ابن عقيل ، عن حمزة ، ثم رواه ٣٩/٣ من طريق ابن عقيل ، عن سعيد بن المسيب ، ورواه أبو يعلى في مسنده (١٢٣٨) من طريق ابن عقيل ، عن عبد الرحمن بن أبي سعيد ، ثلاثتهم عن أبي سعيد ، ومثل هذا يحمل على اضطراب ابن عقيل في روايته . وحمزة : هو ابن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري ، ذكره ابن حبان في الثقات ، انظر الإكمال للحسيني ص١٠٥ ، وأخرجه عبد بن حميد في المنتخب (٩٨٦) من طريق زكريا بن عدي عن عبيد الله بن عمرو به بنحوه ، وأخرجه أحمد من طريق زهير (١١١٥٤)، وأبو داود الطيالسي من طريق عمرو بن ثابت (٢٢٢١) كلاهما عن عبد الله بن محمد بن عقيل به ، وأخرجه أحمد (١١٣٩٣)، وأبو يعلى في مسنده (١٢٣٨) من طريقين عن أبي سعيد الخدري به .

ـ قوله : « القهقرى » : أي الرجوع إلى الوراء ، وأراد به صلى الله عليه وسلم الارتداد ، وفي بعض الروايات : « قيل لشريك : يا أبا عبد الله ! علام حملتم هذا الحديث ؟ قال : على أهل الردة » ، التمهيد لابن عبد البر ٣٠٠/٢ .

(٣) في الأصل : حسين . وهو تصحيف ، والتصحيح من نسخة (ب).

رسولُ الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب فقال : « **إني قد غيّرتُ اسم ابنيّ هذا** »[١] فقلت : الله ورسوله أعلم ، قال : « **فسمى حسناً وحسيناً** »[٢].

٢٧ ـ حدثنا عبيد الله بن عمرو ، عن زيد بن أبي أُنيسة ، عن عمرو بن مرة ، عن خَيْثَمَة ، عن رِبْعِيّ بن حِراش قال : لما كانت الليلة التي حضر فيها حذيفة جعل يقول : أيُّ الليل هذا ؟ قال : فقلنا : هذا وقت[٣] السَّحَر ، فاستوى جالساً ، ثم قال : اللهم إني أبرأُ إليك من دم عثمان ، والله ما شَهِدْتُ[٤] ، ولا قتلت ، ولا مالَئْتُ على قَتْلِه »[٥].

---

(١) في نسخة (ب) زيادة : فقال .

(٢) إسناده حسن ، وابن عقيل هو عبد الله بن محمد بن عقيل ، ومحمد هو ابن علي بن أبي طالب الهاشمي ، أبو القاسم بن الحنفية ، ثقة عالم ، التقريب ص٤٩٧ . أخرجه أبو يعلى في مسنده (٤٩٨) من طريق المصنف به بمثله . وأخرجه أحمد في مسنده ١/١٥٩ وفي فضائل الصحابة (١٢١٩)، والطبراني في الكبير (٣/٩٨) من طرق عن عبيد الله بن عمرو به بنحوه ، وأخرجه الحاكم في مستدركه (٤٧٧٣) من طريق هلال بن العلاء الرقي ، عن أبيه ، عن عبيد الله بن عمرو ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن أبيه ، عن علي به بنحوه .

قال الحاكم : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » .

(٣) في نسخة (ب) : وجه .

(٤) في نسخة (ب) : فإنه ما شهدت .

(٥) إسناده صحيح . زيد بن أبي أُنيسة الجزري ، ثقة ، التقريب ص٢٢٢ ، وعمرو بن مرة المرادي ، ثقة عابد ، التقريب ص٤٢٦ ، وخَيثمة هو ابن عبد الرحمن بن أبي سبرة الكوفي ، ثقة عابد ، التقريب ص١٩٧ ، وربعي بن حراش العبسي الكوفي ، ثقة عابد مخضرم ، التقريب ص٢٠٥ . أخرجه ابن عساكر في تاريخه (١٢/٢٩٤) من طريق المصنف به بنحوه ، وأخرجه ابن عساكر أيضاً (١٢/٢٩٥) بإسناده إلى التابعي خالد ابن ربيع العبسي موقوفاً عليه ، وأخرجه أحمد في فضائل الصحابة (٨٠١) بإسناده إلى محمد بن سيرين موقوفاً عليه بنحوه .

قوله : « ولا مالئت على قتله » : أي ما ساعدت ولا عاونت على قتله . النهاية في غريب الحديث ٤/٣٥٣ .

٢٨ ـ حدثنا عبيد الله ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن سعيد بن المسيب ، أن رسول الله ﷺ دخل[١] الكعبة ، فلم يزل فيها حتى حَضَرت الظُّهرُ ، فقال : « **يا بلال ! قم فأذن فوق الكعبة بالصلاة** » ، فلما رأى ذلك خالد بن أُسيد[٢] قال : الحمد لله الذي أمات أبي فلم يَشْهَد هذا اليوم الذي قام فيه بلال بن أم بلال قائماً[٣] فوق ظهر الكعبة »[٤].

٢٩ ـ حدثنا عبيد الله بن عمرو ، عن أيوب ، عن ابن سيرين ، عن أم سُلَيم قالت : كان النبي ﷺ يَقِيلُ في بيتي ، فينامُ ، فيَعْرَقُ ، فإذا عَرِقَ أخذت سُكّاً[٥] فَعَجَنْتُه بِعَرَقِه . قال ابن سيرين : فاستوهبت منه ، فوهبت لي ، قال أيوب : فاستوهبت من محمد من ذلك السُّكِّ فوهبَ لي ، وقال أيوب : لما تُوفي محمد حُنِّط بذلك السُّك »[٦] .

٣٠ ـ حدثنا عبيد الله ، عن يحيى بن سعيد ، عن القاسم ، عن ابن عمر قال : « إن من سُنَّة الصلاة أن تنْصِب رجلَك اليمنى ، وتَضَعَ اليسرى »[٧].

---

(١) في نسخة (ب) : ودخل .

(٢) هو خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية ، أخو عتاب أمير مكة ، تعجيل المنفعة (ص١١٠) .

(٣) في الأصل وفي نسخة (ب) : قائم . وهو تصحيف .

(٤) صحيح مع كونه مرسلاً ، فقد نص جميع العلماء على أن مراسيل سعيد بن المسيب صحيحة ، بل هي من أصح المراسيل عندهم . انظر التقريب ص٢٤١ . أخرجه ابن هشام في سيرته ٢٧/٢ ، والبيهقي في دلائل النبوة ٧٨/٥ عن ابن إسحاق .

(٥) السُّك : هو نوع معروف من الطيب ، يضاف إلى غيره ، انظر النهاية في غريب الحديث ٣٨٤/٢ .

(٦) إسناده صحيح . وأيوب هو ابن أبي تميمة كيسان السختياني البصري ، ثقة ثبت حجة ، التقريب ص١١٧ . وابن سيرين هو محمد بن سيرين الأنصاري البصري ، ثقة ثبت ، التقريب ص٤٣٨ ، وأم سليم صحابية جليلة ، والدة أنس بن مالك ، قيل : اسمها سهلة ، وقيل غير ذلك ، اشتهرت بكنيتها ، التقريب ص٧٥٧ . أخرجه ابن سعد في طبقاته ٤٢٨/٨ من طريقه عن عبيد الله بن عمرو به بنحوه .

(٧) إسناده صحيح ، يحيى بن سعيد هو الأنصاري ، والقاسم هو ابن محمد بن أبي بكر الصديق ، ثقة ، أحد الفقهاء بالمدينة ، التقريب ص٤٥١ . أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٢٥٤/١ من طريقه عن يحيى بن ⇐

٣١ ـ حدثنا عبيد الله ، عن يحيى بن أبي أُنيسة ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جدِّه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا يُقتَلُ مؤمنٌ بكافرٍ ، ولا ذو عهدٍ في عهده ، ولا يتوارثُ أهلُ مِلَّتين** »[1].

٣٢ ـ حدثنا عبيد الله ، عن ليث بن أبي سُلَيم قال : « كان ابن عباس يكثر أن يعنِّفَ ابن الزبير[2] بالبُخل ، قال : فلقيه يوماً فعيرّه ، فقال له ابن الزبير : ما أَكْثَرَ ما تُعَيِّرني يا ابن عباس ؟ قال : إني أنْ أفعل ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إنَّ المؤمنَ لا يَشْبعُ وجارُه وابنُ عَمِّه جائعٌ** »[3].

سعيد به بنحوه ، وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه ١٩٤/٢ من طريق عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه به بأطول منه .

(١) إسناده ضعيف . يحيى بن أنيسة الجزري ضعيف ، التقريب ص٥٨٨ . أخرجه أحمد (٦٩٧٠ ، ٦٦٩٢)، وأبو داود (٢٧٥١)، وابن الجارود (١٠٧٣)، وابن خزيمة (٢٢٨٠)، والبيهقي في الكبرى (١٥٦٩٠، ١٥٦٩١) كلهم من طرق عن عمرو بن شعيب به بأطول منه ، دون لفظ « ولا يتوارث أهل ملتين » .

قلت : وقد أخرج هذه الجملة الإمام أحمد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٦٦٦٤) وفي إسناده ضعف ، و(٦٨٤٤) وإسناده حسن ، ورواها أربعة آخرون من الصحابة : جابر بن عبد الله ، وحديثه عند الترمذي (٢١٠٨) وضعّفه ، وعبد الله بن عمر ، وحديثه عند ابن حبان (٥٩٩٦) ، وأسامة بن زيد ، وحديثه عند الحاكم ٢٤٠/٢ ، وصححه ووافقه الذهبي ، وأبو هريرة ، وحديثه عند البزار (١٣٨٤) من زوائده ، والطبراني في الأوسط (٥٤٣٠) وفيه عمر بن راشد اليمامي ، ضعيف .

(٢) قوله : « ابن الزبير » : هو عبد الله بن الزبير بن العوام رضي الله عنهما.

(٣) إسناده ضعيف . ليث بن أبي سليم صدوق اختلط جداً ، ولم يتميز حديثه فترك . التقريب ص٤٦٤ ، والحديث فيه إرسال أيضاً .

قلت : أخرجه من حديث ابن عباس ، ابن أبي شيبة (٣٠٩٨٥)، والبخاري في الأدب المفرد (١١٢)، وأبو يعلى (٢٦٩٩)، والطبراني في الكبير ١٢/ رقم ١٢٧٤، والحاكم ١٦٧/٤ وصححه ووافقه الذهبي . ويشهد له حديث أنس مرفوعاً ، وهو عند البزار (١١٩) في زوائده ، والطبراني في الكبير ١/رقم٧٥١ ، قال الهيثمي في المجمع ١٦٧/٨ : « وإسناد البزار حسن » .

٣٣ ـ حدثنا أبو المليح الرَّقي قال : حدثني خُصيف [قال :][(١)] « إن إبليس قال : لأُسمِّيَنّ ابني اسماً يذكره ابن آدم قبل أن يذكر ربه فسماه : أب »[(٢)].

٣٤ ـ حدثنا أبو المليح ، عن ميمون قال : بلغني عن رجل خرج مع ابن عمر يسير ومعه نافع ، فسمع صوت زمارة راعي في غنمه ، فأسرع ابن عمر السير وغيّر طريقه ، فسار ساعة ، ثم قال : يا نافع ! هل تسمع صوته ؟ قال : لا ، قال : هكذا رأيت رسول الله ﷺ يصنع »[(٣)].

٣٥ ـ حدثنا أبو المليح ، عن ميمون في قوله جلّ وعز[(٤)] : ﴿ ثُلَّةٌ مِنَ الأوَّلينَ ، وقليلٌ من الآخِرين ﴾[(٥)] قال : « كثير من الأولين ، وقليل من الآخرين »[(٦)].

٣٦ ـ حدثنا أبو المليح ، عن ميمون قال : « من أساء سراً فليَتُبْ سراً ، ومن أساء علانيةً فليتُب علانيةً ، فإنّ الناس يعيّرون ولا يغفرون ، والله عز وجل[(٧)] يغفر ولا يعيّر »[(٨)].

---

(١) زيادة من نسخة (ب) .

(٢) إسناده ضعيف .خُصيف ـ بالتصغير ـ هو ابن عبد الرحمن الجزري ، أبو عون ، صدوق سيء الحفظ ، خلط بأخرة ، التقريب ص١٩٣ .

(٣) إسناده ضعيف ، فيه راو لم يسمّ ، وميمون هو ابن مهران الجزري ، أبو أيوب ، ثقة فقيه ، وكان يرسل . التقريب ص٥٥٦ . أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٢٢)، والبيهقي في الكبرى (٢٠٧٨٨) من طريق عبد الله بن جعفر الرقي ، عن أبي المليح ، عن ميمون ، عن نافع . وأخرجه أحمد (٤٥٣٥ ، ٤٩٦٥)، وأبو داود (٤٩٢٤)، والطبراني في الصغير (١١)، وابن حبان (٦٩٣)، وابن أبي الدنيا في الورع (٧٩)، والبيهقي في الكبرى (٢٠٧٨٧) من طرق عن نافع .

(٤) في نسخة (ب) : عز وجل .

(٥) سورة الواقعة ، الآيتان (١٣ ـ ١٤) .

(٦) إسناده صحيح . أخرجه عبد بن حميد ـ كما ذكر السيوطي في الدر المنثور ١٩/٨ ـ بلفظ : « كثير من الأولين ، وكثير من الآخرين » .

(٧) سقطت من نسخة (ب) لفظة : عز وجل .

(٨) إسناده صحيح . أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٣٦٥/٦١) من طريق المصنف به . وأخرجه الذهبي

٣٧ ـ حدثنا عبيد الله بن عمرو الرَّقي ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي ، عن شريح قال : « الطَّلاق سنةٌ ، والبَتَّةُ[١] بدعةٌ ، تُجْعلُ نيَّتُهُ على ما نوى »[٢].

٣٨ ـ حدثنا عبيد الله ، عن معمر ، رفعه قال : « **إنّ أحبَّكم إليّ ، وأقربكم إليّ في الجنة أَحْسَنُكم أخلاقاً ، وإنّ أبغضكم إليّ وأبعدكم مني في الجنة أسوأكم أخلاقاً : الثَّرثارون ، المتشَدِّقون ، المتَفَيْهِقون** »[٣].

٣٩ ـ حدثنا عبيد الله ، عن معمر ، عن رجل يقال له وهب بن أبي دُبيّ[٤] ، عن أبي الطُّفيل قال : قال علي بن أبي طالب : « سلوني عن كتاب الله[٥] ، فإنّه ليس من آية إلا وقد عرفت بليلٍ أُنزِلت أو بنهارٍ ، أو في سهلٍ ، أو في جبلٍ ، قال : فقال ابن

في السير (٥/٧٥) معلّقاً .

(١) البتة : قال في المصباح المنير ص٣٥ : « بتَّ الرجل طلاق امرأته فهي مبتوتة ، والأصل مبتوت طلاقها ، وطلّقها طلقة بتةً ، إذا قطعها عن الرجعة » . وعدّ ابن قدامة في المقنع ص٢٣١ « البتة » من ألفاظ الكناية الظاهرة في الطلاق .

(٢) إسناده صحيح ، وإسماعيل هو : ابن أبي خالد الأحمسي البجلي ، ثقة ثبت ، التقريب ص١٠٧ .

(٣) إسناده ضعيف معضل ، وقد روي مسنداً متصلاً ، ومعمر : هو ابن راشد الأزدي . وللحديث شواهد : عن أبي ثعلبة الخشني ، أخرجه أحمد (١٧٧٦٧) ، وابن حبان (٤٨٢) ، والطبراني في الكبير (٢٢/٢٢١) ، والبيهقي في الكبرى (٢٠٥٨٨) ، وعن عبد الله بن مسعود ، أخرجه الطبراني في الكبير (١٠/١٩٠) ، وعن جابر بن عبد الله ، أخرجه الترمذي في سننه (٢٠١٨) ، وقال : « هذا حديث حسن غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه » .

قوله : « الثرثارون » : جمع ثرثار ، وهو الذي يكون كثير الكلام . انظر سنن الترمذي ٤/٣٧٠ .

وقوله : « المتشدقون » : جمع متشدق ، وهو الذي يتطاول على الناس في الكلام ويبذو عليهم . المصدر السابق .

وقوله : « المتفيهقون » : جمع متفيهق ، وهم المتكبرون ، كما فسرت ذلك رواية الترمذي ، وقال ابن الأثير : « هم الذين يتوسعون في الكلام ويفتحون به أفواههم » . النهاية ٣/٤٨٢ .

(٤) في الأصل : ذيب . وفي نسخة (ب) : ذبي . والتصحيح من كتب التراجم .

(٥) في نسخة (ب) : زيادة : عزّ وجل .

الكوّاء[١]: فما : [و] ﴿ الذَّارِيَاتِ ذَرْواً ، فَالحَامِلاتِ وِقْراً ، فالجارِيَاتِ يُسْراً ، فالمُقَسِّمات أَمْراً ﴾[٢]؟ فقال علي بن أبي طالب : ويلك سَلْ تَفَقُّهاً ، ولا تسأل تَعَنُّتاً ، أما ﴿ الذَّارِيَاتِ ذَرْواً ﴾ : فالرياح ، و﴿ الحَامِلاتِ وِقْراً ﴾ : هي السحاب ، و﴿ الجارِيَاتِ يُسْراً ﴾ : هي الفلك ، ﴿ فالمُقَسِّمات أَمْراً ﴾ : هي الملائكة .

قال : فما هذا السواد الذي في القمر ؟ قال : أعمى سأل عن عميًا ، أما سمعت الله عز وجل يقول : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيلَ وَالنَّهارَ آيَتَينِ فَمَحَونَا آيَةَ اللَّيلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً ﴾[٣].

قال : يقول الله عز وجل : ﴿ أَلَمْ تَرَ إلى الذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُم دَارَ البَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَونَهَا وَبِئْسَ القَرَارِ ﴾[٤]. قال : نزلت في الأفجَرين من قريش .

قال : وهذه الآية : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمالاً ﴾[٥]؟ قال : أولئك أهل حروراء[٦].

قال : فما هذا القوس قزح ؟ قال : أمانٌ من الغرق ، وعلامة[٧] كانت بين نوح وبين ربه عزَّ وجل .

قال : أفرأيت ذا القرنين أنبيٌّ كان أو ملك ؟ قال : لا واحدَ منهما ، ولكن كان

---

(١) ابن الكواء : هو عبد الله بن الكوّاء اليشكري ، كان من كبار الخارجين على علي - رضي الله عنه - ، ولكنه عاد إلى صفه ولازمه ، وكان كثير التعنت في السؤال له ، غالياً في الرفض . انظر فتح الباري ٢٨٤/١٢ ، ٨٧/١٣ .

(٢) سورة الذاريات ، الآيات (١ - ٤) .

(٣) سورة الإسراء ، الآية (١٢) .

(٤) سورة إبراهيم ، الآيتان (٢٨ - ٢٩) .

(٥) سورة الكهف ، الآية (١٠٣) .

(٦) حروراء : قرية بقرب الكوفة ، تنسب إليها فرقة من الخوارج تسمى بالحرورية . انظر التعاريف للمناوي ٢٧٧/١ .

(٧) في نسخة (ب) سقطت الواو .

عبداً صالحاً ، أحبَّ الله وأحبَّه ، وناصحَ الله فنصحه ، ودعا[١] قومه إلى الهدى فضربوه على قرنه ، فانطلق فمكث ما شاء أن يمكث ، فدعاهم إلى الهدى ، فضربوه على قرنه الأخرى فسُمِّي ذا القرنين ، ولم تكن قرنين كقرني الثور »[٢].

٤٠ - حدثنا عبيد الله ، عن إسماعيل ، عن مسروق قال : « ما أبالي أَخيَّرْتُ امرأتي خمساً أو ألفاً بعد أن تختارني »[٣].

٤١ - حدثنا عبيد الله بن عمرو الأسدي الرقي أبو وهب ، عن زيد بن أبي أُنيسة ، عن أبي إسحاق ، عن هبيرة[٤] بن يريم ، عن الحسن بن علي قال : « قد فاتكم رجل لم يسبقه أحد من الأولين بعلمٍ ، ولا يدركه أحد من الآخرين ، كان رسول الله ﷺ يعطيه

---

(١) في نسخة (ب) سقطت الواو .

(٢) إسناده صحيح ، وهب بن أبي دُبَيّ : هو وهب بن عبد الله بن أبي دُبيّ الهنائي الكوفي ، وقد ينسب لجده ، ثقة ، التقريب ص٥٨٥ . وأبو الطفيل : هو عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمرو الليثي ، رأى النبي ﷺ ، وهو آخر من مات من الصحابة . التقريب ص ٢٨٨ . أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٣/٢٤١ عن معمر ، عن وهب بن عبد الله ، عن أبي الطفيل به ، مع تقديم وتأخير وزيادة بعض الألفاظ أحياناً ، وأخرج الطبري في تفسيره قطعاً منه بأسانيد متعددة ، وفي مواضع مختلفة . انظر تفسير الطبري ١١/١٥ ، ١٦/٢٢ - ٢٩ ، ٢٦/١٨٦ - ١٨٨ ، وأخرج الضياء المقدسي قطعاً منه بأسانيد متعددة ، في مواضع متفرقة من كتابه « المختارة » : ٢/٢٩٨ ، ٢٢٤ ، ١٧٦ ، ١٧٥ ، ١٢٦ ، ١٢٤) . وأخرج الحاكم في المستدرك (٣٧٣٦ ، ٣٣٤٢) قطعة منه من طريق بسام الصيرفي ، عن أبي الطفيل به .

قلت : قول علي بن أبي طالب لابن الكواء : « سل تفقهاً ولا تسأل تعنتاً » ، فيه توجيه عظيم لكل طالب علم وسائل مسترشد ، إلى أدب رفيع من آداب السؤال والتعلم .

(٣) إسناده ضعيف لانقطاعه ، إسماعيل لم يسمع من مسروق مباشرة ، وإنما بواسطة الشعبي - كما هو واضح في رواية عبد الرزاق الآتية - . وعبيد الله : هو ابن عمرو الرقي ، وإسماعيل : هو ابن أبي خالد الأحمسي وقد تقدمت ترجمته آنفاً . ومسروق : هو ابن الأجدع بن مالك الهمداني، ثقة فقيه عابد ، مخضرم ، التقريب ص٥٢٨ . أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٧/١١ من طريق سفيان بن عيينة ، عن إسماعيل ، عن الشعبي ، عن مسروق بلفظ : « ما أبالي أن أخير امرأتي مائة مرة كل ذلك تختارني » ، وأخرجه عبد الرزاق أيضاً ٧/١١ من طريق الشعبي ، عن مسروق بلفظ سابقه .

(٤) في نسخة (ب) : هبير . وهو تصحيف .

الراية ثم يخرج ، فلا يرجع حتى يفتح الله على يديه ، جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره ، يقاتلان معه ، مات ولم يترك ديناراً ولا درهماً إلا حلي سيفه[١] ، وسبعمائة درهم فَضُلَ من عطائه ، حبسها ليبتاع بها خادماً »[٢] .

٤٢ ـ حدثنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : « تبكي الأرض على المؤمن أربعين صباحاً »[٣] .

٤٣ ـ حدثنا عبيد الله بن عمرو ، عن يحيى - يعني ابن سعيد - ، عن أنس أنه كان يُصلّي على حمار لغير القبلة ، ويركع ويسجد من غير أن يمس وجهه شيء[٤] .

٤٤ ـ حدثنا عبيد الله ، عن زيد ، عمن حدثه ، عن ابن محيريز قال : جاء رجل إلى عبادة بن الصامت فقال : إنّ أبا محمد[٥] يزعم أن الوتر واجب . قال : كذب أبو

---

(١) في نسخة (ب) : حلي صبيه .

(٢) إسناده ضعيف ، هبيرة بن يريم الشبامي ، أبو الحارث الكوفي ، لا بأس به ، وقد عيب بالتشيع ، التقريب ص ٥٧٠ . وأبو إسحاق هو : عمرو بن عبد الله السبيعي ، ثقة ، اختلط بأخرة ، التقريب ص٤٢٣ .

قلت : قوله : « جبريل عن يمينه ، وميكائيل عن يساره ، يقاتلان معه » انفرد بهذه الزيادة هبيرة بن يريم ، وهبيرة هذا كان مع المختار بن أبي عبيد الثقفي ، الذي قال عنه الذهبي في الميزان ٨٣٧٨/٣ : « ضال مضل ، كان يزعم أن جبرائيل عليه السلام ينزل عليه ، وهو شر من الحجاج أو مثله » ، وهذه الزيادة غير مقبولة ؛ لأنها من رواية شيعي مناصر للمختار الثقفي الذي يزعم هذا الزعم ، وقد قالوا : « من علامات وضع الحديث كون الحديث في فضائل أهل البيت من رواية رافضي » . أخرجه الطبراني في الكبير (٢٧٢٢) من طريق المصنف بنحوه ، وأخرجه أحمد في فضائل الصحابة (١٠١٤) من طريق أبي إسحاق به . وأخرجه أيضاً (١٠١٣) من طريق أبي إسحاق ، عن عمرو بن حبشي قال : « خطبنا الحسن بن علي . . . » مختصراً بنحوه .

(٣) تقدم تخريجه . انظر حديث رقم (٢٣) . قال الناسخ : مكرر .

(٤) إسناده صحيح ، ويحيى بن سعيد هو الأنصاري . أخرجه عبد الرزاق في المصنف ٥٧٣/٢ من طريق مالك بن أنس ، وابن أبي شيبة في مصنفه ٢٣٧/٢ من طريق عبدة بن سليمان ، كلاهما عن يحيى بن سعيد بنحوه ، وأخرجه عبد الرزاق في المصنف أيضاً ٥٧٣/٢ من طريق أنس بن سيرين ، عن أنس به بنحوه .

(٥) أبو محمد : رجل من الأنصار ، له صحبة ، وكان بالشام ، مصنف ابن أبي شيبة ٩٢/٢ .

محمد[١]، سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **خَمْسُ صلوات افترَضَهُنَّ اللهُ[٢] على عباده، مَنْ أَطاعَ اللهَ وأتاهُ بها[٣] لم يَنْتَقِص منهن شيئاً، كان لَهُ عندَ اللهِ عهدٌ يُدخلهُ الجنةَ، ومن أتاهُ قد انتقَصَ منهن شيئاً استخفافاً بحقهنَّ، لم يكن له عند الله عهدٌ، إن شاء عذّبه، وإن شاء غفر له** »[٤].

٤٥ ـ حدثنا إسحاق بن نجيح، عن يحيى بن سعيد، أنّ الحسن كان يقول: « عَهْدُنا بالبصرة وما يَلْبَس الرقيق إلا فاسق أو فاسقة »[٥].

٤٦ ـ حدثنا أبو يزيد[٦] الخرّاز ـ قال أبو القاسم [البغوي]: واسمه خالد بن حيان ـ، عن زيد بن واقد، عن مكحول، عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: « **إنّ من اقتراب السّاعة: إذا رأيتم الناس أماتوا الصلاة، وأضاعوا الأمانة، واستحلوا الكبائر، وأكلوا الربا، وأخذوا الرِّشا[٧]، وشيّدوا البناء، واتبعوا**

---

(١) قال ابن حبان: « قول عبادة « كذب أبو محمد » يريد به أخطأ ... وهذه لفظة مستعملة لأهل الحجاز إذا أخطأ أحدهم يقال له: كذب ». الإحسان ٥/٢٣.

(٢) في نسخة (ب) زيادة: عز وجل.

(٣) في نسخة (ب): وأتى بها.

(٤) إسناده ضعيف: فيه راو لم يسمّ. وزيد: هو ابن أبي أنيسة، وابن محيريز ـ بالتصغير ـ: هو عبد الله بن محيريز بن جنادة الجمحي المكي، ثقة عابد، التقريب ص٣٢٢. والحديث صحيح: أخرجه مالك في الموطأ (٢٦٨)، وأحمد (٢٢٧٤٥)، وأبو داود في سننه (١٤٢٠)، والنسائي في المجتبى (٤٦١)، وابن حبان (١٧٣٢)، والبيهقي في الكبرى (٤٢٤٠)، كلهم من طريق محمد بن يحيى بن حبان، عن ابن محيريز به.

(٥) إسناده متروك: فيه إسحاق بن نجيح الملطي، كذبوه، التقريب ص١٠٣. ويحيى بن سعيد هو الأنصاري.

(٦) في الأصل ونسخة (ب): أبو زيد. وهو تصحيف، والتصحيح من كتب التراجم.

(٧) الرِّشا: أي الرشوة، وأصل الرشوة من الرشاء، وهو ما يتوصل به إلى الماء. انظر النهاية في غريب الحديث ٢/٢٢٦.

الهوى ، وباعوا الدين بالدنيا ، واتخذوا القرآن مزامير[١] ، واتخذوا جلود السباع صفاقاً ، والمساجد طرقاً ، والحرير لباساً ، وكَثُرَ الجور ، وفشا الزنا ، وتهاونوا بالطلاق ، وائتُمن الخائن ، وخوِّن الأمين ، وصارَ المطرُ قيظاً[٢] ، والولدُ غيظاً ، وأُمراءُ فَجَرة ، ووزراءُ كَذَبة ، وأمناءُ خَوَنة ، وعُرَفاء[٣] ظَلَمَة ، وقلّت العلماء ، وكَثُرَت المصاحفُ والقراءُ ، وقلّتِ الفقهاءُ ، وحُلِّيت المصاحف ، وزُخرِفَت المساجد ، وطُوِّلَت المنائر[٤] ، وفسَدت القلوب ، واتخذوا القِيانَ[٥] ، واستُحِلّت المعازف ، وشُرِبت الخمور ، وعُطلّت الحدود ، ونُقصت الشهور ، ونُقضت المواثيق ، وشاركت المرأةُ زوجَها ، وركبَ النساءُ البراذين[٦] ، وتشبّهن النساء بالرجال ، والرجال بالنساء ، وحُلِفَ بغير الله ، وشهد الرجل من غير أن يُستشهد ، وكانت الزكاة مغرماً[٧] ، والأمانة مغنماً[٨] ، وأطاع الرجلُ امرأتَه وعقَّ أمَّه ، وأقصى أباه ، وصارت الإمارة[٩] مواريث ، وسبّ آخر هذه الأمة أولها ، وأُكرم الرجل إتقاء شره ، وكثرت الشّرط[١٠] ، وصَعَدَ

---

(١) في الأصل : مزاميراً . وهو تصحيف ، والتصحيح من نسخة (ب) .

(٢) أي صار وقت نزوله عند شدة الحر ، والمطر إنما يراد للنبات وبرد الهواء ، والقيظ ضد ذلك . انظر النهاية في غريب الحديث ١٣٢/٤ .

(٣) عرفاء : جمع عريف ، وهو القيم بأمور القبيلة أو الجماعة من الناس يلي أمورهم ، ويعرف الأمير منه أحوالهم . النهاية ٢١٨/٣ .

(٤) في الأصل : المنار . والتصحيح من نسخة (ب).

(٥) القيان : أي المغنيات ، انظر النهاية في غريب الحديث ١٣٥/٤ .

(٦) البراذين : جمع برذون ، وهي الدابة ، مختار الصحاح ص١٩ .

(٧) أي يرى رب المال أن إخراج زكاته غرامة يغرمها ، النهاية في غريب الحديث ٣٦٣/٣ .

(٨) أي يرى من في يده الأمانة أن الخيانة فيها غنيمة قد غنمها ، المصدر السابق ٧١/١ .

(٩) في نسخة (ب) : الإمارات .

(١٠) الشُّرط ـ بضمن الشين المشددة : جمع شرطي ، وشرط السلطان : نخبة من أصحابه الذين يقدمهم على غيرهم ، وسموا كذلك لأنهم جعلوا لأنفسهم علامات يعرفون بها . انظر المصدر السابق ٤٦٠/٢ .

الحُملان[١] المنابرَ ، ولَبسَ الرجالُ التيجانَ ، وضُيِّقت الطرقات ، وشُيِّدَ البنا ، واستغنى الرجالُ بالرجال ، واستغنى النساءُ بالنساء ، وصارت خلافتُكم في صبيانكم ، وكَثُرَ خطباءُ منابرِكم ، وركَنَ علماؤكم إلى ولاتِكم ، فأحلوا لهم الحرامَ ، وحرّموا عليهم الحلالَ ، وأفتوهم بما يشتهون ، وتعلّم علماؤكم العلمَ ليجلبوا به دنانيرَكم ودراهمَكم ، واتخذتم القرآنَ تجارةً ، وضيّعتم حقَ الله في أموالِكم ، وصارت أموالُكم عند شراركم ، وقطعتم أرحامكم ، وشربتم الخمور في ناديكم ، ولعبتم بالميسر ، وضربتم بالكَبَر[٢] والمعازف والمزامير ، ومنعتم محاويجَكم زكاتَكم ، ورأيتموها مغرماً ، وقُتِلَ البريء ليتعظ العامةُ بقتله ، واختلفت أهواؤكم ، وصار العطاء في العبيد والسقّاط[٣] ، وطففت المكاييل والموازين ، ووليّتم أمركم السفهاء »[٤].

٤٧ ـ حدثنا عبد الله بن المبارك ، عن شعبة ، عن عمرو بن مرّة قال : سمعت عبد الله بن الحارث ، عن أبي كثير أنه سمع عبد الله بن عمرو العاص يقول : « تُجمعون ، فيقال : أين فقراءُ هذه الأمة ومساكينُها ؟ فيبرزون ، فيقال : ما عندكم ؟ فيقولون : يارب ابْتُلينا فصبرنا ، وأنت أعلم ، وأحسبه قال : ووليت الأمر والسلطان غيرنا ،

---

(١) الحُملان : جمع حمل ، ويطلق على ولد الضائنة في السنة الأولى ، والمراد هاهنا : صغار السن . انظر المصباح المنير للفيومي ص١٥٢ .

(٢) هكذا في الأصل ، وفي نسخة (ب) غير واضحة . والكَبَر ـ بفتحتين ـ : الطبل ذو الرأسين ، وقيل : الطبل الذي له وجه . النهاية ٤/١٤٣ .

(٣) السقاط : جمع ساقط ، والمراد بهم السفلة من الناس ، انظر المصدر السابق ١/١٢٧.

(٤) إسناده لا يصح ، مكحول لم يلق علياً ـ رضي الله عنه ـ وليس للحديث وجه آخر ـ فيما أعلم ـ . وأبو يزيد هو خالد بن حيان الرقي ، صدوق يخطئ ، التقريب ص١٨٧. وزيد بن واقد القرشي الدمشقي : ثقة . التقريب ص٢٢٥. ومكحول هو : أبو عبد الله الشامي ، ثقة فقيه ، كثير الإرسال ، التقريب ٥٤٥.

ـ أخرجه أبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن ٤/٨٣٨ موقوفاً على علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ بإسناد ضعيف .

فيقول : صدقتم ، فيدخلون الجنة قبل سائر الناس ، وتبقى شدةُ الحسابِ على ذوي السلطانِ والأموالِ » .

قال : فقلت : فأين المؤمنون[١] يومئذٍ ؟ قال : « فيُوضع لهم كراسي ، ويكون ذلك اليوم عليهم أقصر من ساعةٍ مِنْ نهار »[٢] .

٤٨ ـ حدثنا ابن المبارك ، عن شعبة ، عن عمرو بن مرة : أنَّه ذكرَ النارَ فتعوَّذ بالله منها ، وأشاح[٣] مرتين أو ثلاثاً[٤] .

٤٩ ـ حدثنا ابن المبارك عن شعبة عن عمرو بن مرة أنه سمع خيثمة يُحدّث عن عدي بن حاتم ، عن النبي ﷺ قال : « **اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فإن لم تجدوا فبكلمةٍ طيبةٍ** »[٥] .

---

(١) في الأصل ونسخة (ب) : المؤمنين . وما أثبته من كتاب الزهد لابن المبارك .

(٢) إسناده صحيح ، وشعبة : هو ابن الحجاج ، الإمام المشهور ، أمير المؤمنين في الحديث . وعمرو بن مرة الجملي ، ثقة ، التقريب ص٤٢٦ . وعبد الله بن الحارث هو : النجراني الكوفي ، ثقة ، التقريب ص ٢٩٩ ، وأبو كثير هو : زهير بن الأقمر الزبيدي ، وثقه النسائي وابن حبان والعجلي . انظر تهذيب الكمال ٢٢٠/٣٤ . أخرجه ابن المبارك في الزهد ٢٢٦/١ من هذا الطريق بنحوه . وأخرجه أبو نعيم في الحلية ٢٨٩/١ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ٣٤٧/٥ ، وأحمد بن محمد بن زياد في الزهد مختصراً ص١١٧ من طرق عن شعبة به بنحوه .

(٣) أشاح : أي عدل بوجهه وأعرض ، وذلك فعل الحذر من الشيء ، أو الكاره للأمر ، الغريب لابن قتيبة ٥٠٤/١ .

(٤) إسناده صحيح ، وشعبة هو : ابن الحجاج .

(٥) إسناده صحيح ، وخيثمة هو : ابن عبد الرحمن بن أبي سبرة ، الجعفي الكوفي ، ثقة ، التقريب ص١٩٧ . أخرجه ابن المبارك في الزهد (٢٢٦) من هذا الطريق بمثله ، وزاد قوله : « أنه [ﷺ] ذكر النار فتعوذ منها ، وأشاح بوجهه مرتين أو ثلاثة » . وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٢٤٢٨) من طريق الحسين ابن الحسن ، وعتبة بن عبد الله عن ابن المبارك بنحوه . وأخرجه أحمد في مسنده (١٨٢٧٩) ، والبخاري في صحيحه (٦١٩٥) ، ومسلم (١٠١٦) ، والنسائي في سننه (٢٥٥٣) ، والدارمي في سننه (١٦٥٧) ؛ والطبراني في الكبير (١٩٤) ، والبيهقي في الكبرى (٢٣٣٤) كلهم من طرق عن شعبة به . وأخرجه مسلم (١٠١٦) وابن حبان (٦٦٦) والطبراني في الكبير (١٩٢، ١٩٣) من طريق الأعمش عن عمرو بن مرة به . ⇐

٥٠ - حدثنا ابن المبارك ، عن ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار قال : طلّق ابن عمر امرأته ، فقالت : هل رأيتَ مني شيئاً ؟ قال : لا ، فقالت : ففيم تُطلّقُ المرأةُ المسلمةُ العفيفةُ ، فارتجعها [١] .

٥١ - حدثنا أبو المليح الرقي ، عن ميمون قال : « مَثَلُ العالم في البلد مَثَلُ العينِ تروي وتكفي [٢] ، يتّكل عليها أناسٌ ، فبينا هم كذلك إذ غارت العين ، فاحتاج الذين اتّكلوا إلى الذين نَزَفوا [٣] ، وكذلك العالِم » [٤] .

٥٢ - حدثنا ابن المبارك ، عن ابن سعيد - يعني ابن أبي عَروبة - ، عن هلال الجهني ، عن ابن أبي ليلى في قولهِ عزَّ وجل [٥] : ﴿ **والصَّاحِبِ بالْجَنْبِ** ﴾ [٦] قال : المرأةَ [٧] .

وأخرجه الطبراني في الكبير (١٩٥) من طريق منصور عن خيثمة به . وأخرجه الترمذي في سننه (٢٤١٥)، وابن ماجه في سننه (١٨٥)، والطبراني في الصغير (٩١٧) من طريق الأعمش كلاهما عن خيثمة به . وأخرجه أحمد في مسنده (١٨٢٧٤ ، ١٨٢٧٨ ، ١٨٢٩٨) ، والبخاري في صحيحه (١٣٥١) ومسلم (١٠١٦) ، وأبو داود الطيالسي (١٠٣٦ ، ١٠٣٩) ، والنسائي في سننه (٢٥٥٢) وابن حبان (٤٧٣ ، ٣٣١١) ، والطبراني في الكبير (٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢٢٠) ، والبيهقي في الكبرى (٢٣٣٣ ، ٧٥٣٢) من طرق عن عدي بن حاتم به .

(١) إسناده صحيح ، وابن عيينة هو : سفيان .

(٢) يعني تروي الناس وتكفيهم في ذلك شرباً وسقياً وغير ذلك .

(٣) نزفوا : أي ذهب ماؤهم ، يقال : أنزف القوم ، إذا ذهب ماء بئرهم وانقطع ، لسان العرب ٣٢٦/٩.

(٤) إسناده صحيح ، وأبو المليح هو : الحسن بن عمر او عمرو بن يحيى الفزاري ، ثقة ، التقريب ص١٦٢ . وميمون : هو ابن مهران .

(٥) في نسخة (ب) : جل وعز .

(٦) سورة النساء ، الآية (٣٦) .

(٧) إسناده ضعيف ، لعنعنة سعيد . وسعيد هو : ابن أبي عروبة مهران البصري ، ثقة حافظ ، كثير التدليس واختلط ، التقريب ٢٣٩ . قلت : رواية ابن المبارك عن سعيد كانت قبل اختلاطه . انظر الكواكب النيرات ص٣٧ . وهلال هو ابن أبي حميد أو ابن حميد - بالتصغير - الجهني مولاهم ، أبو الجهم ، ويقال غير

٥٣ ـ حدثنا ابن المبارك ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا ينظرُ الله إلى امرأةٍ لا تشكرُ لزوجِها ولا تستغني عنه** »[١].

٥٤ ـ حدثنا أبو المليح قال : قال ميمون : « إنَّ ابن عمر[٢] تعلّم البقرة في أربعِ سنين »[٣].

٥٥ ـ حدثنا أبو المليح ، عن ميمون قال : « كتب ابنُ عمرَ إلى عبد الملك فبدأ بنفسه : « أما بعد ، والله لا الذي لا اله إلا هو ليجمعنَّكم إلى يوم القيامة وقد بلغني أنَّ ناساً قد اجتمعوا على البيعة لك ، وقد دخلت فيما دخل المسلمون فيه ، والسلام »[٤].

ذلك في اسم أبيه وفي كنيته ، الصيرفي الوزان ، الكوفي ، ثقة ، التقريب ص ٥٧٥ . وابن أبي ليلى هو : عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري ، المدني ثم الكوفي ، ثقة ، التقريب ص٣٤٩ . أخرجه الطبري في تفسيره (٥/٨١) من طريق هلال عن عبد الرحمن بن أبي ليلى به .

ـ قلت : وقد روي مثله عن علي بن أبي طالب . انظر تفسير الطبري ٥/٨١ ، وعن ابن مسعود . انظر تفسير الثوري ص ٩٥ ، وعن زيد بن أسلم أيضاً . انظر الدر المنثور ٢/٥٣١ .

(١) إسناده ضعيف ، سعيد وقتادة مدلّسان ، وقد عنعنا . وسعيد هو : ابن عروبة ، وقتادة : هو ابن دعامة السدوسي ، ثقة ثبت مدلس ، التقريب ٤٥٣ ، ميزان الاعتدال ٥/٤٦٦ . أخرجه البيهقي في الكبرى (٩١٣٥) من طريق سرار بن مجشر بن قبيصة عن سعيد بن أبي عروبة به بنحوه . وأخرجه البزار ٦/٣٤٠ من طريق همام ، وأخرجه الحاكم في مستدركه ٢/٢٠٧ ، والبيهقي في الكبرى (١٤٤٩٧) من طريق عمر بن إبراهيم ، كلاهما عن قتادة به بنحوه .

(٢) في الأصل (ابن عمرو) ، وهو تصحيف ، والصواب ما أثبته من نسخة (ب) .

(٣) إسناده صحيح . أخرجه ابن سعد في طبقاته ٤/١٦٤ من طريق عبد الله بن جعفر عن أبي المليح به بنحوه .

ـ قال الزرقاني في شرحه على الموطأ ٢/٢٧ : ليس ذلك لبطئ حفظه ـ معاذ الله ـ بل لأنه كان يتعلم فرائضها وأحكامها وما يتعلق بها .

(٤) إسناده صحيح . أخرجه ابن سعد في طبقاته ٤/١٥٢ من طريق عبد الله بن جعفر عن أبي المليح به بنحوه .

٥٦ ـ حدثنا ابن المبارك ، عن أبي بكر بن أبي مريم ، قال : حدثني عطية بن قيس أنَّ معاوية بن أبي سفيان خطب أمَّ الدرداء بعد موت أبي الدرداء فأبت أنْ تُنكَحَ ، وقالت : إنّي سمعت أبا الدرداء يقول : إنّ المرأة تكون لزوجها الأخير ، وأنا أحب أن لا أتزوج ، فبعث إليها [١] معاوية أنْ عليك بالصيام فإنه مَحْسَمَةٌ [٢].

٥٧ ـ حدثنا أبو المليح ، عن ميمون ، عن ابن عمر : أنه كانت له جاريتان قد أعتقهما عن دبر [٣] ، فكان يطؤهما ، ثم بدا له فأعتق إحداهما [٤] ، وزوّجها نافعاً [٥] ، وأمسك الأخرى [٦].

---

(١) في الأصل : (إليه) ، وما أثبته من نسخة (ب) .

(٢) إسناده ضعيف : أبو بكر بن أبي مريم ، ينسب إلى جده ، ضعيف ، وكان قد سُرق بيته فاختلط ، التقريب ص٦٢٣ . وعطية بن قيس هو الكلابي ، أبو يحيى الشامي ، ثقة ، التقريب ص٣٩٣ .

ـ أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٥٤/٧٠ من طريق المصنف به . وأخرجه ابن عساكر ـ أيضاً ـ ١٥٤/٧٠ من طريق الحسين بن الحسن عن ابن المبارك به بنحوه . وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين (١٤٩٦) من طريق الوليد بن مسلم عن أبي بكر بن أبي مريم به .

ـ قلت : ذكر الطبراني قول أبي الدرداء مرفوعاً ، ولم يذكره موقوفاً عليه ، كما لم يذكر رسالة معاوية إلى أم الدرداء .

ـ قوله « محسمة » : أي مقطعة للنكاح . النهاية في غريب الحديث ٣٨٦/١ .

(٣) قوله : « أعتقهما عن دبر » أي علّق عتقهما بموته ، يقال : دبّرت العبد ، إذا علّقت عتقه بموتك ، انظر النهاية في غريب الحديث ٩٨/٢ .

(٤) في نسخة (ب) : أحدهما .

(٥) نافع : هو أبو عبد الله المدني ، مولى عبد الله بن عمر ، من أئمة الفقه والحديث ، توفي ١١٧ ، أو بعد ذلك . انظر التقريب ٥٥٩ .

(٦) إسناده صحيح . أخرجه أبو يوسف في الآثار (١٣٧) من طريق عطاء بن يسار به .

ـ قلت : ورد في نسخة (ب) حديث رقم (٥٨) قبل حديث رقم (٥٧) .

٥٨ ـ حدثنا أبو المليح ، عن ميمون ، وحبيب بن أبي مرزوق : أنهما كانا لا يريان بسؤر[١] السنور[٢] بأساً ، قال[٣]: ربما كفئوا[٤] لها الاناء ، ويقولان[٥]: إنما هي من أهل البيت[٦].

٥٩ ـ حدثنا ابن المبارك ، عن قيس بن الربيع ، عن ابن هاشم ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ قال : « **في المرأة في حملها إلى وضعها إلى فصالها[٧] من الأجر كالمستشهد في سبيل الله ، فإن هلكت فيما بين ذلك كان لها أجر شهيد** »[٨].

٦٠ ـ حدثنا إبراهيم بن هدبه أبو هدبه الفارسي قال : سمعت أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « **لو أن الله عزوجل أذن للسموات والأرض أن تتكلم لبشرت الذي يصوم رمضان بالجنة** »[٩].



(١) السؤر : بقية الشيء . لسان العرب ٣٣٩/٤ .

(٢) السنور : القط . انظر مختار الصحاح ص٢٢٦ .

(٣) في الأصل ونسخة (ب) : قالوا . ولا يتناسب مع السياق .

(٤) كفئوا : أي قلبوا . لسان العرب ١٤٠/١ ، وقد وردت في الأصل ونسخة (ب) : اكفؤ ـ هكذا ـ وهو تصحيف .

(٥) في الأصل ونسخة (ب) : ويقول .

(٦) إسناده صحيح . وحبيب بن أبي مرزوق الرقي ، ثقة فاضل ، التقريب ص١٥١ .

(٧) الفصال : الفطام ، لسان العرب ٥٢٢/١١ .

(٨) إسناده ضعيف ، فيه : قيس بن الربيع الأسدي الكوفي ، صدوق ، تغير لما كبر ، وأدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه ، فحدّث به ، وقد ضعفه الدارقطني والنسائي وغيرهما ، انظر ميزان الاعتدال للذهبي ٤٧٧/٥ ، التقريب ص٤٥٧ . وأبو هاشم هو : الرماني الواسطي ، ثقة ، وقد تقدمت ترجمته .

(٩) حديث موضوع : إبراهيم بن هدبة أبو هدبة الفارسي ، قال عنه ابن حبان : « دجال يضع على أنس » . وقال ابن عدي : « حدث عن أنس وغيره بالبواطيل . وذكر منها حديث تبشير السموات والأرض للصائم بالجنة ، ثم قال :وهذه الأحاديث مع غيرها مما رواه أبو هدبة كلها بواطيل ، وهو متروك الحديث ، بيّن الأمر في الضعف جداً » المجروحين لابن حبان ١١٤/١ ، الكامل لابن عدي ٢٠٨/١ ، الكشف الحثيث ⇦

٦١ - حدثنا حماد النصيبي ، عن أبي رافع المديني ، عن محمد بن المنكدر ، قالوا : يا رسول الله كم للمؤمن من سترة[١]؟ قال : « **هي أكثر من أن تحصى ، ولكنَّ العبدَ إذا أذنب ذنباً هتك الله عز وجل منها ستراً ، فإن تابَ وراجعَ ردَّهُ عليه وتسعةَ أمثالِها ، وإن تمادى في ذنوبه هتك الله عزَّ وجل عنه سِتراً سِتراً ، فما يبقى عليه من سِتر ، فيوحي الله عز وجل إلى الملائكة أن حفّوا عبدي بأجنحتكم ، فيحفّونه ، فإذا تمادى في ذنوبه ضجّتِ الملائكةُ منه ، فيوحى الله إليهم أنْ خلّوا عنه فيُخلّون عنه ، فلو أذنب ذنباً في جوف جُحر نملةٍ لأظهره الله عليه** »[٢].

٦٢ - حدثنا حمّاد النصيبي ، عن مخلد بن يزيد ، عن ابي عمر الصنعاني قال : قال رسول الله ﷺ : « **يُحشرُ الناسُ يوم القيامة حفاةً عراةً غُرلاً[٣] ، فبينا هم كذلك إذ خرج منادٍ فنادى من تحت العرش فيقول : أين النبيون[٤] والصدّيقون ؟ فيخرج قومٌ من النّاس حفاة عراة مجهودين قد ألجمهم الرشح ، فينتهون إلى العرش ، فتُوضع لهم كراسي تحت العرش ، فَيُكسون من سُندس الجنة وإستبرقها ، ثم ينادي المنادي - أيضاً - : أين الشهداء والصالحون[٥]؟ فيخرج قوم من الناس حفاة عراة ، قد ألجمهم الرشح ، فينتهون إلى العرش ، فتُوضع لهم الكراسي ، ثم يُكسون من كسوة الجنة ، ثم ينادي منادٍ : أين المطهَّرون[٦] من المؤمنين ؟ فيخرج قوم**

لبرهان الدين الحلبي ص٤٠ . وانظر : الموضوعات لابن الجوزي ١٩٢/٢ ، لسان الميزان لابن حجر ١٢٠/١ ، اللالئ المصنوعة للسيوطي ١٠٣/٢ ، تنزيه الشريعة لابن عرّاق ١٤٧/٢ .

(١) في نسخة (ب) : من ستر .

(٢) حديث موضوع : فيه حماد بن عمرو أبو إسماعيل النصيبي ، قال عنه ابن معين : ليس بشيء . تاريخ ابن معين رواية عثمان الدارمي ٨١/١ . وقال ابن حبان : « كان يضع الحديث وضعاً على الثقات » . المجروحين ٢٥٢/١ .

(٣) غرلاً : جمع أغرل ، وهو الأقلف . النهاية في غريب الحديث ٣٦٢/٣ .

(٤) في نسخة (ب) : أين النبيين .

(٥) في نسخة (ب) : والصالحين .

(٦) في نسخة (ب) : أين المطَّهرين .

من الناس حفاة عراة ، مجهودين قد ألجمهم الرشح ، فتوضع لهم الزرابي[(١)] ، ويُكسون من كسوة الجنة ، قال : فبينا هم كذلك إذ قومٌ من الناس توقد فروجهم ناراً ، فيقال : هؤلاء الزناة جاءوكم توقد فروجهم ناراً ، إن شاء عذّبهم وإن شاء غفر لهم »[(٢)] .

٦٣ - حدثنا أبو المليح ، عن ميمون أنه قال : ما يعجبني الذي يجد ثمن طيلسان[(٣)] ثم يلبس البتّ[(٤)] إلا أن يُقدِّم الفضلَ ، وإما أن يلبسَ - يعني البت -[(٥)] ويضعَ الدراهمَ بعضها على بعضٍ فلا يعجبني[(٦)] .

٦٤ - حدثنا أبو المليح ، عن ميمون ، عن ابن عمر : أنّه كَرِهَ أن يُكاتبَ الرجلُ العبدَ الذي ليس له حرفة على مسئلة الناس ، ويكرهُ أن يكون مؤنةً[(٧)] عليهم .

قال أبو سعيد - يعني المصنف - : أن يكون عيالاً عليهم[(٨)] .

٦٥ - حدثنا أبو المليح ، عن ميمون قال : سُئل ابن عمر عن تلك المشاهد[(٩)] فقال : كففت يدي فلم أندم ، والمقاتلُ على الحقِ أفضل[(١٠)] .

---

(١) الزرابي : البسط ، وقال الفراء : الطنافس التي لها خمل رقيق ، انظر لسان العرب ١/٤٤٧ .

(٢) حديث موضوع : فيه حماد بن عمرو النصيبي ، وقد تقدم ذكره آنفاً .

(٣) في الأصل : يجد طيلسان .

(٤) البت : نوع من الطيالسة ، كساء غليظ مهلهل ، مربع ، أخضر ، وقيل : هو نوع من وبر وصوف . لسان العرب ٢/٨ .

(٥) ليست في الأصل ، وقد وردت في نسخة (ب) .

(٦) إسناده صحيح . أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦١ /٣٥٦ من طريق المصنف به .

(٧) في الأصل ونسخة (ب) : معونة . ومقتضى تفسير المصنف لهذه اللفظة يقتضي أن تكون : مؤنة .

(٨) إسناده صحيح . أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٨/٣٧٤) ، وابن أبي شيبة في المصنف (٤/٤٦٩) من طريق نافع عن ابن عمر بنحوه .

(٩) يعني ما حصل بين الصحابة - رضي الله عنهم - من قتال .

(١٠) إسناده صحيح . أخرجه ابن سعد في طبقاته ٤/١٦٤ من طريق عبد الله بن جعفر الرقي عن أبي المليح بنحوه .

٦٦ ـ حدثنا أبو المليح الرقي ـ واسمه الحسن بن عمرو ـ كذا قال أبو سعيد[١] ـ ابن عمرو[٢] ـ قال : سمعت ميمون يقول : « أدركتُ مَنْ لم يكن يتكلم من صلاة الغداة أو صلاة الفجر إلى أن تطلع الشمس ، إلا بما يصعد ، وأدركت من لم يتكلم إلا بحق أو يسكت »[٣] .

٦٧ ـ حدثنا أبو المليح ، قال ميمون : أنَّ أبا عبيدة بن الجراح أتى بدينارين إلى بيت مال المسلمين دينار[٤] لفرسه ودينارٍ[٥] لغلامه ثم قال : « إنه[٦] ليس بسنةٍ ولا فريضةٍ ، ولكني أحببت أن أزيد فيءَ المسلمين »[٧] .

٦٨ ـ حدثنا أبو المليح قال : سمعت ميموناً ذكر الأنبياء فقال : منهم مَنْ له عَزمٌ ومنهم من لا عَزمَ له وذَكَرَ : أولوا[٨] العزمِ من الأنبياء خمسة : نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد صلى الله عليه وعليهم[٩] أجمعين[١٠] .

٦٩ ـ حدثنا أبو المليح قال : سمعت ميموناً وهو يقول : إنَّ هذا القرآن قد خَلُقَ في صدور كثير من الناس ، والتمسوا أحاديثَ[١١] غيره ، وهو ربيعُ قلوبِ المؤمنين ، والقرآنُ

(١) يعني المصنف .

(٢) قلت : اختلف أصحاب التراجم في اسم أبيه ، فقيل : عمرو ، وقيل : عمر ، وقد مال المصنف إلى ترجيح الأول .

(٣) إسناده صحيح . أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٦١/٣٤٥) من طريق أبي المليح به بمثله .

(٤) في الأصل ونسخة (ب) : ديناراً . وهو تصحيف .

(٥) في الأصل ونسخة (ب) : وديناراً . وهو تصحيف .

(٦) في نسخة (ب) : أما إنه .

(٧) إسناده ضعيف ، ميمون بن مهران لم يدرك أبا عبيدة ، فهو منقطع .

(٨) في نسخة (ب) : إن أولو . وهو خطأ .

(٩) في نسخة (ب) : صلى الله عليه وسلم .

(١٠) إسناده صحيح . أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٧٢/٦٢ من طريق المصنف به بمثله .

(١١) في الأصل : أحاديثاً . وهو تصحيف .

غَضٌّ جديدٌ(١).

٧٠ ـ حدثنا أبو المليح ، عن ميمون قال : دخلتُ على ابن عمر فقوَّمتُ كلَّ شيء في بيته ، فما وجدته يَسوى مائة درهم ، قال : ثم دخلت مرةً أخرى فما وجدت ما يَسوى ثمن طيلسان . قال : ودخلت على سالم(٢) من بعده ، فوجدته على مثلِ حاله(٣).

٧١ ـ حدثنا أبو المليح ، عن ميمون قال : لا تجالسوا أهل القَدَر ، ولا تسبُّوا أصحابَ محمدٍ ﷺ ، ولا تتعلموا النجومَ(٤).

٧٢ ـ حدثنا أبو المليح ، عن ميمون : أنَّه كان يرفعُ يدَه مرةً واحدةً في كل صلاةٍ مكتوبةٍ ، وغيرها ، وعلى الجنازة(٥).

٧٣ ـ حدثنا أبو المليح قال : كتبَ عمرُ بن عبد العزيز إلى عامل الجزيرة(٦) أن لا تعاقب عند غضبك ، واذا غضبت على رجل ، فاحبسه ، وإذا سكن غضبك فعاقبه على قدرِ ذنبِهِ ، ولا تجاوز خمسة عشر سوطاً(٧).

٧٤ ـ حدثنا أبو الملح ، عن زياد بن بيان قال : جاء رجل بثوب إلى شريح(٨)،

---

(١) إسناده صحيح .

(٢) هو التابعي الجليل سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، أحد الفقهاء السبعة ، كان ثبتاً عابداً فاضلاً ، كان يشبه بأبيه في الهدي والسمت . التقريب ص٢٢٦ .

(٣) إسناده صحيح . أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٦/٢٠ من طريق المصنف به بمثله .

(٤) إسناده صحيح . أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٤٨/٦١ من طريق المصنف به بمثله .
ـ وأخرجه المزي في تهذيب الكمال ٢١٦/٢٩ معلقاً إلى المصنف ، وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء ٧٣/٥ معلقاً .

(٥) إسناده صحيح .

(٦) الجزيرة : أرض بالعراق بين نهري الفرات ودجلة . انظر معجم البلدان ١٣٤/٢ .

(٧) إسناده صحيح .

(٨) شريح هو : شريح بن الحارث بن قيس الكوفي النخعي القاضي ، تابعي مخضرم ، وقيل : له صحبة ، توفي قبل سنة ٨٠ أو بعدها ، وله مائة وثمان سنين أو أكثر ، التقريب ص٢٦٥ .

فقال : إني اشتريتُ هذا الثوبَ ، وكان[1] فيه خَرقٌ ، فقال شريح : لا تجاوز الداءَ ، فقال صاحب الثوب : إني أحدثتُ[2] فيه صُفرةً ، فقال شريح : رُدَّه كما أخذته[3].

٧٥ ـ حدثنا أبو الملح قال : سمعت ميموناً ـ و[قد] أتاه رجلٌ ، فقال : إنَّ رُقية امرأةَ هشام[4] ماتت وأعتقت كل مملوك لها ، فقال : يعصون الله مرتين ، يبخلون به وقد أُمروا أن ينفقوه ، فإذا صارَ لغيرهم أسرفُوا فيه[5].

٧٦ ـ حدثنا أبو الملح قال : سمعت ميموناً يقول : يا أصحاب القرآن ! لا تتخذوا القرآنَ بضاعةً تلتمسون به الشّف ـ يعني الربح ـ في الدنيا ، والتمسوا الدنيا بالدنيا ، والتمسوا الآخرةَ بالآخرةَ[6].

٧٧ ـ حدثنا أبو المليح قال : سمعت ميموناً يقول : لا يزال أحدُكم حديثَ عهدٍ بعملٍ صالحٍ ، فإنّه أهون عليه حين ينزل به الموتُ ، أو[7] يتذكّر عملاً صالحاً قد قدّمه[8].

٧٨ ـ حدثنا أبو المليح ، عن زنكل بن علي ـ قال أبو سعيد : زنكل بن علي وزيرٌ لعمر بن عبد العزيز ـ قال : قال حذيفة بن اليمان : يا طاعونُ ! خذني إليك ـ ثلاث

---

(١) في نسخة (ب) : فكان .

(٢) في نسخة (ب) : قد أحدثت .

(٣) إسناده حسن : زياد بن بيان الرقي ، صدوق عابد . التقريب ص٢١٨ .

(٤) يعني الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك .

(٥) إسناده صحيح . أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٦٥/٦١ من طريق المصنف به بمثله . وأخرجه المزي في تهذيب الكمال ٢٢٣/٢٩ .

(٦) إسناده صحيح . أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٥٤/٦١ من طريق المصنف به بمثله . وذكره المزي في تهذيب الكمال ٢١٩/٢٩ معلقاً إلى المصنف .

(٧) في تاريخ دمشق ٣٥٤/٦١ : أن يتذكر .

(٨) إسناده صحيح . أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٥٤/٦١ من طريق المصنف به بمثله . ـ وأخرجه المزي في تهذيب الكمال ٢١٩/٢٩ .

مرات ـ قبلَ[١] سَفكِ دَمٍ حرامٍ ، وقَبلَ جَورٍ في الحكم ، وإمارةِ الصبيان ، وكثرة الزبانية[٢] .

٧٩ ـ حدثنا أبو الملح ، عن ميمون قال : بعثَ عبدُ الله بن عامر[٣] حين حضرته الوفاةُ إلى مشيخةٍ من أهل المدينة ، وفيهم ابن عمر ، فقال : أخبروني كيف كانت سيرتي ؟ قالوا : كنت تصدق وتعتق وتصل رحمك ، قال : وابن عمر ساكتٌ ، قال : فقال : يا أبا عبد الرحمن ما يمنعك أنْ تتكلّم ؟ قال : قد تكلّم القومُ ، قال : عزمتُ عليكَ لتَتَكلَّمن ، فقال ابن عمر : إذا طابت المكسبةُ زَكَتِ النفقةُ ، وستقدم فترى[٤] .

٨٠ ـ حدثنا أبو المليح ، حدثنا أبو هريرة ـ رجلٌ من أهل الشام ـ قال : جلسنا إلى مكحول ، فرأيناه مغتماً ، فأقبلنا نحدّثه ، فما زاد على أن قال : بأي وجهٍ تلقون ربّكم ؟ وزَهّدكم في أمرٍ فرَغِبتم به ، ورغّبكم في أمر فزهدتم به ، فبأي وجه تلقون ربكم ؟[٥] .

٨١ ـ حدثنا أبو المليح قال : قال رجل لميمون : هل بلغك أنَّ الأرضَ تضجُّ لثلاثٍ ؟

---

(١) في نسخة (ب) : قبل ست .

(٢) إسناده ضعيف لانقطاعه . زنكل لم يسمع من حذيفة ، وزنكل هو : ابن علي بن محجن ، أبو فزارة ، يروي عن جماعة من التابعين ، وقد ذكره ابن حبان في الثقات . انظر : الثقات لابن حبان ٣٤٢/٦ .

ـ أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٨/١٩ من طريق المصنف به بمثله .

(٣) هو عبد الله بن عامر بن كريز ، ابن خال عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ وقد ولاه على البصرة وهو ابن خمس وعشرين سنة . تاريخ الطبري ٢٠٤/٢ .

(٤) إسناده صحيح . أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٧٠/٢٩ من طريق المصنف به بمثله .

(٥) إسناده ضعيف ، أبو هريرة قال عنه الذهبي : لا يعرف . المغني في الضعفاء ٨١٢/٢ . أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٢٤/٦٠ من طريق المصنف به بمثله . وأخرجه ابن عساكر أيضاً ٢٢٣/٦٠ من طريق عبيد بن هشام الحلبي عن أبي المليح الرقي به بنحوه .

قال : من هم ؟ قال : الشيخ الزاني ، والعائل[١] الكذوب ، والسلطان الكذوب ، قال ميمون : نعم ، والموسر[٢] المطوّل[٣].

٨٢ ـ حدثنا قاضي المدينة الزبيري القرشي وهب بن عبد الرحمن ، قال : حدثني جعفر بن محمد ، عن أبيه أن الحسن بن علي دخل على المتوضأ ، وأصاب كسرة ، ـ أو قال لقمةً ـ في مجرى الغائط والبول ، فأخذها ، فغسلها غسلاً ناعماً[٤]، ثم قال : يا غلام اذكرني بها إذا توضأت ، فلما توضأ قال : يا غلام ناولني اللقمةَ ـ أو الكِسرة ـ فقال[٥]: يا مولاي أكلتها ، قال : فقال له : إذهب فأنت حر لوجه الله ، قال : فقال الغلام : يا مولاي لأي شيء أعتقتني ؟ قال : لأني سمعتُ فاطمةَ أمي بنت رسول الله تذكره عن أبيها ﷺ أنّه قال : من أخذ كسرةً أو لقمةً من مجرى الغائط أو البول فأماطَ عنها الأذى وغسلها غسلاً ناعماً[٦] ثم أكلها لم تستقرَّ في بطنه حتى يُغفَرَ له ، فما كنتُ لأستخدمَ رجلاً مِنْ أهلِ الجنة[٧].

---

(١) العائل : هو الفقير . النهاية ٣/٣٣٠ .

(٢) في الأصل : والمؤمن .

(٣) إسناده صحيح .

قلت : قوله : « والموسر المطوّل » لعله أراد بذلك : الغني يجرُّ ثوبه خيلاء وتبختراً .

(٤) في نسخة (ب) : نعماً .

(٥) في نسخة (ب) : قال : فقال .

(٦) في نسخة (ب) : نعماً .

(٧) حديث موضوع ، آفته وهب بن عبد الرحمن ، كذاب ، وقد تقدمت ترجمته أثناء الحديث عن تلاميذ الشاشي . أخرجه أبو يعلى في مسنده (٦٧٥٠) من طريق المصنف به .

ـ قال الهيثمي بعد إخراجه لهذا الحديث في مجمع الزوائد ٤/٢٤٢ : « رواه أبو يعلى عن عيسى بن سالم عن وهب بن عبد الرحمن القرشي ، ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات » . ثم ذكره في ٥/٣٤ وقال : « رواه أبو يعلى ورجاله ثقات » ! !

ـ وقال ابن حجر في لسان الميزان ٤/٨٧ : « عبد الوهاب بن عبد الرحمن عن جعفر بن محمد عن أبيه بخبر منكر ، ذكر في وهب بن عبد الرحمن ، وعنه عيسى بن سالم الشاشي » . وأورده أيضاً في المطالب ⇦

٨٣ ـ حدثنا أبو المليح قال : قال لنا ميمون ـ ونحن حوله ـ : يا معشرَ الشباب قُوَّتكم اجعلوها في شبابكم ونشاطَكم في طاعة الله ، يا معشر الشيوخ حتى متى ؟[١] .

٨٤ ـ حدثنا أبو المليح ، عن رجلٍ من أهل الكوفة يقال له : يوسف ، قال أبو المليح : وأتاني زائراً حين قدِمتُ الكوفة ، فرأى دُفّاً من خشب فيه تصاويرُ نَردَشير[٢] ، فقال : ما هذا ؟ لعلك تلعبُ بها ؟ قال : لا ، ولا عَلمِتُ بها حتى رأيتها ، فقال : سمعت الربيع بن خيثم يقول : لأن آكلَ لحمَ الخنزير والميتةَ [و] أقوم فأصلي ولا أتوضأ أَحبُّ إليّ من اللعب بها[٣][٤] .

٨٥ ـ حدثنا أبو المليح قال : قال ميمون : رأيتُ عبد الله بن الزبير يواصلُ من الجمعة إلى الجمعة فإذا أفطر استعان بالسمن حتى يلينَ بالسمن[٥] .

٨٦ ـ حدثنا أبو المليح ، عن حبيب بن أبي مرزوق ، عن أبي رباح قال : حدثني أبو مسلم الخولاني ، عن معاذ بن جبل قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إنَّ المتحابين في الله في ظل العرش يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه ، يغبطهم لمكانهم الصدّيقون والشهداء** » .

العالية ٣٢٦/٢ وعزاه إلى ابن منيع ، وقال : « وهب هذا هو أبو البختري القاضي ، معروف بالكذب ووضع الحديث ، وهذا الحديث مما افتراه ، وقد ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ، وكشف أمر هذا الحديث فأجاد » .

(١) إسناده صحيح . أخرجه أبو نعيم في حلية الاولياء ٨٧/٤، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٥٤/٦١، والمزي في تهذيب الكمال ٢١٩/٢٩ كلهم : من طريق المصنف به .

(٢) النردشير : النرد : اسم أعجمي معرّب ، وشير بمعنى حلو . النهاية في غريب الحديث ٣٨/٥ .

(٣) في نسخة (ب) : من أن ألعب بها .

(٤) إسناده ضعيف ، ويوسف هو : ابن الحجاج الانماطي ـ كما بُيّن في رواية ابن أبي عاصم ـ لم أقف على ترجمة له . أخرجه ابن سعد في طبقاته ١٩١/٦ ، وابن أبي عاصم في الزهد ٣٣٨/٢ من طريق عبد الله ابن جعفر الرقي عن أبي المليح به بنحوه .

(٥) إسناده صحيح . أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٧٦/٢٨ من طريق المصنف به بمثله .

قال : فلقيت عبادة بن الصامت ، فحدثني بما حدثني به معاذ ، فقال عبادة : وأنا أحدّثك غير هذا عن رسول الله ﷺ [عن ربه تبارك وتعالى][(١)]: « **حقت محبتي على المتباذلين فيَّ ، وحقت محبتي على المتحابين فيَّ ، وحقت محبتي على المتزاورينَ فيَّ** »[(٢)] .

٨٧ ـ حدثنا عبيد الله بن عمرو ، عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أنس بن مالك ، عن النبي ﷺ قال : « **ثلاثٌ من كُنَّ فيه وَجَدَ بهن حلاوةَ الإيمان : أن[(٣)] يكون الله عز وجل ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما ، وأن[(٤)] يكره أن يرجعَ في الكفر كما يكره أن يُقذَفَ في النار ، وأن يُحبَّ المرءَ المسلمَ ، لا يحبه إلا لله عز وجل** »[(٥)] .

---

(١) هذه الزيادة من صحيح ابن حبان .

(٢) إسناده صحيح . وأبو مسلم الخولاني هو : عبد الله بن ثوب ، وقيل : ابن اثوب ، وقيل غير ذلك ، ثقة عابد ، التقريب ص٦٧٣ . أخرجه أحمد في مسنده (٢٢١١٨) من طريق إبراهيم بن أبي العباس عن أبي المليح به . وأخرجه أحمد أيضاً (٢٢٨٣٤) ، وابن حبان (٥٧٧) من طريق مخلد بن الحسن بن أبي زميل عن أبي المليح به مطولاً . وأخرجه أحمد (٢٢١٣٣) من طريق جعفر بن برقان عن حبيب بن أبي مرزوق به مطولاً . وأخرجه الحاكم في المستدرك (٧٣١٧) من طريق عطاء الخراساني عن أبي ادريس الخولاني مطولاً.

(٣) في الأصل : لأن .

(٤) في الأصل وفي نسخة (ب) : أو . وما أثبته من رواية البخاري وغيره .

(٥) حديث صحيح . أيوب هو : ابن أبي تميمة كيسان السختياني ، وأبو قلابة هو : عبد الله بن زيد بن عمرو ، أو عامر الجرمي البصري ، ثقة فاضل كثير الإرسال ، التقريب ص٣٠٤ . أخرجه الطبراني في الأوسط (١١٧١) من طريق عمرو بن قسط عن عبيد الله بن عمرو به بنحوه . وأخرجه أحمد في مسنده (١٢٠٢١)، والبخاري في صحيحه (١٦ ، ٦٥٤٢) ، ومسلم (٤٣) ، والترمذي (٢٦٢٤) ، وابن حبان (٢٣٨) ، وأبو يعلى (٢٨١٣) كلهم : من طريق عبد الوهاب الثقفي عن أيوب به .

ـ قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . وأخرجه أحمد (١٣١٧٤ ، ١٣٦١٧ ، ١٣٤٣١ ، ١٤١٠٢)، والبخاري في صحيحه (٢١ ، ٥٦٩٤)، ومسلم (٤٣)، والنسائي (٤٩٨٨ ، ٤٩٨٩)، وابن ماجه (٤٣ ، ٤٠٣٣)، والطيالسي (٢٦٤)، وعبد بن حميد (١٣٢٨)، وابن حبان (٢٣٧)، وأبو يعلى (٣٠٠٠، ٣٤١٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (١١٧١٨ ، ١١٧١٩ ، ٢٠٨٥٢)، وابن أبي الدنيا في الإخوان (٦١) كلهم من طرق عن أنس به .

٨٨ ـ حدثنا عبيد الله بن عمرو الرقي ، عن يحيى بن سعيد ، عن عَمْرة ، عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « **ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننا أنّه سيورّثه** »[1].

٨٩ ـ حدثنا عبيد الله ، عن يحيى ، عن محمد بن إبراهيم ، عن عمرة ، عن عائشة أنها قالت : إنّ رسول الله ﷺ كان يصلي ركعتي الفجر[2] فيخفّفهما ، حتى إني لأقول : إنما قرأ بهما بأمّ الكتاب[3].

---

(١) إسناده صحيح . ويحيى هو : ابن سعيد الأنصاري . وعمرة هي : بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الأنصارية ، المدنية ، أكثرت عن عائشة ، ثقة ، انظر التقريب ص٧٥٠ . أخرجه الترمذي (١٩٤٢)، وأبو داود (٥١٥١)، وابن ماجه (٣٦٧٣)، وابن حبان (٥١١)، والبيهقي (١٢٣٨٩) كلهم من طرق عن يحيى بن سعيد به غير أنهم أدخلوا بين يحيى بن سعيد وعمرة واسطة ، وهو أبو بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم .

ـ قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٤٤٢/١٠ : « وقد سمع يحيى بن سعيد ـ وهو الأنصاري ـ من عمرة كثيراً وربما دخل بينهما واسطة مثل هذا ـ يعني رواية البخاري ـ » .

ـ قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . وأخرجه ابن أبي الدنيا في مكارم الاخلاق (٣٢٢) من طريق أبي بكر بن حزم عن عمرة به . وأخرجه أحمد (٢٥٥٨٠) ، وابن راهويه (١١٩٦) ، والطبراني في الأوسط (٦٥١) ، وأبو يعلى (٤٥٩٠) ، وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (٣٢٠) كلهم من طرق عن عائشة به.

ـ قال الترمذي : « وفي الباب عن عائشة وابن عباس وأبي هريرة وأنس والمقداد بن الأسود وعقبة بن عامر وأبي شريح وأبي أمامة » .

(٢) في نسخة (ب) : يصلي الفجر .

(٣) إسناده صحيح ، عبيد الله : هو ابن عمرو الرقي ، ومحمد هو : ابن إبراهيم بن الحارث التيمي ، ثقة ، التقريب ص٤٦٥ . أخرجه أبو داود (١٢٥٥)، والطحاوي في شرح معاني الآثار ٢٩٨/١ من طريق يحيى بن سعيد بن عمرة به بنحوه . وأخرجه أحمد (٢٥٣٥٤ ، ٢٦٠٢٥) ، والحميدي (١٨١) ، والبخاري (١١١)، ومسلم (٧٢٤)، وابن خزيمة (١١١٣)، وابن حبان (٢٤٦٦) كلهم من طرق عن محمد بن عبد الرحمن عن عمته عمرة بنحوه . وأخرجه أحمد (٢٥٧٣٣) ومسلم (٧٢٤) وابن راهويه (٨٢٤) من طريق عروة بن الزبير عن عائشة به مختصرا .

٩٠ ـ حدثنا عبيد الله بن عمرو ، عن يحيى بن سعيد ، عن عَمْرة ، عن عائشة قالت : لو أنَّ رسول الله ﷺ رأى ما أَحدَثَ النساءُ بعده لمنعهُنَّ المسجد ، كما مُنِعَت نساءُ بني إسرائيل ، فقال يحيى : فقلت لعمرة : كانت نساءُ بني اسرائيل مُنِعنَ المساجد ؟ قالت : نعم[١].

٩١ ـ حدثنا عبيد الله ، عن يحيى بن سعيد ، عن رائطة ، عن عمرة ، عن عائشة أنَّ النبي ﷺ كان إذا أراد أن يعتكف صلَّى الفجر ، ثم دخل المكانَ الذي يعتكفُ فيه[٢].

---

(١) إسناده صحيح .

ـ أخرجه أحمد (٢٤٦٤٦ ، ٢٥٦٥١ ، ٢٦٠٢٤)، وابن راهويه (٦٣٩)، ومالك في الموطأ (٤٦٨)، والبخاري (٨٣١)، ومسلم (٤٤٥)، وأبو داود (٥٦٩)، وابن خزيمة (١٦٩٨٩)، والطبراني في مسند الشاميين (٥١٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥١٥٥) كلهم من طرق عن يحيى بن سعيد به بنحوه . وأخرجه ابن راهويه (١٧٥١) مختصراً ، وأبو يعلى بأطول منه (٤٩٣)، والطبراني في الكبير (٤٤٥) مختصراً ، من طرق عن عمرة به .

(٢) إسناده ضعيف ، يحيى بن سعيد هو : الأنصاري ، ورائطة هي المزنية ، ذكرها المزي في تهذيب الكمال ٣٥/٢٤٢ ضمن الرواة الذين رووا عن عمرة ، ولم أقف على ترجمة لها . أخرجه أحمد (٥٩٣٩)، وابن راهويه (١١٥٤)، والبخاري (١٩٢٨)، ومسلم (١١٧٢)، وأبو داود (٢٤٦٤)، والترمذي (٧٩١)، والنسائي (٧٠٩)، وابن ماجه (١٧٧١)، وابن الجارود في المنتقى (٤٠٨)، وابن خزيمة (٢٢١٧)، وابن حبان (٣٦٦٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧٨٨)، وأبو يعلى (٤٥٠٦، ٤٩١٢) كلهم من طرق عن يحيى بن سعيد عن عمرة به .

ـ قلت : كل من أخرجوا الحديث ـ ممن وقفت عليهم ـ لم يذكروا واسطة بين يحيى بن سعيد وعمرة ، بخلاف رواية الشاشي ، حيث ذكر رائطة بينهما ، وقد مرّ معنا قول الحافظ ابن حجر في ذلك عند الكلام على حيث رقم (٨٨) .

ـ قال الترمذي : « وقد روي هذا الحديث عن يحيى بن سعيد ، عن عمرة ، عن النبي ﷺ مرسلاً ، ورواه الأوزاعي وسفيان الثوري وغير واحد عن يحيى بن سعيد عن عمرة عن عائشة . والعمل على هذا الحديث عند بعض أهل العلم يقولون : إذا أراد الرجل أن يعتكف صلى الفجر ثم دخل في معتكفه وهو قول أحمد وإسحاق بن إبراهيم . وقال بعضهم : إذا أراد أن يعتكف فلتغب له الشمس من الليلة التي يريد أن يعتكف فيها من الغد ، وقد قعد في معتكفه ، وهو قول سفيان الثوري ومالك بن أنس .

قال أبو القاسم[١] [البغوي] : كتب يحيى بن معين هذا الحديثَ عن عيسى ـ حديث رائطة ـ .

٩٢ ـ حدثنا عبيد الله بن عمرو الجزري ، عن خالد الحذّاء ، عن أبي قلابة قال : سمعت أبا هريرة يقول : ما احتذى[٢] النعالَ ولا انتعلَ ولا رَكِبَ الكُورَ أحدٌ بعدَ رسولِ الله ﷺ خيرٌ من جعفر بن أبي طالب[٣] .

٩٣ ـ حدثنا عبيد الله بن عمرو ، عن زيد بن أبي أنيسة ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده عمرو بن العاص أنَّ رسول الله ﷺ بعث عتَّابَ بن أُسيد[٤] إلى مكة ، فقال له النبي ﷺ : « **أتدري إلى أين أبعثك ؟ إلى أهل الله ، وهم أهل مكة ، فانههم عن أربعٍ : عن بيعٍ وسلفٍ ، وعن شرطين في بيع ، وربحِ ما لم يُضمن ، وبيع ما ليس عندك** »[٥] .

---

(١) في نسخة (ب) : « قال ابو القاسم ابن منيع » . قلت : هذه النسبة إلى جده لأمه الحافظ أبي جعفر أحمد بن منيع البغوي الأصم صاحب المسند .

(٢) احتذى : انتعل . النهاية في غريب الحديث ١/٣٥٧ .

(٣) إسناده صحيح ، خالد الحذاء هو : خالد بن مهران ، أبو المنازل ، الحذاء ، ثقة ، التقريب ص١٩١. وأبو قلابة : هو عبد الله بن زيد الجرمي ، وقد تقدمت ترجمته . أخرجه أحمد (٩٣٤٢)، والترمذي (٣٧٦٤)، والنسائي في فضائل الصحابة (٥٤)، والطبراني في الأوسط (٧٠٧٣)، والبيهقي في الكبرى (٨١٥٧) كلهم من طريق خالد الحذاء عن عكرمة عن أبي هريرة بنحوه .

ـ قال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح غريب . والكور : الرحل » .

(٤) هو عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية الأموي المكي ، له صحبة ، وكان أمير مكة في عهد النبي ﷺ ، التقريب ص ٣٨٠ .

(٥) إسناده حسن . عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو ، صدوق ، التقريب ص٤٢٣ . وأبوه هو : شعيب بن محمد ، صدوق أيضاً ، التقريب ص٢٦٧ . وقوله « عن جده » يعني عن جد شعيب ، وهو عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ . أخرجه أحمد (٦٦٧١ ، ٦٩١٨)، وأبو داود (٣٥٠٤)، والترمذي (١٢٣٤)، والنسائي في سننه (٤٦١١ ، ٤٦٢٩ ، ٤٦٣٠)، والدارمي (٢٥٦٠)، وابن حبان (٤٣٢١)، والبيهقي في سننه الكبرى (٦٢٢٥ ، ١٠٦١٠ ، ١٠٦٦٢ ، ١٠٧٠٤، ٢١٤٢٩)، ⇐

٩٤ ـ حدثنا عبيد الله بن عمرو ، عن يحيى بن سعيد ، عن عدي بن ثابت ، عن البراء بن عازب ، عن النبي ﷺ أنه قرأ في العشاء الآخرة بالتين والزيتون[1].

٩٥ ـ حدثنا عبيد الله بن عمرو ، عن يحيى بن سعيد ، عن أبي بكر بن حزم ، عن عباد بن تميم ، عن عبد الله بن زيد الأنصاري ، عن النبي ﷺ أنه خرجَ يستسقي ، ثم أنه لما أراد أن يدعو استقبل القبلة وحوّل رداءَه[2].

٩٦ ـ حدثنا عبيد الله بن عمرو ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن أبي مسعود الأنصاري قال : قال رسول الله ﷺ : « **الشمسُ والقمرُ لا ينكسفان لموت أحد ، ولكنهما آيتان من آيات الله ، فإذا رأيتموها فصلّوا** »[3].

والطحاوي في شرح معاني الآثار ٤/٤٦ كلهم من طرق عن عمرو بن شعيب به .

قال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح » .

ـ قال ابن حجر في التلخيص الحبير ٣/١٧ : « رواه مالك بلاغاً ، والبيهقي موصولاً ، من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، وصححه الترمذي ، وله طريق أخرى عند النسائي في العتق ، والحاكم من طريق عطاء عن عبد الله بن عمرو . وفي البيهقي من حديث ابن عباس أيضا بسند ضعيف ، وفي الطبراني من حديث حكيم بن حزام » .

(١) حديث صحيح . وعدي : هو ابن ثابت الأنصاري الكوفي ، ثقة ، التقريب ٣٨٨ .

ـ أخرجه مالك في الموطأ (١٧٥)، وأحمد (١٨٧٢٠)، ومسلم (٤٦٤)، والترمذي (٣١٠)، والنسائي (١٠٠٠)، وابن ماجه (٨٣٤)، وابن حبان (٥٢٢)، كلهم من طرق عن يحيى بن سعيد به .

ـ قال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح ». وأخرجه أحمد (١٨٧١٠ ، ١٨٧٣٠)، والبخاري في صحيحه (٧٣٣، ٧٣٥، ٤٦٦٩ ، ٧١٠٧) وفي خلق أفعال العباد (٦٩)، ومسلم (٤٦٤) وأبو داود (١٢٢١)، وابن خزيمة (٥٢٤)، وابن حبان (١٨٣٨)، والبيهقي (١٧٠٣) من طرق عن عدي به .

ـ وأخرجه ابن خزيمة (٢٥٢٥) من طريق أبي إسحاق عن البراء به .

(٢) قلت : هذا الحديث كرر ذكره المصنف ، وقد تقدم تخريجه برقم (٢٢) .

(٣) حديث صحيح . وإسماعيل هو : ابن أبي خالد الأحمسي مولاهم ، البجلي ، تابعي ثقة ثبت ، انظر التقريب ص١٠٧ . وقيس هو : ابن أبي حازم البجلي أبو عبد الله الكوفي ، تابعي مخضرم ثقة ، التقريب ص٤٥٦ . أخرجه أحمد (١٧١٤٢)، والحميدي (٤٥٥)، والشافعي (١٧٨)، والبخاري (٩٩٤ ، ١٠٠٨ ، ٣٠٣٢)، ومسلم (٩١١)، والنسائي (١٤٦٢)، وابن ماجه (١٢٦١)، وابن خزيمة (١٣٧٠)، ⇦

٩٧ ـ حدثنا ابن المبارك ، عن يونس ، عن الزهري ، عن السائب بن يزيد قال : ذُكِرَ[١] شريحٌ الحضرمي عند رسول الله ﷺ فقال : « **ذاكَ رجلٌ لا يتوسَّدُ القرآنَ** »[٢] .

٩٨ ـ حدثنا عبيد الله بن عمرو ، عن عبد الكريم ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : ﴿ **حتى تَضَعَ الحربُ أَوْزَارَها** ﴾[٣] قال : حتى لا يكون دينٌ إلا الإسلام[٤] .

والبيهقي في السنن الكبرى (٦٠٩٢ ، ٦٠٩٣)، والطحاوي في شرح معاني الآثار ٣٢٢/١ كلهم من طرق عن إسماعيل بن أبي خالد به بنحوه .

(١) في نسخة الأصل : ذكرت .

(٢) إسناده صحيح ، ويونس هو : ابن يزيد الأيلي ، وقد تقدمت ترجمته . والسائب بن يزيد : صحابي صغير ، له أحاديث قليلة ، وحُجَّ به في حجة الوداع وهو سبع سنين ، وولاه عمر سوق المدينة ، توفي سنة ٩١هـ ، وقيل غير ذلك ، وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة ، التقريب ص٢٢٨ . أخرجه ابن المبارك في مسنده (٦٠) من طريقه هو به بمثله . قال محققه : إسناده صحيح . وأخرجه أحمد (١٥٧٦٢ ، ١٥٧٦٣)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٤٢٢)، والنسائي (١٧٨٣)، والطبراني في الكبير (٦٦٥٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٣٠٥) كلهم من طرق عن ابن المبارك به .

ـ قال ابن حجر في الإصابة عند ترجمة شريح الحضرمي ١٤٥/٢ : جاء ذكره في حديث صحيح أخرجه النسائي . وأخرجه البيهقي (١٣٠٥) من طريق ابن وهب عن يونس به بنحوه .

ـ قال ابن الأثير في النهاية ١٨٢/٥ في تفسير قوله : « لا يتوسد القرآن » : « يحتمل أن يكون مدحاً وذماً ، فالمدح معناه أنه لا ينام الليل عن القرآن ولم يتهجد به ، فيكون القرآن متوسداً معه ، بل هو يداوم قراءته ويحافظ عليها . والذم معناه : لا يحفظ من القرآن شيئاً ولا يديم قراءته ، فإذا نام لم يتوسد معه القرآن ، وأراد بالتوسد النوم » .

(٣) سورة محمد ﷺ ، الآية (٤) .

(٤) إسناده صحيح ، وعبد الكريم هو : ابن مالك الجزري ، أبو سعيد مولى بني أمية ، ثقة متقن . التقريب ص٣٦١ . ومجاهد هو : ابن جبر أبو الحجاج المخزومي مولاهم ، المكي ، تابعي ثقة ، إمام في التفسير وفي العلم ، انظر التقريب ص٥٢٠ . أخرجه الطبري في تفسيره ٤٢/٢٦ من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه مطولاً . وذكره القرطبي في تفسيره ٢٢٨/١٦ .

٩٩ ـ حدثنا عبيد الله بن عمرو ، عن عبد الكريم ، عن مجاهد في قوله عز وجل : ﴿ **لا تُحِلّوا شعائرَ الله** ﴾[١] قال : لا تُحلّوا معالمَ الله في الحج [٢].

١٠٠ ـ حدثنا عبيد الله بن عمرو ، عن ابن عقيل ، عن جابر بن عبد الله قال : صلّيتُ مع أبي بكر الظُّهرَ ، ثم انكفأتُ[٣] معه إلى بيته ، فقال لامرأته أسماء بنت عميس : ما عندك من طعام ؟ قالت[٤]: لا والله ، قال : انظري هل من شيءٍ ؟ قالت : لا والله ما من شيء . فأخذ أبو بكر قعباً[٥] ، فعمد إلى شاةٍ فاعتقلها ، ـ وكان ذا شاءٍ ـ فحلبها من لَبَئها[٦] ، وكانت قد وضعتْ من يومها ، ثم أفرغ اللبأ في البُرمة[٧] ، ثم خرجنا إلى العصر ، فما توضأ أبو بكر ولا أحدٌ منا ، ثم مضى لذلك ما مضى ، ثم دخلنا على عمر في خلافته بعد المغرب ، في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ، فأتوا بقصعتي ثريدٍ ولحمٍ ، فوُضِعت إحداهُن بين أيدينا ، وأخرى[٨] للمساكين حتى أكلنا ، ثم قمنا فصلينا ، ولم يتوضأ أحد منا [٩] .



(١) سورة المائدة ، الآية (٢) .

(٢) إسناده صحيح ، وعبد الكريم هو الجزري . قال السيوطي في الدر المنثور ٨/٣ : أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد .

(٣) انكفأت : أي رجعت ، انظر النهاية في غريب الحديث ١٨٣/٤ .

(٤) في نسخة (ب) : فقالت .

(٥) القعب : هو القدح الضخم الغليظ الجافي ، وقيل : قدح من خشب مقعر . لسان العرب ٦٨٣/١ .

(٦) اللبأ : أول لبن الشاة في النتاج ، مختار الصحاح ص٢٤٦ .

(٧) البرمة : القدر مطلقاً ، وهي في الأصل المتخذة من الحجر المعروف بالحجاز واليمن ، النهاية في غريب الحديث ١٢١/١ .

(٨) في نسخة (ب) : والأخرى .

(٩) إسناده حسن . وابن عقيل : هو عبد الله بن محمد بن عقيل ، صدوق ، وقد تقدمت ترجمته . أخرجه أحمد في مسنده (١٤٢٩٩) باختصار في القصة ، مع رفع الحديث .

ـ قلت : المراد من الخبر : أن مذهب الشيخين ـ أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ عدم الوضوء مما مست النار .

١٠١ ـ حدثنا عبيد الله بن عمرو ، عن ابن عقيل ، عمن حدثه ، عن علي قال : قال رسول الله ﷺ : « **يا علي ! لا تَخَتَّم بخاتم الذهب ، ولا تلبس المُعصفر ، ولا تجعل على كورك**[١] **مِيثرةً**[٢] **حمراء** »[٣] .

١٠٢ ـ حدثنا عبيد الله بن عمرو ، عن يحيى بن سعيد ، عن الزهري ، عن الحسن وعبد الله[٤] ابني محمد ، عن أبيهما ، عن علي ـ عليه السلام ـ أنَّ رسول الله ﷺ نهى عن نكاح المُتْعَةِ[٥] .

---

(١) كورك : أي رحلك .

(٢) ميثرة : هي وطاء محشو يترك على رحل البعير تحت الراكب ، وقد ورد النهي عن المياثر الحمر لأنها كانت من مراكب الأعاجم من ديباج أو حرير ، انظر مختار الصحاح ١/٢٩٥ ، النهاية في غريب الحديث ٤/٣٧٨ .

(٣) إسناده ضعيف : فيه راو لم يسم . وابن عقيل هو : عبد الله بن محمد بن عقيل ، وقد تقدمت ترجمته.

ـ أخرجه الترمذي (٢٨٠٨)، والنسائي (٥١٦٦)، وابن ماجه (٣٦٥٤)، والطيالسي (١٠٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩٥٦٣) كلهم من طرق عن علي به .

ـ قال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح » .

(٤) في نسخة (ب) : عبيد الله . وهو تصحيف .

(٥) إسناده صحيح . يحيى بن سعيد هو الأنصاري ، والحسن هو : ابن محمد بن علي بن أبي طالب ، ثقة فقيه . التقريب ص١٦٤ . وعبد الله هو : ابن محمد بن علي بن أبي طالب أيضاً ، ثقة ، التقريب ص٣٢١ . وأبوهما هو : محمد بن علي ، أبو القاسم بن الحنفية ، ثقة عالم . التقريب ص ٤٩٧ . أخرجه أحمد (٥٩٢)، والحميدي (٣٧)، والبخاري (٤٨٢٥)، ومسلم (١٤٠٧)، والترمذي (١١٢١)، وابن الجارود (٦٩٧)، وأبو يعلى (٥٧٦)، وابن حبان (٤١٤٦)، والبيهقي في الكبرى (١٣٩٢٤ ، ٤٨٤٦)، كلهم من طريق سفيان بن عيينة عن الزهري به . وأخرجه البخاري (٥٢٠٣)، ومسلم (١٤٠٧)، والنسائي (٣٣٦٦)، وابن ماجه (١٩١)، من طريق مالك عن الزهري به . وأخرجه البيهقي في الكبرى (١٣٩٥٩)، من طريق إياس بن عامر عن علي به .

ـ قال الترمذي : « حديث علي حديث حسن صحيح »، والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ ، وغيرهم .

١٠٣ - حدثنا عبيد الله ، عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أنس قال : كان أنجشةُ[١] يسوق نساءَ النبي ﷺ وأم سليم[٢] معهم ، فقال : « **رُويدكَ يا أنجشةُ سوقَكَ بالقوارير** »[٣].

١٠٤ - حدثنا عبيد الله بن عمرو ، عن يحيى بن سعيد ، عن أنس أنَّه صلّى على حمارٍ لغير القبلة ، يركعُ ويسجدُ مِنْ غير أَنْ يصيبَ وجهه شيء[٤].

١٠٥ - حدثنا عبد الله بن المبارك ، عن مبارك - وهو ابن فضالة - عن الحسن ، عن أنس أنَّ النبي ﷺ كان يخطبُ الناسَ فيستندُ إلى خشبة [٥].

قال [تلميذ المصنف أبو القاسم البغوي] : حدثنا شيبان حدثنا مبارك عن الحسن عن أنس عن النبي ﷺ مثله [٦]

١٠٦ - حدثنا عيسى بن يونس ، عن عبد الرحمن الإفريقي ، عن زياد بن نعيم

---

(١) أنجشة : رجل حبشي ، يكنى أبا مارية ، كان حسن الصوت بالحداء ، انظر الإصابة ١/١١٩ .

(٢) أم سليم : هي بنت ملحان الأنصارية ، والدة أنس بن مالك ، وقد تقدمت ترجمتها .

(٣) إسناده صحيح ، وأيوب هو السختياني ، وأبو قلابة هو عبد الله بن زيد البصري . أخرجه أحمد (١٢٩٥٨)، والبخاري (٥٨٠٩ ، ٥٧٩٧)، ومسلم (٢٣٢٣)، وأبو يعلى (٢٨١٠ ، ٢٨٠٩)، والبيهقي في الكبرى (١٠٣٥٩) كلهم من طرق عن أيوب به بنحوه . وأخرجه أحمد (١٢٩٦٧ ، ١٣٤٠١)، والبخاري (٥٨٥٦ ، ٥٨٠٩)، ومسلم (٢٣٢٣)، وأبو يعلى (٤٠٧٥ ، ٤٠٦٤)، والطيالسي (٢٠٤٨)، وابن حبان (٥٨٠٢ ، ٥٨٠٠)، والطبراني في الأوسط (٣٧٥)، والكبير ٢٥/١٢١ ، والبيهقي في الكبرى (٣٦٣ ، ١٠٣٦) كلهم من طرق عن أنس به بنحوه .

- وقوله : « رفقاً بالقوارير » أراد النساء ، شبههن بالقوارير من الزجاج ، لأنه يسرع إليها الكسر ، انظر النهاية في غريب الحديث ٤/٣٩ .

(٤) إسناده صحيح ، وقد تقدم تخريجه رقم (٤٣) .

(٥) إسناده ضعيف . مبارك بن فضالة البصري صدوق يدلّس ويسوّي ، التقريب ص٥١٩ . والحسن هو : ابن يسار ، ثقة فقيه فاضل مشهور ، وكان يرسل ويدلس - التقريب ص١٦٠ .

(٦) إسناده ضعيف ، وشيبان هو ابن فروخ الأيلي ، صدوق يهم ، ورُمي بالقدر ، التقريب ص٢٦٩ . ومبارك هو ابن فضالة .

الحضرمي ، عن زياد بن الحارث الصُّدائي قال : أتيتُ النبي ﷺ فبايعته على الإسلام ، فأُخبرتُ أنَّه قد بعث جيشاً إلى قومي ، فقلت : رُدَّ الجيشَ ، وأنا لكَ بإسلامهم وطاعتهم ، ففعلَ ، فكتبَ إليهم ، فأتى وفدٌ منهم[1] بإسلامِهم وطاعتِهم ، فقال : « **يا أخا صُداء إنّك لمطاعٌ في قومِك** » ، قلت : بك هداهم الله ، وأحسنَ إليهم ، قال : « **أولا نؤمِّرُكَ عليهم ؟** » قلت[2] : بلى ، فكتب لي بإمارتي عليهم ، وسألتُه صدقاتِهم ، ففعل ، وكتب بذلك كتاباً[3] .

وكان رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فنزل منزلاً ، فأتاه أهل المنزل يشكون عاملهم ، وقالوا : أخذنا بما[4] كان بيننا وبين قومه في الجاهلية ، فقال : « **أوَ فَعَل ؟** » فقالوا[5] : نعم ، فالتفتَ إلى أصحابه ـ وأنا فيهم ـ فقال : « **لا خيرَ في الإمارة لرجل مؤمن** » ، فوقع ذلك في نفسي ، ثم أتاه رجل فسأله ، فقال : « **من سأل الناس عن ظهرِ غنى فصداعٌ في الرأسِ وداءٌ في البطنِ** » ، قال : فأعطني من الصدقات ، فقال : « **إنَّ الله تعالى لم يرضَ في الصدقات بحكم نبي ولا غيره حتى حَكَمَ فيها ، فجزَّأها ثمانية أجزاءٍ ، فإن كنتَ منها أعطيتُك حقَّكَ** » .

ثم إن نبي الله ﷺ اعتشى[6] من الليل[7] ، فلزمته ، وجعل أصحابه يتقطعون حتى لم يبقَ معه أحدٌ غيري ، فلما عاين أوانَ الصبح أمرني ، فأذَّنتُ ، ونزلَ فتبرَّز ، وتلاحق أصحابُه ، ثم أقبلَ فقال : « **أمعكَ ماء ؟** » فقلت : قليل لا يكفيك ، فقال : « **صُبَّه في إناء ثم ائتني به** » ، فأتيته ، فوضع كفَّهُ فيهِ فإذا بي كل إصبع من أصابعه عينٌ تفور ،

---

(١) في نسخة (ب): وفدهم .

(٢) في الأصل : قال .

(٣) قوله : « كتاباً » ليس في نسخة (ب) .

(٤) في نسخة (ب) : ما .

(٥) في نسخة (ب) : قالوا .

(٦) اعتشى : أي سار وقت العشاء ، النهاية في غريب الحديث ٣/٢٤٢ .

(٧) في نسخة (ب) : من أول الليل .

فقال : « **يا أخا صُداء ، لولا ان أستحي من ربي لسقينا واستقينا ، ناد**[1] **في أصحابي مَنْ أرادَ الماء** » فاغترفَ من أحبَّ ، ثم إن نبي الله ﷺ قام إلى الصلاة فأراد بلالٌ أن يقيم ، فقال : « **إن أخا صداء قد أذّن ، ومن أذّن فهو يقيم** » ، فأقمت الصلاة ، فلما قضى رسول الله ﷺ أتيته بصحيفتي ، فقلتُ : اعفني ، فقال : « **وما بدا لك ؟** » قلتُ : سمعتك تقول : « **لا خير في الإمارة للمؤمن** » ، وقد آمنت ، وقلتَ : « **مَنْ سألَ الناسَ عن ظهر غنى فصداعٌ في الرأس وداءٌ في البطن** » ، وقد سألتُك وأنا غني ، فقال : « **هو ذاك ، فإن شئتَ فاقْبَل وإن شئت فدع** » ، قال : « **فدُلَّني على رجل** » ، فدَلَلْتُه على رجلٍ من الوفد ، فقال[2] : يارسول الله ، إن لنا بئراً إذا كان الشتاء وسِعَنا ماؤُها ، واجتمعنا عليهَا ، وإذا كان الصيف فَنِيَ ماؤها ، فتفرقنا على ما حولها ، وإنّا لا نستطيع اليوم أن نتفرق ، كل من حولنا لنا عدو ، فادع الله تعالى أن يسعنا ماؤها ، فدعا نبي الله ﷺ بسبع حصيات ، ففركَهُنَّ[3] في يده ، وقال : « **إذا أتيتموها فالقوا واحدةً واحدةً ، واذكروا اسمَ الله** » ، فما استطاعوا أن يستبينوا قعرها بعد[4] .

١٠٧ ـ حدثنا عيسى بن يونس ، حدثنا عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، عن عمارة ابن غراب وسعد بن مسعود أنَّ عثمان بن مظعون أتى النبي ﷺ فقال : إني أكره أن يرى أهلي عورتي ، قال : « **لِمَ ، وقد جعلها الله لك لباساً ، وجعلك لها لباساً ، وأنا يرى**

---

(١) في الأصل : نادي . وهو تصحيف .

(٢) في الأصل : وقالوا . وما أثبته من نسخة (ب) .

(٣) في نسخة (ب) : وحرّكهن .

(٤) في إسناده ضعف ، عيسى بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي ، ثقة مأمون ، التقريب ص٤٤١ .
وعبد الرحمن هو : ابن زياد بن أنعم الإفريقي ، ضعيف في حفظه . التقريب . وزياد هو : ابن ربيعة بن نعيم الحضرمي ، وقد ينسب إلى جده ، ثقة ، التقريب ص٢١٩ . وزياد بن الحارث الصمائي له صحبة ووفادة ، التقريب ص ٢١٨ . أخرجه أحمد (١٧٥٧٢) مختصراً ، والطبراني في الكبير ٢٦٢/٥ بطوله ، والبيهقي في الكبرى ١٦٦٣ مختصراً ، والمزي في التهذيب ٤٤٥/٩ بطوله من طرق عن عبد الرحمن به بنحوه .
ـ قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٠٤/٥ : في السنن طرف منه ، رواه الطبراني ، وفيه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، وهو ضعيف ، وقد وثقه أحمد بن صالح ، وردّ على من تكلم فيه ، وبقية رجاله ثقات .

أهلي مني وأرى منهنّ » ، قال : أنتَ فمن بعدك ؟ ثم أدبر ، فقال رسول الله ﷺ : « إنّ عثمان لَحَييٌّ ستِّير »[١].

١٠٨ ـ حدثنا أبو المليح ، عن ميمون والزهري ، في رجل أقرض دراهم سوداً[٢] فأُعطي دراهمَ[٣] بيضاً ؟ قال : لا بأس إن لم يكن بينهما شرط ، ولم تكن مرزية ، قال أبو الملح : وكانت البيضُ يومئذٍ لها فضل[٤].

١٠٩ ـ حدثنا أبو المليح قال : سأل رجلٌ ابن عباس قال : إني قبّلتُ امرأةً ليست مني بسبيل ؟ قال : زنى فوك ، قال : فما كفارتُه ؟ قال : تستغفر الله ، ولا تعود[٥].

١١٠ ـ حدثنا عبيد الله بن عمرو ، عن إسماعيل ، عن الشعبي ، عن عامر بن شهر

---

(١) إسناده ضعيف . سعد بن مسعود لم يسمع من عثمان ، وفيه : عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي ، ضعيف في حفظه ، وقد تقدم آنفاً . وعمارة بن غراب اليحصبي ، تابعي مجهول ، غلط من عدّه صحابياً ، التقريب ص٤٠٩ . وسعد بن مسعود هو : التجيبي المصري ، وهو أحد العشرة الذين بعثهم عمر بن عبد العزيز إلى القيروان ليفقهوا أهلها ، وقد قال ابن كثير في البداية والنهاية ٢١٦/٩ : « صرّح كثير من الأئمة بأن كل من استعمله عمر بن عبد العزيز فهو ثقة ». أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٠٤٧١)، والطبراني في الكبير (٨٣١٨)، من طريق يحيى بن العلاء عن ابن أنعم عن سعد بن مسعود الكندي به بنحوه . وأخرجه ابن سعد في طبقاته ٣٩٤/٣ عن محمد بن يزيد الواسطي ، ويعلى بن عبيد عن ابن أنعم به.

(٢) في الأصل : دراهماً سواداً .وهو تصحيف ، وما أثبته من نسخة (ب) .

(٣) في الأصل : دراهماً . وهو تصحيف .

(٤) إسناده صحيح .

ـ قلت : روي نحوه عن الحسن البصري وسعيد بن المسيب . انظر مصنف عبد الرزاق ١٤٥/٨ .

(٥) إسناده ضعيف لانقطاعه ، وقد سقط من الإسناد ميمون بن مهران ، كما بينت رواية عبد الرزاق في المصنف . أخرجه الشافعي في مسنده ٣٧٢/١ مطولاً ، وعبد الرزاق في المصنف ٤١٨/٧ ، والبيهقي في الكبرى ٩٨٤٣ مطولاً من طرق عن ميمون بن مهران عن ابن عباس به بنحوه .

قال : كلمتان[١] سمعتهما ، إحداهما من رسول الله ﷺ والأخرى من النجاشي ، ما يسرني أن لي بإحداهن الدنيا بما فيها .

أما التي سمعتها[٢] من النجاشي : بينما أنا عنده ذات يوم ، وجاء ابنٌ له من الكُتَّاب ، فعرض عليه لوحةً ، وكنت أفهمُ كلامَهم ، فمرَّ بآية فضحكت ، فقال : ما الذي يضحكك ؟ والذي نفسي بيده لقد[٣] نزلت من ذي العرش ، وذكر كلاماً .

وأما التي سمعتها من رسول الله ﷺ : فإنه قال : « **انظروا قريشاً واسمعوا منهم وذروا أفعالَهم** »[٤].

١١١ - حدثنا أبو المليح ، عن الزهري أنَّ ابن عمر كان إذا قبّل جاريتَه أو امرأتَه من شهوةٍ توضأ[٥] .

١١٢ - حدثنا أبو المليح قال : سئل الزهري عن طلاق السكران ؟ فقال : جائزٌ ، ويُضربُ الحدَّ[٦] .

---

(١) في الأصل ونسخة (ب) : كلمتين . وهو تصحيف .

(٢) قوله : « سمعتها » من نسخة (ب) .

(٣) قوله : « لقد » من نسخة (ب) .

(٤) إسناده صحيح ، إسماعيل هو : ابن أبي خالد الأحمسي مولاهم البجلي ، ثقة ثبت ، التقريب ص١٠٧ . والشعبي هو : عامر بن شراحيل ، ثقة مشهور ، التقريب ص٢٨٧ . وعامر بن شهر الهمداني ، صحابي ، نزل الكوفة ، التقريب ص٢٨٧ . أخرجه أحمد (١٥٥٧٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه ٥٢٦/٧ بإسنادهما إلى الشعبي به بنحوه .

(٥) إسناده صحيح .

- أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ١٣٢/١ بإسناده إلى سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه من قوله ، لا من فعله . وأخرجه - أيضاً - بإسناده إلى نافع عن ابن عمر من قوله ، لا من فعله أيضاً .

(٦) إسناده صحيح .

- أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٧٦/٤ من طريق الأوزاعي ، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٨٣/٧ من طريق ابن جريج ، كلاهما عن الزهري بنحوه .

١١٣ ـ حدثنا أبو المليح ، عن ميمون قال : دخلتُ على أم الدرداء ، فرأيتها مختمرةً بخمارٍ صفيقٍ قد ضربت على حاجبها ، قال : وكان فيه قِصَرٌ ، فوصلته بسير ، قال : وما دخلتُ عليها في ساعةِ صلاةٍ إلا وجدتها مُصلّيةً [(١)] .

١١٤ ـ حدثنا ميسرة بن عبد ربه ، عن أبي إلياس إدريس بن بنت وهب بن منبه ، عن وهب بن منبه ، عن ابن عباس أنَّ جبريلَ وقف على النبي ﷺ وعليه عصابةٌ خضراء قد علاها الغبارُ ، فقال له رسول الله ﷺ : ما هذا الغبارُ الذي في عصابتك يا روح الأمين ؟ فقال : إني أتيتُ البيتَ فازدحمتُ أنا والملائكة على الركن ، فهذا الغبار الذي ترى مما تُثيرُ بأجنحتها [(٢)] .

١١٥ ـ حدثنا عبيد الله بن عمرو ، عن زيد بن أبي أنيسة ، عن أبي إسحاق ، عن مجاهد ، عن أبي هريرة أن جبريل أتى النبي ﷺ فسلم عليه في بيته ، وفي البيت ستر منصوبٌ عليه تماثيل ، فقال النبي ﷺ : « **ادخل** » ، قال : « إنّا لا ندخل بيتاً فيه تماثيل ، فإن كنتَ لا بدَّ جاعِلَها في بيتك فاجعلها وسائدَ وبُسُطاً[(٣)] »[(٤)] .

---

(١) إسناده صحيح . أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٥٨/٧٠ من طريق المصنف بمثله .

(٢) حديث موضوع . ميسرة بن عبد ربه قال عنه البخاري : « يرمى بالكذب »، وقال أبو زرعة : « كان يضع الحديث وضعاً »، وقال ابن حبان : « كان يروي الموضوعات عن الأثبات »، انظر المجروحين ١١/٣ ، الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ١٥٢/١ . وأبو إلياس هو : إدريس بن سنان الصنعاني ، ابن بنت وهب بن منبه ، ضعيف ، التقريب ص٩٧ . ووهب بن منبه اليماني ، ثقة ، التقريب ص٥٨٥ .

(٣) في نسخة (ب) : بساطاً .

(٤) إسناده صحيح ، وأبو إسحاق هو عمرو بن عبد الله السبيعي ، ثقة ، تقدم ذكره . أخرجه ابن حبان في صحيحه (٥٨٥٣) من طريق أبي عبد الرحيم عن زيد بن أبي أنيسة به . وأخرجه أحمد (٩٠٥١) من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق به . وأخرجه البيهقي في الكبرى من طريق معمر عن أبي إسحاق به . وأخرجه أحمد (٨٠٣٢ ، ٩٠٥١ ، ١٠١٩٦)، والترمذي (٢٨٠٦)، وأبو داود (٤١٥٨)، وابن حبان (٥٨٥٤)، والبيهقي في الكبرى (١٤٣٥٣) من طريق يونس بن أبي إسحاق عن مجاهد به .

ـ قال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح ، وفي الباب عن عائشة وأبي طلحة » .

١١٦ ـ حدثنا عبيد الله بن عمرو ، عن معمر ، عن الكلبي : ﴿ **غيرِ أُولِي الأِرْبَةِ مِنِ الرِّجَالِ** ﴾[١] قال هو : الخَصيُ والعنّيين[٢] .

١١٧ ـ حدثنا عبيد الله بن عمرو ، عن معمر ، عن قتادة ، عن الحسن قال : هو الذي لا حاجةَ له في النساء[٣] .

١١٨ ـ حدثنا أبو المليح ، عن ميمون في قول الله تعالى : ﴿ **إِنَّما يوفَّى الصَّابِرونَ أَجْرَهُم** ﴾[٤] قال : صرفاً بغير حساب[٥] .

١١٩ ـ حدثنا بقية بن الوليد الحمصي ، عن عبد الرحمن بن سليمان ، عن أبي سعد القاص ، عن معاوية بن إسحاق ، عن سعيد بن جبير قال : سمعت ابن عباس يقول : قال رسول الله ﷺ : « **من مشى إلى غريمهِ بحقهِ ، صلَّت عليه دوابُ الأرض ، ونونُ**[٦] **الماء ، وكُتِبَ له بكل خطوةٍ شجرةٌ في الجنة ، وذنبٌ**[٧] **يغفرُ له** »[٨] .

---

(١) سورة النور ، الآية (٣١) .

(٢) إسناد متروك . فيه الكلبي وهو : محمد بن السائب بن بشر الكلبي ، أبو النضر الكوفي ، النسابة ، المفسر ، متهم بالكذب ، ورمي بالرفض ، التقريب ص٤٧٩ .

ـ قال السيوطي في الدر المنثور ١٨٥/٦ : أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) إسناده صحيح . ومعمر هو ابن راشد ، وقتادة هو ابن دعامة السدوسي .

(٤) سورة الزمر ، الآية (١٠) .

(٥) إسناده صحيح .

(٦) النون : الحوت ، النهاية في غريب الحديث ١٣٠/٥ .

(٧) في نسخة (ب) : وذنباً . وهو تصحيف .

(٨) إسناده ضعيف فيه : بقية بن الوليد بن صائد الكلاعي ، أبو يحمد ، صدوق كثير التدليس عن الضعفاء ، التقريب ص١٢٦ . وعبد الرحمن بن سليمان بن أبي الجون العنسي ، أبو سليمان الداراني ، صدوق يخطئ ، وهو غير الزاهد المشهور ، انظر التقريب ص٣٤١ ، وأبو سعد هو : هو سعيد بن المرزبان البقال ، كما جزم بذلك الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي ـ رحمه الله ـ في تعليقه على « كشف الأستار عن زوائد البزار » (١٣٤٢) ، وهو ضعيف مدلّس ، التقريب ص٢٤١ . ومعاوية بن أبي إسحاق بن طلحة بن عبيد الله التيمي أبو الأزهر ، صدوق ربما وهم ، التقريب ص٥٣٧ . أخرجه البيهقي في ⇐

١٢٠ - حدثنا بقية بن الوليد ، عن يحيى بن مسلم ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « **مَنْ أكرمَ أخاهُ المسلمَ فإنما يُكرمُ الله عز وجل** »[١] .

آخر حديث عيسى بن سالم الشاشي

والحمد الله حق حمده

وصلى الله على خير خلقه

محمد المرتضى وآله وصحبه وسلم



شعب الإيمان ٥٣١/٧ من طريق المصنف به . قال البيهقي : « والمحفوظ عن سعيد عن ابن عباس من قوله موقوفاً » . وأخرجه البيهقي في الشعب أيضاً ٥٣٠/٧ بإسناده إلى أبي توبة عن عبد الرحمن بن سليمان به بنحوه .

(١) إسناده ضعيف فيه : بقية بن الوليد ، صدوق كثير التدليس عن الضعفاء . ويحيى بن مسلم بصري ، مجهول ، من مشايخ بقية - كما ذكر الحافظ ابن حجر - ، التقريب ص٥٩٧ . وأبو الزبير هو : محمد بن مسلم بن تدرس الأسدي مولاهم ، المكي ، صدوق إلا أنه يدلس ، مات سنة ١٢٦ ، التقريب ص٥٠٦ .

فهرس المصادر والمراجع

- الآحاد والمثاني لأحمد بن عمرو بن الضحاك الشيباني ، تحقيق الدكتور باسم فيصل الجوابرة ، دار الراية ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ .

- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، للأمير علاء الدين أبي الحسن علي بن بلبان الفارسي ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٩ هـ .

- الإخوان لابن أبي الدنيا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٩ هـ .

- الأدب المفرد للإمام البخاري ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ .

- الإرشاد في معرفة علماء الحديث ، للحافظ الخليلي القزويني ، تحقيق محمد سعيد عمر ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ .

- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .

- اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٤١٢هـ .

- الإكمال لابن ماكولا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ .

- الإكمال في ذكر من له رواية في مسند الإمام أحمد ، لأبي المحاسن الحسيني ، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي ، جامعة الدراسات الإسلامية ، كراتشي ١٤٠٦هـ .

- الأنساب للسمعاني ، تعليق عبد الله عمر البارودي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

- البداية والنهاية لابن كثير ، مكتبة المعارف ، بيروت .

- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

- تاريخ دمشق ، للحافظ ابن عساكر الدمشقي ، دار الفكر ، بيروت .

- التاريخ الصغير « الأوسط » للإمام البخاري ، تحقيق محمود إبراهيم زايد ، دار الوعي ، حلب ، الطبعة الأولى .

- التاريخ الكبير للإمام البخاري ، تحقيق هاشم الندوي ، دار الفكر ، بيروت .

- تاريخ يحيى بن معين برواية عثمان الدارمي ، تحقيق الدكتور أحمد محمد نور سيف ، دار المأمون للتراث ، دمشق ١٤٠٠ هـ .

- تحفة الأحوذي للمباركفوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

- تذكرة الحفاظ للإمام الذهبي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

- تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة لابن حجر العسقلاني ، مصورة دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى .

- تفسير الطبري ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠٥ هـ .

- تفسير عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، تحقيق الدكتور مصطفى مسلم ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ .

- تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني ، تحقيق محمد عوامة ، دار الرشيد ، حلب ١٤٠٦هـ .

- التقييد لمعرفة الرواة والسنن والمسانيد لابن نقطة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .

- تكملة الإكمال لابن نقطة ، تحقيق الدكتور عبد القيوم عبد رب النبي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .

- التلخيص الحبير لابن حجر العسقلاني ، تحقيق عبد الله هاشم ، المدينة المنورة ١٣٨٤هـ .

- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ .

- تهذيب الكمال للحافظ المزي ، تحقيق الدكتور بشار عواد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ .

- الثقات لابن حبان ، دار الفكر ، بيروت .

- الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى .

- الجهاد لعبد الله بن المبارك ، تحقيق : نزيه حماد ، الدار التونسية ، تونس ١٩٧٢م .

- حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ .

- خلق أفعال العباد للإمام البخاري ، تحقيق : الدكتور عبد الرحمن عميرة ، دار المعارف ، الرياض ١٣٩٨هـ .

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للإمام السيوطي ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثامنة ١٩٩٣ .

- دراسة في مناهج المحدثين للدكتور عامر حسن صبري ، والدكتور أمين القضاة ، جامعة الإمارات العربية المتحدة .

- دلائل النبوة لإسماعيل بن محمد الأصبهاني ، تحقيق : محمد محمد الحداد ، دار طيبة ، الطبعة الأولى .

- الزهد لابن أبي عاصم ، تحقيق : عبد العلي عبد الحميد ، دار الريان للتراث بالقاهرة ، الطبعة الثانية .

- الزهد لعبد الله بن المبارك ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

- الزهد وصفة الزاهدين لأحمد بن محمد بن زياد ، تحقيق مجدي فتحي السيد ، دار الصحابة ، مصر ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .

- زوائد عبد الله بن أحمد في المسند ، ترتيب وتخريج الدكتور عامر حسن صبري ، دار البشائر ، بيروت ، الطبعة الأولى .

- سؤالات الحاكم للدارقطني ، تحقيق موفق بن عبد الله ، مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ .

- سؤالات أبي داود لأحمد بن حنبل ، تحقيق الدكتور زياد محمد منصور ، مكتبة العلوم والحكم ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ .

- سنن الترمذي ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

- سنن الدارقطني ، تحقيق عبد الله هاشم ، دار المعرفة ، بيروت .

- سنن الدارمي، تحقيق فواز أحمد زمرلي وخالد السبع دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٧هـ.

- سنن أبي داود السجستاني ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت .

- السنن الكبرى للحافظ البيهقي ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، مكتبة دار الباز ، مكة المكرمة ١٤١٤هـ .

- سنن ابن ماجة القزويني ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ، بيروت .

- سنن النسائي الصغرى « المجتبى » تحقيق وترقيم الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ .

- سنن النسائي الكبرى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١١هـ .

- السنن الواردة في الفتن لأبي عمرو عثمان الداني ، تحقيق الدكتور ضياء الله المباركفوري ، دار العاصمة ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ .

- سير أعلام النبلاء للذهبي ، تحقيق شعيب الأرناؤط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ط٩ .

- شرح الزرقاني على الموطأ لمحمد بن عبد الباقي الزرقاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١١هـ .

- شرح صحيح مسلم للإمام النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٨هـ.

- شعب الإيمان للحافظ البيهقي ، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٠هـ .

- الشكر لابن أبي الدنيا ، المكتب الإسلامي ١٤٠٠هـ .

- صحيح البخاري ، تحقيق الدكتور مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير، بيروت ١٤٠٧هـ .

- صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

- صحيح ابن خزيمة ، تحقيق الدكتور محمد مصطفى الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ١٣٩٠هـ .

- الضعفاء الكبير للعقيلي ، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي ، بيروت ، الطبعة الأولى .

- الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ، تحقيق عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .

- الضعفاء والمتروكين ، للإمام النسائي ، تحقيق محمود إبراهيم زايد ، دار الوعي ، حلب ١٣٦٩هـ .

- طبقات الحفاظ للإمام السيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ .

- الطبقات الكبرى لابن سعد ، دار صادر ، بيروت .

أولاً : الإطار التاريخي والسياسي لحياة ابن حزم :

عاش أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم مابين سنتي (٣٨٤ ÷ ٤٥٦ هـ) ، وهذا يعني أنه عاصر أحداثاً سياسية كان لها الأثر البالغ على مستقبل الأندلس من جهة ، وعلى نفسيته هو من جهة ثانية ، فابن حزم - إن صح التعبير - من علماء الأندلس المخضرمين ؛ لأنه عاش فترتين مختلفتين من تاريخ بلاده :

أ- فترة ما قبل الفتنة البربرية (٣٨٤-٣٩٩ هـ) .

ب- فترة ما بعد الفتنة (٣٩٩-٤٥٦ هـ) .

فأما الفترة الأولى : فإن مقاليد الحكم فيها بالأندلس كانت بيد هشام بن الحكم [١] الذي ولي الخلافة الأمويّة من (٣٦٦ هـ) إلى (٣٩٩ هـ) وكان قد مات أبوه وخلفه في العاشرة من عمره ، فقامت على رعايته أمه « صبح » ، التي نجح الحاجب محمد بن أبي عامر في استمالتها إليه ، فاستطاع تسَنُّم ذروة الحُكم الحقيقي هو وأُسْرَتُه من بعده فترة زادت على ثلاثة عقود ، فطغى نفوذ العامرية على الخلافة الأموية ، وإن كان الحُكم باسمها في الظاهر [٢] . لكن ابن أبي عامر أعطى للأندلس هيبة بقيامه بخمسين غزوة خلال (٢٥) عاماً من ملكه ، لم يُهزم فيها قط . وبوفاة ابن أبي عامر (الذي تلقّب بالمنصور) سنة (٣٩٢ هـ) ، ثُمَّ وفاة ابنه عبد الملك الملقب بالمظفر سنة (٣٩٩ هـ) [٣] ، تغير حال الدولة بعد أن عرفت في عهديهما استقراراً سياسياً ، خاصة قرطبة موطن ابن حزم ومسقط رأسه .

وأما الفترة الثانية : فقد عاشت قرطبة فيها اضطرابات متوالية ، إذ تقلب الأمر فيها على عشرة حكام تولى أربعة منهم الحكم مرتين ، وبعض أولئك الحكام كانوا من الأمويين ، وهم :

١ - محمد الثاني بن هشام .

٢ - سليمان بن الحكم .

---

(١) راجع البيان المغرب ، لابن عذاري المراكشي (٢/٣٥٣-٣٥٤) .

(٢) نفس المصدر (٢/٣٧٢-٣٧٣) .

(٣) نفس المصدر (٣/٣-٢١) .

٣- هشام الثاني .

٤- عبد الرحمن الرابع .

٥- عبد الرحمن الخامس بن هشام .

٦- محمد الثالث بن عبد الرحمن .

٧- هشام الثالث بن عبد الرحمن [١] .

وبعضهم الآخر من بني حمود الحسنيين الذين استولوا على السلطة بقرطبة سنة (٤٠٦ هـ) ، وهم :

١- علي الناصر بن حمود .

٢- القاسم بن حمود .

٣- يحيى بن علي بن حمود [٢] .

ويصف ابن حزم الفتنة بقوله : « ... فتنة سوء أهلكت الأديان إلا من وقى الله ... » [٣] .

قال الدكتور عبد الحليم عويس : « ... وقد انفكت عروة الدين من النفوس ، بعد أن تفككت مشروعية الحكم ، فأصبح الأمر صراعاً جنسياً بين عرب وبربر وصقالبة ، واستعان بعضهم بالنصارى على بعض » [٤] .

قال ابن بسام (نقلاً عن ابن حيان القرطبي المؤرخ) : « كانت (سنوات : ٤٠٠-٤٠٧ هـ) شِداداً نكدات صِعاباً مشئومات ، كريهات المبدأ والفاتحة ، قبيحة المنتهى والخاتمة ، لم يعدم فيها حيف ، ولا فُورق فيها خوف ، ولا تم سرور ، ولا فُقد محذور ، مع تغير السيرة ، وخرق الهيبة ، واشتعال الفتنة ، واعتلاء المعصية ، وظعن الأمن ، وحلول المخافة » [٥] .

---

(١) راجع عنهم رسائل ابن حزم (٢/١٩٢-٢٠٨) .

(٢) نفس المصدر (٢/١٩٩-٢٠١) .

(٣) رسالة الرد على ابن النغريلة صـ٤٥ .

(٤) ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري صـ ٢٣ .

(٥) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : القسم الأول (١/٢٥) ، وكذلك المرجع السابق صـ٢٢ .

ـ مسند الشهاب لمحمد بن سلامة القضاعي ، تحقيق حمدي السلفي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ .

ـ مسند الطيالسي ، دار المعرفة ، بيروت .

ـ مسند عبد الله بن المبارك ، تحقيق صبحي السامرائي ، مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ .

ـ مسند أبي يعلى الموصلي ، تحقيق حسين سليم أسد ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ .

ـ مصنف ابن أبي شيبة ، تحقيق كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ .

ـ مصنف عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ .

ـ المعجم الأوسط للطبراني ، تحقيق طارق بن عوض الله الحسيني ، دار الحرمين ، القاهرة ١٤١٥هـ .

ـ معجم البلدان لياقوت الحموي ، دار الفكر ، بيروت .

ـ المعجم الصغير للطبراني ، تحقيق محمود شكور ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ودار عمار ، الأردن ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ .

ـ المعجم الكبير للطبراني ، تحقيق حمدي السلفي ، مكتبة العلوم والحكم ، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ .

ـ المغني في الضعفاء للإمام الذهبي ، تحقيق نور الدين عتر .

ـ المنتخب من مسند عبد بن حميد ، تحقيق صبحي السامرائي ومحمود الصعيدي ، مكتبة السنة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .

- المنتقى لابن الجارود النيسابوري ، تحقيق عبد الله عمر البارودي ، مؤسسة الكتاب الثقافية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .

- موضح أوهام الجمع والتفريق للخطيب البغدادي ، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ .

- الموضوعات لابن الجوزي ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، المكتبة السلفية ، المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ .

- موطأ الإمام مالك بن أنس ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، القاهرة .

- ميزان الاعتدال في نقد الرجال للإمام الذهبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى .

- نزهة الألباب في الألقاب لابن حجر العسقلاني ، تحقيق عبد العزيز بن محمد ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى .

- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير الجزري ، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود الطناجي ، المكتبة العلمية ، بيروت ١٣٩٩هـ .

* * *

الإبداع العربي القديم في الصناعة المعجمية

«دراسة في ضوء اتجاه الحقول الدلالية المعاصرة»

أ . د . صبيح التميمي*

التعريف بالبحث :

هذا بحث تناول جانباً من الدراسات الدلالية المعاصرة، عُرِف بالحقول الدلالية من حيث : التعريف بها، والكشف عن جذورها القديمة، وتبيان معالمها الأساسية، وإظهار الخلاف في تصنيفاتها ، وإبراز أهميتها ، ورَصْد محاولات التأليف فيها، مع ترجمة كاملة لعناوين أحد حقولها الرئيسية : حقل الموجودات، ومن ثَمّ الالتفات إلى ما يماثلها في تراثنا العربي القديم، مما عُرِف بمعاجم المعاني أو معاجم الموضوعات، من خلال دراسة مقارنة تطبيقية ـ تعمل لأول مرة ـ بين العناوين الحقلية لأقدم معجم عربي في هذا الميدان، وهو الغريب المصنّف لأبي عبيد القاسم بن سلاَم (ت ٢٢٤هـ)، وبين أكمل معجم غربي حديث وهو Greek New Testament .

وقد أظهرت النتائج وجود الالتقاء الكبير في العمل التطبيقي بينهما. ولذا فما وُصف بالثورة الكبرى ـ ويعنون بها معرفة الحقول الدلالية والتأليف فيها ـ هو أمر عرفه العرب القدماء، وخلّفوا لنا فيه دراسات تطبيقية.

ولعلنا بهذا الجهد نشارك الباحثين في تأصيل أسس الصناعة المعجمية العربية، ورَسْم خيوطها الأولى وأفكارها الإبداعية، على الرغم من ظهورها في زمن قديم غابت عنه شمس المعرفة التي ساعدت المحدثين على إحراز التقدّم العلمي والمنهجي الذي افتخروا به دائماً.

* أستاذ الدراسات اللغوية في كلية التربية - جامعة الإمارات العربية المتحدة ؛ ولد سنة ١٩٤٨م، وحصل على شهادة الدكتوراه في الدراسات اللغوية من جامعة الأزهر سنة ١٩٨٣ بمرتبة الشرف الأولى، عن رسالته (التفكير اللغوي عند العرب في العراق في القرنين الثالث والرابع الهجريين)، وله عدد من المحققات والأبحاث المنشورة، وشرح خاص منشور لألفية ابن مالك.

مقدمة

برز اتجاه الحقول الدلالية في الغرب بوضوح وتبلور في القرن العشرين ، وقد وصفه كلّ من :

- **بيار غيرو** « Pierre guiraud» بأنه : «ثورة كبرى في علم الدلالة العصري»[١] .

- **وستيفن أولمان** « Stephen Ullmann» بأنه : «انقلاب ثوري في اتجاه علم المعنى في السنوات الأولى من العقد الرابع من هذا القرن»[٢] .

ومع وجود الفارق الزمني الكبير ، سنجري المقارنة بين الفكر اللغوي العربي القديم والفكر الحديث ، من خلال النظر في صناعة أقدم عمل معجمي عربي في هذا الميدان قُدّر له الوصول إلينا ، وهو كتاب «**الغريب المصنّف**» لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ) ، ومقارنته بأنضج عمل غربي معروف في الحقول الدلالية ، وهو معجم «Greek New Testament» ، واخترنا المعجم العربي الأقدم ، مع ترْك المعجم المتأخّر الأكبر والأشمل ، وهو «**المخصّص**» لابن سيده (ت٤٥٨هـ) ، لأمور منها :

- إثبات معرفة العرب القدماء بهذه الصناعة المعجمية ، من دون أن يتأثروا أو يقلّدوا غيرهم في هذا الميدان .

- قُرب مادّة معجم الغريب المصنّف من الموسوعيّة .

من أهداف البحث : من أبرز ما نهدف إليه هو :

١ ـ التعريف بوجود صناعة معجمية عربية ـ قبل أكثر من أحد عشر قرناً ـ تلتقي في طرحها وتطبيقاتها العملية مع الصناعة المعجمية المعاصرة ، وأنها صناعة ذات تأثير منسيّ ، فإذا كانت الثقافة المعجمية الغربية المعاصرة قد رُبِطت في جذورها بالثقافة الهنديّة أو اليونانيّة من جانب ، وبروّاد القرن التاسع عشر ، ومن أبرزهم « De Saussur» من

(١) la - Semantique = علم الدلالة . الترجمة العربية ص١٠٤ .

(٢) Words and their use = دور الكلمة في اللغة . الترجمة العربية ص٢٣٦ .

جانب آخر ، فنحن ـ كغيرنا من الباحثين ـ نعمل على إيجاد صلة بين بعض جوانب هذه الثقافة اللغوية الغربية وبين أعمال اللغويين العرب القدامى ، من أجل إضافة أساس آخر لإثبات وجود الطفرة في تاريخ الفكر المعاصر ، والمتمثّلة في نقلة الأعمال اللغوية من الهنود أو اليونانيين إلى الغربيين المعاصرين مباشرة ، مع تجاهل دور العرب في هذا الميدان ، **وإذا نجحنا في إثبات هذه الصلة من خلال التشابه والتماثل في الطرح ، فإنّ الفكر المعجمي العربي سيثبت إبداعه ، ووضع يده على ما فكّر به الغربيون في عصرنا الحاضر** ، ووصفوه بأسمى الأوصاف وأعلاها ، وهذا لا يعني نفي وجود بعض الغربيين ممّن يعترف بدور العرب القدماء وامتلاكهم هذه الثقافة المعجمية في ذلك العهد المبكّر ، نظير ما صرّح به المستشرق **جون هاي وود** «J- Haywood» : «إنّ العرب في مجال المعجم يحتلّون مكان المركز ، سواء في الزمان أم المكان بالنسبة للعالم القديم والحديث»[١] .

وهي شهادة إطراء تصدق على هذا النشاط العربي القديم الفردي ، أي قبل تكفّل المجامع اللغوية بإصدار المعاجم ، واعتمادها وسائل حديثة .

٢ ـ **تعريف أبناء العربية بثقافة علمائهم المعجمية** ، ومن ثَمّ إشاعتها لتنمية الوعي المعجمي عندهم ، ومن ثمرات هذا الوعي ، ربطهم بالاستخدام العملي للغة الفصحى ، والبعد عن الاستخدام اللهجي المفرّق بين شعوب العربية ، من خلال توليد المعجم لقدرات لغويّة متنوّعة لدى القارئ .

٣ ـ **تقديم الفكر اللغوي العربي بمنظور حديث** ، وهو ما سيكون دافعاً ومشجعاً لاحترامه والاعتزاز به ورفده بما ينقصه ، سواء أكان في ميدان المنهج أم المادة ، ليصبح نِدّاً لنظائره الحديثة .

ولا يفوتني أن أذكر هنا أن الربط بين فِكْر قديم ـ غابت في عهده الطرق المنهجية الدقيقة ـ وبين فِكْر حديث توافرت له كلّ الوسائل الحديثة المتطوّرة ، مع اختلاف

---

(١) Arabic Lexicography / p . 2 .

حضارتيهما وأهداف كلّ منهما ، هو **قياس مع الفارق** ، ولكنّ إبداع علمائنا في مباحثهم المعجمية وتطبيقاتهم الرائدة - وإن لم يُنظّروا لها - تدفعنا إلى هذه المقارنة .

الحقل الدلالي : Semantic field :

مع بداية القرن العشرين ، برزت الدراسات الدلالية ذات الصبغة العلمية ، فالمصطلح العلمي «semantique»[١] بالفرنسية ، الذي صار عنواناً للدرس الدلالي ، لم يشتهر إلا في عام ١٨٨٣م ، وقد نسب **جفري ليش** «G . leech»[٢] ريادة استخدامه للمرّة الأولى باعتباره مصطلحاً لغوياً للغوي الفرنسي **ميشيل بريل** «Michil Breal» ، في دراسة له نُشِرت باسم «القوانين الفكرية للكلام مقاطع من علم الدلالة» عام ١٨٨٣م بباريس ، ثم تُرجم المصطلح إلى اللغة الإنجليزية بـ «semantics» عام ١٩٠٠م ، وإلى الألمانية بـ «semantik» ومن ذلك التاريخ توجّهت أنظار المحدثين على اختلاف توجّهاتهم العلمية إلى دراسة المعنى ومشكلاته .

ولهذ الدراسة جانبان هما : معجمي يدرس الوحدات المعجمية ، **وسياقي** يدرس التراكيب .

وما يعنينا - الآن - هو دراسة الوحدات المعجمية «الكلمات» وتحديد معانيها ، وهو جانب تناولته نظريات عدّة ومن وجوه مختلفة ، ومن هذه الوجوه ما عُرِف بـ « الحقول الدلالية semantics fields » .

وما يراد بالحقل الدلالي هو : **وجود عدد من الكلمات تنضوي تحت عنوان دلالي واحد ، لارتباطها بملامح دلالية مشتركة** ، نظير **كلمات حقل جماعة الإنسان** الذي يضمّ : ثُبة ، رهط ، زُمرة ، زمزمة ، صُبّة ، عِذْقة ، نَفَر .

---

(١) Ullmann , words and their use / p . 8 . ، وكذا ترجمة الكتاب العربية ص١٤ ، أما المصطلح السابق له فهو المصطلح الألماني «Semasiologie» أي دراسات الدلالات .

(٢) Ensyclopaedia of linguistics : senantics , p . 499 ، أما Ullmann فقد نسب إلى «Trier» ابتكار مصطلح الحقل اللغوي «Linguistics field» . انظر : دور الكلمة في اللغة ، الترجمة العربية ص٢٣٧ .

وكلمات **حقل السَّيْر** الذي يضمّ : أفاج ، بختر ، تسلّق ، جرى ، حبا ، خشَف ، دبّ ، دلف ، رسَف ، دهمج ، زأزأ ، سار ، سبح ، طار ، عشَز ، قَبَن ، قزَل ، هدَج ، هرول . وشيء طبيعي أن تختلف دلالات هذه الكلمات من حيث نوع الحركة وصاحبها وسرعته واتّجاهه ، ولكنّها جميعاً تُذكر تحت حقل السير .

فالحقل - إذن - يمثّل مجالاً رئيسياً من المعاني يشتمل على مجالات فرعية متدرّجة تنضوي تحت العنوان الرئيسي ، ولكلّ مجال فرعي كلمات معيّنة ترتبط فيما بينها بعلاقات دلالية مشتركة .

ولهذا حدّ **ستيفن أولمان** «S . Ullmann» الحقل بأنه : «وحدة متناسقة متكاملة من المفردات اللغوية تغطّي مجالاً معيناً من مجالات الحقيقة والواقع»[١] .

وحدّه **فرانك بالمر** «F . Palmer» بأنه : «قائمة كلمات تشير إلى عناصر صِنْف معين»[٢] .

وحدّه **جون لاينز** «J . Lyons» بأنه : «مجموعة جزئية لمفردات اللغة مرتبطة رأسياً ونحوياً»[٣] . وأصحاب هذا الاتجاه يرون أنّ الكلمة مرتبطة بمثيلاتها التي تشكّل معها حقلاً دلالياً ارتباطاً وثيقاً ، فلا ينكشف المعنى الدقيق للكلمة عندهم إلا من خلال كشف علاقاتها وارتباطاتها بأخواتها في الحقل نفسه ، أي دون حاجة إلى بيان معناه المثبت في معاجم الألفاظ .

وأقوالهم في هذا الاعتقاد واضحة ، من ذلك :

- قول **جون لاينز** «J . Lyons» : «لا يمكن فَهْم أية كلمة على نحو تامّ بمعزل عن

---

(١) Words and their use = دور الكلمة في اللغة . الترجمة العربية ص٢٣٧ ، وانظر الترجمة العربية له ص٨٠ .

(٢) Semantics . p . 69 .

(٣) Semantics . p . 268 .

الكلمات الأخرى ذات الصلة بها والتي تحدّد معناها»[١] .

- وقول **فرانك بالمر** «F . Palmer» : «نستطيع أن نحدّد معنى الكلمات بموجب ارتباطها بالكلمات الأخرى»[٢] .

- وقول **ستيفن أولمان** «S . Ullmann» : «كلّ فرد من أفراد الحقل يستمد قيمته ومعناه من المجموع كلّه»[٣] .

وفكرة هذه الأقوال وغيرها هو : إنْ كان أصحاب السياق يرصدون معنى الكلمة من خلال ورودها في سياق تركيبي واحد ، فإنّ أصحاب الحقول الدلالية يرصدونه من خلال علاقتها مع جاراتها في الحقل الواحد ، ومن هنا تبرز ثورية هذا الاتجاه على المناهج السابقة التي تركّز في استكشاف المعاني على الألفاظ مفردةً ، واستبدالها بأسلوب جديد هو : استكشاف المعاني من خلال البحث في دلالة قِطاعات متكاملة من الألفاظ ذات التلاؤم ، أو التقارب ، أو التماثل الدلالي .

جذور اتجاه الحقول الدلالية المعاصرة :

يمكن إعادة الجذور الأولى لهذا الاتجاه إلى جملة **أقوال ومحاولات عملية** لأهداف مختلفة من علماء لغة ، أو علماء انثروبولوجيا ، لفتت أنظار العلماء في القرن العشرين إلى الحقول الدلالية والتأليف فيها ، أبرزها :

١ - مشروعا جورج دالجارنو «G . Dalgarno» ، **وبشوب جون ولكنز** «B . J . Wilkins»[٤] لابتداع لغة عالمية يمكن للناس أن يعبّروا بها عن أفكارهم ، غير أنّ عمل «ولكنز ، لندن ١٦٨٨م» المعروف بـ :

---

(١) Language , meaning and context = اللغة والمعنى والسياق . الترجمة العربية ص٨٣ .

(٢) Semantic , p .67 . وانظر الترجمة العربية ص٧٧ .

(٣) Words and their use = دور الكلمة في اللغة . الترجمة العربية ص٢٣٧ .

(٤) Robins. Ashort histore of linguistics p 114 ، وانظر الترجمة العربية ص١٩٥ ، وكذا Guiraud/١٣٢ .

Essay towards a real character and philosophical language هو الأكثر شهرة واكتمالاً وتفرّداً ، جاء في أكثر من ٤٠٠ صفحة ، وهو عبارة عن مخطّط كامل للمعرفة الإنسانية التي صنّفها المؤلف في حقول رئيسية ، هي : العلاقات المجرّدة ، الأفعال ، العمليات والمفاهيم المنطقية ، الأنواع الطبيعية ، العلاقات المادية العرفية بين الناس ، ثم قسّم هذه الحقول إلى تقسيمات فرعية مُثّلت بأشكال مكتوبة برموز .

٢ ـ قول اللغوي الألماني وهلم فون همبولت «W . Von - Humboldt»(١) (١٧٦٧-١٨٣٥م) صاحب فكرة البنية الدلالية والقواعدية للغة ، وأنّ اللغة نظام ترتبط جميع أجزائه أحدها بالآخر : «إن الأفكار المتعلّقة بتقسيمات اللغة إلى حقول ، سوف تصبح عناصر ذات أهمية كبرى في نظرية المستقبل للبناء الداخلي ، لبحث تقسيمات معاني الحقول والأجزاء الأقلّ في البناء الداخلي» .

٣ ـ معجم بيتر مارك روجيه «P . M . Roget» (١٨٥٢م) ، المتأثر بعمل W . ilkins(٢) السابق له بمائتي عام ، والمرتّب على حسب الأفكار أو الموضوعات في ستة حقول رئيسية ، هي : العلاقات المجردة ، المكان ، المادة ، الفكر ، الإرادة ، العواطف ، ثم قُسِّمت هذه إلى حقول فرعية قاربت الألف ، ووُسِم المعجم باسم : «موسوعة الكلمات والعبارات الإنجليزية» Thesaurus of English Words and Phrases .

٤ ـ قول دي سوسير «Ferdinand - de - Saussure» (١٨٥٧-١٩١٣م) : «إن اللغة نظام من العناصر معتمد بعضها على بعض ، تنتج قيمة كلّ عنصر من وجود العناصر الأخرى في وقت واحد»(٣) .

وكذا قوله أيضاً : «إنّ الكلمات التي تعبّر عن أفكار متقاربة في اللغة الواحدة يحدّد

---

(١) Lyons , Semantics , p . 250

(٢) Robins . p . 114

(٣) Course in General Linguistics = علم اللغة العام ، الترجمة العربية ص١٣٤-١٣٥ ، وانظر Sampson Geffrey = المدارس اللغوية ، ترجمة الكراعين ص٤١ .

بعضها البعض»[١] . واستشهد بالكلمات الفرنسية Redouter (يرعب) ، و Craindre (يخاف) ، و Avoir peur (يشعر بالخوف) ، وأشار إلى الروابط المشتركة بينها ، وأنّ هذه الروابط «تستمد قيمتها من التقابل فيما بينها»[٢] .

ومن هذه الأفكار استنتج De - saussure أنّ «**قيمة كلّ عنصر تتحدد طبقاً للمحيط الذي تُذكَر فيه**»[٣] . فكلمة «**المتوسط**» في الطول مثلاً لا يُفهَم معناها تماماً إذا أخذناها علامة مستقلّة عن غيرها ، بل ينكشف معناها العام إذا نظرنا إليها من خلال الكلمات المحيطة بها في حقلي الطول والقصر ، كالطويل ، والشخيص ، والضُّبارِك ، وكذا القصير ، والحَنْبَل ، والمُجَذَّر ، والقَزَم .

٥ ـ **قول مايير** «R. M. Meyer» (١٩١٠م) عند دراسته لحقل الرتب العسكرية : «إنّ كلّ عبارة ضمن مدوّنة الرتب العسكرية تكتسب قيمتها من موقعها داخل مجموع المصطلحات التي تشكّل بدورها نظاماً دلالياً»[٤] .

٦ ـ تشديد ل . **ويسغربر** «L. weisgerber» (١٩٣٦م) على ترابط مفاهيمنا وكلماتنا وخضوعها المتبادل لبعضها ، وإشارته إلى إمكانية تقسيم أسماء الطيف بطريقة مغايرة ، وأنّ الأقدمين كان مقياسهم مختلفاً عن مقياسنا ؛ لأنه كان يعكس شكلاً مختلفاً لتجزّئ الواقع .

وبهذا فتح **ويسغربر** ـ كما يقول بيار غيرو P. Guiraud ـ : «**أفقاً أمام دراسة الحقول الألسنية**»[٥] .

---

(١) المراجع السابقة .

(٢) G - Mounin = مفاتيح الألسنيّة ، الترجمة العربية ص١٢٦ .

(٣) علم اللغة العام ، الترجمة العراقية ص١٣٥ .

(٤) P , Guiraud . علم الدلالة ، الترجمة العربية ص٩٨ .

(٥) المرجع السابق .

٧ ـ قول اللغوي الفرنسي فندريس «J. Vendryes» قبل منتصف القرن العشرين : «ليس في الذهن كلمة واحدة منعزلة ، فالذهن يميل دائماً إلى جمع الكلمات ، واكتشاف عُرىً جديدة تجمع بينها»[١] .

وأخيراً فَمِثْل هذه الأقوال والتطبيقات السابقة والمعاصرة كانت منبهة للعلماء من أجل التوجّه العملي صوْبَ فكرة الحقول الدلالية ، وتحديد دلالات الألفاظ من خلال جمع المتشابه منها ، والمتقارب ، والمتماثل في مجالات دلالية محدّدة .

* * *

من أساسيّات التصنيف الحقلي :

لا بدّ لهذا التصنيف من :

١ ـ تخطيط عام لبناء المعجم من حقول رئيسية وحقول فرعية متفرّعة منها ، على وفق الأهداف المرسومة له .

٢ ـ جمع الوحدات المعجمية من النصوص الأساسية والثانوية ، ورواة اللغة .

٣ ـ توزيع الوحدات المعجمية على حقولها بحسب التخطيط العام المختار ، بمعنى تحديد كلّ مجموعة من الوحدات التي تجمع بينها رابطة دلالية مشتركة ، وتوضع في حقل واحد يحمل عنوان تلك الرابطة الدلالية ، نظير :

حقل الألوان ، وحقل الأمراض ، وحقل الحيوانات ، وحقل الرتب العسكرية ، وحقل القرابة ، وحقل الطيور ، وحقل النباتات . . . اعتقاداً منهم ـ كما ذكرنا ـ أنّ دلالة كلّ وحدة معجمية لا تتّضح تماماً إلا من خلال بيان دلالات جاراتها في الحقل نفسه ، فدلالة «اللون الأحمر» لا تنكشف تماماً إلا من خلال معرفة دلالات الوحدات : الأصفر ، والبرتقالي ، والقرمزي .

(١) Langauge . علم اللغة ، الترجمة العربية ص٢٣٢ .

من هذا يتّضح أنّ الأساس العام - إذن - هو جَمْع المتقارب والمتماثل دلالياً ، وتصنيفه في حقول على حسب المعاني والمفاهيم التي تعارفت عليها اللغة .

* * *

تعدّد أنظمة تصنيف الحقول الدلالية :

عملية تصنيف الحقول ليست بالأمر اليسير ، فقد برزت فيه - على مختلف العصور - اجتهادات شخصية متعدّدة ، ومشكلات متنوعّة تكمن في كيفية تصنيف الحقول الدلالية على حسب مفاهيمها ، وتحديدها على مستويات ثلاثة ، هي :

تحديد الحقل ، وتحديد الوحدات المعجمية داخل الحقل ، وتحديد العلاقة بين الحقول كما ذكر Raymond le blanc and Claude Germain[١] من حيث علاقة الترادف synonymy (كالأم والوالدة) ، أو علاقة التضمّن hyponymy (كالحيوان والحصان) ، أو علاقة التضادّ Antonymy (كالميّت والحي) ، أو علاقة التنافر incompatibilty (كالفرس والخروف) ، أو علاقة الجزء بالكلّ part- whole relation (كاليد والجسم) .

ونتيجة الاجتهادات الشخصية المتعددة ، برز الخلاف الكبير بين أصحاب هذا الاتجاه الدلالي - على اختلاف لغاتهم - حول أسس التصنيف ، مع كون أغلبها يعبّر عن مفاهيم مشتركة بين اللغات ، وإلى هذا أشار **فرانك بالمر** «F . Palmer» (١٩٨١م) ، فقال : « ليست هناك طريقة طبيعية بقدر ما يتعلّق الأمر بمعنى هذه العناصر لترتيبها في أيّ نوع من النظام » ، لكنّه استثنى احتمال صحّة الترتيب الألفبائي ، أو الترتيب المتسلسل لأيام الأسبوع ، أو للمقاييس ، أو للأرقام[٢] .

ومن مصاديق هذا الخلاف في التصنيف هو :

١ - تصنيف ماير «R. Meyer» (١٩١٠م) إلى :

---

(١) La Semantique = علم الدلالة ، الترجمة العربية ص٥٦ .

(٢) Semantics , p. 70 . وانظر الترجمة العربية ص٨١ .

- أشياء طبيعية ، Natural things (الإنسان ، والحيوان ، والنبات) .
- أشياء صناعية ، Artificial things (الآلات ، والإنشاءات) .
- أشياء شبه صناعية Semi Artifcial things (مصطلحات المهن)[(١)] .

٢ ـ تصنيف وارتبورغ وهاليج «Wartburg and Hallig» (١٩٥٢م) إلى :

- حقول الكون ، Comos fields .
- حقول الإنسان ، Human fields .
- حقول علاقة الإنسان بالكون The relation between human and cosmos fields[(٢)] .

٣ ـ تصنيف ستيفن أولمان «Stephen Ullmann» إلى :

- حقول الأشياء المحسوسة المتصّلة :concrete and continuous fields (كالألوان) .
- حقول الأشياء المحسوسة المنفصلة : concrete fields with discrete element (كالحيوانات أو النباتات) .
- حقول الأشياء التجريدية : Abstract fields (كالأمانة ، والشجاعة)[(٣)] .

٤ ـ تصنيف يوجين نيدا «Eugene Nida» الوظيفي إلى[(٤)] :

- حقول الموجودات : Entities fields (كالإنسان ، والحيوان ، والنبات) .
- حقول الأحداث : Events fields (كالأفعال : الركض ، والمشي ، والقطع) .
- حقول المجرّدات : Abstracts fields (كالألوان) .

---

(١) نقلاً عن علم الدلالة ، د . أحمد مختار عمر ص٨٣ .

(٢) Ullmann , meaning and style , p . 34 ، وانظر مبادئ في علم الأدلة ، الترجمة العربية ص٧٣ .

(٣) Ullmann meaning and style . p27 , and Semantics . p .19 .

(٤) Nida , Componential Analysis of meaning . p . 175 ، وانظر كتابه «علم الترجمة» ، الترجمة العربية ص١٣٤ .

ـ حقول العلاقات : Relationals fields (ما يربط بين الأشياء والأحداث والمجرّدات) .

وفي اختلاف هذه التصنيفات وغيرها إشارة واضحة إلى عدم اتفاقهم على نوع معين من التنظيم لهذه الصناعة المعجميّة ، مع كلّ ما أوتوا من تطوّر في وسائل المنهج ، وتقدّم في الفكر العلمي ، وإلى هذا أشار نيدا «Nida» بقوله : «قوائم الحقول الدلالية لا زالت تجريبية» .

* * *

أهمية التصنيف الحقلي : من أبرز معالم هذه الأهمية :

١ ـ **المحافظة على ألفاظ اللغة وسلامتها** ، لكون هذه المصنّفات معاجم ، والمعاجم مستودعات حافظة للغة .

٢ ـ **ربْطُ المتناثر في كتب اللغة ومعاجمها** من ألفاظ مختلفة معبّرة عن قِطاع واحد من المعاني بشكل تصنيف منظّم متدرّج ، وتقديمها لأبناء اللغة وأدبائها خاصّة ، للإفادة منها والتعمّق في موضوعات دلالاتها ، والاختيار منها كل بحسب غرضه ، **فحقل الضرب** ـ مثلاً ـ يضمّ الوحدات المعجمية : **الخبْط** ، **والرّفس** ، **والرّكل** ، **والصّفع** ، **واللّعْس** ، **واللّفع** ، **والنّكْع** ، فعلى وِفْق التصنيف الحقلي سيجدها القارئ بكلّ سهولة ، أما البحث عنها وهي متفرقّة في المعاجم وكتب اللغة ، دون معرفة أولية بها ، فهو أمر ليس باليسير .

٣ ـ **الكشف عن العلاقات التي تربط بين ألفاظ الحقل الواحد** ، وعن السمات الدلالية لكلّ وحدة معجمية داخل الحقل من أجل بيان معناها الدقيق ، بخلاف المعاجم الأخرى ذات التنظيم اللفظي فإنها تضع كلّ كلمة في مكانها حسب الترتيب الهجائي دون رصد العلاقات بينها .

٤ ـ **الكشف عن قُدرة اللغات في التعبير عن المعاني** ومفاهيم الحياة ، ومعرفة الفجوات المعجمية التي لم تعبّر عنها ، بسبب غياب مفاهيم ألفاظها لاختلاف مظاهر الحياة

وثقافة المجتمع ، وتقاليده وتجاربه ، وهذا يقودنا إلى الكشف عن تصوّر اللغات الشامل لحقول المفاهيم ، وهو تصوّر - دون أدنى شك - مختلف فيه للأسباب المشارْ إليها ، وهذا أمر ذو شأن في ميدان الدراسة اللغوية المقارنة .

* * *

أبرز محاولات التأليف في الحقول الدلالية :

للألمان ومَن تبعهم - مِن علماء أوربا وأمريكا سواء أكانوا علماء لغة ، أم علماء إنسان «Anthropologists» ، أم علماء نفْس - دور كبير في ريادة التطبيق العملي لهذا الاتجاه في التصنيف ، من هؤلاء :

١ - اللغوي الألماني إبسن « G . Ipsen ١٩٢٤م» .

تمثل عمله بجمع الوحدات المعجمية لحقل **الأغنام** «Sheep» في اللغات الهندوأوربية ، ومما هو جدير بالذّكر أنّ عمل Ipsen جاء بعد ثمان وعشرين سنة من نَشْر رسالة «الشاء» للراوية العربي القديم **الأصمعي** بمجلة إسلاميكا / فيينا ، عام ١٨٩٦م[١] ، وقد نُسب إلى Ipsen أنّه أوّل مَن استخدم المصطلح المركّب Semantic field ، وأنّه من شبَّه تلاحم علاقات الوحدات المعجمية داخل الحقل الواحد بـ «الفسيفساء» قبل «G . Trier»[٢] .

٢ - الفيلسوف الألماني جوست تراير « Gost . trier ١٩٣١م» .

تمّثل عمله في جمع الوحدات المعجمية المتعلقة بالحقل المفاهيمي (conceqtul field) **للذكاء في اللغة الألمانية** في حقبتين تاريخيتين هما : القديم والمتوسط ، القرنان الثالث عشر والرابع عشر في كتابه «المفردات الألمانية في المقياس التصوّري للإدراك» :

(١) أعدتُ نشره في بيروت عام ١٩٨٧م ، وفي القاهرة عام ١٩٩٢م .

(٢) Ullmann , Semantic . p . 244 ، وانظر نظرية الحقول الدلالية ، د. محمود جاد الرب ، مجلة مجمع القاهرة ٧١/١٩٩٢/٢١٧ .

Der Deutsche wortschatz im sinnbezirk des verstandes [١].

ولهذا الفيلسوف يعود الفضل في بلورة أفكار التصنيف الحقلي ، ومحاولة وضْع الإطار العام والمعالم الأساسية له ، وقد لخّصها Claude Germain و Raymond le Blanc أستاذا جامعتي مونتريال وأوتاوه بـ :

أ ـ مجموع الألفاظ للغة معيّنة تكون مبنيّة على مجموعة متسلسلة لحقول معجميّة .

ب ـ كلّ مجموعة منها تغطّي مجالاً محدّداً على مستوى المفاهيم .

ج ـ كلّ حقل من هذه الحقول متكوّن من وحدات متجاورة مثل حجارة الفسيفساء [٢] .

أي إنّ الوحدات المعجمية متجاورة بانتظام وبتماسك ، كما هو الحال في اتحاد عناصر حجارة الفسيفساء وانتظامها وتماسكها ، وإلى مثل هذا ذهب اللغوي الإنجليزي المعاصر «John Lyons» ، فوصف اللغة بأنها : «شبكة واسعة معقّدة من علاقات المعاني ، أي إنها تشبه نسيج العنكبوت الواسع المتعدّد الأبعاد ، يمثّل كلّ خيط فيه إحدى هذه العلاقات ، وتمثّل كلّ عقدة فيه وحدة معجمية مختلفة» [٣] .

ولا يفوتني أن أذكر هنا اعتراف Trier بتأثره بمفاهيم سابقيه اللغوية ، نظير Humboldt و Weisgerber و De Saussure [٤].

ونظراً لتجاوز «Trier» مرحلة الأفكار النظرية إلى مرحلة التطبيق ، ومرحلة التنظير الرائد لهذا الاتجاه الدلالي ، فقد أثار عمله التطبيقي زوبعة من الآراء والدراسات ، ما بين مؤيد أو شارح أو ناقد [٥] ، حتى أفرزت كلّ هذه تصورات جديدة لهذا التصنيف الدلالي

---

(١) هذا ما ذكره Guirad ، وذكر الاسم بعنوان آخر . انظر Palmer Semantic . P . 68

(٢) في كتابهما علم الدلالة ، الترجمة العربية ص٥٤ .

(٣) اللغة والمعنى والسياق ، الترجمة العربية ص٨٣ .

(٤) انظر نظرية الحقول الدلالية ، د. محمود جاد الرب ص٢٢١ .

(٥) انظر الحقول الدلالية عند تراير ، د. صالح سليم الفاخري ، بحث مخطوط بمكتبتي .

لسنا بصدد ذكرها .

٣ ـ اللغوي الألماني دور نسايف « F. Dorn Seiff قبل ١٩٣٣م» :

تمثّل عمله في معجم جمع فيه وحدات معجميّة مصنّفة في عشرين حقلاً دلالياً ، يتفرّع من كلّ حقل حقول جزئية أصغر فأصغر ، باسم «الكلمات الألمانية في مجموعات مبوّبة = Der Deutsche Wortschatz Nach Sachgruppen» [١] .

٤ ـ عالم الاجتماع الفرنسي جورج ماتوري «George , matore ١٩٣٥م» :

تمثّل علمه في كتابه «منهجة العلم المعجمي» La methode en lexicologie [٢] ، الذي خصّه بالحقول **المفهومية للفن والتقنية** من وجهة نظر الثبات والتغيير ، في الفترة مَا بين عصر النهضة حتى نهاية القرن التاسع عشر ، ودراسته محاولة لتفسير مجتمع بأسره ؛ لأن العلم المعجمي ـ عندهم ـ هو سلوك اجتماعي يستعين بالكلمات .

٥ ـ اللغوي الدنماركي لوي هيلمسلف «Louis , Hjelmslev ١٩٥٣م» :

تمثّل عمله بدراسة الوحدات المعجمية لحقل **الألوان** في كلّ من الإنجليزية والويلزية الأدبية ، من خلال ثلاثة متغيرات ، هي :

أ ـ صفة اللون «تدرجه» Hue ، ويمكن قياسه بأطوال الموجات ، ورؤيته في الطيف الشمسي .

ب ـ اللمعان Luminosity «إشراقية اللون ونورانيته» .

ج ـ التركيز Saturation «درجة التحرّر من البياض» .

جاء هذا في كتابه «Prolegomena to a theory of laguage» [٣] .

٦ ـ الباحث الأمريكي يوجين نيدا «Eugene , Nida ١٩٦٤م» :

---

(١) Lyons , Semantics p . 300 ، وانظر أصول تراثية في علم اللغة ، د. كريم زكي ص٢٩٧ .

(٢) Guiraud ، علم الدلالة ، الترجمة العربية ص١٠٦ ، Barthes ، مبادئ علم الأدلة ص٧٣ .

(٣) Palmer . Semantic, P . 68

من أعماله : تصنيف الوحدات المعجمية لحقل معنى «**الضوضاء**» في إحدى اللغات المكسيكية .

وكذا جمع كلمات حقل معنى «**البحث**» في لغة المايا[١] .

٧ ـ العالم الآثاري غاردين «G . Gardin ١٩٦٥م» :

من أعماله جمع الوحدات المعجمية لحقل **الأدوات الأثرية والأوعية** مستخدماً نظام رموز يمكن لكلّ شيء من خلاله أن يتحدّد بوجود صغير من الملامح الدلالية ، نظير : وعاء مع عروة ، أو دونها ، وعاء مع أرجل أو دونها . . .

ونَشَره بعنوان «أربعة أنظمة رموز لوصف الأدوات»[٢] .

٨ ـ اللغوي الفرنسي بيار غيرو «Pierre . Guirad ١٩٦٨» :

من أعماله في هذا التصنيف دراسة الحقل الدلالي ـ الاشتقاقي لمفهوم الوحدة المعجمية **خدع** ـ وهي محاولة رائدة في بابها لأنّه ركّز في مسعاه على اكتشاف البنية الدلالية للكلمات ، انطلاقاً من المسلّمات التي تزوّد اللغة نفسها لمعرفة الاشتقاق ، وليس من الإجراءات المنطقية ، فهو يعني : أنّ دلالة الكلمة لها علاقة مع مادّة اشتقاقها .

ولـ « Guiraud » عمل حقلي آخر هو جمع الوحدات المعجمية لمفهوم «**الضربة ١٩٦٩**»[٣] .

٩ ـ عالما الإنسان الأمريكيان برلين ، وكي Kay paul and Berlin «Brent» «١٩٦٩م» :

تمثّل عملها الشهير بجمع الوحدات المعجمية لحقل **الألوان** ، من خلال تحليل وحدات ثمان وتسعين لغة ، وتوصّلا إلى : أنّ تصنيف الألوان في اللغات ليس عشوائياً ، وأنّ هناك مبادئ كامنة تشترك فيها أسماء الألوان في اللغات كافّة ، في كتابهما «أسماء الألوان

---

(١) Palmer . Semantic, p . 69 ، Nida Componential, p . 175

(٢) Guiraud ، علم الدلالة ، الترجمة العربية ص١٣٤ .

(٣) Guiraud ، علم الدلالة ، الترجمة العربية ص١٤٧، ١٤٩ . Raymond ، علم الدلالة ص٧٩ .

الأساسية «Basic color terms, los . angeles - 1969» ثم أجرى «kay، ١٩٧٥» تعديلاً بسيطاً على دراستها السابقة لتشمل بعض الألوان الأخرى[١]، في بحثه الموسوم بـ :

. Synchronicvarriability and diachronic change in basic colour terms

١٠ ـ اللغوي الفرنسي جورج مونان «Georges, Mounin ١٩٧٢» :

وتمثّل عمله في دراسة الوحدات المعجمية لحقلين هما :

حقل **الحيوانات الداجنة** ، وحقل **المساكن** ، وذلك في كتابه مفاتيح الدلالة[٢] .

. «clefs pour la - Semantique paris - 1972»

١١ ـ معجم العهد الجديد Greek New Testament[٣] :

وهو تصنيف حقلي باللغة اليونانية عُدّ من أنضح المحاولات السابقة وأكملها ، تضمّن تخطيطه العام أغلب مفاهيم الحياة بتصنيف منطقي في أربعة حقول رئيسية ، هي :

ـ الموجودات : Entities .

ـ الأحداث : Events .

ـ المجردات : Abstracts .

ـ العلاقات : Relations .

ثم يتفرّع من كلّ عنوان رئيس حقول فرعية متسلسلة ، ثم يتوزّع الفرع إلى حقول أصغر فأصغر أكثر دقّة وتفصيلاً ، وقد شكّل هيكله العام نظاماً شبكيّاً عنقوديّاً مؤلّفاً من مائتين وخمسة وسبعين حقلاً دلاليّاً على وفق التخطيط الآتي :

---

(١) Palmer, Semantic . p 72

(٢) Clefs pour La semantique ، مفاتيح علم الدلالة ، الترجمة العربية ص١٦٠ ، وانظر كتابه : مفاتيح الألسنية ، الترجمة العربية ص١٢٦ .

(٣) Nida Componenetial . . . p .178 ، وانظر علم الدلالة ، د . أحمد مختار عمر ص٨٥ .

شكل (١)

تخطيط عام « للحقول الدلالية الرئيسية » في

Greek New Testament



ما سبق هي الفكرة العامة للحقول الدلالية الغربية المعاصرة ، وبداياتها الأولى ، وأسس تصنيفها ، وأهميتها ، وأبرز المحاولات التطبيقية لها .

فإذا انتقلنا إلى تراثنا العربي ، فسنجد تراثاً معجمياً ضخماً تعود بدايته للقرن الثاني للهجرة «القرن الثامن الميلادي» بدوافع متعددة ، أبرزها :

- شرح ألفاظ القرآن الكريم وبيان معانيها .

- بيان معاني الشعر العربي .

- جمع ألفاظ اللغة في أوعية خاصة .

- حاجة المسلمين من الشعوب الأخرى للتعرف على معاني الألفاظ العربية .

- حاجة الأدباء والشعراء والكتاب إلى معرفة ألفاظ غائبة لمعاني مستحضرة في أذهانهم ، وهذا التراث المعجمي متنوع الصناعة ، والبيان الآتي يكشف تلك الضخامة وهذا التنوع :

المعاجم العربية(١) :

١ ـ معاجم المعاني « الحقول الدلالية » :

أ ـ ذات الحقل الواحد .

ب ـ ذات الحقول المتعددة .

٢ ـ معاجم الألفاظ :

أ ـ معاجم الترتيب المخرجي : العين للخليل ، البارع للقالي ، التهذيب للأزهري ، المحيط للصاحب ابن عباد ، المحكم والمحيط الأعظم لابن سيدة .

---

(١) المعجم العربي ١/٣٧ ، الدراسات اللغوية عند العرب ص٩٩ ، التفكير اللغوي عند العرب في العراق ص٥٠٣ ، معاجم الموضوعات ص٧٣ .

ب ـ **معاجم الترتيب الألفبائي :**

ـ **بحسب الأصل الأول** : الجيم للشيباني ، المقاييس لابن فارس ، المجمل لابن فارس ، أساس البلاغة للزمخشري .

ـ **بحسب الأصل الأول مع مراعاة التقليب** : جمهرة اللغة ، لابن دريد .

ـ **بحسب الأصل الأخير** : التقفية للبندنيجي ، الصحاح للجوهري ، العُباب للصغاني ، لسان العرب لابن منظور ، القاموس المحيط للفيروزآبادي ، تاج العروس للزبيدي .

ج ـ **معاجم الترتيب الصرفي «نظام الأبنية»** : ديوان الأدب للفارابي ، شمس العلوم لنشوان الحميري .

* * *

هذا التنوع في الصناعة المعجمية جاء على قسمين رئيسيين بناء على ركني الوحدة المعجمية : **فأوّلهما : معاجم المعاني** : وهي التي تتّخذ من المعنى أساساً في الترتيب ، وهو مدار هذا البحث .

وثانيهما : معاجم الألفاظ : وهي التي تتخذ من اللفظة أساساً في الترتيب ، سواء أكان الترتيب على وفق مخارج أصوات اللفظة ، أم كان على الترتيب الألفبائي ، أم كان على وفق أبنيتها ، أسماء كانت أم أفعالاً .

* * *

فهذا التراث الضخم يثبت لنا أن هناك صناعة عربية معجمية متعددة النظم عُرفت منذ القرن الثاني للهجرة ، **والذي يعنينا منها معاجم المعاني التي تعرف ـ أيضاً ـ بمعاجم الموضوعات** ، وقد وُسمت بمسمّيات متعددة منها : **الصفات ، والألفاظ ، والغريب** ، وغيرها ، وأساس فكرتها ـ كما أوضحنا ـ جمع الألفاظ في قطاعات دلالية يربط بين كلّ مجموعة معنى محدّد ، **فالمعنى** هو أساس الترتيب في هذا النوع من التصانيف .

وقد وصل إلينا منه نوعان :

أوّلهما : ما اختصّ بحقل دلالي واحد .

وثانيهما : ما اشتمل على حقول متعدّدة ، كثُرت أو قلّت .

فمِن النوع الأول وصلتنا رسائل تعدّ بالعشرات انفردت بحقل دلالي معين ، والرسائل في مجموعها شملت ميادين ومفاهيم حياتية مختلفة ، وممّا نُشِر منها :

١ ـ حقل الإنسان :

ـ خَلْق الإنسان للأصمعي ، (بيروت ١٩٠٣م) .

ـ خَلْق الإنسان لابن حبيب ت ٢٤٥هـ ، (القاهرة ١٩٤٤م) .

٢ ـ حقل الحيوان :

ـ الخيل لابن الكلبي ت ٢٠٤هـ ، (القاهرة ١٩٧٧م) .

ـ الإبل للأصمعي ت ٢١٦هـ ، (بيروت ١٩٠٣م) .

ـ الشّاء للأصمعي ت ٢١٦هـ ، (بيروت ١٩٨٧م) .

ـ الوحوش للأصمعي ت ٢١٦هـ ، (فينا ١٨٨٨م) ثم نشر في حولية كلية الإنسانيات ، جامعة قطر .

ـ الحيوان للجاحظ ت ٢٥٥هـ ، (بيروت ١٩٦٩م) .

٣ ـ حقل النبات :

ـ النبات والشجر للأصمعي ت ٢١٦هـ ، (بيروت ١٩١٤م) .

ـ النخل لأبي حاتم السجستاني ت ٢٥٥هـ ، (بيروت ١٩٨٥م) .

ـ الكرم لأبي حاتم السجستاني ت ٢٥٥هـ ، (بيروت ١٩٠٨م) .

ـ النبات لأبي حنيفة الدينوري ت ٢٨٢هـ ، (لندن ١٩٥٣) .

٤ ـ حقل المواضع والبلدان :

ـ جزيرة العرب للأصمعي ت ٢١٦هـ ، (بيروت ١٩١٤م) .

- الدارات للأصمعي ت ٢١٦هـ ، (بيروت ١٩١٤م) .
- البئر لابن الأعرابي ت ٣١١هـ ، (القاهرة ١٩٧٠م) .
- البلدان للجاحظ ت ٢٥٥هـ ، (بغداد ١٩٧٠م) .

٥ ـ حقل الأمطار :

- المطر لأبي زيد الأنصاري ت ٢١٤هـ ، (بيروت ١٩١٤م) .
- وصف المطر لابن دريد ت ٣٢١هـ ، (دمشق ١٩٦٣م) .

٦ ـ حقل الأنواء والأزمنة :

- الأيام والليالي والشهور للفراء ت ٢٠٧هـ ، (القاهرة ١٩٥٦م) .
- الأزمنة لقطرب ت ٢١٠هـ ، (بيروت ١٩٨٥م) .

٧ ـ حقل الأطعمة والأشربة :

- اللبن واللبأ لأبي زيد الأنصاري ت ٢١٤هـ (بيروت ١٩١٤م) .
- الأشربة لابن قتيبة ت ٢٧٦هـ ، (دمشق ١٩٤٧م) .

٨ ـ الحقول اللغوية :

- الأمثال للمفضّل الضبّي ت ١٧٠هـ ، (القاهرة ١٣٢٧هـ) .
- ما تلحن فيه العوام للكسائي ت ١٨٩هـ ، (القاهرة ١٣٤٤هـ) .
- المذكّر والمؤنّث للفراء ت ٢٠٧هـ ، (القاهرة ١٩٧٥م) .
- المنقوص والممدود للفراء ت ٢٠٧هـ ، (القاهرة ١٩٦٧م) .
- الأضداد لقطرب ت ٢١٠هـ ، (ألمانيا ١٩٣١م) .
- المثلّث لقطرب ت ٢١٠هـ ، (١٩١٤م) .
- الهمز لأبي زيد الأنصاري ت ٢١٤هـ ، (بيروت ١٩١٠م) .
- الاشتقاق للأصمعي ت ٢١٦هـ ، (بغداد ١٩٦٨م) .

ـ ما اختلف لفظه واتفق معناه [المترادف] للأصمعي ت ٢١٦هـ ، (دمشق ١٩٥١م) .

ـ المأثور [ما اتفق لفظه واختلف معناه] لأبي العميثل ت ٢٤٠هـ (القاهرة ١٩٨٨م) .

ـ القلب والإبدال لابن السكّيت ت ٢٤٤هـ ، (بيروت ١٩٠٣م) .

ـ المعرّب للجواليقي ٥٤٠هـ ، (القاهرة ١٣٦١هـ) .

* * *

ومن النوع الثاني : وهو مجموعة كتب اشتملت على حقول دلالية متعددة ، وقد جاءت في صورتين :

ـ **أولهما : مصنّفات ذات حقول متعدّدة لألفاظ منتقاة لهدف تعليمي** ، هو إعانة الكتّاب ، والشعراء ، وطبقات الناس الأخرى ، على معرفة الأسلوب الجزل ، والعبارات الرفيعة المنتخبة من محاسن كلام العرب ، لذا جاءت ألفاظ هذه المصنّفات وعباراتها أكثر التصاقاً بالحياة العملية يلخّصها قول أحد مؤلّفيها ، قدامة بن جعفر : « سأذكر ما يُختار ويُستحسن من الخطاب ، وقصد البلاغة بالمعنى . . . تتّسع بها مذاهب الخطاب ، وتنفسخ معها بلاغة الكتاب »[1] . ومما نُشر منه :

ـ الألفاظ لابن السكيت ت ٢٤٤هـ ، (بيروت ، ١٩٨٨) .

ـ الألفاظ الكتابية لعبد الرحمن الهمذاني ت ٣٢٠هـ ، (القاهرة ١٩٢٢م) .

ـ جواهر الألفاظ لقدامة بن جعفر ت ٣٣٧هـ ، (القاهرة ١٩٣٢م) .

ـ متخيّر الألفاظ لابن فارس ت٣٩٥هـ ، (بغداد ١٩٧٠م) .

ـ التلخيص في معرفة أسماء الأشياء للعسكري ت ٣٩٥هـ ، (دمشق ١٩٦٩م) .

---

(١) جواهر الألفاظ ص٣ .

وثانيهما : مصنفات ذات حقول متعدّدة ، حاولت أو قرُبت من تغطية مفاهيم حياتهم ، مع اختلاف في حجم وحداتها المعجمية ، ومما نُشِر منها :

- الغريب المصنّف لأبي عبيد القاسم بن سلام ت ٢٢٤هـ ، (تونس ١٩٨٩م) .
- المعاني الكبير لابن قتيبة ت ٢٧٦هـ ، (حيدر آباد الدكن ١٩٤٩م) .
- مبادئ اللغة للخطيب الإسكافي ت ٤٢١هـ ، (القاهرة ١٣٢٥هـ) .
- فقه اللغة للثعالبي ت ٤٢٩هـ ، (القاهرة ١٩٣٨م) .
- المخصّص لابن سيدة ت ٤٥٨هـ ، (القاهرة ١٣١٦هـ) .
- نظام الغريب للرَّبعي ت ٤٨٠هـ ، (دمشق ١٩٨٠م) .
- كفاية المتحفظ وغاية المتلفظ لابن الأجدابي الطرابلسي ، قبل ٦٠٠هـ ، (بغداد ١٩٨٦م).
- حدائق الأدب لمحمد الأبهري ت ٦٠٠هـ ، (الرياض ١٩٩٥م) .

وأولها وأقدمها «**الغريب المصنّف**» لأبي عبيد القاسم بن سلام ، فهو أول معجم موضوعي لحقول متعددة ، قُدّر له الوصول إلينا ، وكذا كونه مصدراً لكثير من معاجم اللغة وكتبها .

ومن أجل إثبات الإبداع العربي في هذه الصناعة المعجمية (الحقول الدلالية) في ذلك الزمن الموغل في القِدَم ، سنعمل على إجراء مقارنة سريعة في خطوط منهج التصنيف بينه وبين تصنيف أنضج عمل غربي في هذا الميدان ، وهو معجم Greek New Testament وذلك بعد إعطاء فكرة عامة عن المؤلّف ، ومنهج تصنيفه العام .

* * *

مؤلّف الغريب المصنّف[١] :

هو أبو عبيد القاسم بن سلاّم الخراساني أصلاً ، والعربي إقامة ، ولُد في حدود سنة ١٥٠هـ ، تلّقى علومه الأولى في مسقط رأسه ، ثم انتقل إلى البصرة والكوفة وبغداد ، ودرس علوم الشريعة والعربية على علماء هذه المدن ، حتى نبغ وصار مؤدّباً ، وفقيهاً ، ومحدّثاً ، بعدها تولّى قضاء طرسوس ـ في الشام ـ عام ١٩٢هـ ، ثم رجع إلى بغداد عام ٢١٠هـ ، بعدها سافر إلى مصر عام ٢١٣هـ ، وإلى مكة حاجّاً عام ٢١٩هـ ، وأقام فيها حتى وفاته ٢٢٤هـ .

ومن أبرز شيوخه : الكسائي ت ١٨٩هـ ، والفرّاء ٢٠٨هـ ، وأبو عبيدة معمّر بن المثنى ٢١٠هـ ، وأبو زيد الأنصاري ٢١٤هـ ، والأصمعي ٢١٦هـ ، وابن الأعرابي محمد ابن زياد ٢٣١هـ .

ومِن أشهر مَن تلقّى العلم عليه : ثابت بن أبي ثابت اللغوي (القرن الثالث) ، وأحمد بن حنبل إمام المذهب ٢٤١هـ ، والبخاري صاحب الصحيح ٢٥٦هـ .

ومِن كتبه المطبوعة :

ـ الأمثال ، (دمشق ١٩٨٠م) .

ـ غريب الحديث ، (حيدر آباد الدكن ١٩٦٤م) .

ـ الغريب المصنّف (تونس ج١-٣ ١٩٨٩م) ، (القاهرة ج١ ١٩٨٩) .

أما ما نُشرِ له نظير : الأجناس ، النخل ، السحاب والمطر ، الرحل والمنزل ، الوحوش ، والأضداد ، فهي أبواب مقتطعة من الغريب المصنّف في أغلب الظنّ .

الغريب المصنّف :

رسم أبو عبيد معجمه «الغريب المصنّف» في ستة وعشرين حقلاً رئيسياً ، سمّى كلّ

---

(١) ترجمته في طبقات الزبيدي ص١٩٩ ، وإنباه الرواة ٣/١٢ ، وتاريخ العلماء النحويين ص١٩٧٧ ، وبغية الوعاة ٢/٢٥٣ .

حقل كتاباً والحقول الرئيسية هي :

الإنسان ، النساء ، اللباس ، الأطعمة ، الأمراض ، الخمر ، الدور ، الخيل ، السلاح ، الطيور ، الأواني ، الجبال ، الشجر ، المياه ، النخل ، السحاب ، الأزمنة ، أمثلة الأسماء ، أمثلة الأفعال ، الأضداد ، الأسماء المختلفة للشيء الواحد ، الإبل ، الغنم ، الوحش ، السباع ، الأجناس .

وتندرج تحت كلّ عنوان حقول فرعيّة ، سمّى كلّ واحد منها «باباً» ، وقد تقلّ هذه الحقول أو تكثر ، وقد يطول كلّ منها أو يقصر ، وقد قاربت جميعاً التسعمائة باب ، وأبرز عناوينها كما رتّبها المؤلف :

كتاب الإنسان ونعوته ٢٩/١ ـ ١٣٣ :

باب نعوت خلق الإنسان ، باب نعوت العين ، باب أسماء النفس ، باب الألوان واختلافها ، باب الأصوات واختلافها ، باب أصوات كلام الناس وحركتهم ، باب الألسنة والكلام ، باب الأخلاق المحمودة في الناس ، باب الأخلاق المذمومة ، باب المجنون ، باب نعوت مشي الناس ، باب أسماء الجماعات من الناس ، باب جماعة أهل بيت الرجل وقبيلته ، باب الخدم ، باب أسماء الألوان ، باب الأسنان ، باب الولد والغذاء ، باب النسب ، باب أسماء القرابة في النسب والادّعاء .

كتاب النساء ١٣٥/١ ـ ١٦٥ :

باب النساء في أسنانهن ، باب نعوت النساء ، باب نعوت الخرقاء والفاجرة والعجوز ، باب نعوت النساء التي تكون بالهاء وبغير الهاء ، باب ذكر عشق النساء ، باب نعوت لباس النساء وثيابهن ، باب حِلي النساء ، باب نعوت تزيين النساء واللهو معهن ، باب مشي النساء ، باب أسماء حليلة الرجل ، باب نعوت الطيب للنساء وغيرهن .

كتاب اللباس ١/١٦٧ ـ ١٨٩ :

باب ضروب الثياب ، باب الطيالسة والأكسية ، باب القلانس والتبّان ، باب الخلقان من الثياب ، باب ألوان اللباس ، باب النعال ، باب الجلود ، باب القطن .

كتاب الأطعمة ١/١٩١ ـ ٢٨٨ :

باب أسماء أنواع الأطعمة ، باب أسماء الطعام الذي يتخذ من اللحم ، باب الخبز اليابس ، باب الشواء ، ما يفضّل في الإناء من الطعام ، باب العسل . أبواب اللبن ، باب الشراب ، باب العطش .

كتاب الأمراض ١/٢٢٩ ـ ٢٣٩ :

باب الأمراض ، باب أوجاع الحلق ، باب أوجاع البطن ، باب الوجع في الجسد والجدري ، باب وجع العين والعنق ، باب الوجع من التخمة وغيرها ، باب الجروح والقروح ، باب الشجاج وأسمائها ، باب كسر العظام وجبرها .

كتاب الخمر ١/٢٤١ ـ ٢٦٠ :

باب أسماء الخمر ، باب الجوع ، باب النوم ، باب ضروب الألوان ، باب السكوت ، باب الذهب والفضة ، باب شدة البصر ، باب وشم النساء ، باب وسخ الثياب والأسنان ، باب حلق الرأس ، باب بريق اللون ، باب السير ، باب الغصص بالطعام ، باب متاع البيت ، باب شدة النكاح ، باب ضروب الألوان ، باب الخدم ، باب الأشربة من غير الخمر ، باب القيء .

كتاب الدور والأرضين ١/٢٦١ ـ ٢٧٩ :

باب نعوت الدور وما فيها ، باب البناء وما أشبهه ، باب الأبنية من الخباء ، باب الطريق ومحجته ، باب نعوت الطريق ، باب الرحال وما فيها ، باب الرحى وما فيها .

كتاب الخيل ١/٢٨١ ـ ٢٩١ :

باب نعوت خلق الخيل ، باب نعوت الخيل في الجري ، باب نعوت الجري والعدو

من الخيل ، باب أصوات الخيل ، باب سير الخيل وجماعاتها ، باب عيوب الخيل ، باب قيام الخيل ، باب الجانب الوحشي والإنسي من الدواب ، باب أسماء الجيوش .

كتاب السلاح ١/٢٩٣ - ٣١٨ :

باب السيوف ، باب الرماح والأسنة ، باب القسّي ونعوتها ، باب السهام ونعوتها ، باب الدروع ونعوتها والبيض ، باب الترس ، باب الجعاب ، باب الطعن ونعوته والعَرَق ، باب الضرب على الرأس ، باب الضرب بالعصا وبالسوط ، باب الضرب الذي يسقط صاحبه من ضربة واحدة ، باب السكين .

كتاب الطيور والهوام ١/٣١٩ - ٣٣٥ :

باب نعوت الطير وضروبها ، باب عش الطير وفراخها ، باب أصوات الطير ، باب بيض الطير ، باب صغار الطير والهوام ، باب الجراد ، باب اليعاسيب والجنادب وأشباهها ، باب العضايا والحرباء وأشباهه ، باب الحيات ، باب العقارب ، باب النمل والقمّل ، باب الذباب ، باب القردان والحلم ، باب السلاحف والضفادع .

كتاب الأواني من القدور وغيرها ١/٣٣٧ - ٣٧١ :

باب القدور ونعوتها ، باب القصاع ، باب النار ونعوتها ، باب الآنية ، باب الشمس والقمر ، باب الحدث ، باب الغائط ، باب نوادر الأسماء ، باب نوادر الفعل .

كتاب الجبال ١/٣٧٣ - ٢/٤١٨ :

باب الجبال وما فيها ، باب ما دون الجبال من الأرض المرتفعة ، باب الحجارة والصخور ، باب الأودية ، باب مجاري الماء في الوادي ، باب الفَلَوات والفيافي ، باب الأرض المستوية ، باب الأرض ، باب أسماء التراب ، باب الرمال .

كتاب الشجر والنبات ٢/٤١٩ - ٤٣٨ :

باب أشجار الجبال ، باب ما ينبت منها في السهل ، في الرمل ، باب الحمض ، باب العضاه وسائر الشجر ، باب الآجام ، باب ابتداء نبات الأشجار وتوريقها وأثمارها ، باب

ابتداء النبات وإدباره ، باب الكمأة ، باب قطع الشجر .

كتاب المياه والقنيّ وغيرها ٢/٤٣٩ ـ ٤٧٧ :

باب السيل في الأودية ، باب الأنهار والقنيّ ، باب الماء المستنقع ، باب الآبار ونعوتها ، باب الحياض ، باب بقية الماء في الحوض ، باب نعت الدلو ، باب البكرة ، باب الحبال ، باب المزاد والأسقية ، باب تسمية أرض العرب والسير فيها ، باب السير في البلدان .

كتاب النخل ٢/٤٧٩ ـ ٤٩٢ :

باب ابتداء نبات النخل وصغارها ، باب نعوت سعف النخل وكربه وقلبه ، باب حمل النخل ، باب صرام النخل ولقاحه ، باب عيوب النخل ، باب السراب .

كتاب السحاب والأمطار ٢/٤٩٣ ـ ٥٠٢ :

باب السحاب ونعوته والأمطار ، باب السحاب المرتفع المتراكم ، باب السحاب الذي بعضه فوق بعض ، باب السحاب الذي لا ماء فيه ، باب السحاب الذي فيه رعد ، باب السحاب الذي فيه برق ، باب نعوت المطر .

كتاب الأزمنة والرياح ٢/٥٠٣ ـ ٥١٢ :

باب نعوت الأيام في الحرّ والبرد ، باب نعوت الليالي في شدّة الظلمة ، باب نعوت الأيام في شدتها ، باب أسماء أيام الشهر ، باب أسماء أوقات الليل ، باب نعوت الرياح .

كتاب أمثلة الأسماء ٢/٥١٣ ـ ٥٦٦ :

باب فَعُولة ، باب أُفعُولَة ، باب فَعوليّة ، باب فُعَلِّيلة ، باب فِعلالَة وتِفعالة وفِعْلاَوة ، باب فُعَلِلَة ، باب فَعّالة ، باب فَعَلَة ، باب فُعَلَة في الأسماء ، باب فُعَلَة في النعوت ، باب فُعْلَة بجزم العين ، باب فُعَلّة بشديد اللام .

كتاب أمثلة الأفعال ٢/٥٦٧ ـ ٦٢١ :

باب فَعلتُ ، وأفعلتُ ، باب آخر من فَعَلْتُ وأَفْعلْتُ ، باب فعِلْتُ وفَعَلْتُ ، باب

أَفْعلَ القوم فهم مُفعِلون ، باب أفعلَ الشيء مُفعِل ومُفْعِلَة ، باب فَعِلَ الشيء وفعلْتُه ، باب أَفعل الشيء وفَعَلْتُه ، باب أفعلْتُ وفَعَلْتُ به .

كتاب الأضداد ٢/٦٢٢ - ٣/٧١٠ :

باب الأضداد ، باب المقلوب ، باب المبدل من الحروف ، باب المحوّل من المضاعف ، باب الإتباع ، باب التذكير والتأنيث ، باب الحروف التي فيها لغتان بمعنى ، باب الحروف التي فيها ثلاث لغات بمعنى ، باب ما دخل من غير لغات العرب في العربية ، باب الهمز ، باب مصادر الأفعال ، أبواب مكارم الأخلاق ، باب الأيمان ، باب عيوب الشعر ، باب الميسر والأزلام ، باب الملاهي ، باب المبايعة والصناعات والسوق ، باب الموازين ، باب اللغات في الأفعال بمعنى ، باب الأداة التي يعمل بها النساج ، باب الجلوس ونحوه ، باب الكسب والمخالطة ، باب أسماء الدهر .

كتاب الأسماء المختلفة للشيء الواحد ٣/٧١١ - ٨٣١ :

باب العطية ، باب المال ، باب الاستواء في الأفعال ، باب محجّة الطريق وجادته ، باب الحبس في السجن ، باب الحزن والاغتمام ، باب حسب وأشباهها ، باب العشير ونحوه ، باب الأمر والنهي ، أبواب القتال ونحوه ، باب الدم ، باب العقل والرأي ، باب فعلت الرجل وأفعلته إذا أطعته ، باب الضحك ، باب كنس البيت ، باب الخداع والنقصان ، باب تغير اللحم واشتداده ، باب الشق والحجر على الرجل ، باب الشيء الدائم الثابت ، باب آخر في الغضب ، باب الموت والحر والبرد والسمّ ، باب الفزع والخوف ، باب القبر والدفن ، باب البكاء ، باب آخر في الغضب ، باب في النفي في الطعام ، باب النفي في اللباس والحلي ، باب النفي في المال وغيره ، باب النفي في الناس ، باب الطمع والجشع وخبث النفس ، باب غسل الثوب وابتلاله ، باب خياطة الثوب وقطعه ، باب بريق الشيء واللمع ، باب يبس الوسخ على الثوب ، باب القطع للأشياء ، باب الكسر والدقّ ، باب الكرّ والرجوع ، باب الدأب ، باب السكون والطمأنينة ،

باب الانكباب ، باب الإعجال والإثقال ، باب التحرك والتفرق والتنحّي ، باب اضطراب الرأي ، باب الرشوة ونحوها ، باب الموت ، باب النفس ، باب الملجأ ، باب السفينة ، باب الميل للكحل ، باب السراب ، باب ارتفاع النهر ، باب الأعداء ، باب الطريق ، باب الشيء السائل ، باب العرق .

كتاب الإبل ٣/٨٣٢ ـ ٨٩٤ :

باب حمل الإبل ونتاجها ، باب أسنان الإبل ، باب نعوت الإبل في عظمها وطولها ، باب نعوت الإبل في أسنمتها ، باب نعوت الإبل الشداد القوية ، باب نعوت الإبل في رعيها وربضها ، باب نعوت الإبل في وردها ، باب نعوت الإبل في سمنها ، باب نعوت الإبل في سيرها ، باب نعوت ألوان الإبل ، باب نعوت الكثيرة من الإبل ، أصوات الإبل ، باب الصوت بالإبل ، باب سير الإبل في السرعة ، باب سير الإبل في اللين والرفق .

كتاب الغنم ٣/٨٩٥ ـ ٩٠٥ :

باب حمل الغنم ونتاجها ، باب رضاع الغنم وألبانها ، باب أسنان الغنم وألبانها ، باب شيات المعز ونعوتها ، باب نعوت ذكور الغنم وسيرها ، باب جماعات الغنم وأسمائها ، باب أمراض الغنم وعيوبها ، باب خصا الغنم وغيرها .

كتاب الوحش من ذلك الظباء ٣/٩٠٦ ـ ٩١١ :

باب أسنان الظباء ، باب عدو الظباء ، باب نعوت البقر وأسنانها وأولادها ، باب جماعات الظباء والبقر ، باب حمر الوحش ، باب إناث الوحش وأولادها ، باب النعام ، باب مشي الدواب .

كتاب السباع ٣/٩١٢ ـ ٩٢٣ :

باب الأسد ، باب الذئاب ، باب الثعالب ، باب الضباع ، باب الضباب والقنافذ ، باب الأرانب ، باب الكلاب ، باب الظربان والهر والأيِّل والوعِل ، باب إناث السباع

وغيرها من البهائم ، باب البهائم ، باب أولاد السباع ، باب أصوات السباع ، باب الصائد ، باب الحبالة والشرك مما يصيد به الصائد .

كتاب الأجناس ٣/٩٢٤-١٠١١

* * *

هذه هي أبرز أسماء الحقول الرئيسية والفرعية لمعجم الغريب المصنّف كما وضعها مؤلّفها أبو عبيد القاسم بن سلام ، قبل اثني عشر قرناً على وفق إدراكه المنهجي في عصره .

وبنظرة عامّة في حقول الغريب المصنّف يمكن ملاحظة ما يأتي :

١ - إذا كان التنسيق ظاهرة جليّة في حقول معجم Greek Neww Testament ، فإن التنسيق غير غائب - في الغريب المصنّف - بالشكل المناسب لعصر تأليفه قبل أحد عشر قرناً - في مواقع ليست بالقليلة - من ذلك :

البدء بحقول الإنسان وما يتصل به من : صفات ، وألوان ، وأصوات ، وكلام ، وجماعات ، وأولاد ، وأعمار ، ونسب ، ولباس ، وأطعمة ، وأمراض ، وحركة ، وأجزاء جسم ونتاجه .

وثنّى بما يملك من حيوانات أليفة - العنصر الثاني من الموجودات - بدءاً بأكثرها التصاقاً بحياته وهي الخيل ، وباعتبارها وسيلة حربه أو دفاعه عن النفس ، وأتبعها بحقل السلاح بأنواعه ، ثم ثنّى بالطيور والحشرات .

بعد ذلك عاد إلى العنصر الثالث من الموجودات وهو النبات ، فبدأ الشجر والنبات وما يحتاج إليه من المياه ، وثنّى بالنخل .

٢ - وكذا لم يغِب التنسيق الداخلي بشكل ما في الحقول الفرعيّة ، فقد بدأ بالحقول الرئيسية (الجواهر) ، وقفّى بالحقول الفرعية (الأعراض) ، من ذلك :

حقول : اللباس ، والأطعمة ، والأمراض ، والخيل ، والسلاح ، والطيور ، والهوام، والنخل ، والسحاب ، والأمطار ، والإبل ، والغنم .

فحقل اللباس ـ مثلاً ـ قد ضمّ الحقول الفرعيّة الآتية :

ضروب الثياب ، الطيالسة والأكسية ، القلانس والتبّان ، الخلقان من الثياب ، ضروب اللبس ، تسمية ما في القميص ، قِطع الثوب وخياطته ، النسج من الثياب ، ألوان اللباس ، النعال ، الجلود ، دباغ الجلود ، القطن ، معالجة الجلود .

فهذه الحقول الفرعيّة ـ كما نرى ـ تمت بصلة شديدة لعنوان الحقل الرئيس .

وكذا في حقل الغنم نجد الحقول الفرعيّة الآتية :

حمل الغنم ونتاجها ، رضاع الغنم وألبانها ، أسنان الغنم وأولادها ، نعوت الغنم الضأن في شياتها ، المعز ونعوتها ، نعوت الغنم في شحومها ، نعوت ذكور الغنم وسيرها، جماعات الغنم وأسماؤها ، أمراض الغنم وعيوبها ، خصا الغنم وغيرها ، علامات الغنم التي تعرف بها ، حلب الغنم ، مواضع الغنم .

وهكذا الأمر في باقي الحقول المذكورة ، وفهرس معجم الغريب المصنّف السابق الذكر يثبت ذلك .

٣ ـ اتّسم منهج الغريب المصنّف بأمر عام تفردّ به العرب القدماء في ميدان الحقول الدلالية ، وهو : محاولة استقصاء ما يتّصل بدلالة الحقل الرئيسية ، وهذا واضح في الحقول الفرعية للباس والغنم من : أنواع ، أو أحوال ، أو أجزاء ، أو جماعات ، أو مظاهر حياتية ، ومن ذلك ما نلاحظه في حقل النخل ، فقد تحدّث عن : ابتداء نبات النخل ، وهو حديث عن صغاره وأسمائها كالجثيث ، والوديّ ، والهراء ، والفسيل ، والأشاءة ، ثم تحدث عن سعف النخل ، وكربه ، وشحمه ، ثمّ انتقل إلى حَمْل النخل ، وطلعه ، وعمليّة لقاحه ، وثمره ، وتغيّر هذا الثمر ، بعد ذلك أفرد حقولاً فرعية لنعوتها من حيث : طولها ، وحملها ، وعذوقها ، وأجناسها ، وعيوبها ، وجماعتها .

- **ومن مظاهر هذا الاستقصاء ذكر الألفاظ في الأبواب الصرفية** ، فهو يذكر الصيغة الصرفية ثم يحاول استقصاء أمثلتها مع الشرح ، ففي «فُعالة» بضم الأول ذكر :

الحُسافة (ما سقط من التمر) ، والجُرافة (ما التقط من التمر) ، والكُرابة ، والحُثالة ، والمُراقة (ما نتف من الجلد) ، والبُراية ، والنُحاتة ، والمُضاغة (الممضوغ) ، والنُفاضة ، والقُمامة ، والكُساحة ، والكُناسة ، والخُشارة (الرديئة) ، والنُقاوة ، والنفاية ، والكُدادة (ما يبقى من أسفل القدر) ، والخُلاصة ، والنفاثة (ما نفثت من فيك) ، واللُقاطة ، واللُفاظة ، والصُبابة (بقية الماء) ، والعُصارة ، والمُصالة ، والحُزانة (عيال الرجل) ، والعُمالة (رزق العامل) ، والسُلافة (أول ما يعصر) ، والعُجالة ، والعُلاثة (المخلوط) ، والعُفافة (بقية الحليب في الضرع) ، والأُشابة (أخلاط الناس) والتُلاوة (بقية الشيء) ، واللُبانة (الحاجة) . . . إلخ .

وهذا لا يعني التغافل عن مآخذ عُرفت في عصرنا لا في عصرهم ، وذكرها قياس مع الفارق الزمني الكبير ، ولكن المنهج المعاصر يفرض علينا ذكرها على سبيل الذكر فحسب ، لا أنها نقائص يؤاخذون عليها ، من ذلك :

١ ـ **عدم خضوع ترتيب الحقول جميعاً لمعيار عام** ؛ لأنّ الهدف الذي رموا إليه هو : جمع ألفاظ الحقل الواحد في باب واحد ، وقد يُقرن بتنظيم في أجزاء من المعجم ، وقد يترك .

٢ ـ **عدم خضوع ترتيب الألفاظ داخل الحقل لمعيار عام ، سواء أكان ألفبائياً أم كان معنوياً** ، يستثنى من ذلك بعض المواضع نظير :

- ترتيب ألفاظ المطر حسب نعوتها في الضعف أو في الكثرة (٤٩٧/١) .
- ترتيب ألفاظ النباتات حسب نموها (٤٢٦/١، ٤٢٩) .
- ترتيب القصاع والأواني من الأكبر إلى الأصغر (٣٤١/١) .
- ترتيب أسماء الأقداح من الأصغر إلى الأكبر (٣٤٤/١) .

٣ ـ عدم العناية ببيان العلاقات الدلالية التي تربط كلمات الحقل الواحد ، بسبب إفرادهم لحقول خاصّة بالترادف والاشتراك والتضادّ (١/٦٢٢، ٧١١ ، ٢/٩٢٤) .

٤ ـ كون جملة من الحقول الفرعية بعيدة الصلة عن العنوان الرئيس الذي عُقد له الحقل ، نظير ما أوضحه لنا الفهرس السابق الذكر :

ـ **فحقل الخمر** ضمّ حقول : الجوع ، والنوم ، والألوان ، والسكوت ، والذهب ، والفضة (١/٢٤١-٢٤٧) .

ـ **وحقل الأواني** اشتمل على حقول : الشمس والقمر ، والحدث ، ونوادر الأسماء ، ونوادر الأفعال (١/٣٣٧ وما بعدها) .

ـ **وحقل النخل** اشتمل على حقل السراب (١/٤٩٢) .

ـ **وحقل الأضداد** اشتمل على حقول دلالية ، وصوتية ولهجية ، ومكارم الأخلاق ، وعيوب الشعر ، والملاهي ، والجلوس ، والعطية ، والحبس ، والأمر والنهي ، والعقل والقيء ، والغيظ (١/٦٢٢ ، ٢/٦٤٧ وما بعدها) .

٥ ـ تقطيع أوصال الحقل الواحد ، وتوزيعه على أكثر من موضع ، نظير :

ـ **حقل الحيوانات الأليفة** ، فقد ذَكَر الخيل ، وأردف بالطيور والحشرات ، ثمّ عاد إلى الإبل .

ـ وكالتفريق بين حقل الأخلاق المحمودة ، وبين حقل مكارم الأخلاق (١/٧٣ ، ٢/٦٩٠) .

ـ والتفريق بين حقل الأخلاق المذمومة ، وبين حقل الإفساد بين الناس (٢/٧٦ ، ٢/٧٢٤) .

ـ والتفريق بين حقل نوادر الأسماء ، وبين حقل أمثلة الأسماء (١/٣٤٨، ٥١٣) ، وكذا تفريقه بين نوادر الأفعال وأمثلتها (١/٣٦٠، ٥٦٧) .

ـ ومن هذا التفريق ، حديثه عن الألوان : فقد ذكر حقلاً لباب الألوان في موضع ،

وحقلاً لأسماء الألوان في موضع آخر ، وحقلاً لألوان اللباس في موضع ثالث ، وحقلاً لضروب الألوان في موضع رابع ، وحقلاً لبريق اللون في موضع خامس ، وهي مواضع متباعدة (١/١١٥، ١٨١، ٢٤٥، ٢٥٢، ٢٥٧) .

ـ وقد يذكر قسماً من ألفاظ الحقل في موضع ، ويكملها في موضع آخر ، كما فعل في حقل الغضب ، وباب الشيء ، وباب الحاجة .

٦ ـ **التكرار في ذكر جملة من الحقول الفرعية** : وهو إما تكرار بتمام الحقل ، أو بتغير بسيط نتيجة للرواية الشفوية ، من ذلك :

تكرار حقل أسماء الألوان (١/١١٥، ٢٥٧) ، وتكرار حقل الخدم (١/١١٤، ٢٥٧) وتكرار حقل القيء (١/٢٥٩ ، ٢/٧٤٨) ، وتكرار حقل السراب (١/٤٩٢ ، ٢/٨٢٣) ولعلّ ذلك من خطأ النساخ ، لقلّتها بالنسبة إلى عدد حقول المعجم .

أما إذا أردنا مقارنة حقول معجم الغريب المصنّف بحقول معجم Greek New Testament مع علمنا بعدم اتفاقهما في التصنيف ، لاختلاف عهديهما بفارق زمني كبير سبّب اختلاف تفكيرهما ومنهجهما وأهدافهما ـ فإن الأمر يستلزم التوحيد أو التقريب بين ترتيبي عناوين حقول التصنيف في المعجمين قبل المقارنة ، ونظراً للتقدم الكبير في منهج التصنيف المعاصر المعتمد على علوم شتى ، فإن المنطق يفرض علينا أن نقدم ونؤخر في عناوين حقول الغريب المصنف الفعلية ، وأن نختار لها عناوين حديثة ـ دون تغيير في الأصول من زيادة أو نقص ـ من أجل تقريبها إلى التصنيف المعاصر ، لتسهيل رصد التشابه بين التصنيفين ، أو رصد النقص الموجود في أحدهما ، والفجوات التي حدثت في أحدهما .

وبعد ملاحظة عناوين حقول الغريب المصنّف ، وإعادة تنظيمها بتطبيق ما ذكرنا من :

- **التقديم والتأخير في الحقول .**
- **اختيار عناوين حديثة لما هو موجود فعلاً .**

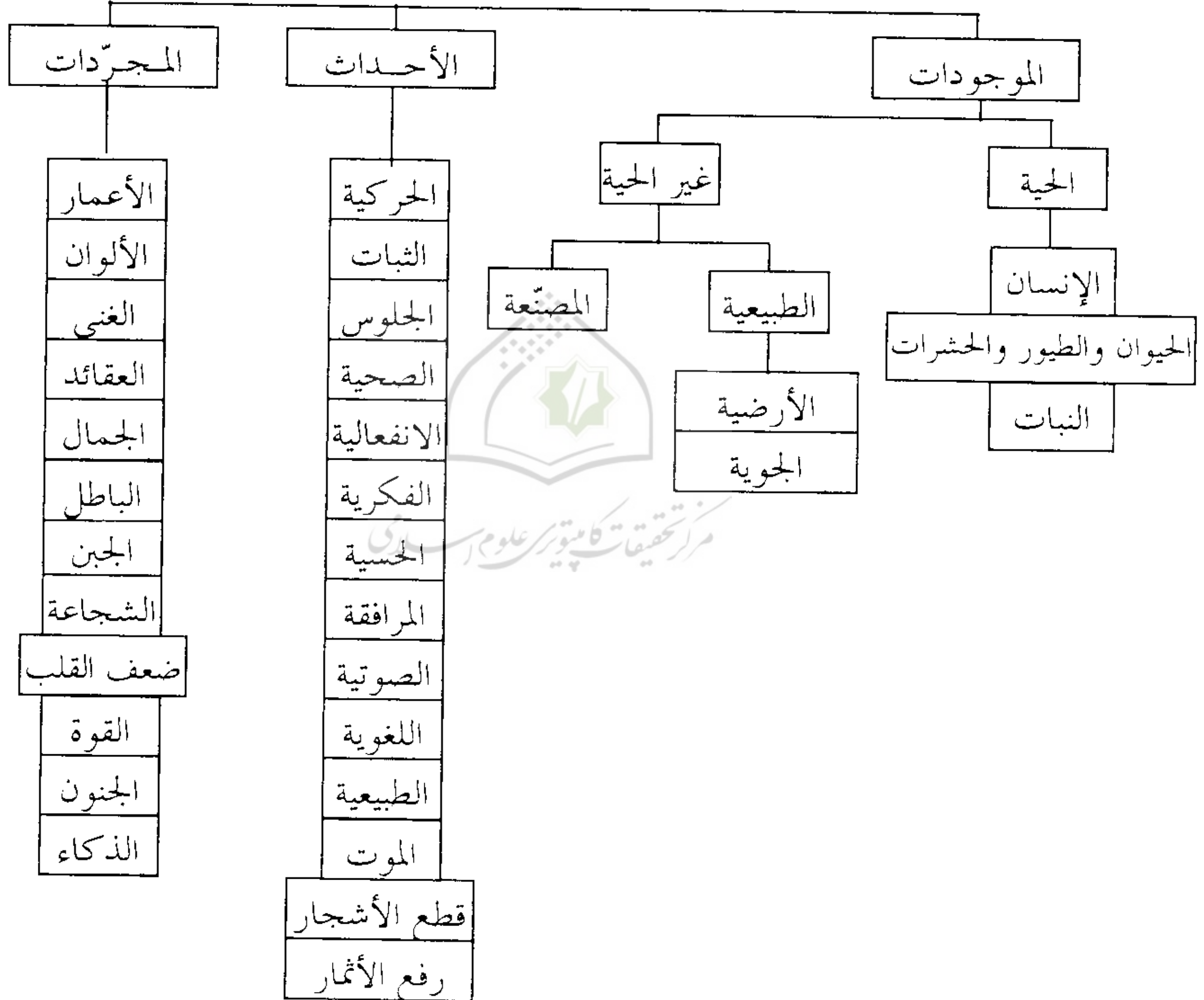
فسيكون تخطيط الهيكل العام لحقول معجم الغريب المصنّف كالآتي :

شكل (٣)

إعادة تنظيم

« الحقول الدلالية في كتاب الغريب المصنف »

على وفق الترتيب المعاصر



ومن أجل سهولة المقارنة والمتابعة نعيد ـ ثانية ـ شكل التخطيط العام للحقول الدلالية الرئيسية لمعجم Greek New Testament (شكل ١) وهو الآتي :



ونظرة سريعة إلى التصنيفين تبين لنا مجموعة ملاحظات ، منها :

١ - **الاتفاق في تحديد ثلاثة حقول رئيسية** ، وهي : الموجودات ، والأحداث ، والمجردات .

٢ - **التشابه الكبير في طرح الحقول الفرعية للموجودات** والأحداث ، والمجردات .

٣ - **إضافة معجم** Greek New Testament المتمثلة بزيادة **حقل رابع أساسي هو : حقل العلاقات** ، وتحته أربعة حقول فرعية ، هي :

أ - **العلاقات المكانية** ، نحو : فوق ، تحت ، حول ، قبل ، خلف ، بين .

ب - **العلاقات الزمانية** ، نحو : حينما ، بينما ، خلال ، منذ .

ت - **العلامات الإرشادية** ، نحو : هـذا ، هـذه ، أول ، ثـان ، أداة التعريـف ، أداة التنكير .

ث - **العلاقات المنطقية أو العقلية** ، نحو : منذ ذلك الحـين ، لأن ، حيـث أن ، مع أن ، فضلاً عن ذلك ، لذلك الغرض ، لكن ، واو العطف .

وإذا كان هذا المعجم قد امتاز بهذه الإضافة التي تغلب عليـها الناحيـة اللغويـة مـن ظروف مكانية وظروف زمانية ، أو إرشادات ، أو أدوات تعريـف وتنكـير ، أو عبـارات لغوية تتصف بالعقلية ، **فإننا نجد معجم الغريب المصنّف قد أفرد حقولاً رئيسـية وفرعيـة للظواهر اللغوية مما لم نجد لها أثراً في معجم** Greek New Testament ، نظير :

- حقل أمثلة الأسماء الذي اشتمل على ما يقرب من مائة حقل فرعي .
- حقل أمثلة الأفعال الذي اشتمل على أكثر من عشرين حقلاً فرعياً .
- حقل لاختلاف أبنية الأفعال لاختلاف المعاني .
- حقل لاختلاف أبنية الأفعال باتفاق المعاني .
- حقل للفعل المضارع المعتل .
- حقول لكل من القلب ، والإبـدال ، والإتبـاع ، والتذكـير والتـأنيث ، والمعـرّب ،

والمثنى ، وعبارات النفي .

- حقول للهجات .

- حقول للهمز .

- حقول دلالية لكل من الأضداد ، والاشتراك ، والترادف .

ومجموع هذه يشكل إضافة أصيلة تعبر عن إدراك أولي متطور سابق لعهده ، يرى أن المعجم هو : خلاصة لمستويات الدرس اللغوي من صوت ، وصرف ، ونحو[١] .

٤ ـ يشترك التصنيفان في كلّ من :

أ ـ عدم الاتّصاف بالشمولية لمفردات اللغة في الحقول الفرعية .

ب ـ عدم التخلّص من الاضطراب أو التداخل في ترتيب الحقول ، أو رصد وحداتها المعجمية ، وإذا كان هذا الأمر واضحاً في معجم الغريب المصنّف فإننا لا نعدم وجوده في معجم Greek New Testament ، من ذلك :

- عدم وضوح معياره في عدّ (النبات) من الموجودات غير الحية ، وهو الذي يتغذى ، ويتنفس ، وينمو ، ويموت بعد توقف تلك الوظائف الحياتية .

- عدم وضوح علاقة (الجيل) و (الجنس) بألفاظ القرابة .

- عدم وضوح علاقة (اليتيم) بألفاظ السلالة والفروع .

- عدم وضوح علاقة (العتيق) بألفاظ العمر .

- عدم وضوح علاقة (الرّحلة) بألفاظ المسافة .

* * *

أما (Nida) فله ملاحظات على حقول هذا المعجم أبرزها[٢] :

١ ـ إنّها ما زالت حقول تجريبية .

---

(١) دراسات في علم اللغة ص١٣ .

(٢) Componential Analysis of Meaning , p 187

٢ ـ إنّ تصنيف الدلالات في الحقول المحددة أسهل من تصنيف الحقول العامة .

٣ ـ إن التصنيف مبني على دلالات الألفاظ ذات المعاني بالإغريقية .

٤ ـ هناك شيء من الغموض بسبب تدوين المعاني الإغريقية بمرادفاتها الإنجليزية .

٥ ـ هناك شيء من الغموض بسبب تدوين الدلالات الإغريقية بمرادفاتها الإنجليزية .

٦ ـ جاء تصنيف القوى الخارقة مع الكائنات الحية ، لشبهها بنشاط الإنسان وصفاته.

٧ ـ عدم وجود حقل لوظائف الأشخاص نظير : حاكم ، راع ، كاهن .

٨ ـ إن تصنيف المجردات هو الأصعب ، لكون سماتها متصلة بمواد وأفعال لا حصر لها .

* * *

ولاتّساع التخطيط العام لتصنيف كلّ منهما ، سنأخذ حقلاً رئيسياً واحداً منهما ، وهو «حقل الموجودات» ، ثم نحاول المقارنة بين التصنيفين من خلال العناوين الرئيسية والفرعية ـ بعد التقريب في مسمياتهما ـ مع الإشارة إلى وحدات بعض الحقول .

أما مصدرنا الوحيد للتعرف على حقول معجم Greek New Testament فهو كتاب Nida Eugene المسمى بـ :

Componential Analysis of Meaning, An Introduction to Semantic Structure ,

وسنبدأ بالبيان التفصيلي بحقل الموجودات في Greek New Testament وهي ترجمة كاملة تنشر لأول مرة لما ذكره (Nida) دون تغيير ، وليس كما فعل الزميل الأستاذ الدكتور أحمد مختار عمر[1] في ترجمته الرائدة التي اعتمدها الدارسون منذ ثلاث وعشرين سنة ، وإلى يومنا هذا ؛ وإليه الفضل في الإشارة والتعريف بها لأول مرة ، فقد قدّم وأخّر في حقولها ، وكذا أسقط قسماً من أمثلة كلّ حقل .

---

(١) علم الدلالة ص٨٧ .

فما ذكر (Nida) في كتابه السابق الذكر من حقل الموجودات هو :

أولاً : الموجودات غير الحية :

أ ـ الموجودات الطبيعية :

١ـ الجغرافية :

ـ **كائنات جوية** : سماء ، سحاب ، دخان ، هواء ، شمس ، قوز قزح ، قمر .

ـ **ظواهر فوق الطبيعية** : الجنة ، الفردوس ، جهنّم ، جحيم ، مثوى الأموات .

ـ **علاقات أرضية :**

عام : عالم ، مكان ، مركز ، منطقة ، إقليم .

معالم أرضية : سطح ، وادي ، وادي ضيق ، منحدر ، جبل ، تل ، صحراء .

البحر وساحله : بحر ، محيط ، بحيرة ، جزيرة ، شاطئ ، شاطئ رملي ، خليج .

مساحة مزروعة : حقل ، مزرعة ، أرض مسطحة .

مساحة سياسية : مملكة ، مقاطعة السلطان ، إقليم ، إمبراطورية .

٢ ـ المواد الطبيعية :

ـ **عام** : عناصر .

ـ **معادن** : حديد ، فضة ، نحاس ، صفر .

ـ **أحجار نفيسة** : كريستال ، توباز (حجر كريم) ، بريل (حجر كريم) ، زمرد .

ـ **حجر وغبار** : حجر ، حصا ، صخر ، رخام ، رمل ، طين ، تربة ، وحل ، غبار .

ـ **النار** : نار ، لهب .

الماء وأشكاله : ماء ، مطر ، رطوبة ، برد ، جليد ، ثلج ، زبد الماء ورغوته .

٣ ـ النباتات ونتاج المزروعات :

ـ **أشجار** : شجر ، غابة ، شجرة زيتون ، نخلة ، شجرة التين ، التوت .

ـ **شجيرات وأعشاب** : الحياة النباتية ، غلة الأرض ، نبتة مائية ، عشب ، تبن ، شعير ، كرمة ، شجيرة شائكة ، ورد بري ، نبات مرّ (الأفسنتين) ، الخردل ، الشبت .

ـ **منتجات الخشب** : فحم ، رماد ، خشب ، عصا ، شظية .

ـ **أجزاء فاكهة** : فاكهة ، زيتون ، الخروب ، حبة ، بذرة .

ـ **أجزاء غير الفاكهة** : غصن ، ورقة نبات ، ورقة عشب ، طلع النبات ، قصب ، زهرة الشجر ، شوكة الشجر ، قشر القمح ، قش ، جذر .

ب ـ الموجودات المصنعة :

١ ـ المواد غير المبنية :

ـ **عام** : حاجة ، شيء حسي ، بضائع .

ـ **نقل** : مركبة خفيفة ، عربة .

ـ **أدوات** : فأس ، مسمار ، إبرة ، حجر الرحى ، آلة نقر .

ـ **أسلحة** : هجومية : سلاح ، هراوة ، سيف ، سهم ، قوس ، رمح .

دفاعية : خوذة ، ترس ، درع الصدر .

ـ **لباس** : ملابس ، ثياب ، جلباب ، معطف ، روب (لباس بيتي) ، قميص ، برقع ، مئزر ، خمار ، خفّ .

ـ **زينة** : تاج ، إكليل زهر ، خاتم ، مجوهرات ، تسريحة شعر .

ـ **أقمشة** : غطاء ، كتان ، حرير ، كساء وبر ، منشفة ، ستارة .

ـ **أثاث** : سرير ، نَقّالة ، تابوت ، كرسي ، عرش ، منضدة ، كرسي القدمين .

ـ **إضاءة** : مشكاة ، مصباح جيب ، قنديل ، قاعدة مصباح .

- **أوعية** : إناء ، صحن ، جرة ماء ، إبريق ، كيس دراهـم ، زِقٌ ، مِذْوَد (معلف الدابة) ، معصرة عنب ، إسفنج .
- **عملة معدنية** : نقود ورقية ، عملة نحاسية ، عملة ذهبية .
- **صور وتماثيل** : تمثال ، صورة ، صنم ، ملاك .
- **آلات موسيقية** : جرس ، صنج ، قيثار ، بوق .
- **لوازم كتابية** : ورق ، رق ، لوحة ، درج ، قلم حبر ، ختام (شمع يختم به) .
- **لوازم للربط والتجليد** : حبل ، سلسلة ، دهق (أداة لقيد الرجل) ، قيد .
- **لوازم لحكم الإعدام** : خشبة الإعدام ، حبل المشنقة .

٢ - المواد المعالجة :

- **عام** : طعام ، وجبة ، غذاء ، شرب ، فتات الطعام ، فتات الخبز .
- **نباتي** : خبز ، فاكهة ، حبوب ، طحين ، زيت ، تين ، عنب ، خمر ، زبد ، المنّ .
- **حيواني** : لحم ، حليب ، سمك ، بيض ، عسل .
- **توابل** : ملح ، قرفة ، بهارات .
- **سموم** : سمّ مميت ، شراب سحري ، جرعة سم .
- **دواء** : مرهم عام ، مرهم عين ، دهان .
- **عطور** : ناردين (نبات طيب الرائحة) ، عود العطر ، بخور ، عطر ، سنبل الطيب .

- **الإنشاءات** :
- **ضخم لغير إقامة** : مبنى عام ، كنيسة ، حرم مقدس ، معبد ، كنيس (معبد اليهود) ، برج ، حظيرة ، سجن .
- **للإقامة** : نزل صغير ، فندق ، بيت ، بيت طلبة .

- **بناء مفتوح** : حظيرة الغنم ، سوق ، مسرح ، ملعب مدرج ، فناء ساحة .

- **جزء مبنى** : غرفة ، غرفة طعام ، اسطبل ، بوابة ، باب ، رِوَاق ، حائط ، سُلّم ، شباك .

- **مبنى صغير لغير إقامة** : قبر ، فرن ، سور ، طاحونة .

- **لوازم بناء** : حجر ، لوح خشب ، دعامة أفقية ، عمود ، آجرة .

- **حفريات** : قبو ، حوض ، بئر ، حفرة ، خندق .

- **أماكن عمل** : مصرف ، دائرة ضرائب ، محكمة .

- **السفن وأجزاؤها** : مركب ، مركب شراعي ، سفينة ، كوثل (مؤخرة السفينة)، شراع ، حبال ، مرساة ، دفّة .

ثانياً : الموجودات الحيّة :

١ ـ الحيوانات ، والطيور ، والحشرات :

- **عام** : حيوان ، الطبيعة الحيوانية ، حيوان يمشي على أربع .

- **طيور** : طائر ، باشق ، غراب ، غداف ، عقاب ، نسر ، حمامة .

- **حشرات** : جراد ، جندب ، عثّة ، بعوضة .

- **حيوانات** :

متوحشة : الطبيعة الحيوانية ، دبّ ، ذئب ، ثعلب ، أسد ، نمر ، تنين .

أليفة : الأنعام ، خنزير ، جمل ، خنزيرة ، عجل ، ثور ، مهر ، حمار ، ماعز ، حصان ، جمل ، الكلب .

- **أجزاء الجسم ونتاجه** : جناح ، ذيل ، قرن ، صوف .

٢ ـ خَلْق الإنسان :

العام ، والمتميز بواسطة العمر أو الجنس :

- **عام** .

- **عام** : رجل ، إنسان ، الجنس البشري ، ناس ، شخص .

ذكورة : رجل ، شيخ ، صبي ، ولد .

إناث : امرأة ، عجوز ، فتاة ، بنت .

أطفال : طفل ، قاصر ، غلام .

- **قرابة** :

عام : نسل ، قريب ، عائلة ، سلسلة ، نسب ، قبيلة ، جنس .

ذرّية : سليل ، خلف ، ابن ، ابنة ، بكر ، حفيد ، يتيم .

السلف : شيخ العائلة ، جدّ ، جدّ أعلى ، أم ، أب .

مصاهرة : زوج ، زوجة ، حماة ، عروس ، عريس .

غير مباشر : أخ بالرضاعة ، أخ ، أخت ، ابن العم ، ابن الخال .

- **جماعات** :

عام : حشد ، ناس ، جماهير ، عصابة ، فئة .

اجتماعات دينية : جماعة دينية ، محفل ، طائفة ، جماعة محلية .

اجتماعات سياسية : جمعية ، طبقة النبلاء ، أمة ، مواطن ، أجنبي ، اغتراب .

دينية سياسية : شيخ الكنيسة ، مجلس أعلى ، مجلس محلي .

اجتماعية : أسرة ، رفيق ، صديق ، رفيق السلاح ، جار .

الجسم ونتاجه :

عام : جسم ، جثة .

أجزاء : عضو جسد ، رأس ، جمجمة ، جبهة ، عين ، أذن ، أنف ، لسان ، أسنان ، رقبة ، صدر ، ساق ، بطن ، ركبة ، فخذ .

نتاج : قيء ، دم ، لعاب ، قروح جلدية ، دمع .

٣ ـ قوى فوق الطبيعية :

ـ قوى سماوية : كائن سماوي ، نجم سماوي ، روح القدس ، كائنات مقدسة ، الدهر .

ـ كائنات غير منظورة : إله ، إلاهة ، نصف إله ، شيطان ، آفة سماوية ، ملاك ، شبح .

* * *

ويمكن تخطيط هذا البيان التفصيلي لحقل الموجودات في معجم Greek New Testament بالشكل الآتي :

شكل (٤) : تخطيط عام لحقول الموجودات في معجم Greek New Tastment

ـ غير الحيّة : **أ ـ** الطبيعية : جغرافية ، مواد طبيعية ، نباتات .

ب ـ المصنّعة .

ـ الحيّة : **أ ـ** حيوانات ، طيور ، حشرات .

ب ـ الإنسان .

ج ـ قوى فوق الطبيعية .

* * *

أما تخطيط حقول الموجودات في معجم الغريب المصنف فهو :

شكل (٥) : حقول الموجودات في معجم الغريب المصنّف على وفق الترتيب المعاصر .

ـ الحيّة : الإنسان ، الحيوانات ، النباتات .

ـ غير الحيّة : **أ ـ** الطبيعية : أرضية : طرق ، أبنية ، جبال ، آثار ، مياه .

جوية :

ب ـ المصنّعة : الديار ، الذهب ، الطيب ، الآبار ، العسل ، الأطعمة اللبن ، الخمر ، السلاح ، الأواني ، الأدوات .

شكل (٦) : حقول الموجودات الحيّة في الغريب المصنّف .

الإنسان ، الحيوانات ، الطيور والهوام ، البرمائيات ، النباتات .

* * *

شكل (٧) : حقل «الإنسان» في الغريب المصنّف .

ـ **خلق الإنسان** : الجسم : الرأس ، العين ، نتاج الجسم .

الصفات : نعوته ، اعداؤه ، مفاخرته .

النفس :

الأخلاق : المذمومة ، المحمودة .

ـ **النساء** : أسنانهنّ ، نعوتهن ، الزوجة ، حلي النساء .

ـ **القرابة** : في النسب ، في الأمهات ، في الآباء ، في المماليك .

ـ **الأولاد** : أسنان الأولاد ، أسماء ولد الرجل ، الولد والغذاء .

ـ **الجماعات** :

ـ **الفرق المختلفة** :

* * *

شكل (٨) : حقل «الحيوانات» في الغريب المصنّف .

ـ **الأليفة** : الخيل ، الإبل ، الغنم ، البقر ، الكلاب .

ـ **الوحشية** : حمر الوحش ، النعام ، الذئاب ، الثعالب ، الضبع ، الأسد .

* * *

شكل (٩) : حقل «الطيور والهوام» في الغريب المصنّف .

ـ **الطير** : نعوته ، عشّه ، أصواته ، طيرانه ، بيضه ، ما يُصاد منه .

ـ **الجراد ، الجنادب ، الحيّات ، العقارب ، النمل ، القمل ، الذباب .**

* * *

شكل (١٠) : حقل النباتات والأشجار في الغريب المصنّف .

ـ **النبات** : ابتداؤه ، ما ينبت في السهل ، في الرمل ، الكمأة ، الحنظل .

الأشجار : ابتداؤها وتوريقها ، أشجار الجبال ، أشجار الحمض ، أشجار الكرم ، نعوت الأشجار ، ضروبها ، الشجر المرّ .

النخل : حمله ، سعفه ، نعوته ، أجناسه ، عيوبه .

* * *

شكل (١١) : حقل الموجودات غير الحيّة في الغريب المصنّف .

ـ **الطبيعية** : أرضية ، جوية .

ـ **المصنّعة** :

* * *

شكل (١٢) : حقل الموجودات غير الحيّة « الجوية » في الغريب المصنّف .

الأيام والليالي والشهور ، الأزمنة ، الغبار ، الشمس والقمر ، السماء .

* * *

شكل (١٣) : حقل الموجودات غير الحيّة « الأرضية » في الغريب المصنّف .

ـ **الدور والأرضون** : الحجارة ، الأودية ، الأراضي : إصلاحها ونعوتها .

ـ **الطرق** : نعوتها ، جاداتها .

ـ **الأبنية** : نعوتها ، متاعها ، أبنيتها .

ـ **التراب والرمل** :

ـ **الجبال** : ما فيها ، نعوتها ، ما دونها .

ـ **الآثار** :

ـ **المياه** : البحر ، السراب ، المستنقع ، السيل ، الأنهار .

* * *

شكل (١٤) : حقل الموجودات غير الحيّة « المصنّعة » في الغريب المصنّف .

- **الأدوات** : ما يحفر بها ، ما ينسج بها ، ما يتكحل بها ، الرّحي ، السفينة .
- **الأواني** : القدور ، القصاع ، الأواني .
- **الخمر** : مسمياتها .
- **اللبن** : أسماؤه ، عيوبه ، زبدته .
- **الأطعمة** : مسمياتها ، اللحم ، الخبز ، العسل ، الطبخ .
- **اللباس** : ضروبه ، خياطته ، القطن ، الجلود ، النعال .
- **الطيب** :
- **الآبار** : نعوتها ، حفرها ، أنواعها ، تنقيتها ، الدلو ، البكرة ، الحبال ، القرب.
- **الذهب والفضة** :

* * *

شكل (١٥) : حقل البرمائيات في الغريب المصنّف .

- **السلاحف**
- **الضفادع**

* * *

وعند إلقاء نظرة مقارنة بين التصنيف الداخلي لحقل الموجودات في كلّ من معجم الغريب المصنّف ، ومعجم Greek New Testament ، سنقف على ما يأتي :

١ ـ التصنيف الدقيق الذي اتّسم به تصنيف Greek New Testament ، وهو أمر ساعد على وجوده تطور مناهج البحث العلمي واعتمادها على علوم أخرى ، فهذا التنظيم والترتيب والتبويب سمة البحوث في العصور المتأخّرة ، بخلاف القدماء الذي كان همهم ـ بعد إدراك فكرة الحقول الدلالية ـ رصد الألفاظ وجمعها تحت عناوين محدّدة .

ومع ذلك لا يخلو تصنيف معجم الغريب المصنّف من أسلوب تنظيمي مناسب

لعصره ، فقد بدأ بـالموجودات الحيـة ، وبالإنسـان ومـا يتعلّـق بـه ـ خاصـة ـ مـن خلـق ، وأصـوات ، ونعـوت ، وجماعـات ، وأعمـار ، وأولاد ، ولبـاس ، وأطعمـة ، وأشربـة ، وأمراض ، وعملات ، ودور سكن .

وثنّى بالحيوانات الأليفة ثم الوحشية والطيور ، وأعقب ذلـك بذِكْـر النبـات ، ولكـن تخلّل هذا الترتيب أبواب عكّرت صفو هذا الترتيب ، لذا اضطررنا إلى إعادة تنظيم حقـول معجم الغريب المصنّف تحت مسمّيات حديثة من أجل سهولة المقارنة .

٢ ـ التماثل في رَصْد الحقلين الرئيسين للموجودات ، وهما : الحيّة وغـير الحيّـة ، مع خلاف في التقديم والتأخِير حال افتتاحهما ، إذ صدّر معجم الغريـب المصنّـف الموجـودات الحيّة بـ «الإنسان» ، في حين بدأ معجم Greek New Testament بغير الحيّة .

٣ ـ التماثل في رَصْد الأنواع الرئيسية لحقول الموجودات وهي : الإنسان ، والحيوان، والنبات .

٤ ـ التقارب الشديد في رَصْد الحقول الفرعية للموجودات غير الحية ، من موجودات طبيعيـة ، سـواء كـانت أرضيـة أم جويـة ، ومـن موجـودات مصنّعـة نظـير : الأدوات ، والأسلحة ، واللباس ، والأواني ، والذهب والفضـة ، والعطـور ، وكـذا الإنشـاءات مـن دور وأبنية أخرى .

وبعد رَصْد أبرز أوجه الشبه في هيكل حقل الموجودات ، وكذا هيكل التصنيف العام للمعجمين ـ المشار إليه في موضع سابق ـ يتضح لنا التقارب الشديـد في الصناعـة المعجمية الحقلية بين العرب القدماء ـ قبل اثني عشر قرناً ـ والمحدثين ، ولهذا نكون على صواب حين نقول :

إن الإنجاز الغربي الحديث المتمثل في معاجم الحقول الدلالية ، والموسوم بأنـه ثـورة كبرى في عالم الدراسات اللغوية ، هو أمر فكّر به علماء العربية منذ أكثر من اثني عشر قرناً ، وألّفوا فيه ، أي إنهم :

ـ أدركوا فكرة الحقول الدلالية .

ـ حدّدوا الحقول الرئيسية والفرعية بالشكل الذي يغطّي مفاهيم عَصرهم القديم .

ـ حدّدوا كلمات كلّ حقل ، وهي كلمات ذات دلالات متقاربة .

ـ باشروا في التطبيق العملي لهذه الفكرة ، بتأليف رسائل خاصة ذات حقل واحد، ومعاجم شبه متكاملة اشتملت على حقول متعدّدة .

والفقرات الثلاث الأولى هي من أساسيات التصنيف الحقلي الحديث ، وجوهر فكرته ، كما وضعها الفيلسوف الألماني Gost Trier (عام١٩٣١م) ، فهم إذاً أدركوا أن معنى الكلمة يظهر بوضوح عند جمعها مع أخواتها المرتبطة بها في الحقل نفسه ، وهذه هي الفكرة الدافعة للغربيين إلى هذا اللون من التأليف المعجمي .

أما رَصْد العلاقات بين كلمات الحقل الواحد ودراستها والوصول إلى رأي نهائي ، فهو أمر لم يصل الغربيون فيه إلى أمر متّفق عليه ، وفيه قال اللغوي الفرنسي **جورج مونان** G . Mouni» : «المشكل يتمثّل ويبقى متمثلاً دائماً في إيجاد مقاييس موضوعية لتبرير العلاقات التي يقع إقرارها بين المفردات»[١] .

ثم إن علماء العربية لم يتركوا الأمر على عواهنه ، بل درسوا العلاقات الدلالية في تآليف مستقلة اختصت بالترادف[٢] ، أو الاشتراك[٣] ، أو التضاد[٤] ، ووصلتنا لكلّ علاقة مجموعة رسائل خاصة بها .

---

(١) مفاتيح الألسنية ص١٢٧ .

(٢) مما طبع منها : للأصمعي (دمشق١٩٨٦م) ، وللرماني (القاهرة١٣٢٥هـ) .

(٣) مما طبع منها : لأبي العميثل (القاهرة١٩٨٨م) ، وللمبرد (القاهرة١٣٥٠هـ) ، ولكراع النمل (القاهرة١٩٨٨م) .

(٤) مما طبع منها : لقطرب (الرياض١٩٨٤م) ، وللأصمعي (بيروت١٩١٣م) ، وللتوزي (بغداد١٩٧٩م) ، وابن السكيت (بيروت١٩١٣م) ، والسجستاني (القاهرة١٩٩٤م) ، وغيرهم .

ولا يفوتني هنا أن أذكر بإجلال كبير ، جهود علماء أصول الفقه في دراسة هذه العلاقات من أجل بيان دلالات النصّ القرآني الكريم ، غير أن دراسة علمائنا لهذه العلاقات الدلالية ، قد تشترك مع الدراسة الغربية المناظرة في جوانب بحثية ، وقد تختلف معها ، فإذا أخذنا علاقة الترادف ـ مثلاً ـ نجد ما يأتي :

أولاً : ما اشتركا فيه هو :

أ ـ رصد علاقة الترادف والتعريف بها .

ب ـ عدم اقتصار الترادف على الألفاظ ، بل شموله الجمل أيضاً .

ج ـ التمييز بين أن يكون الترادف تاماً ، وأن يكون جزئياً .

د ـ اتخاذ الترادف التام أساساً ومعياراً في إثبات وجود هذه العلاقة .

ثانياً : ما تميّزت به دراسة علماء العربية هو :

أ ـ تناولهم لألفاظ هذه العلاقة من خلال النظرتين التاريخية والوصفية .

ب ـ تتبع علل نشأة الترادف ، ورصْد أسبابها .

ثالثاً : ما تميز به عَرض الغربيين :

أ ـ تصنيف الدلالات إلى فكرية وعاطفية .

ب ـ تحديد شروط الترادف المطلق [(١)].

وفي الختام نؤكد ونقول :

إنّ إدراك علماء العربية المبكر لفكرة تجميع الألفاظ في حقول دلالية أمر إبداعي في هذا الميدان ، وإن افتخار الغربيين المحدثين بالحقول الدلالية مسألة سُبقوا إليها بأعمال عربية تطبيقية .

---

(١) انظر الترادف بين جون لاينز وعلماء العربية القدامى ، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية ع ٢١/ ٢٠٠١ .

أما مسألة دقّة التنظيم وجودة الترتيب الحقلي المعاصر ، فهي مما ساعد عليها تقدّم الحياة الثقافية والعلمية ، والتطور الفكري والتنظيم الجماعي الذي اتسمت به بحوث هذا العصر ، خاصة بعد اعتمادها على وسائل حديثة ، وعلوم مساعدة أخرى ، وإسنادها إلى جمعيات لغوية ومجامع علمية ، بعد أن كان المؤلّف وحيداً في ميدانه ، ومع ذلك فقد ظلّت مسألة التنظيم الحقلي غير يسيرة عليهم ، وأقوالهم صريحة تثبت ما نقوله ، من ذلك :

أ ـ صعوبة العمل المعجمي :

ـ من ذلك قول رونالد إيلور Ronald Eilwar : «وَضْع المعجم اللغوي محفوف بالمصاعب والمخاطر»(١) .

ـ وقول اللغوي غليسون Gleason : «إنّ عمل المعاجم عمل مضجر إلى أقصى حدّ . . . ، إنه الدقّة . . . ، إنه عبء عظيم»(٢) .

ب ـ صعوبة التوصّل إلى آراء نهائية :

ـ من ذلك قول جفري ليش G . Leech : «كلّ النظريات الدلالية تجريبية : مؤقتة وجزئية»(٣) .

وقد ذكرنا ـ في موضع سابق ـ قول Nida الذي نصّ على تجريبية الحقول الدلالية .

ج ـ صعوبة تحقيق الشمولية في التصنيف الحقلي :

ـ من ذلك قول ستيفن أولمان S . Ullmann : «إنه لمن الصعوبة ـ إن لم يكن مستحيلاً ـ إصدار بيان يتضمّن أن المعجم يشمل جميع الحقول»(٤) .

---

(١) مدخل إلى علم اللسانيات ، إيلوار ، الترجمة العربية ص١٨٧ .

(٢) نقلاً عن محاضرات في علم اللغة الحديث ص٦٢ .

(٣) Semantics , P , 70

(٤) Semantics , P , 250

د ـ صعوبة الفصل بين الحقول الدلالية لتشابكها :

ـ من ذلك قول أكسار Oksaar المبالغ فيه : «لا تصلح نظرية حقل الكلمة للغة بصفة عامة ؛ لأنه يفترض عدم وجود حدود واضحة بين الحقول المفردة ، وأن الحديث عن تحديد الحقل الكلّي ليس حديثاً موضوعياً»[١] .

ـ وقريب من هذا قول شفارتز Sehwarz : «لا يتوقّع أن توجد خطوط واضحة بين الحقول ؛ لأن المحتوى اللغوي يمتدّ من حقل إلى حقل دون فراغات ، كما أن خيوط الربط بين الحقول ليست منقطعة»[٢] .

ـ ومن أبرز أسباب التشابك في الحقول ، هو غموض المعنى وعدم تجلّيه بوضوح وتداخله في الحقول ، وإليه أشار ستيفن أولمان S . Ullmann بقوله : «ولا تزال نظرية الحقل اللغوي في مرحلة الطفولة ، وقد تكون الآمال المعلقة عليها مجرد اندفاع بالغ الحماس والتفاؤل ؛ لأن غموض المعنى واختلاط حدوده ـ بالإضافة إلى التداخل في معاني الكلمات ـ كثيراً ما يحول دون تطبيق نظام صارم دقيق ، ولكن مما لا شك فيه أن هذه النظرية تعدّ خطوة إيجابية في الطريق السليم»[٣] .

وإذا كان هناك من تعقيب على آخر قولي ستيفن أولمان ، فنقول :

إن هذه الخطوة الإيجابية أدركها علماؤنا منذ اثني عشر قرناً ، فأبدعوا فيها ، واجتازوا صعابها ، وتركوا لنا تصانيف أقرب ما تكون إلى الموسوعات الحقلية ، منها : الغريب المصنّف لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ) ـ أساس بحثنا ـ ، وكذا الموسوعة الحقلية الموسومة بـ «المخصّص» لابن سيدة (ت٤٥٨هـ) .

---

(١) نظرية الحقول الدلالية ، د . محمود جاد الرب ص٢٢٥ .

(٢) Words And Their Use = دور الكلمة في اللغة ، الترجمة العربية ص٢٣٨ .

(٣) P . Guiraud ، علم الدلالة ، الترجمة العربية ص٩٨ .

أما مردّ اختلاف التصنيف الحقلي بين تراثنا العربي والتصنيف الغربي الحديث في بعض جوانبه ، فهو أمر لا ضير في وقوعه إذا نظرنا إلى :

- اختلاف الغربيين أنفسهم في هذا التصنيف أولاً .

- اختلاف مقاييس الشعوب وثقافاتها وتجاربها الحياتية ومفاهيمها العامة ثانياً .

وهذا يتضح في تأكيد أبي عبيد في الغريب المصنّف على أمرين هما :

١ - الحقول الحسية المتصلة بالإنسان ، والحيوان ، والنبات ، وكل ما له علاقة بهذه الموجودات التي تعايش معها .

٢ - الحقول اللغوية مراعاة للتوجه إلى بيان النص القرآني .

في حين نلمس جوانب أخرى أكدت عليها الدراسة الغربية في واقعها المعاصر ، من ذلك :

أ - حقول المجردات : كالحديث عن الطاقة ، والجاذبية .

ب - حقول الأحداث : كالحديث عن الانفعالات .

ج - حقول الإنشاءات : كالحديث عن كل ما هو جديد منها في الحياة المعاصرة .

- وقد أدرك **ل . ويسغرير** L . weisgerber - الباحث في هذا الميدان - إمكانية وقوع الخلاف ، فقال : «إن أسماء الألوان تشكل نظاماً اعتباطياً ، وأنه يمكن لنا أن نقسم ألوان الطيف بطريقة مغايرة ، وأنّ الأقدمين كان مقياسهم مختلفاً عن مقياسنا» .

وتأكيداً لصعوبة التصنيف الحقلي والاختلاف فيه ، نذكر إشارة **رولان بارث** Roland Barthes إلى رأي بعض علماء اللغة : «من أن التصنيف الدلالي ليس من مهامّ الدراسات اللغوية»[١] .

* * *

(١) Element De Semiologie = مبادئ في علم الأدلة ، الترجمة العربية ص٧ .

وأخيراً : فإني آمل أن يكون رَصْدي لهذا العطاء الكبير في الصناعة المعجمية العربية القديمة ورسم خيوطه بوضوح ، مشاركة في تأصيل أسس المدرسة اللغوية العربية ، وأنّ روادها حداثيون سابقون لعصورهم ، غلب على أعمالهم الجانب التطبيقي لفكرة الحقول الدلالية ، وعملهم هذا يشكّل إضافة أصيلة رائدة مبدعة في ميدانها ، وتلك مفخرة كبرى .

* * *



روافد البحث

أ ـ الكتب العربية :

ـ أصول تراثية في علم اللغة ، د . كريم زكي ، القاهرة ١٩٨٥م .

ـ إنباه الرواة على أنباه النحاة ، للقفطي ، القاهرة ١٩٥٠م .

ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، للسيوطي ، القاهرة ١٩٦٥م .

ـ تاريخ العلماء النحويين ، للقاضي التنوخي ، تحقيق د . عبد الفتاح الحلو ، الرياض ١٩٨١م .

ـ الترادف بين جون لاينز وعلماء العربية القدامى ، د . صَبيح التميمي ، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية ، دبي ٢٠٠١/٢١م .

ـ التفكير اللغوي عند العرب في العراق في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، د. صبيح التميمي ، رسالة دكتوراه ، الأزهر ١٩٨٣م .

ـ جواهر الألفاظ ، لقدامة بن جعفر ، القاهرة ١٣٣٢هـ .

ـ دراسات في علم اللغة ، د . كمال بشر ، القاهرة ١٩٧٣م .

ـ الدراسات اللغوية عند العرب ، د . محمد حسين آل ياسين ، بيروت ١٩٨٠م .

ـ طبقات النحويين واللغويين ، للزبيدي ، تحقيق محمد أبو الفضل ، القاهرة ١٩٨٤م.

ـ علم الدلالة ، د . أحمد مختار عمر ، القاهرة ١٩٩٣م .

ـ الغريب المصنّف ، لأبي عبيد القاسم بن سلام ، ج١ تحقيق رمضان عبد التواب ، القاهرة ١٩٨٩م ، ج١-٣ تحقيق محمد المختار العبيدي ، تونس ١٩٨٩-١٩٩٦م .

ـ محاضرات في علم اللغة الحديث ، د . أحمد مختار عمر ، القاهرة ١٩٩٥م .

ـ معاجم الأبنية في اللغة العربية ، د . أحمد مختار عمر ، القاهرة ١٩٩٥م .

ـ معاجم الموضوعات ، د . محمود سليمان ، الإسكندرية ١٩٩٤م .

ـ المعجم العربي ، د . حسين نصار ، القاهرة ١٩٦٨م .

- نظرية الحقول الدلالية ، د . محمود جاد الرب ، مجلة مجمع اللغة العربية ، العدد ٧١ ، القاهرة ١٩٩٢ .

الكتب الأجنبية المترجمة :

- De , Saussure F., Course in Linguistics.

دي سوسير ، علم اللغة العام ، ترجمة ، د . يوسف بوئيل ، بغداد ١٩٨٨م .

- Geoffrey S., 1980 Schools of Linguistics.

جفري سامبون ، المدارس اللغوية ، ترجمة ، د . أحمد الكراعين ، بيروت ١٩٩٣م .

- Germain C. and Raymond. B., La Semantique.

جرمان ، وريمون ، علم الدلالة ، ترجمة د . نور الهدى لوشن ، دمشق ١٩٩٤م .

- Lyons J., Languaga Meaning and Linguistique.

ليونز ، اللغة والمعنى والسياق ، ترجمة د . عباس الوهاب ، بغداد ١٩٨٧م .

- Mounin G., 1971. Clefs Pour La Linguistique.

جورج مونان ، مفاتيح الألسنية ، ترجمة أ . الطيب البكوش ، تونس ١٩٨١م .

- Mounin G., 1972. Clefs Pour La Semantique.

جورج مونان ، مفاتيح علم الدلالة ، ترجمة الطيب البكوش ، باريس ١٩٧٢م .

- Nida E., 1964 , Toward A . Science of Translating.

نيدا ، نحو علم الترجمة ، ترجمة ماجد النجار ، بغداد ١٩٧٦م .

- Palmer F. R., 1981, Semantics.

بالمر ، علم الدلالة ، ترجمة مجيد الماشطة ، بغداد ١٩٨٥م .

- Pierre G., La Samantique.

بيارغيرو ، ترجمة انطوان أبو زيد ، بيروت ١٩٨٦م .

- Robins R. H., A Short History of Linguistics.

روبنز، موجز تاريخ علم اللغة عند الغرب، ترجمة د. أحمد عوض، ألكويت١٩٩٧م .

- Ronald Barthes , 1964 , Elements de Semiologie.

رولان بارث ، مبادئ في علم الأدلة ، ترجمة محمد البكري ، اللاذقية ١٩٨٧م .

- Ronald E.

رولاند إيلور ، مدخل إلى اللسانيات ، ترجمة بدر الدين القاسم ، دمشق ١٩٨٠م .

- Ullmann S., 1951, Words and Their use .

أولمان ، دور الكلمة في اللغة ، ترجمة د . كمال بشر ، القاهرة ١٩٩٢م .

- Vendryes G., Language.

فندريس ج. علم اللغة، تعريب عبد الحميد الدواخلي ، ومحمد القصاص ، القاهرة ١٩٥٠م.

ج - الكتب الأجنبية غير المترجمة :

- De, Sausser. F., (1964) , Coures in general Linguistics, London .

- Lyouns J., (1977) , Semantics, Cambridge University Press .

- Lyouns J., (1995) , Linguistic Semantics, Cambridge University Press.

- Nida E. (1977) Componential Analysis of Meaning. The Haugue, Mouton .

- Palmer F . R.,(1955) , Semantics, Cambridge University Press .

- Robins R. H., (1967) , A Short History of Linguistics, London .

- Ullmann S., (1962) , Semantics, Oxford .

الأهمية السياسية والعسكرية لمضيق جبل طارق في تاريخ المغرب والأندلس

من الفتح حتى سقوط الخلافة ٩٢ - ٤٢٢ هـ / ٧١٠ - ١٠٣٠ م

د. نهلة شهاب أحمد*

التعريف بالبحث:

يهدف البحث أولاً إلى التعريف بمضيق جبل طارق .ثم يتعرض إلى دور المضيق في فتح شبه جزيرة إيبريا، حيث إن طبيعة الموقف على جانبي المضيق في العقد الأخير من القرن الأول الهجري، كانت تؤكد ضرورة الإسراع في فتح شبه الجزيرة. فجاءت حملة طارق بن زياد عام ٩٢هـ / ٧١١ م، والتي استطاع من خلالها أن يفتح أولاً الساحل الإيبري للمضيق، وبذلك أحكم سيطرته على المضيق بكامله، وأمَن خطوط مواصلاته، ثم جاءت عملية عبور حملة موسى بن نصير سنة ٩٣هـ / ٧١٢م للمضيق، والتي تمت في ظل وضع أمين ومستقر.

ثم تناول البحث المضيق على عصر الولاية (٩٥هـ - ١٣٨هـ / ٧١٤م - ٧٥٥م)، حيث يبرز دوره خلال هذه الحقبة التاريخية في أحداث الفتن والاضطرابات الداخلية في المغرب سنة ١٢٢هـ / ٧٤٠م، وانتقال صداها وتأثيرها عبر المضيق إلى الأندلس.

وتظهر أهمية المضيق على عصر الإمارة (١٣٨ - ٣١٦هـ / ٧٥٥ - ٩٢٨م)، في تأسيس عبد الرحمن بن معاوية الإمارة في الأندلس، وفي أحداث هيجة الربض، ومن خلال تعرض المضيق بساحليه إلى هجوم النورمان.

وأخيراً يتضح دور المضيق على عصر الخلافة الأموية (٣١٦ - ٤٢٢هـ / ٩٢٨ - ١٠٣٠ م) من خلال الأزمة السياسية والعسكرية بين الفاطميين في المغرب والأمويين في الأندلس.

* أستاذة مساعدة في قسم التاريخ بكلية التربية جامعة الموصل. ولدت سنة (١٩٥٨م)، وحصلت على شهادة الماجستير من كلية الآداب بجامعة الموصل سنة (١٩٨٧م)، وكذلك الدكتوراه سنة (١٩٩٦م)، وهي عضوة اتحاد المؤرخين العرب. ولها عدد من البحوث المنشورة.

أولاً : تعريف مضيق جبل طارق :

إن مصطلح مضيق جبل طارق قد جاء مرادفاً لتسميات عديدة ، منها : « بحر الزقاق »[(١)] ، و « المجاز »[(٢)] ، و « مجمع البحرين »[(٣)] ، كما عرف في التاريخ القديم بـ « مضيق قادس » أو « مضيق هرقل »[(٤)] .

وتدور فكرة الأسطورة التي قيلت بشأن المضيق ، حول قصة دخول الإسكندر إلى شبه جزيرة إيبريا (Iberian peninsula) ، ولقائه بأهلها الذين أبدوا له استياءهم من جيرانهم المقابلين لهم في المغرب ، والذين كانوا يتحينون الفرص للانتقال إلى شبه جزيرة إيبريا مستخدمين أرض المضيق اليابسة معبراً لهم ، واستجابة لطلبهم ولتخليصهم من تدخّل أهالي المغرب ببلادهم ، أمر المهندسين بغمر أراضيه وتشييد أرصفة على جانبيه[(٥)].

ومضيق جبل طارق ممر مائي ضيق[(٦)] تلتقي فيه مياه غرب البحر المتوسط مع مياه شرق المحيط الأطلسي ، ويبلغ طوله ثلاثة وثلاثين ميلاً ، (أي واحداً وستين كيلو متراً) ، أما عرضه فيبلغ أربعة وعشرين ميلاً بحرياً[(٧)] ، (أي أربعة وأربعين كيلو متراً) عند النهاية الغربية ، وثلاثة عشر ميلاً (أي أربعة وعشرين كيلو متراً) عند النهاية الشرقية ، وأضيق

---

(١) الجغرافية للزهري ص٣ ، القارة الإفريقية للإدريسي ص٢٤٦.

(٢) القارة الإفريقية ص٢٤٦.

(٣) المغرب للغرناطي ص١٥.

(٤) دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس لأمين توفيق الطيبي ص٢٧٩ .

(٥) القارة الإفريقية ص٢٤٦ ، المعجب للمراكشي ص٤٤٩ ، نفح الطيب للمقري ١/١٣٢-١٣٣ ، الاستقصا للسلاوي ١/٦٧ - ٦٨.

(٦) تعرف المضايق عموماً بأنها : ممرات ضيقة تصل بين بحرين وتتكون من اقتراب الساحلين لمسافة تقدر في العرف الدولي بنحو ضعف اتساع البحر الإقليمي ، ينظر القاموس السياسي لعطية الله ص١١٨٢.

(٧) الميل البحري يساوي ١٨٥٣ متر .

ينظر : Oxford Dictionary of Gurrent English , A.S. Horaby.

عرض للمضيق يبلغ سبعة أميال ونصف (أي أربعة عشر كيلو متراً) وتصل أعماقه إلى قرابة ستمائة قامة بحرية[١].

يضم ساحل المضيق من جهة المغرب العربي كلاً من مدينة سبتة Ceuta ، وقصر مصمودة ، وطنجة Tangeir [٢]، ويضم من جهة شبه جزيرة إيبريا كلاً من جبل طارق Gilbrattar ، والجزيرة الخضراء Algeciras ، وجزيرة طريف Tarifa [٣].

ثانياً : دور المضيق في فتح شبه جزيرة إيبريا :

لم يأت الفتح العربي الإسلامي لشبه جزيرة إيبريا اعتباطاً وعشوائياً ، بل جاء ضمن خطة مركزية وضعها قادة الفتح في المنطقة والسلطة المركزية في دمشق ، وقد برز في هذه الفتوح القائدان طارق بن زياد ، وموسى بن نصير ، إذ تولى الأخير ولاية إفريقية أواخر العام (٨٥هـ/٧٠٤م) وأثبت جدارته الإدارية والعسكرية ، وتمكن بمساعدة طارق بن زياد من إكمال تحرير المغرب ، باستثناء مدينة سبتة التي استعصت عليه ، إذ أبدى حاكمها يوليان مقاومة كبيرة ، وقد ساعدته في ذلك الحصانة الطبيعية للمدينة ، والمساعدات التي كان يتلقاها من القوط في شبه جزيرة إيبريا في عهد ملكهم غيطشة ، ولم يتوقف موسى عندها طويلاً ، بل تركها وزحف بجيشه نحو طنجة [٤].

وقد تغير موقف يوليان بعد أن تمكن العرب المسلمون من تحرير معظم أجزاء الشمال الإفريقي ، الذي أصبح جزءاً من دولتهم ، فوجد أن من مصلحته الخضوع لإرادة العرب المسلمين ، فقد أصبح بعيداً عن مركز الدولة البيزنطية في القسطنطينية ، وفي الوقت نفسه

---

(١) جغرافية النقل لحبيب وطعماس ص١٤٢ .
والقامة البحرية تساوي ١,٨٢٨ متراً ، ينظر :
Oxford Dictionary of Gurrent English A.S. Horaby.
(٢) القارة الإفريقية للإدريسي ص٢٤٧، المعجب ص٥١٤ ـ ٥١٥ ، الجغرافيا لابن سعيد ص ١٣٩ .
(٣) القارة الإفريقية ص٢٥٠.
(٤) أخبار مجموعة لمؤلف مجهول ص١٥ ، نفح الطيب للمقري ٢٣٤/١.

توقفت المساعدات والإمدادات التي كانت ترسل له من شبه جزيرة إيبريا بعد وفاة حليفه القوطي غيطشة ، وسيطرة لذريق على الحكم ، وانشغاله بمشكلاته الداخلية [١] ، لذا فقد أرسل إلى موسى بن نصير يطلب الصلح بشرط أن يبقى حاكماً على سبتة مقابل اعترافه بالحكم العربي [٢] ، وقد وافق موسى بن نصير على طلبه ، ثم عاد إلى القيروان ، تاركاً طارق بن زياد عاملاً على طنجة وقائداً للحامية العسكرية فيها [٣] .

وفي هذه الأثناء اتصل يوليان بقادة الفتح العربي الإسلامي ، ودعاهم إلى فتح شبه جزيرة إيبريا [٤] فشجع العرب ، ولكن لم يكن هو السبب الرئيسي الذي دفعهم للفتح كما تذكر أغلب المصادر ، وتشير إلى قصة ابنته الأسطورية [٥] ؛ لأن العرب خرجوا فاتحين ومجاهدين لإعلاء كلمة الحق ، ونشر الدين الإسلامي أولاً ، ولم يكن فتحهم بسبب غضبة رجل كائناً من كان ذلك الرجل [٦] ، ثم إن الضرورة العسكرية والدفاعية لتأمين الفتح العربي الإسلامي للمغرب ، ولاسيما منطقة المضيق حتّمت الفتح ، إذ من المحتمل أن

---

(١) أخبار مجموعة ص ١٥ ، وينظر الدولة العربية في أسبانيا لبيضون ص٦٨.

(٢) الكامل لابن الأثير ٤/٥٦١ ، نهاية الأرب للنويري ٢٢/ق٢/٢٠٣ ، العبر لابن خلدون ٦/٢١١ .

(٣) البيان المغرب لابن عذارى ١/٤٢ ، العبر ٤/١١٧ ، ٦/٢١١ ، الاستقصا ١/٩٦.

(٤) لقد اختلفت الروايات في طبيعة هذا الاتصال ، فقد ذكرت الأولى منها أنه جرى بالمراسلة بين موسى ويوليان ، ينظر البيان المغرب لابن عذارى ٢/٥ ، وأشارت الثانية إلى أنه قد تم بالمقابلة الشخصية ، ينظر تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ص ٤٤ . البيان المغرب ٢/٥ . نهاية الأرب ٢٢/ق٢/٢٠٣ . نفح الطيب ١/٢٣٦ - ٢٣٧ . وأكدت الثالثة أن الاتصال جرى بين يوليان وطارق ابن زياد في طنجة . ينظر وصف الأندلس لابن الشباط ص١٣٤ ، وعلى الرغم من الاختلاف في هذه الروايات فهي ليست متناقضة ، ويبدو أن يوليان قد فاوض موسى بن نصير ، وعندما عاد إلى القيروان استكمل مفاوضاته مع طارق بن زياد في طنجة بتخويل من القائد الأعلى موسى بن نصير ، ينظر طارق بن زياد لخطاب ص١٨ .

(٥) فتوح مصر لابن عبد الحكم ص٢٠٥ . تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية ص٨ . تاريخ الأندلس ص٤٤ . الكامل ٤/٢٥٦ . المعجب ص٢٠ - ٢١ . البيان المغرب ٢/٧ . نهاية الأرب ٢٢/ق٢/٢٠٣ . الاستقصا ١/٩٧ ، ٩٨.

(٦) العرب والإسلام لفروخ ص٨٠ .

لا تسلم مدينتا سبتة وطنجة المهمتان من أي هجوم محتمل ـ وفي أي وقت ـ يشنه القوط ، لذا فمن المؤكد أن فتح شبه جزيرة إيبريا جاء نتيجة طبيعيــة ، وضـرورة حتميـة لاستمرار حركة الفتح في المغرب ، وبخاصة بعد أن تمكن العرب المسلمون من كسب ثقـة السكان المحليين الذين دخلوا في الإسلام ، واطلعوا على جوهـر الرسالة الإسلامية ، وأخـذوا يتقربون إلى العرب الفاتحين ، فاندمجوا معهم والتحقـوا بصفـوف جيشـهم ، فضـاق المجال المغربي بهذه القوة العسكرية الضاربة، وأصبح من الضروري دفع هـذه الجمـوع المتحمسـة للجهاد إلى ميـدان جديـد لإشبـاع الجـانب الروحي فيـها ، ولمـد السيادة العربيـة خـارج المغرب ؛ فكانت شبه جزيرة إيبريا هي المجال الحيوي للفتح .

وقد برز من السكان المحليين عدد من القادة الكبار من أمثال طارق بـن زيـاد ، الـذي اعتمد عليه موسى بن نصير ، وجعله قائداً للحامية العسكرية في طنجة . ويبـدو أنـه كـان من الصعب على طارق بن زياد الذي يقود مثل هذه القوة المنظمـة أن يقـاوم فكـرة عبـور المضيق إلى شبه جزيرة إيبريا ، وخاصة أن مناطق الجنوب كانت صحراوية لا تشجع على التوغل فيها ، فضلاً عن أن هؤلاء الجنود من القبائل المغربيـة كـانوا علـى علـم تـام بأهميـة العلاقات بين المغرب وشبه جزيرة إيبريا ، إذ كانوا على اتصال دائم مع سواحلها الجنوبيـة لقربها منهم ، وكانوا أيضاً بلا شك يعلمون عن خصبها وغناها ، وعن طبيعـة مشكلاتهـا الاجتماعية والسياسية ، وضعف دولة القوط الغربيين فيها(١) .

ومن خلال ما تقدم ، فإن طبيعة الموقف على جانبي المضيق في العقد الأخير من القرن الأول الهجري ـ بداية القرن الثامن الميلادي ـ كـانت تؤكـد ضـرورة التقـدم والإسـراع في عملية الفتح العربي لشبه جزيرة إيبريا .

---

(١) الفتح والاستقرار لطه ص١٦١ ، المغرب الاسلامي لنقبال ص٩٠ ـ ٩٣ ، وينظر
Apolitical History of Muslim Spain , S.M. Imamuddin , P.26.

وقبل أن يبدأ طارق بن زياد بالفتح ، اتصل بالقائد الأعلى موسى بن نصير في القيروان، واتصل موسى بدوره بالخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦ ـ ٩٦هـ/ ٧٠٥ ـ ٧١٥م) ليعلمه بما عرض عليه يوليان ، وليستأذنه في الفتح ، ويستأنس برأيه ويأخذ بمشورته ، وقد رد عليه الوليد بالموافقة شرط أن تختبر المنطقة بالسرايا ، وأن لا يغرر بجيش المسلمين في ركوب بحر متسع شديد الأهوال[١]. فكتب إليه موسى يهون له الأمر ، ويؤكد سهولة عملية عبور جيش المسلمين بقوله : « إنه ليس ببحر ، وإنما هو خليج يصف صفة ما خلفه للناظر »[٢] ، ولكن خوف الوليد على جيش المسلمين جعله يصر على اختبار المنطقة بالسرايا بقوله : « وإن كان فاختبره بالسرايا »[٣].

وقام طارق بن زياد وبإيعاز من القائد الأعلى موسى بن نصير ، بسبب موقعه السوقي الممتاز على المضيق في رمضان من السنة ٩١هـ/آب ـ أيلول ٧١٠ م ، بإرسال حملة استطلاعية بقيادة أبي زرعة طريف بن مالك المعافري ، الذي عبر المضيق مع أربعمائة راجل ومائة فارس ، على متن أربعة مراكب هيأها يوليان ، ونزلت على الشاطئ في منتصف المضيق في مكان أطلق عليه اسم قائد الحملة طريف (Tarifa) ، ومن هذا المكان قام طريف وجنده ، وبتوجيه يوليان ومساعدته ، بشن غارات سريعة امتدت حتى الجزيرة الخضراء[٤].

---

(١) أخبار مجموعة ص١٦ . تاريخ الأندلس ص٤٥ . نهاية الأرب ٢٢/ق٢/٢٠٣.

(٢) أخبار مجموعة ص١٦ . وقد ورد مضمون النص نفسه مع شيء من الاختلاف في المفردات عند ابن الأثير في الكامل ٥٦١/٤ . نفح الطيب ٢٣٧/١.

(٣) أخبار مجموعة ص ١٦.

(٤) أخبار مجموعة ص١٦ ـ ١٧ . فتح الأندلس لمؤلف مجهول ص٥ . تاريخ الأندلس ص٤٥ (ويذكر عدد أفراد الحملة ثلاثة آلاف راجل) . الكامل ٥٦١/٤ . البيان المغرب ٥/٢ . نهاية الأرب ٢٢/ق٢/٢٠٣ . نفح الطيب ٢٣٧/١ . إفريقيا لمارمول ١٦٩/١. (ويذكر بأن يوليان كان بمعية السرية واستعان بأقاربه وأصدقائه الموجودين على الساحل الإيبري للمضيق وطلب منهم أن يقدموا العون والمساعدة عند مجيئهم في العام التالي بجيش أكبر) .

وقد تكللت جهود هذه الحملة بالنجاح مما شجع طارقاً على المضي في عملية الفتح لشبه الجزيرة ، إذ عاد يوليان ثانية بطلبه إلى موسى بن نصير بالإسراع بعملية الفتح معلماً إياه بما كان منه ومن طريف من فعل وبلاء ، فدعا عند ذلك مولاه طارق بن زياد وعقد له على فتح شبه الجزيرة[١].

وفي العام التالي من رجب ٩٢ هـ/نيسان ٧١١م ، قاد طارق بن زياد بنفسه حملة إلى شبه الجزيرة ، شكل أفراد القبائل المغربية غالبية رجالها[٢] ، وقد شارك في الحملة أيضاً يوليان ، وعدد من رجاله بوصفهم أدلاء للمسلمين يتجسسون لهم الأخبار ويدلونهم على مواطن الضعف[٣] ، وقد عبر طارق بسبعة آلاف من الجند ، ثم أمده موسى بن نصير بخمسة آلاف جندي قبيل المعركة[٤] ، وقد تمت عملية العبور تباعاً من مدينة سبتة[٥] على متون أربع سفن تجارية ، هيأها يوليان ؛ لأنه أراد أن يحيط عملية عبوره بالسرية التامة ، وقد أكد لنا ذلك عدد من مؤرخينا القدامى بالقول : « فجعل (طارق) أليان يحمل البربر في مراكب التجار التي تختلف إلى الأندلس ، ولا يشعر بهم أهل الأندلس ، ولا يظنون إلا أنها تختلف بمثل ما كانت تختلف به من منافعهم ومعايشهم ومتاجرهم ، فجعل ينقلهم فوجاً فوجاً إلى ساحل الأندلس . . . »[٦].

---

(١) تاريخ الأندلس ص٤٦ . نفح الطيب للمقري ٢٣٨/١ .

(٢) تاريخ الرسل والملوك للطبري ٤٦٨/٦ . فتح الأندلس ص٩. وصف الأندلس لابن الشباط ص١٣٤. تاريخ الأندلس ص٤٦ . الكامل ٥٥٦/٤ . البيان المغرب ٦/٢ . نفح الطيب ٢٣٨/١ . الاستقصا ٩٨/١.

(٣) أخبار مجموعة ص١٧ . تاريخ الأندلس ص٤٦ . نفح الطيب ٢١٦/١ . القوى البحرية والتجارية للويس ص ١٠٢.

(٤) أخبار مجموعة ص١٧ . الكامل ٥٦١/٤ ـ ٥٦٢ . نفح الطيب ٢١٦/١.

(٥) فتوح مصر وأخبارها ص٢٠٥ . فتح الأندلس ص٥ . تاريخ الأندلس ص٤٦ . الاستقصا ٩٨/١ . اللسان المعرب للسليماني ص٣٨ .

(٦) تاريخ إفريقية والمغرب للرقيق القيرواني ص٧٤ . وقد ورد مضمون النص نفسه مع شيء من الاختلاف في المفردات عند ابن عذاري . البيان المغرب ٦/٢ . نفح الطيب ٢٣٨/١.

ومن الجدير بالذكر أن معظم مصادرنا القديمة تشير إلى حملة جبل طارق باقتضاب شديد ، فهي تذكر أن طارقاً قد نزل في الجبل المنسوب إليه دون أن يلقى مقاومة[١] ، وهذه الرواية تبدو بعيدة عن الصواب لأن هذا الجبل يمثل موقعاً سوقياً مهماً منذ أقدم العصور[٢] ، فهو واحد من نقاط الاتصال بين المغرب وشبه الجزيرة ، والمتحكم في المضيق ضد أي هجوم على شبه الجزيرة من ناحية المغرب ، ولا ريب في أن القوط في أواخر أيامهم كانوا على علم بتطور الأحداث على الجانب المغربي من المضيق وتنامي قوة العرب المسلمين هناك ، فضلاً عن أن الحملات الاستطلاعية التي شنها كل من يوليان وطريف[٣] قد نبهتهم على خطر قوة العرب المسلمين ، إذ كانت بمثابة إنذار لهم كي يأخذوا حذرهم وحيطتهم لأي هجوم متوقع ، فقد عهد الملك لذريق (Rodric)

---

(١) فتوح مصر وأخبارها ص٢٠٦ . أخبار مجموعة ص١٧ . وصف الأندلس ص١٣٤. الكامل ٥٦١/٤ ـ ٥٦٢. نهاية الأرب ٣٠٤/٢/ق٢٢ . العبر ١١٧/٤ . الاستقصا ٩٨/١ . اللسان المعرب ص٣٨ .

(٢) لقد أدرك الفينيقيون أهمية هذا الموقع من الناحية السوقية والاقتصادية ، لذلك أقاموا عاصمة ثانية لهم في مدينة قادس وراء أعمدة هرقل ، وأحكموا سيطرتهم على الممر الضيق في جبل طارق ، لمنع الإغريق من مشاركتهم في التجارة المربحة ، وعندما جاء الرومان ، عقد القرطاجيون اتفاقية مع روما تقضي بمنعهم من المرور عبر مضيق جبل طارق لكي لا يعرفوا شيئاً عن تجارتهم المربحة مع البريطانيين ، تجارة التنك والرصاص ، كما أنهم عمدوا إلى رمي الاجانب الذين يقتربون من المضيق في البحر ، ولم يترددوا في إغراق أية سفينة تحاول عبور المضيق ، فقد عمد أحد الربانة القرطاجنيين إلى الانتحار بإغراق سفينة رومانية كانت قد تجاوزت مضيق جبل طارق عن طريق التصادم معها وإغراق السفينتين ، ومن هنا فقد حرصت جميع الأقوام التي حكمت شبه الجزيرة على بسط نفوذها على مضيق جبل طارق واتخذت من جبل طارق قاعدة عسكرية لتحقيق هذا الغرض .

ينظر :

The Golden Trade of the Moors E.W. Bovill , P. 19-24 .

(٣) أخبار مجموعة ص١٦ ـ ١٧ . فتح الأندلس ص٥ . تاريخ الأندلس ص٤٥ . الكامل ٥٦١/٤ . البيان المغرب ٥/٢ . نهاية الأرب ، ٢٢/ق٢/ ٢٠٣ . نفح الطيب ٢٣٧/١ . إفريقيا ١٦٩/١ .

إلى القائد القوطي تدمير (Theodemir) بمسؤولية الدفاع عن هذه المنطقة[١]، وربما كانوا على علم بنوايا المسلمين وخططهم في الفتح ، لأن عرض مضيق جبل طارق في أضيق جهاته يقرب من أربعة عشر كيلو متراً ، وهذه مسافة لا وزن لها من ناحية الانتشار العسكري بين الساحلين المغربي والإيبيري ، إذاً لابد من أن القوط - مهما بلغ ضعفهم - لم يهملوا هذه القاعدة السوقية ، ويتركوها من دون حراسة ومراقبة[٢].

لهذا لم يكن نزول طارق عند الجبل بهذه السهولة التي صورتها لنا عدد من مصادرنا التاريخية ، بل لابد من أنه قد جابه مقاومة عنيفة دفعته إلى تغيير خطته العسكرية ، والنزول بجيشه ليلاً في مكان آخر صخري ووعر ، مستخدمين براذع الدواب ومجاذف السفن ، كي تعينهم على خوض المياه ، وارتقاء الصخور بغية الالتفاف حول العدو ، والانقضاض عليه قبل أن يشعر بهم ، وقد أكد ذلك ما جاء به ابن الكردبوس في وصفه لعملية النزول بقوله : « فمضى (طارق) لسبتة ، وجاز في مراكبه إلى الجبل . . . فسُمي جبل طارق باسمه إلى الآن ، وذلك سنة اثنتين وتسعين من الهجرة ، ووجد بعض الروم وقوفاً في موضع وعر فوطأه بالمجاذف وبراذع الدواب ونزل في البر وهم لا يعلمون ، فشن غارة عليهم وأوقع بهم وغنمهم »[٣].

وعلى الرغم من أن هذه المعركة كانت محدودة بيد أنها كانت على جانب كبير من الأهمية العسكرية إذ قررت نجاح عملية الفتح والسيطرة على موضع قدم للجيش العابر من المغرب إلى شبه الجزيرة ، ومكنته من ضمان الاتصال مع خطوطه الخلفية في المغرب ، كما أنها بثت الرعب في قلوب القوات القوطية التي انهزمت مذعورة لتنقل أخبار هزيمتها إلى

---

(١) الإمامة والسياسة للدينوري ص١٢١ - ١٢٢ . الفتح والاستقرار لطه ص ١٦٥ .

(٢) في تاريخ المغرب والأندلس ص٦٠ - ٦١ .

(٣) تاريخ الأندلس ص٤٦ . وينظر ايضاً : البيان المغرب ٩/٢ (حيث ترد بعض عبارات هذا النص) .

الملك لذريق على لسان أحد أفرادها الذي قال بأن قوات لا قبل لهم بها قد هاجمتهم ، وهو لا يعلم أهي هبطت من السماء أم طلعت عليهم من باطن الأرض [١].

ثم قام طارق وقواته بتحصين موقعهم في الجبل ببناء سور حولهم سمي بسور العرب [٢]، وقد أثار عدد من المستشرقين والمؤرخين العرب شكوكاً حول بناء هذا السور وبنوا شكوكهم على أساس أن طارقاً لم ينو البقاء مدة طويلة في الجبل لأن هدفه هو فتح المناطق المجاورة للجبل كالجزيرة الخضراء وغيرها [٣]، واعتمدوا في ذلك على قول ابن الأثير : « نزل [طارق] من الجبل إلى الصحراء وافتتح الجزيرة الخضراء وغيرها وفارق الحصن الذي في الجبل » [٤].

ويبدو أن هؤلاء المؤرخين قد اختلط عليهم الأمر في المعنى العسكري الدقيق لمفهوم التحصين ، والذي يعني أنه من واجب كل مقاتل أن يحصن موقعه ، حتى لو كان وقتياً ، ومن المواد المتيسرة في الموقع [٥]، إذ إن من واجب القائد وجنده أن لا يغفلوا عن تحصين مواقعهم تحسباً واستعداداً لأي هجوم محتمل ، والسور الذي بناه طارق لا يعني إقامة الحصون المشيدة - كما فهمه هؤلاء المؤرخون - بل هو بمثابة جدار تمت إقامته من الصخور والأحجار الموجودة في الجبل كي يحتمي وراءه المقاتلون من كل خطر محتمل [٦].

وبعد أن أمّن طارق موقعه في الجبل ، أرسل كتيبة من المقاتلين الأشداء تحت قيادة

---

(١) الإمامة والسياسة ص١٢١ - ١٢٢ . نفح الطيب ١/٢٢٥ .

(٢) البيان المغرب ٢/٩ . العبر ٤/١١٧.

(٣) الطيبي ، بحوث ودراسات ص٢٩٦ .

The Early Islamic Settleman in Gibralter , H.T Norris , pp. 62-63.

(٤) الكامل ٤/٥٦٢.

(٥) قاموس المصطلحات العسكرية لأمين ص٨٦ .

(٦) طارق بن زياد ص٢٩ - ٣٠.

أحد قادته ـ وهو عبد الرحمن بن أبي عامر المعافري ـ لفتح حصن قرطاجة الواقع إلى الشمال الغربي من الجبل ويدعى الآن بـ (Tone de Cartagema)[١].

ثم توجه بعد ذلك لفتح الجزيرة الخضراء المجاورة للجبل وإحكام السيطرة عليها[٢]، واستخدامها قاعدة عسكرية لحماية ظهره في حالة الانسحاب ، بوصفها أسهل وأقرب نقطة للاتصال بقاعدة سبتة على الساحل المغربي ، وفي الوقت نفسه يصعب اتصالها بشبه الجزيرة ، لوجود حاجز من المرتفعات بينهما ، وأقام قاعدة أمامية في جزيرة طريف بقيادة طريف بن مالك المعافري[٣]. وبذلك حقق هدفه في السيطرة على الساحل الإيبيري على المضيق وضمن السّيطرة الكاملة على منافذ العبور بين الساحلين للمضيق ، وسهّل العبور والاتصال ، ووصول الإمدادات المادية والبشرية دون تعرضها لأي خطر ، وفي الوقت نفسه أمن حماية مؤخرة القوات الموجودة في الجانب الإيبيري .

وبعد أن أحكم سيطرته على المضيق بكامله ، وأمن خطوط مواصلاته ، بدأ في تحقيق أهدافه في الفتح ، إذ وصل زحفه نحو كورة شذونة (Sidonia) في الجنوب الغربي من شبه الجزيرة ، متخذاً المرتفعات الجنوبية الساحلية مصداً وحامياً له من الشمال ، كما اتخذ الجزيرة الخضراء وطريفاً قاعدتين لحماية مؤخرة جيشه ، ومن طريف تابع تقدمه حتى وصل إلى بحيرة الخندق لاخاندا (Laguna dela Janda) وعسكر هناك واتخذها حاجزاً بينه وبين العدو ، فجعلها على جهته اليمنى ، والبحر على جهته اليسرى ، في حين جعل الطريق بينه وبين طريف والجزيرة الخضراء مفتوحاً من جهة الجنوب لإيصال الإمدادات ، تحسباً لكل الظروف التي قد تضطره إلى الانسحاب والتراجع[٤].

---

(١) ذكر بلاد الأندلس ص ١٧٥ ـ ١٧٦ ، البيان المغرب ٢/٩ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ .

(٢) البيان المغرب ٢/٢٥٧ .

(٣) نفح الطيب ١/٢١٧ ـ ٢١٨ .

(٤) في تاريخ المغرب والأندلس ص٦٨ ـ ٦٩ ، دراسات في التاريخ الأندلسي لطه ص٢٣ .

وعندما وصلت أنباء زحف طارق بن زياد إلى الملك لذريق الذي كان مشغولاً في القضاء على إحدى تمردات الباسك أو البشكنس (Basques) في الشمال الشرقي ، كان من الصعوبة سحب قواته ونقلها من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب حيث ميدان العمليات العسكرية لأنه يحتاج إلى وقت طويل ، لذا فقد قرر على وجه السرعة إرسال قوات تحت قيادة ابن أخته المدعو بنج (Banj) لمنع تقدم قوات المسلمين وإجلائهم عن المناطق التي فتحوها جنوباً ، لحين وصوله بقواته الكبيرة ، والتقى بنج بجيش المسلمين ، وتمكن طارق من دحر قواته وقتله ، وكان لهذا الانتصار أثر كبير في رفع معنويات المسلمين ، وإكمال عملية الفتح الكبرى[١] .

وسارع لذريق بجيشه الكبير الذي بلغ تعداده ما بين أربعين إلى مائة ألف مقاتل[٢] ، وهذا العدد كما يبدو مبالغ فيه ، وعندما علم طارق بن زياد بهذه الحشود الضخمة كتب إلى موسى بن نصير بالفتح طالباً منه النجدة وقد صور لنا ذلك صاحب أخبار مجموعة بقوله : « كتب (طارق) إلى موسى يستمده ويخبره أن قد فتح الله الجزيرة واستولوا عليها وعلى البحيرة ، وأنه قد زحف إليه ملك الأندلس بما لا طاقة له به ، وكان موسى مذ وجه طارقاً أخذ في عمل السفن حتى صارت معه سفن كثيرة ، فحمل إليه خمسة آلاف . . . »[٣] ، وقد عبرت هذه القوات بكل سهولة وأمان نظراً لسيطرة قوات المسلمين على ساحلي المضيق .

وتجمع مصادرنا على أن المعركة الفاصلة التي دارت بين القوط الغربيين والجيش العربي الإسلامي كانت في كورة شذونة (Sidonia) ، ولكنها اختلفت في المكان المحدد

---

(١) البيان المغرب ٨/٢ .

(٢) أخبار مجموعة ص١٧ . تاريخ الأندلس ص٤٧ . الكامل ٥٦٢/٤ . العبر ١١٧/٤ . نفح الطيب ٢٤١/١ .

(٣) أخبار مجموعة ص١٧ . وينظر : الكامل ٥٦٢/٤ . نفح الطيب ٢٥٧/١ (حيث ورد عندهما نفس النص مع بعض الاختلاف في المفردات) .

ضمن هذه الكورة ، لذا فقد جاءت هذه المعركة بأسماء عديدة منها معركة وادي لكة أو بكة ، وادي شريش ، وادي البرباط ، معركة البحيرة ، السواقي ، السؤاني[١] .

إن هذه المعركة التي توقف عليها مصير شبه الجزيرة في يد العرب المسلمين كانت أكبر وأعظم من أن تحدد بمثل هذه الأماكن الضيقة والمحددة ، فهي معركة كورة شذونة بأسرها ، وإن اقتران تسمية المعركة بهذه الأماكن ما هو إلا دليل على كبر حجمها بحيث غطت مناطق كثيرة من كورة شذونة . ومما يؤيد هذا الرأي أن بقية المعارك التي حدثت بين المسلمين والقوط الغربيين ما كانت إلا مناوشات خفيفة موازنة بهذه المعركة الفاصلة[٢] ، وقد دامت هذه المعركة ثمانية أيام (٢٨ رمضان ـ ٥ شوال ٩٢هـ / ١٩ ـ ٢٦ تموز ٧١١ م)[٣] ، وهذا دليل على مدى شدتها وضراوتها ، وكانت نتيجتها أن انهزم القوط وتكبدوا خسائر فادحة ، أما عن مصير لذريق فلم يكن معروفاً إذ لم يعثر عليه ، ومن المحتمل أنه قد غرق في أحد المستنقعات[٤] ، وبعد انتهاء المعركة كتب طارق بن زياد إلى موسى بن نصير بالفتح ، وكتب موسى بدوره إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك[٥] .

وكان من نتائج هذه المعركة ، أنه ما كادت تصل أخبار انتصار جيش طارق بن زياد على القوط إلى أسماع العرب المسلمين في المغرب ، حتى تسارعوا إلى عبور المضيق ،

---

(١) فتوح مصر وأخبارها ص٢٠٦ . أخبار مجموعة ص١٨ . وصف الأندلس لابن الشباط ص١٣٤ . الكامل ٥٦٢/٤ . الحلة السيراء لابن الابار ٣٣٣/٢ . البيان المغرب ٨/٢ . العبر ١١٧/٤ . نفح الطيب ٢٤٢/١ .

(٢) في تاريخ المغرب والأندلس للعبادي ص٧٢ . دراسات أندلسية ص٢٥ .

(٣) الحلة السيراء ٣٣٣/٢ . البيان المغرب ٨/٢ . نفح الطيب ٢٤٣/١ .

(٤) أخبار مجموعة ص١٨ ـ ١٩ . وصف الأندلس ص١٣٤ ـ ١٣٥ . بلاد الأندلس ص٩٩ . البيان المغرب ٨/٢ . نفح الطيب ٢٤٢/١ ـ ٢٤٣ .

(٥) تاريخ الأندلس ص٤٨ .

ومن هنا يتبين بأن المضيق أصبح منطقة تخضع في سيادتها إلى الدولة العربية الإسلامية ، الأمر الذي جعلها معبراً طبيعياً أميناً يقصده كل من يريد الانتقال بين الجهتين ، وفي ذلك توضيح لما ذكره المقري بقوله : « وتسامع الناس من أهل بر العدوة بالفتح على طارق بالأندلس وسعة المغانم فيها ، فأقبلوا نحوه من كل وجه ، وخرقوا البحر على ما قدروا عليه من مركب وقشر ، فلحقوا بطارق وارتفع أهل الأندلس عند ذلك إلى الحصون والقلاع ، وتهاربوا من السهل ولحقوا بالجبال »(١) .

كما قضت هذه المعركة على قوة القوط الرئيسة ، وكسرت شوكتهم ، وفتحت أبواب شبه الجزيرة للمسلمين ، ومهدت الطريق للعمليات العسكرية التالية التي كان أغلبها يمثل ملاحقة لفلول العدو المنهزمة إلى حاميات المدن الأخرى لإنهاء مقاومتهم .

وبعد النجاح الكبير الذي حققه طارق بن زياد في شبه الجزيرة ، قرر موسى بن نصير أن يلحق به بجيش آخر ، ويشاركه في عملية الفتح ويطلع بنفسه على سير العمليات الحربية هناك ، فأبحر من مرسى موسى الواقع بالقرب من قرية بليونش التي تبعد عن سبتة مسافة ثمانية كيلومترات ، ونزل عند ساحل الجزيرة الخضراء(٢) . وكان سبب اختيار موسى بن نصير لمرسى موسى نقطة لانطلاقه ، أنها أصبحت مأمونة الجانب كغيرها من مناطق الساحل المغربي للمضيق ، كما أنها تعد أقرب نقطة إلى الجزيرة الخضراء التي أصبحت تعد قاعدة عسكرية أولية للقوات العربية الإسلامية بعد عبورها المضيق ، تستطيع من خلالها أن تستكمل عدتها وتعيد تنظيماتها بما يؤهلها لأداء واجبها العسكري المكلفة به .

وتبرز أهمية المضيق بعد إحكام سيطرة العرب المسلمين على جانبيه في عملية عبور

---

(١) نفح الطيب ٢٤٣/١ .

(٢) تاريخ افتتاح الأندلس ص٩ . فتح الأندلس ص١٣ . الرسالة الشريفية لمؤلف مجهول ص١٩٨ . نفح الطيب ٢٥٢/١ . الاستقصا ٩٩/١ .

حملة موسى بن نصير ، إذ لا بد من أنها قد تمت في ظل وضع أمين ومستقر ، وبكل سهولة ويسر ، لهذا فقد جاءت مختلفة عن حملة طارق بن زياد التي قد اتسمت بالكتمان والسرية ، وتمت في ظل ظروف صعبة وخطرة .

وكان دخول موسى بن نصير لشبه جزيرة إيبريا في رمضان من السنة ٩٣ هـ / حزيران ـ تموز ٧١٢ م[١]. وفي أثناء وجوده في الجزيرة الخضراء أمر ببناء الحجر الأساس لأول مسجد هناك سمي بمسجد الرايات[٢].

وفي العام (٩٥ هـ / ٧١٤ م) جاء أمر الخليفة الوليد بن عبد الملك ، القاضي بوقف العمليات العسكرية والعودة إلى دمشق ، ويتضح من الرواية التي ذكرت عودة القائدين وإبحارهما من إشبيلية (Seviella)[٣] أنهما سلكا طريق الوادي الكبير المؤدي إلى الجهة الشمالية الغربية من المضيق ، وهذا يبين لنا بأنه حتى هذه الجهة المتطرفة من المضيق أصبحت تحت سيادة العرب المسلمين ، ومن ثم باتت مأمونة الجانب .

ثانياً : المضيق على عصر الولاية (٩٥ ـ ١٣٨ هـ / ٧١٤ ـ ٧٥٥ م) :

قبل مغادرة موسى بن نصير الأندلس ، ترك ولده عبد العزيز والياً عليها ، واختار له مدينة إشبيلية عاصمة للبلاد لقربها من المضيق[٤]، وهذا يعني أنه كان يهدف من وراء ذلك أن يجعله على اتصال دائم ومستمر بالمغرب ، ولا سيما في حالة تعرض العرب المسلمين في الأندلس لأي خطر محتمل ، وهذا دليل واضح على أهمية المضيق في ربط البلدين .

---

(١) تاريخ افتتاح الأندلس ص٩ . أخبار مجموعة ص٢٤ . فتح الأندلس ص١٠ . الرسالة الشريفية ص١٩٣ . وصف الأندلس ص١٤٥ . البيان المغرب ٢/ ١٢ . نفح الطيب ١/ ٢٥٢ .

(٢) فتح الأندلس ص١٣ . الرسالة الشريفية ص١٩٨ .

(٣) فتح الأندلس ص١٧ . الرسالة الشريفية ص٢١٠ .

(٤) تاريخ افتتاح الأندلس ص١٠ . أخبار مجموعة ص٢٧ . الرسالة الشريفية ص٢١٠ . نفح الطيب ١/ ٢٥٨ .

وبهذا أصبحت الأندلس ولاية عربية تابعة للخلافة الأموية بدمشق يحكمها والٍ يعرف بالأمير يتبع أمير إفريقية من الناحية الإدارية ، وقد عرف هذا العصر في التاريخ الأندلسي بعصر الولاية الذي استمر حتى قيام الإمارة الأموية في السنة ١٣٨هـ/٧٥٥ م .

وفي هذا العصر خيم الصمت ولمدة ربع قرن من الزمن على مضيق جبل طارق ، وهذا الصمت لا يعد سلبياً بل هو صمت إيجابي ، لأن المضيق أصبح عربياً وهادئاً ولا يوجد ما يعكر صفوه على الجانبين . ولكن أهمية المضيق تظهر من جديد في إحداث الفتن والاضطرابات الداخلية في المغرب ، وانتقال صداها وتأثيرها عبر المضيق إلى الأندلس ، ففي السنة ١٢٢هـ/٧٤٠ م ، تمرد السكان المحليون على والي القيروان عبيد الله بن الحبحاب (١١٦ ـ ١٢٣ هـ / ٧٣٤ ـ ٧٤١ م)[١]، وقد قاد حركتهم (ميسرة المطغري)[٢] في أطراف طنجة ، وعلى ما يبدو فإن اختيار أحواز طنجة منطلقاً لهذه الحركة يعود إلى سببين :

الأول : أنها موقع متطرف على المضيق ، ومنطقة نائية عن سلطة والي المغرب الذي يقع مقره في القيروان .

الآخر : أن هذه المنطقة كانت توفر حماية للمتمردين من خلال وجود سلسلة جبال غمارة [٣].

---

(١) تتلخص أسباب هذا التمرد ـ كما يشير اليه قسم من المصادر التاريخية ـ في سوء معاملة عدد من ولاة المغرب للسكان المحليين ، وانتشار المذهب الخارجي بينهم واعتناق مبادئه . ينظر : أخبار مجموعة ص٣٤ . البيان المغرب ١/٥١-٥٢ . الاستقصا ١/١٠٦-١٠٧ . ويقارن : مجمل تاريخ المغرب للعروي ص١٣١-١٣٢.

(٢) هو ميسرة المدغري أو المطغري نسبه إلى قبيلة مطغرة ، وقد عرف بالفقير وبالحقير ، اشتغل ببيع الماء في سوق القيروان تمويهاً منه ، وقيل إنه كان شيخاً لقبيلة مطغرة ، اعتنق مبدأ الخوارج ، فنصب نفسه إماماً وتسمى بالخلافة .

ينظر : تاريخ افتتاح الأندلس ص١٤ . فتوح مصر وأخبارها ص٢١٨ . تاريخ خليفة بن خياط ٢/٥٢٥ . المغرب ص١٣٥ . البيان المغرب ١/٥٢ . نهاية الأثير ٢٢/ق٢/٢١٤ . الاستقصا ١/١٨٠ .

(٣) العبر ٦/٢١٠ .

وقد تمكن أتباع ميسرة من قتل حاكم طنجة (عمر بن عبد الله المرادي) والسيطرة عليها ، وقد استاء ابن الحبحاب من هذه الأخبار ، وسارع بإرسال جيش ضم وجوهاً عربية من قريش والأنصار وغيرهم ، تحت قيادة خالد بن حبيب الفهري ، وفي الوقت نفسه كتب إلى حبيب بن أبي عبيدة يأمره بالرجوع من صقلية ليشارك خالداً في القضاء على حركة المتمردين في طنجة ، وعندما سمع ميسرة ، خرج بجموعه ولاقاهم عند وادي شلف بالقرب من تيهرت ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم انسحب ميسرة إلى طنجة دون الإشارة إلى أسباب ذلك ، ثم قام أتباعه بعزله عن منصبه بوصفه خليفة ، وقتله بسبب سوء سيرته[١]. ولكن من المحتمل أن يكون مقتل ميسرة قد حدث بسبب عدم رغبة قسم من المتمردين بالانفصال التام عن الحكم العربي ، ومما يدعم هذا الرأي امتناع المتمردين عن تنصيب خلفه المختار خالد بن حميد الزناتي خليفة لهم[٢]، وقد تمكن زعيمهم الجديد ودخل بجموعه الكثيرة في قتال مع خالد بن حبيب الذي لم يستطع الصمود ومني بهزيمة ساحقة أودت بحياته وحياة عدد كبير من جيشه ، وسميت تلك المعركة بغزوة الأشراف[٣].

وتشير حولية العام ٧٥٤م إلى أن عامل الأندلس عقبة بن الحجاج أسرع لنجدة والي المغرب في القضاء على التمرد ، وذلك بعد أن تلقى منه رسائل بشأن حركة السكان المحليين فعبر المضيق وهاجم مواقع المتمردين[٤] .

(١) فتوح مصر وأخبارها ص٢١٧ - ٢١٨ . الكامل ١٩١/٥ . البيان المغرب ٥٣/١ . الاستقصا ١٠٥/١ - ١٠٩ .

(٢) يقارن : الفتح والاستقرار لطه ض٣٥٩ .

(٣) فتوح مصر وأخبارها ص٢١٨ . تاريخ خليفة بن خياط ٥٢٦/٢ . الكامل ١٩٢/٥ . البيان المغرب ٥٤/١ . الاستقصا ١٠٩/١ .

(٤) The chronicle of 754 / sidoro pacense , pp. 157. 158 .

ملحق رقم ٧ لكتاب أخبار مجموعة ، ص١٤٦ - ١٦٢ . نقلاً عن الفتح والاستقرار ص٣٥٩ .

ولكن هذه الرواية بعيدة الاحتمال ، إذ لم يرد لها ذكر في مصادرنا التاريخية ، فضلاً عن أن الأحوال في الأندلس آنذاك لم تكن بأحسن مما كانت عليه في المغرب ، إذ ما إن سمع أهل الأندلس بحركة المتمردين في المغرب بحكم قرب البلدين حتى وثبوا على أميرهم عقبة بن الحجاج وعزلوه وولوا عبد الملك بن قطن[1] .

وعندما وصلت أخبار هذه الكارثة إلى دمشق أصدر الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥هـ/٧٢٤ - ٧٤٣م) قراراً بعزل عبيد الله بن الحبحاب في العام ١٢٣هـ/٧٤٠م ، وتعيين كلثوم بن عياض ، فسار على رأس جيش كبير يتقدم طلائعه ابن أخيه بلج بن بشر القشيري ، وفي أثناء مسيرته انضم إلى جيشه جند من مصر وإفريقية فسار بهم جميعاً إلى طنجة ، ثم تلقاه المتمردون عند قرية (بقدوره) الواقعة على نهر سبو ، ودارت معركة كبيرة كانت نتيجتها مقتل القائد كلثوم ، وهزيمة الجيش العربي وتشتيته ، فمن نجا من جند إفريقية فر هارباً إليها ، في حين توجه بلج بمن بقي من فرقته إلى سبتة معتصماً هناك . ومما يفسر الأسباب التي دفعت « بلجاً » إلى اختيار سبتة انها كانت مدينة حصينة من الصعب اختراقها إلا عن طريق البحر ، وهذا ما عكسه عجز قوات المتمردين بزعامة خالد الزناتي عن اقتحامها والقضاء على بقايا القوات العربية المتحصنة فيها . فضلاً عن أن اختيار بلج كان واقعياً ، لأنه أراد أن يؤمن سبيل نجدته وانتقاله إلى الأندلس من المكان الطبيعي للعبور إلى الجهة الثانية من المضيق .

ولهذا عندما يئس المتمردون من اقتحام سبتة ، عمدوا إلى نسف مزارعها وتخريبها ، فأقفرت الأرض حول سبتة ، فجاعوا حتى أكلوا دوابهم ، وجلود الحيوانات وأشرفوا على الهلاك ، وقد حاول بلج التخلص من هذا الحصار بعبوره المضيق من سبتة إلى الأندلس ، وكتب بذلك مرات إلى أميرها عبد الملك بن قطن يطلب منه

---

(١) تاريخ افتتاح الأندلس ص١٤ . نهاية الأرب ٢٢/ق٢/٢١٥ .

العون والإمدادات ، لكن الأمير تغافل عنه ، وخاف على سلطانه منه ومن جنده الشاميين[١] .

ولكن تغافل عبد الملك بن قطن ورفضه لم يدوما طويلاً ، فقد انقلب الوضع ضده ، وتغيرت الظروف لصالح بلج وجنده ، ولاحت فرصة عبور المضيق ؛ لأن الأندلس كانت مرتبطة بالمغرب ، ومعنية بكل ما يجري على أرضه من أحداث فهي تتأثر به وتنعكس أحداثها عليه ، فقد انتقلت عدوى تمرد القبائل المغربية وربما قسم منهم إلى الأندلس ، وأثاروا إخوانهم ضد السلطة المركزية وبخاصة في المناطق الشمالية في جليقية (Galicia)، واسترقه (Astorga)، والمداين (Almadaen)، لبعدها عن مركز الحكم في قرطبة (Gordoba)، فقد سيطروا عليها وعدوها مناطق نفوذ لهم ، باستثناء منطقة سرقسطة (Saragossa)، إذ كان العرب فيها يشكلون قوة كبيرة[٢] .

وقد اختلفت المصادر في قائد التمرد ، منهم من سماه بـ (ابن هذين)[٣]، أو باسم (زقطرنق)[٤]. ويحتمل أن التمرد قد تولى أمره عدة قيادات خططت بينها من أجل تحقيق هدف واحد ، هو القضاء على السلطة العربية في الأندلس من خلال تحريك ثلاثة جيوش في وقت واحد ، وجهة الأول طليطلة ، والثاني قرطبة ، والثالث ـ وهو الأكثر أهمية ـ وجه إلى الجزيرة الخضراء[٥]، إذ إن من يمتلك الجزيرة الخضراء يكون بمقدوره أن يتحكم بجهتي المضيق ، لأن الجزيرة الخضراء هي المعبر الوحيد المعتمد من الأندلس إلى المغرب

---

(١) تاريخ افتتاح الأندلس ص١٥ ـ ١٦ ، أخبار مجموعة ص٣٧ ـ ٤٢ . فتح الأندلس ص٣٠ ـ ٣١ . الكامل ١٩٣/٥ ، ٢٥٠ ـ ٢٥١ . البيان المغرب ٥٦/١ ، ٣٠/٢ ـ ٣١ .

(٢) أخبار مجموعة ص٤٢ . فتح الأندلس ص٣١ ، البيان المغرب ٣٠/٢ . وينظر :
Apolitical History of Muslim spain S.M. lmamuddin , p. 42 .

(٣) أخبار مجموعة ص٤٣ .

(٤) فتح الأندلس ص٣١ .

(٥) Apolitical History of Muslim spain , S.M. lmamuddin , p. 42

آنذاك ، ومن خلالها تنسق الجهود مع المتمردين في المغرب ، وتحاصر القوة العسكرية برئاسة بلج في سبتة براً وبحراً ويقضي عليها ، ومن ثم يمنع وصول أي عون وإمدادات إلى الأندلس ويحاصرون حصاراً لا خلاص لهم منه .

وقد عجز عبد الملك بن قطن عن قمع تمردهم ، ومنع تقدم قواتهم نحو قرطبة ، فخاف أن يلقى من هؤلاء المتمردين ما لقيه المغرب منهم ، فلم يجد أمامه من سبيل سوى الاتصال ببلج وجنده ، والسماح لهم بعبور المضيق إلى الأندلس ، واشترط عليهم أن يغادروا الأندلس بعد القضاء على حركة المتمردين ، وحدد بقاءهم لمدة سنة ، واشترطوا عليه بدورهم أن يعيدهم إلى إفريقية دفعة واحدة ولا يفرقهم ويعرضهم لخوارج المغرب ، وهذا دليل على سيطرة المتمردين على المضيق ، وحتى يأمن من جانبهم فرض على كل فرقة تسليم عشرة رهائن يحتفظ بها في الجزيرة الخضراء(١) . وأغلب الظن أن اختياره للجزيرة الخضراء كان تلويحاً للجند الشاميين بالالتزام بشروط الاتفاق المبرم بينهم ، وإلا فسيكون مصيرهم هو الموت بإرسالهم عبر المضيق ووضعهم تحت يد قوات المتمردين في الساحل المغربي للمضيق .

وقد تم الاتفاق وأرسلت إليهم السفن ، وعبروا إلى الجزيرة الخضراء واستقبلهم عرب الأندلس وابن قطن ، وأكرموا وفادتهم ، وأجزل لهم العطاء ، ووحدت جهود العرب جميعاً تحت قيادة واحدة مندفعين بكل عزم وإخلاص للقضاء على حركة المتمردين(٢) .

ونظراً لخطورة الجيش الثالث للمتمردين ، فقد سارعوا أولاً إلى لقائه في منطقة شذونة من أجل إعاقة تقدمه ومنع وصوله ، واستيلائه على الجزيرة الخضراء ، لمنع أي اتصال بينه وبين متمردي المغرب ، وكانت نتيجة المعركة الهزيمة الساحقة لهذا الجيش ،

---

(١) أخبار مجموعة ص٤٢ - ٤٣ . فتح الأندلس ص٣١ . الكامل ٢٥١/٥ . البيان المغرب ٥٦/١ ، ٣٠/٢ - ٣١ .

(٢) أخبار مجموعة ص٤٣ ، فتح الأندلس ص٣١ . البيان المغرب ٣١/٢ .

وإضاعة أي أمل في الحصول على عون خارجي لدعم تمردهم[١]، وكان للقضاء على هذا الجيش أثر كبير في تسهيل مهمة محاصرة الجيشين الآخرين والقضاء عليهما ، إذ توجهت القوات العربية بعد ذلك إلى مدينة قرطبة لفك الحصار الذي فرضه الجيش الثاني ، فتمكنوا من إنزال الهزيمة به[٢]، ثم تابعوا المسير نحو طليطلة (Toledo) وقد اجتمع هناك معظم المتمردين وكانت هزيمتهم الكبرى عند (وادي سليط) في احواز طليطلة[٣]، وهكذا تم القضاء على حركة المتمردين في الأندلس قبل أن تأخذ مداها الواسع كما حدث في المغرب .

عادت جميع القوات العربية إلى قرطبة ، وتقدم ابن قطن إلى الشاميين بطلبه ، بمغادرة الأندلس تنفيذاً لاتفاقهم[٤] . فأجابوه إلى ذلك شرط أن يكون عبورهم مجتمعين ، وأن يجهزهم بسفن ليبحروا بها في الجنوب الشرقي من ساحل البيرة (Elviva)، أو تدمير (Tudmir) مرسية (Murcia)، لا من الجزيرة الخضراء خوفاً من ملاقاة متمردي المغرب في سبتة ، فاعتذر ابن قطن بأن ليس له سفن إلا بالجزيرة الخضراء فاتهموه بأنه يريد أن يردهم إلى متمردي المغرب فيقتلوهم في بلادهم[٥].

ومن المرجح أن ادعاء ابن قطن أن ليس له سفن كافية إلا في الجزيرة الخضراء صحيح ، لان هدفه وأمنيته التخلص من الجند الشاميين بتركهم الأندلس سواء عن طريق

---

(١) فتح الأندلس ص٣١ . الكامل ٢٥٢/٥ . البيان المغرب ٣/٢ . وينظر :
Apolitical of Muslim spain , S.M. lmamuddin , p. 43 .

(٢) فتح الأندلس ص٣١ . البيان المغرب ٣١/٣ . وينظر :
Apolitical History of Muslim spain , S.M. lmamuddin , p. 43 .

(٣) أخبار مجموعة ص٤٤ . فتح الأندلس ص٣١ . البيان المغرب ٣١/٢ .

(٤) فتح الأندلس ص٣٢ . البيان المغرب ٣١/٢ .

(٥) أخبار مجموعة ص٤٤ . فتح الأندلس ص٣٢ . الكامل ٢٥١/٥ . البيان المغرب ٣١/٢ .

ميناء الجزيرة الخضراء او غيرها ، ولولا خطورة الموقف على المضيق ، لقام بنقل سفنه من الجزيرة الخضراء إلى ميناء آخر لنقلهم إلى جهة المغرب ، ولكن خوفه من انتهاز المتمردين على الساحل المغربي للمضيق الفرصة والعبور إلى الأندلس ، جعله يصر على أن يكون عبورهم من الجزيرة الخضراء .

وكان رد فعل الشاميين على إصرار ابن قطن أن انتفضوا عليه واعتقلوه وبايعوا صاحبهم بلجاً الذي استدعى الرهائن من جند الشام في الجزيرة الخضراء . ولما أقبلوا عليه شكوا له حالهم وما عانوه من جوع وعطش ، بسبب إمساك والي الجزيرة الخضراء الطعام والشراب عنهم تضامناً مع ابن قطن ، ونتج عن ذلك موت أحدهم ، وكان رجلاً غسانياً من أشراف الشام ، ويبدو أنه كان يتمتع بمكانة عالية بين قومه ، وقد أغاظ هذا الحدث الشاميين ، وبعث الغضب والاستياء فيهم ، فحملوا ابن قطن مسؤولية ذلك ، وطلبوا من بلج تسليمه لهم ليقوموا بقتله ، وقد حاول بلج تهدئتهم ومنعهم من الإقدام على مثل هذا الفعل لكنه فشل وأجبر على تسليمه وقتل وهو ابن تسعين سنة[١] .

وقد استمر الساحل المغربي من المضيق بيد المتمردين ، لهذا فقد كان وضعه قلقاً وخطراً ، وهذا ما يشير إلى عدم قدرة ولاة الأندلس فيما بعد العبور منه إلى ولايتهم في الأندلس ، فعند تعيين ابن الخطار الكلبي والياً على الأندلس ، ركب البحر في السنة ١٢٥هـ / ٧٠٣م من ناحية تونس وحل بالساحل الجنوبي الشرقي ومنه سار إلى قرطبة[٢] .

---

(١) أخبار مجموعة ص٤٤ ـ ٤٥ . فتح الأندلس ص٣٣ (ويذكر أنه ابن سبعين سنة) . البيان المغرب ٣١/٢ ـ ٣٢ .

(٢) البيان المغرب ٣٢/٢ .

ثالثاً : المضيق على عصر الإمارة (١٣٨ ـ ٣١٦هـ / ٧٥٥ ـ ٩٢٨م):

تظهر أهمية المضيق في تأسيس عبد الرحمن بن معاوية الإمارة في الأندلس ، إذ إن تفكيره وطموحه في ولاية الأندلس انبثق في نفسه عندما كان مقيماً عند قبيلة مغيلة بالقرب من ساحل طنجة ، ذلك أنه بحكم موقعه على المضيق وقربه من الأندلس قد اطلع على الشيء الكثير من أخبارها ، وما تعانيه من حالة الاضطراب ، فضلاً عن ما كان قد سمعه من الأندلس بحكم أنه أحد أفراد الأسرة الأموية . كما أن سالماً مولى أخته قد حدثه بشيء عن الأندلس وخبراتها الكثيرة ؛ لأنه كان قد دخلها مع موسى بن نصير[١] .

وقد استغل عبدَ الرحمن بن معاوية هذه الاضطرابات وحاول أن يفيد منها في العبور إلى الأندلس ، وإقامة عصر جديد في الأندلس سمي بعصر الإمارة .

ويظهر دور المضيق في عصر الإمارة في عدد من الأحداث منها هيجة الربض[٢] في عهد الأمير الحكم الأول (١٨٠ ـ ٢٠٦هـ / ٧٩٦ ـ ٨٢٢م) ، فقد كانت إحدى نتائجها عبور قسم من الربضيين ـ المنفيين خارج الأندلس ـ المضيق ، واستقرارهم في المغرب في عهد الأمير إدريس الثاني الذي سمح لهم بالسكن في مدينة فاس ، ونقلوا معهم معالم حضارتهم وطبعوا المدينة بطابع أندلسي حتى سميت ضاحية من المدينة باسم ضاحية الأندلسيين[٣] ، وهذا دليل على أن وضع المضيق آنذاك كان هادئاً وأميناً ، وبمقدور أي كان أن يعبر منه بسلام .

ولكن في العام ٢٤٥هـ / ٨٥٩م تعرض المضيق بساحليه الأندلسي والمغربي إلى هجوم النورمان[٤] ، وتمكنوا من دخول الجزيرة الخضراء ، وأحرقوا مسجدها ثم انصرفوا وعبروا

---

(١) أخبار مجموعة ص٥٧ . البيان المغرب ٢/٤١ ـ ٤٣ .

(٢) عن تفاصيل هذه الحركة ؛ ينظر : تاريخ المغرب والأندلس ص١٢٩ ـ ١٣٤ . تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس للسامرائي وآخرين ص١١٥ ـ ١١٧ .

(٣) تاريخ افتتاح الأندلس ص٥١ . البيان المغرب ٢/٧٧ .

(٤) تعود أصول النورمان أو (الفيكنج) Vikings إلى سكان البلاد الإسكندنافيه ـ أي (السويد ، ⇐

المضيق إلى الساحل المغربي منه ، حيث دخلوا منطقة الريف المغربي وتمكنوا من اقتحام مدينة نكور واستباحوها مدة ثمانية أيام ، ووصلوا في هجومهم هذا إلى البحر المتوسط[١]، وقد كرروا هجومهم على المضيق في العام ٢٤٨هـ / ٨٦١م [٢]، ولكن لم يستطيعوا أن يحققوا شيئاً ، بل دُحروا وولوا هاربين دون أن يتمكنوا من إلحاق أذى كبير بالمسلمين . وهذا يفسر لنا بأن الأسطول الأندلسي هذه المرة كان يقظاً في حراسة شواطئ المضيق فسلم المضيق من اعتداءات النورمان .

رابعاً : المضيق على عصر الخلافة (٣١٦ - ٤٢٢هـ / ٩٢٨ - ١٠٣٠م):

يتضح دور المضيق اتضاحاً أساسياً في عصر الخلافة الأموية بسبب الأزمة السياسية والعسكرية التي قامت بين الفاطميين في المغرب والأمويين في الأندلس ، فمنذ أن أسس الفاطميون دولتهم على أرض المغرب كانت المدن المغربية المطلة على المضيق هدفاً عسكرياً أولياً لهم بوصف ذلك مرحلة أولى للسيطرة على الأندلس فيما بعد ، وعلى هذا الأساس تحركت حملاتهم على سبتة وطنجة للاستيلاء عليهما من أجل التحكم بالمضيق عسكرياً ، ومن ثم سهولة عبورهم إلى الأندلس كما فعل العرب الفاتحون من قبل [٣].

وإزاء ذلك الخطر كان رد فعل الأمويين سريعاً تجاه نيات الفاطميين ، فعمدوا إلى

والنرويج ، والدنمارك) الحالية - وقد وردت تسمية هذه الأقوام في مصادرنا العربية باسم أردمانيون والمجوس ، وكلمة أردمانيون تعني سكان الشمال ، وهي تحريف لكلمة Norsemen الإنكليزية أو Normandess الإسبانية ، أما تسميتهم بالمجوس - أي عبدة النار - فلأنهم كانوا يشعلون النار في كل مكان يهاجمونه ، وفي سفنهم ، فظن العرب أنهم يعبدون النار . ينظر : تاريخ المغرب والأندلس ص١٤٨. غزوات النورمانيين على الأندلس للكبيسي ص ١٤٥ .

(١) تاريخ افتتاح الأندلس ص٦٥ . المقتبس لابن حيان ، تحقيق مكي ص٣٠٧ - ٣٠٩ . البيان المغرب ٢/٩٦ .

(٢) المقتبس ص٣١١ - ٣١٣ . تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ص ١٢٩ .

(٣) حركة الصراع بين الأمويين والفاطميين ص٤٢ .

العناية بالمضيق عن طريق اتخاذ سلسلة من الإجراءات العسكرية التي كفلت لهم إبعاد يد الفاطميين عن المضيق ، والتي تمثلت بما يأتي :

١ ـ الهيمنة العسكرية على المضيق :

حرص الأمويون منذ عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ ـ ٣٥٠هـ / ٩١٢ ـ ٩٦١م) على السيطرة على المضيق بجانبيه ، وتدعيم النفوذ العسكري فيه وزيادته ، ففي السنة (٣١٩هـ / ٩٣١م) ، أرسل الخليفة عبد الرحمن الناصر حملة بحرية للسيطرة على سبتة بقيادة (نجاح بن عفير) الذي تمكن من انتزاعها من يد حاكمها (الرضى بن عصام)[١] ، وعين الخليفة الناصر القائد نجاحاً والياً عليها[٢] ، ثم عمل على تحصينها ، ببناء سورها ووضع حامية عسكرية فيها من خيرة قواده وجنده[٣] . وحرص على الاحتفاظ بها نظراً لموقعها السوقي ، فمن خلالها تمكن من السيطرة على المضيق والتحكم فيه ، وتمكن أيضاً من السيطرة على المغرب والتأثير في سياسة أمرائه وحكامه للوقوف ضد الفاطميين ، ومنع وصولهم إلى المضيق وسيطرتهم عليه ، وقد صور لنا ذلك المقري بقوله : « كانت سبتة مطمع ملوك العدوتين ، وقد كان للناصر عناية واهتمام بدخولها في إيالته ، حتى حصل له ذلك ، ومنها ملك المغرب . . . وبها اشتد سلطانه ، وملك البحر بعدوتيه ، وصار المجاز في يده ، وتوطدت طاعته بأرض المغرب ، وكان أول

(١) الرضى بن عصام : يعود في أصله إلى (ماجكس) من وجوه قبيلة غمارة الذي كان قد أسلم ، وأعاد بناء مدينة سبتة بعد أن خربها المتمردون ، على إثر حركة ميسرة المطغري ، وقام بالأمر من بعده ابنه (عصام) إلى أن مات ، فتولى من بعده ابنه (مجير) إلى أن مات ، ووليها أخوه الرضى ، ويقال ابنه ، وكان بنو عصام يقدمون ولاءهم وطاعتهم لبني إدريس في فاس . ينظر : البيان المغرب ٢٠٣/١ . العبر ص١٠٤ : ٢١١/٦ . صبح الاعشى ١٥٩/٥ .

(٢) المغرب ص١٠٤ . البيان المغرب ٢٠٠/١ . العبر ٢١١/٦ . نفح الطيب ٣٤٠/١ (ويؤرخ سقوطها سنة ٣٢٧هـ /٩٣٨م) .

(٣) المغرب ص١٠٣ ـ ١٠٥ . البيان المغرب ٢٠١/١ . ويقارن : الخليفة الأموي الحكم للمزروع ص٨٢.

من سما إلى ذلك من أملاك الأندلس منذ سكنها الإسلام ، فاستظهر بها على أمره وخلفها ميراثاً لمن بعده من ولاة الأندلس . . . »[١] .

وقد وصفها ابن عذاري بقوله : « هي نظام باب المغربين ومفتاح باب المشرقين ، وهي على ما قيل مجمع البحرين ، قاعدة البر والبحر ، واللؤلؤة الحالة من الدنيا بين السحر والنحر »[٢] .

وفي أول ذي القعدة من السنة ٣٤٨هـ / ٩٥٩م ، أمر الخليفة الناصر ـ القائد (بدر الفتى) ـ صاحب السيف بعبور المضيق إلى سبتة على رأس جماعة من وجوه الموالي والعرفاء ، ورجال الجند ، لتجهيز العدد وآلات الحرب ، وأخذ الاحتياطات اللازمة من احتمال وقوع هجوم عليها من قبل (جوهر) قائد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله (٣٤١ ـ ٣٦٥هـ / ٩٥٢ ـ ٩٧٥م) الذي تمكن من الاستيلاء على المغرب ، وأثر على النفوذ الأموي فيه ، وقد مكثوا في سبتة تنفيذاً لأوامره إلى أن انصرف القائد جوهر إلى القيروان ، وعادوا إلى الأندلس في آخر ذي الحجة من السنة (٣٤٨هـ / ٩٥٩م)[٣] .

وقد استمر هذا الاهتمام إلى ما بعد خلافة الناصر ففي السنة (٣٥١هـ / ٩٦٢م) وجه الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠ ـ ٣٦٦هـ / ٩٦١ ـ ٩٧٦م) عنايته واهتمامه بتحصين مدينة سبتة ، فقد أكمل بناء سورها ، كما اهتم بكسب ود سكانها وولائهم بإصدار أمر يقضي برفع جميع الوظائف المخزنية والمغارم السلطانية عنهم[٤] ، وكذلك حرص المنصور بن أبي عامر القائم بأمر دولة الخليفة هشام المؤيد (٣٦٦ ـ ٣٩٩هـ / ٩٧٦ ـ ١٠٠٨م) على ضبط سبتة برجال الدولة ، ووجوه القواد وطبقات العساكر[٥] .

---

(١) أزهار الرياض للمقري ٢/٢٥٧ ـ ٢٥٨ .

(٢) البيان المغرب ٢/٢٠٠ ـ ٢٠١ .

(٣) البيان المغرب ٢/٢٢٣ .

(٤) البيان المغرب ١/٢٢٧ .

(٥) العبر ٧/٣٧ .

وبعد احتلال سبتة كان من الطبيعي أن يقدم الخليفة الناصر على احتلال طنجة من أجل استكمال سيطرته على الساحل المغربي للمضيق ، فعندها بايع الأمير أبو العيش أحمد ابن قاسم بن كنون الادريسي عبدَ الرحمن الناصر وقطع دعوة الفاطميين ، فاقترح عليه الناصر التنازل له عن طنجة ليضيفها إلى سبتة ، فرفض أبو العيش ، فأرسل إليه الناصر أسطوله فحاصره وضيق عليه ، ولما رأى أبو العيش أنه لا طاقة له بحربه ، أجابه إلى مطلبه وتنازل له عن طنجة[١] ، واختلف في سنة وقوع طنجة بيد عبد الرحمن الناصر ، فابن أبي زرع يشير إلى نفس سنة احتلال سبتة أي ٣١٩هـ / ٩٣١م[٢] ، في حين يذكر البزيوي سنة ٣٢٣هـ / ٩٣٤م[٣] .

وقد أصبحت هاتان المنطقتان قاعدتين للانطلاق في العمق المغربي لتسديد الضربات للفاطميين ، وكل من يواليهم ، ومنعهم من التقدم نحو المضيق ، وفي الوقت نفسه غدت هاتان القاعدتان بمثابة جدار الأمان للسواحل الأندلسية المقابلة لها .

٢ ـ تقوية صلات الأمويين مع القبائل القاطنة على الساحل المغربي للمضيق

دأب الخلفاء الأمويين منذ عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر على احتواء القبائل القاطنة في المغرب عامة ، وعلى الساحل المغربي للمضيق خاصة ، من أجل اتقاء خطرهم أولا ، ولتحريضهم على الفاطميين وجعلهم سداً منيعاً يعيق تقدمهم نحو المضيق ثانياً ، وذلك بكسب زعمائهم[٤] ، من خلال جزل العطاء لهم ، ودعمهم بالمال والرجال ، وقد نجحوا في ذلك وخاصة مع عدد من فروع قبيلة زناتة من مغراوة ، ومكناسة ، وبني يفرن ،

---

(١) الاستقصا ١/١٩٦ ، ١٩٧ . الخليفة الأموي الحكم ص٨٢ ـ ٨٣ .

(٢) الأنيس المطرب ص ١٠٠ .

(٣) دول الإسلام للبزيوي ، ورقة ٢٤ .

(٤) من زعمائهم المشهورين على سبيل المثال ، والذين خاضوا سلسلة من الحروب استمرت سنوات ضد الدولة الفاطمية وحلفائها (الخير بن محمد بن خزر الزناتي وموسى ابن أبي العافية). ينظر : البيان المغرب ٢/٢٠٩ ، ٢١٧ . الأنيس المطرب ص٨٥ ـ ٨٦ . جذوة الاقتباس ١/٣٤٠ .

ودخلت هذه القبائل في حروب مستمرة مع الفاطميين وحلفائهم من قبائل صنهاجة [١].

وفي حالة تقهقر قبائل زناتة امام حلفاء الفاطميين من قبائل صنهاجة ، ووصول خطرهم إلى المضيق ، كان الزناتيون يستغيثون الأمويين في الأندلس لنجدتهم ، ودفع خطر الفاطميين عنهم ، ففي سنة ٣٦٩هـ / ٩٧٩ م ، دخل (بلقين بن زيرى الصنهاجي) المغرب ، وفرت زناتة وأمراؤها من بني خزر المغراويين وبني محمد بن صالح اليفرنيين إلى سبتة فحاصرهم ، وعبر محمد بن الخير من آل خزر المضيق إلى المنصور بن أبي عامر يستنجده ، وقد أدرك المنصور خطورة الموقف ، إذ إن سقوط سبتة بيد الفاطميين يعني سيطرتهم على المضيق وتحكمهم فيه وتعرض الأندلس لخطرهم ، لذا فقد سارع بعساكره إلى الجزيرة الخضراء ، واتخذها قاعدة عسكرية للإشراف منها على العمليات الحربية في المغرب لأنها تعد أقرب نقطة إلى سبتة ، ثم عقد (لجعفر بن علي بن حمدون) على حرب بلقين ، فعبر بجيشه المضيق ونزل بساحة سبتة ، وجاء بلقين وصعد جبال تطوان ، وأطل على عساكر زناتة ، وأهل الأندلس بساحة سبتة ، ورأى أنه لا قبل له بحربهم ، ففك حصاره عنهم ، ثم عاد بجيشه إلى إفريقية[٢] .

وعلى الرغم من قوة العلاقة بين الأمويين في الأندلس وزعماء قبيلة زناتة في المغرب، إلا أنه في حالة جنوح زعماء هذه القبيلة عن طاعة الأمويين ، ووقوع المضيق تحت خطرهم ، كان الامويون يسارعون للوقوف في وجههم ، والحد من سلطانهم ، وإعادة سيطرتهم على المضيق ، ففي السنة ٣٨٧هـ/٩٩٧م ، توترت العلاقة بين المنصور بن أبي عامر ، وزيري بن عطية زعيم مغراوة الزناتية ، وعزم زيري على خلع طاعة

(١) البيان المغرب ١/٢٥٢-٢٥٣ ، ٢/٢١٧ - ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٤٢ - ٢٤٣ . مفاخر البربر ص٦ ، ٢١. العبر : ٤/١٤٦ ، ٧/ ٣٧ .

(٢) مفاخر البربر ص١٧ . الأنيس المطرب ص١٠١. الاستقصا ١/٢٠٨ .

المنصور ومخالفته ، وطرد عماله من المغرب الاقصى وأجلاهم إلى سبتة[١] ، وقد تباينت المصادر التاريخية حول أسباب هذا التوتر[٢] ، ويبدو أن زيري كان قد عزم على الاستقلال ببلاده بعد أن شعر بقوته ، وبالمكانة الكبيرة التي احتلها بين قومه ، ويتضح ذلك في قوله عندما عبر المضيق عائداً من الأندلس إلى المغرب ، فعند نزوله في طنجة وضع يده على رأسه وقال : « الآن علمت أنك لي »[٣] ، مما يدل على أن الأسباب التي ذكرت في خلافه مع المنصور ما هي إلا ذريعة اتخذها لتحقيق هدفه في الاستقلال .

وعلى أية حال ما إن وصل خبر تمرد زيري إلى المنصور حتى سارع باستقدام مولاه وغلامه واضح الفتى من مدينة سالم (Medinacell) فأرسله بجيش كبير مدعوماً بأموال كثيرة إلى المغرب ، وعبر المضيق في السنة ٣٨٧هـ/٩٩٧م ، واستقر في طنجة ، وأغلب الظن أن سبب نزوله في طنجة يعود إلى نية زيري في جعلها ضمن سيطرته ، فجاء نزول القائد واضح فيها من أجل السيطرة على الوضع فيها ، وإحكام السيطرة على الساحل المغربي للمضيق بكامله ، وتأمين خطوط مواصلاته مع الأندلس ، ثم أرسل إليه المنصور قوات إضافية من زعماء البربر وقادتهم من قبيلة زناتة المستقرين في الأندلس ، وطائفة من وجوه القادة الأندلسيين ، وانضم إلى جيش واضح عدد من القبائل الموالية للأمويين في

---

(١) الأنيس المطرب ص١٠٥ .

(٢) يشير عدد منها إلى أسباب سياسية منها غضب زيري وامتعاضه من المنصور بسبب غلبته على الخليفة هشام المؤيد وسلبه ملكه ، فضلاً عن استقباحه لقب الوزير الذي منحه إياه المنصور ، فقد وجد فيه تقليلاً من مكانته السياسية كأمير ينتمي إلى قبيلة كبيرة ، في حين تشير مصادر أخرى إلى أسباب اقتصادية وهي استقلال زيري العطاء الذي كان يرسله له المنصور كل سنة . ينظر : البيان المغرب ٢٥٣/١ ، ٢٨١/٢ . مفاخر البربر ص٢٢ . الأنيس المطرب ص١٠٤ . العبر ١٤٨/٤ . الاستقصا ٢١١/١ ، ٢١٣ .

(٣) مفاخر البربر ص٢٢ . الاستقصا ٢١١/١ .

المغرب من غمارة وصنهاجة وغيرهما[١].

وعندما تكامل جيشه خرج بهم من طنجة لقتال زيري الذي خرج لملاقاته من مدينة فاس ، والتقى الجمعان ، ودارت بينهما حرب أسفرت عن هزيمة القائد واضح ومقتل معظم جنده ، وفراره إلى طنجة ، ومن هناك كتب إلى المنصور يطلب منه المعونة والمدد بالرجال والأموال[٢].

وإزاء هذه التطورات الخطيرة أقدم المنصور على اتخاذ إجراءات سريعة فخرج بنفسه من قرطبة ونزل بالجزيرة الخضراء واتخذها قاعدة عسكرية لإمداد القائد واضح ، إذ أرسل إليه ولده عبد الملك المظفر بجند الأندلس وقادتها ، وبقي هو في الجزيرة الخضراء يراقب تطور الأحداث عن كثب ، مرسلاً لهم الإمدادات عند الحاجة ، وعبر عبد الملك من الجزيرة الخضراء ثم توجه إلى طنجة ، وانضم إليه القائد واضح وجيشه ، وساروا جميعاً لقتال زيري والتقى الجمعان (بوادي منى) في أحواز طنجة ودارت بينهما معركة نتج عنها جرح زيري وهزيمته إلى موضع يعرف بـ (مضيق الجنة) بالقرب من مدائن مكناسة ، وفاجأه عبد الملك بإرسال خمسة آلاف فارس بقيادة واضح الفتى فهاجمهم ليلاً وذلك في منتصف رمضان من السنة ٣٨٧هـ / ٩٩٧م ، وهرب زيري إلى فاس ثم إلى صحراء المغرب الأوسط إلى أن توفي هناك في السنة ٣٩١ هـ / ١٠٠٠م ، وتولى من بعده ابنه (المعز) الذي صالح المنصور وعاد إلى طاعته[٣].

---

(١) مفاخر البربر ص٢٨ . الأنيس المطرب ص١٠٥ ، ١٠٦ . الاستقصا ٢١٤/١ .

(٢) الأنيس المطرب ص١٠٥ ، ١٠٦ . الاستقصا ٢١٤/١ .

(٣) البيان المغرب ٢٥٣/١ ، ٢٨٢/٢ . مفاخر البربر ص٣١ - ٣٢ . الأنيس المطرب ص١٠٦ - ١٠٧ . جذوة الاقتباس لابن القاضي ١٩٨/١ - ١٩٩ . الاستقصا ٢١٥/١ ، ٢١٦ .

وساند الأمويون بني سعيد بن صالح أمراء نكور[١] الذين كان لهم دور كبير في الساحل المغربي من المضيق ، إذ شكلوا سداً منيعاً بوجه الفاطميين ، وقد لاقوا من وراء ذلك عناء كبيراً خفف من حدته دعم الأمويين المادي والسياسي لهم ، ففي ٣ محرم من السنة ٣٠٥ هـ / ٩١٧ م ، تغلب الفاطميون على بني صالح ، ودخلوا عاصمتهم نكور ، وقتلوا أميرهم سعيد بن صالح وعدداً كبيراً من أفراد بيته ، وانهزم من نجا منهم وهم ثلاثة أبناء لسعيد بن صالح (صالح وإدريس والمعتصم) وعبروا المضيق إلى الأندلس ونزلوا مدينتي مالقة (Malaga) وبجانه (Pechina) وخيرهم الخليفة الناصر بالبقاء في مالقة أو المقام في العاصمة قرطبة ، ففضلوا البقاء في مالقة لقربها من المضيق ومن إمارتهم ، وذلك من أجل أن يتسنى لهم مراقبة تطورات الأحداث واغتنام الفرصة ، وعبور المضيق على وجه السرعة بدعم من الخليفة عبد الرحمن الناصر ، وقد تحقق لهم ذلك وتمكنوا من استرجاعها وقتل عامل الفاطميين المدعو (ذلول)[٢].

وقدم الأدارسة ولاءهم إلى الأمويين ، واعترفوا بخلافة عبد الرحمن الناصر بعد سيطرته على الساحل المغربي للمضيق ، لأنهم رأوا أنه من الأصوب الانحياز له بعد أن أصبح سيد الموقف في المغرب الأقصى ، وأصبح قريباً من بلادهم فبايعه أميرهم

(١) قامت هذه الإمارة على الساحل المغربي للمضيق من منطقة الريف المغربي ، وتعود أصول الأسرة المؤسسة لهذه الإمارة إلى قائد يمني من حمير من أوائل الذين أسهموا في الفتح العربي لبلاد المغرب اسمه صالح بن منصور الحميري ، ويعرف بـ (العبد الصالح) كان قد افتتح أرض نكور ، ثم استقر بها بعد أن أقطعها له الخليفة الوليد بن عبد الملك ، وأسلم على يديه عدد كبير من سكان المنطقة ، ونصبوه حاكماً عليهم ، ثم خلفه أبناؤه من بعده في حكم هذه المنطقة ، وكان لهذه الإمارة دور حضاري مشهود . لمزيد من التفاصيل عن هذه الإمارة ينظر إمارة نكور لنهلة شهاب أحمد ص٢١١ - ٢٢٨ .

(٢) المغرب ص٩٦ - ٩٧ . البيان المغرب ٧٩/١ - ٨٠ . العبر ٢١٣/٦ .

أبو العيش[١] ، وكافأهم عبد الرحمن الناصر بتأييدهم وتزويدهم بالعساكر والأموال والمؤن ، واستخدمهم لقتال الفاطميين وصدهم وقتال من يخالفهم من السكان المحليين[٢] ، ولكن موقف الأدارسة كان متأرجحاً بين تأييد الفاطميين تارة ، وتأييد الأمويين تارة أخرى[٣] ، والوقوف ضد الخلافتين عندما تتوافر لهم أسباب القوة والمنعة[٤].

وقد جابه الأمويون بصلابة الأدارسة ، وتآمرهم عليهم وخاصة في حالة تهديد سلطتهم في المضيق ، ففي سنة ٣٦٢ هـ / ٩٧٢م ، نقض آخر أمراء الأدارسة (الحسن ابن كنون) طاعة الأمويين ، وقدم ولاءه للفاطميين وسيطر على مدن تطوان ، وطنجة ، وأصيلا ، وكلها مواقع سوقية مهمة ، ولا سيما طنجة التي حرص الأمويون على بقائها في يدهم فهي إحدى قواعدهم العسكرية المتقدمة في المنطقة . ولما وصل الخبر إلى الخليفة الحكم المستنصر شعر بخطورة الموقف ، وثار غضبه ، وحقد على الحسن ، وسارع إلى استدعاء قائده (محمد بن القاسم بن طملس) من حرب الثغور ، وأرسله بجيش كبير وعدة كاملة لمحاربة الحسن ، وأمره إن كتب الله له النصر أن يأخذ بالعفو والصفح وإصلاح البلاد والاهتمام بشؤون الرعية، وأن يستعين بمن دخل في طاعة الأمويين[٥] ، وقد تم عبور المضيق من قاعدتهم المفضلة الجزيرة الخضراء إلى سبتة ،

---

(١) أبو العيش : هو الأمير أحمد بن القاسم كنون بن محمد بن القاسم بن إدريس . . . ابن الحسن بن علي ، كان فقيهاً ورعاً ، عالماً بسير الناس وأنساب القبائل ، شهيراً بحلمه وشجاعته وكرمه ، وكان يعرف بأحمد الفاضل . ينظر : الأنيس المطرب ص٨٧ - ٨٨ .

(٢) الأنيس المطرب ص٨٨ . الاستقصا ١٩٦/١ .

(٣) الأنيس المطرب ص٩١ . المؤنس لابن أبي دينار ص١٠٣ .

(٤) البيان المغرب ٢١١/٢ - ٢١٢ ، ٢١٦ ، أعلام المغرب لمنصور ١٠٥/٢ - ١٠٦ .

(٥) المقتبس لابن حيان ، تحقيق : الحجي ، ص ٧٩ - ٨٠ . البيان المغرب ٢٤٤/٢ - ٢٤٥ . مفاخر البربر ٨ - ٩ .

وفي الوقت نفسه أوعز إلى قائد البحر (عبد الله بن رماحس) بالتوجه بأسطوله إلى سبتة قاعدة الأمويين الوحيدة في ذلك الوقت على الساحل المغربي للمضيق ، للتعاون مع ابن طملس بشن هجوم على طنجة لاستعادتها ، وقد رفض أهل طنجة طاعة الأمويين بتحريض من الأمير الحسن الذي كان موجوداً آنذاك فيها ، ولكن عندما خرج منها لملاقاة ابن طملس الذي توجه من سبتة إلى تطوان ، ودخل معه في حرب أسفرت عن هزيمته ومقتل عدد كبير من جنده ، وتخليه عن طنجة وأهلها ، خرج شيخهم المدعو ابن (الفاضل) إلى القائد (ابن رماحس) مع جماعة من وجوه طنجة ، مقدمين الطاعة ، وطالبين العفو والأمان لأهل طنجة فأجابهم ابن رماحس إلى ذلك ، ودخل طنجة واستولى على ما كان للحسن وأصحابه من أموال[١]. أما القائد ابن طملس فقد استمر بمطاردة الحسن بن كنون ، ودخل معه معركتين ، نجح في الأولى ، وقتل في الثانية[٢] ، وهزمت القوات الأموية إلى سبتة وتحصنوا فيها[٣] وكتبوا إلى الخليفة الحكم يستغيثون به ، فسارع لنجدتهم ، واستدعى قائده ومولاه المشهور (غالب بن عبد الرحمن) من قاعدته في مدينة سالم ، وأمده بما يعينه على قتال الأدارسة ، وأمره بإنهاء مقاومتهم ، وهذا دليل على خطورة موقف الأمويين ، وتهديد سلطتهم في منطقة المضيق ، ويفسر لنا ذلك ، قول الخليفة الحكم المستنصر عند توديعه للقائد غالب : « سر يا غالب سير من لا إذن له في الرجوع إلا حياً منصوراً ، أو ميتاً فمعذوراً ، وأبسط يدك في الإنفاق ، فإن أردت نظمت للطريق بيننا قنطار مال »[٤].

---

(١) البيان المغرب ٢/٢٤٢ - ٢٤٥ . مفاخر البربر ص ٨ - ٩ . العبر ٦/٢١٨ . الاستقصا ١/٢٠٠ .

(٢) البيان المغرب ٢/٢٤٥ - ٢٤٦ . مفاخر البربر ص٨ - ٩ . الاستقصا ١/٢٠٠ .

(٣) الأنيس المطرب ص٩١ . الاستقصا ١/ ٢٠٠ .

(٤) مفاخر البربر ص٩ . الأنيس المطرب ص٩١ - ٩٢ . جذوة الاقتباس ٢/٥٠٤ ، العبر ٦/٢١٨ ، الاستقصا ١/٢٠١ .

وعبر غالب المضيق من الجزيرة الخضراء ونزل عند قصر مصمودة ، وأغلب الظن أن سبب نزوله في قصر مصمودة وليس في سبتة لأنها كانت آنذاك محفوفة بالمخاطر ومحاصرة بقوات الأدارسة ، والتقى بابن كنون هناك ، ثم أرسل الخليفة الحكم قوات أخرى بقيادة الوزير (يحيى بن محمد التجيبي) الذي استدعاه من قاعدته بسرقسطة(١) ، وهذا دليل على مدى حرص الخليفة الحكم واهتمامه في السيطرة على مضيق جبل طارق . وقد وضّح ذلك ابن حيان بقوله : « استظهارا على ضبط المجاز عليه وإليه ، واستطالة بفضل قوته ، واشتداد سلطانه »(٢)، وانضم يحيى بقواته إلى القائد غالب ، في حين استمر الخليفة الحكم في إرسال مدده لغالب(٣)، وشددت جميع القوات حصارها على ابن كنون الذي هرب إلى قلعة النسر(٤)، حتى اضطر إلى الاستسلام وعفي عنه(٥)، وهجر مع أهله وبقية أمراء الأدارسة إلى الأندلس(٦).

وظهرت خطورة تقلّب الأدارسة من جديد واتفاقهم مع الفاطميين بعد نفيهم خارج الأندلس(٧) واتجاههم إلى مصر ، واستقرارهم بجوار الخليفة الفاطمي العزيز بالله نزار بن

---

(١) المقتبس ص١٢٨ . مفاخر البربر ص٩ .

(٢) المقتبس ص١٩٠ . ويقارن : الخلافة في الأندلس ص٩٩ .

(٣) المقتبس ص١٢٥ ـ ١٢٨ .

(٤) قلعة النسر : وتسمى بطلعة الحجر ، وهي حصن بناه إبراهيم بن محمد بن القاسم بن إدريس بن إدريس سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م ، فوق جبل مرتفع شمال شرق القصر الكبير بالقرب من سبتة . ينظر : المغرب ص١٢٧ . الخليفة الأموي الحكم ص١٠٠ .

(٥) البيان المغرب ٢٤٨/٢ . الأنيس المطرب ص٩٢ ، العبر ٢١٨/٦ . جذوة الاقتباس ٥٠٥/٢ . الاستقصا ٢٠١/١ ـ ٢٠٢ .

(٦) مفاخر البربر ص ٩ ـ ١٠ ، الأنيس المطرب ص٩٣ . العبر ٢١٩/٦ . جذوة الاقتباس ٥٠٥/٢ . الاستقصا /٢٠٢ .

(٧) لمعرفة أسباب نفيهم ، ينظر : مفاخر البربر ، ص١١ ـ ١٥ . الأنيس المطرب ص٩٣ . العبر ٢١٩/٦. الاستقصا ٢٠٣/١ .

المعز العبيدي (٣٦٥ - ٣٨٦هـ / ٩٧٥ - ٩٩٦م)[١] الذي وجد فيهم فرصته في القضاء على سلطة الأمويين في المغرب ، وفتح الطريق أمامهم في الوصول إلى المضيق وتهديدهم للأندلس ، ففي السنة ٣٧٣هـ / ٩٨٣ م عقد الخليفة الفاطمي لابن كنون على ولاية المغرب وأمده بالمال والجيش ، والتف حوله كثير من القبائل ، وظهر أمره في المغرب وأخذ بتهديد سلطة الأمويين هناك ، وجاء رد فعل الأمويين عنيفاً ، فقد قام الحاجب المنصور بإرسال جيش بقيادة ابن اخيه (أبي الحكم عمر بن عبد الله بن أبي عامر) الملقب بعسكلاجه ، لحرب ابن كنون والقضاء عليه ، وخرج المنصور بنفسه إلى قاعدة الجزيرة الخضراء لمراقبة سير الأحداث ، ثم قام بإرسال قوات أخرى بقيادة ابنه عبد الملك المظفر ، واشتد الحصار على ابن كنون ، واضطر إلى الاستسلام وطلب الأمان ، ووافق القائد عسكلاجة على مطلبه ، وكتب بخبره إلى المنصور ، فأمره بالإسراع في إرساله إلى قرطبة ، إذ كان في نيته تصفيته والقضاء عليه لخطورته وكثرة نكثه للعهد ، وسعيه للفساد ، فأرسل من قتله وهو في طريقه إلى قرطبة في جمادي الأولى من السنة ٣٧٥هـ/٩٨٥ م[٢].

٣ ـ العناية بدور الصناعة الحربية وتقوية الأسطول :

أدرك الحكام الأمويون ، على إثر غارات النورمان منذ عهد الأمير عبد الرحمن الثاني ، وتزايد الخطر الفاطمي في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ، ضرورة امتلاك قوة بحرية قوية قادرة على الدفاع وشن الهجوم ، وإحكام سيطرتها على مياهها الإقليمية ، ولا سيما منطقة مضيق جبل طارق[٣] ، فاتخذ الخليفة عبد الرحمن الناصر مراكز وموانئ في هذه المنطقة وشحنها بالسفن والمقاتلين . وقد أشار ابن خلدون إلى ذلك بقوله :

---

(١) دول الإسلام ، ورقة ٢٦ . الأنيس المطرب ص٩٣ . الاستقصا ٢٠٣/١ .

(٢) البيان المغرب ٢٨١/٢ . مفاخر البربر ص١٩ - ٢٠ . الأنيس المطرب ص٩٣ - ٩٤. العبر ٢١٩/٦ .

(٣) تاريخ مدينة المرية لسالم ص ٣٦.

« سار سنة [٣٠٢هـ] في العساكر . . . وانتهى إلى الجزيرة الخضراء ، وضبط البحر ، ونظر في أساطيله واستكثر منها »[١].

وأولى اهتماماً كبيراً بالجزيرة الخضراء ، فبنى داراً هائلة لصناعة السفن الحربية ، وأحكم بناءها ، وحاطها بالأسوار العالية والحصون المنيعة[٢] ، كما أشرف بنفسه على بناء حصن كامل في مدينة طريف في السنة ٣٤٩هـ / ٩٦٠ م ، وما يزال الحصن الذي بناه هناك باقية آثاره إلى الوقت الحاضر[٣] .

وأصدر أوامره إلى الأسطول بفرض حراسة مشددة على مضيق جبل طارق لمنع وصول إمدادات الفاطميين إلى المتمرد عمر بن حفصون ، الذي ثار في جنوب الأندلس أواخر القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، واعترف بزعامة الخليفة عبد الله المهدي الفاطمي (٢٩٧ ـ ٣٢٢هـ / ٩٠٩ ـ ٩٣٣م) ، وقد أشار إلى ذلك ابن عذاري بقوله : « [وفي السنة ٣٠١هـ] ألفيت للمشرك عمر بن حفصون مراكب في البحر كانت تميره من العدوة ، فأحرق جميعها »[٤] ، كما أنه استطاع بهذا الأسطول أن يسيطر على الساحل المغربي للمضيق ـ كما أشرنا في الصفحات السابقة ـ .

واهتم الحاجب المنصور القائم بأمر الخليفة هشام ، اهتماماً كبيراً بالجزيرة الخضراء ودار صناعتها ، واتخذها قاعدة عسكرية للإشراف منها بنفسه على العمليات العسكرية في المغرب ـ كما أشرنا سابقاً ـ ، وأمر أن تبنى له القصور والمنازل

---

(١) العبر ٤/١٣٩.

(٢) هامش المحقق الرقم (٣) . تاريخ الأندلس ص ٩٠ . الروض المعطار للحميري ص ٢٢٣.

(٣) طريف لبروفنسال ١٥/١٧١ . الآثار الأندلسية الباقية لعنان ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠.

(٤) البيان المغرب ٢/١٦٥ . وقارن : سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ص٢٠٦ .

The influence of Sea poowr on the History of Muslim spain, Nevill, Barbour, Vol. 14, p. 106.

في طريقه إلى الجزيرة الخضراء على غرار ما فعل في الطرق المؤدية إلى الثغور الأندلسية شمالاً [١].

وبسقوط حجابة العامريين في السنة ٣٩٩هـ / ١٠٠٨ م وضعف الخلافة برزت أهمية المضيق في الأحداث السياسية ولاسيما في خلافة سليمان بن الحكم المستعين الثانية في سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م ، عندما عهد لابني حمود[٢] بحماية المضيق ، فعيّن القاسم ابن حمود بن علي على الجزيرة الخضراء ، وولى أخاه علي بن حمود مدينتي سبتة وطنجة [٣]. وقد ارتكب بهذا الفعل خطأ كبيراً ، أذهب دولته ، وحياته ، إذ من يحكم سيطرته على سبتة وطنجة ، ويمتلك الجزيرة الخضراء ، باب الأندلس يطمح بالاستيلاء على الأندلس نفسها ، وهذا ما لاحظناه منذ أيام الفتح الأول للمسلمين ، وقد تنبه إلى ذلك بعض رجاله ونصحوه في العدول عن هذا القرار ، لكنه لم يأخذ بنصيحتهم[٤].

وقد استغل علي بن حمود موقع المضيق الجغرافي ، وساعدته في ذلك ظروف الدولة غير المستقرة ، ومركزه القوي بين سكان ولايته الذي حصل عليه بحكم استقرار قومه بينهم ، وتاريخ دولتهم الطويل في المغرب إذ أكسبهم صفة روحية بين المغاربة ، ولابد من أنه استخدمهم في مساندته وتنفيذ مخططه بالسيطرة على الخلافة الأندلسية ، فاستبد بسبتة في السنة ٤٠٤هـ/١٠١٣م ، وعبر بقواته من سبتة إلى الجزيرة الخضراء وزحف إلى مالقه وتملكها ، ثم توجه إلى قرطبة حيث التقى بقوات المستعين ، ودارت بين الطرفين معركة

---

(١) مفاخر البربر ص ٣٠.

(٢) هما القاسم وعلي ابنا حمود بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبد الله بن عمر بن إدريس الذي كان يحكم بلاد غمارة شمال المغرب على شاطئ البحر المتوسط ، كانوا قد عبروا إلى الأندلس ممن عبر مع الحسن ابن كنون سنة ٣٧٥هـ/٩٨٥م . ينظر : المعجب ص ٦٧ . مفاخر البربر ص٢٠ . العبر ١٥٣/٤.

(٣) الذخيرة ١/ق١/٣٨ . العبر ١٥٣/٤.

(٤)الذخيرة ١/ق١/٣٨ . البيان المغرب ١١٤/٣.

عنيفة اندحرت فيها قوات المستعين ، ودخل ابن حمود قرطبة في ٢٢ من المحرم لسنة ٤٠٧هـ / ١٠١٦ م ، وقام بإعدام المستعين وأخيه ووالده .

وبمقتل المستعين تبدأ حقبة حكم الحموديين للأندلس[١] ، ولكن حكمهم لم يستمر طويلاً ، فتارة ينتقل إلى الأمويين وتارة يعود إليهم[٢] إلى أن انتهى الأمر بسقوط الخلافة في السنة ٤٢٢هـ / ١٠٣٠ م بعزل هشام الثالث المعتد بالله آخر الخلفاء الأمويين في الأندلس .

* * *



(١) المعجب ص٦٨ . البيان المغرب ٣/١١٦،١١٧ . العبر ٤/١٥٢.

(٢) للمزيد من المعلومات . ينظر : المعجب ص١٧ . العبر ٤/١٥٤.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المخطوطات

١ ـ دول الإسلام بالمغرب الاقصى ، عبد الله بن محمد بن أحمد بن عبد الله البزيوي ، مخطوطة المجمع العلمي العراقي (رقم ١٣١٣) مصورة عن مخطوطة المكتبة الملكية ، الخزانة العامة ، الرباط .

ثانياً : المصادر المطبوعة :

ـ أخبار مجموعة ، مؤلف مجهول ، تحقيق إبراهيم الإبياري (بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٨١) .

ـ أزهار الرياض في أخبار عياض ، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد (بيروت ، دار الكتاب العربي ، بدون تاريخ) .

ـ الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى ، أحمد بن خالد الناصري السلاوي ، تحقيق : جعفر الناصري ، ومحمد الناصري (الدار البيضاء ، ١٩٥٤) .

ـ إفريقيا ، كربخال مارمول ، ترجمة عن الفرنسية محمد حجي وآخرون (الرباط ، مكتبة المعارف ، ١٩٨٤) .

ـ الإمامة والسياسية ، الجزء الخاص بالأندلس ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، نشر : خوليان رايبير (مدريد ، ١٩٢٦) .

ـ الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي زرع ، (الرباط ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، ١٩٧٢).

ـ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري ، تحقيق ج. س. كولان وليفي بروفنسال (ط٢ ،بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٨٠).

ـ تاريخ افتتاح الأندلس ، أبو بكر محمد بن عمر بن القوطية ، نشر : خوليان رايبير (مدريد : ١٩٢٦) .

- تاريخ إفريقية والمغرب ، أبو إسحق إبراهيم بن القاسم الرقيق القيرواني ، تحقيق المنجي الكعبي ، نشر : رفيق السقطي (تونس ، مطبعة الوسط ، ١٩٦٨) .
- تاريخ الأندلس (قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء)، أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس ، تحقيق : أحمد مختار العبادي (مدريد ، معهد الدراسات الإسلامية ، ١٩٧١).
- تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق : سهيل زكار (دمشق ، منشورات وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي ، ١٩٦٨) .
- تاريخ الرسل والملوك ، محمد بن جرير الطبري ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٠) .
- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس ، أحمد بن محمد بن القاضي المكناسي (الرباط ، دار المنصور للطباعة ، ١٩٧٣) .
- الجغرافيا ، أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي ، تحقيق إسماعيل العربي (بيروت ، المكتب التجاري للطباعة والنشر ، ١٩٧٠) .
- الجغرافية ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري ، تحقيق محمد حاج صادق (دمشق ، منشورات المعهد الفرنسي ، ١٩٧٠) .
- الحلة السيراء ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن الابار ، تحقيق حسين مؤنس (القاهرة ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٦٣) .
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، أبو الحسن علي بن بسام ، تحقيق إحسان عباس (بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٧٩) .
- ذكر بلاد الأندلس ، مؤلف مجهول ، تحقيق وترجمة لويس مولينا (مدريد ، المجلس الأعلى للابحاث العلمية ، معهد ميغيل اسين ، ١٩٨٣) .
- الرسالة الشريفة ، مؤلف مجهول ، ملحق بكتاب تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية .

- الروض المعطار في خبر الأقطار ، محمد عبد المنعم الحميري ، تحقيق إحسان عباس (بيروت ، دار القلم ، ١٩٧٥) .

- العبر وديوان المبتدأ والخبر ، محمد بن عبد الرحمن بن خلدون ، (بيروت ، منشورات الأعلمي للمطبوعات ، ١٩٧١) .

- فتح الأندلس ، مؤلف مجهول ، نشر : خواكين دي كونثاليث (الجزائر ، ١٨٨٩) .

- فتوح مصر وأخبارها ، عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ، نشر : شارلس توري (نيوهيفي ، ١٩٢٢) .

- القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس ، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق ، أبو عبد الله محمد الإدريسي ، تحقيق : إسماعيل العربي (الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ١٩٨٣) .

- الكامل في التاريخ ، عز الدين أبو الحسن علي بن ابي الكرم بن الأثير (بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٦/٦٥) .

- اللسان المعرب عن تهافت الأجنبي حول المغرب ، السليماني (ط١، الرباط ، مطبعة الأمنية ، ١٩٧١) .

- المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، عبد الواحد بن علي المراكشي ، تحقيق : محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي (ط٧، الدار البيضاء ، دار الكتاب ، ١٩٧٨) .

- المغرب عن بعض عجائب المغرب ، محمد بن رحيم الغرناطي ، تحقيق انكريدم بيكارتو (برشلونة ، ١٩٨٧) .

- المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب من كتاب المسالك والممالك ، أبو عبد الله بن عبد العزيز البكري ، نشر : دي سلان (الجزائر ، ١٨٥٧) وأعادت نشره مكتبة المثنى ببغداد .

- مفاخر البربر ، مؤلف مجهول ، تحقيق : ليفي بروفنسال (الرباط ، المطبعة الجديدة ، ١٩٣٤) .

- المقتبس في أنباء أهل الاندلس ، أبو مروان حيان بن خلف بن حيان ، تحقيق : محمود علي مكي ، (بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٧٣) .

- المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، محمد بن القاسم القيرواني بن أبي دينار ، تحقيق محمد شمام (تونس ، المكتبة العتيقة ، ١٣٧٨هـ) .

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (بيروت ، دار الكتاب العربي ، بدون تاريخ) .

- نهاية الأرب في فنون الأدب ، أحمد بن عبد الوهاب النويري ، تحقيق مصطفى أبو ضيف أحمد (الدار البيضاء ، دار النشر المغربية ، بدون تاريخ) .

ثالثاً : المراجع الثانوية

- الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال ، محمد عبد الله عنان (القاهرة ، مؤسسة الخانجي للتأليف والترجمة ، مطبعة لجنة البيان ، ١٩٦١) .

- أعلام المغرب العربي ، عبد الوهاب منصور (الرباط ، المطبعة الملكية ، ١٩٧٨).

- تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، خليل إبراهيم السامرائي وآخرون (الموصل ، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر ، ١٩٨٦) .

- تاريخ مدينة المرية الإسلامية ، عبد العزيز سالم (ط١ ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٩) .

- جغرافية النقل والتجارة الدولية ، عبد العزيز محمد حبيب وآخرون (الموصل ، دار الكتب للطباعة والنشر ، ١٩٨٩).

- الخليفة الأموي الحكم المستنصر ، وفاء عبد الله بن سليمان المزروع (جدة ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، د.ت) .

- دراسات أندلسية ، عبد الواحد ذنون طه (ط١ ، الموصل ، دار الكتب للطباعة والنشر ، ١٩٨٦) .

- دراسات في التاريخ الأندلسي ، عبد الواحد ذنون طه (ط١ ، الموصل ، دار الكتب للطباعة والنشر ، ١٩٨٧) .

- الدولة العربية في أسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة ، إبراهيم بيضون (بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٨٠) .

- الفتح والإستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس ، عبد الواحد ذنون طه (ميلانو ، بغداد ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٨٢) .

- العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر المتوسط ، عمر فروخ (ط١ ، بيروت ، منشورات المكتب التجاري ، ١٩٥٩) .

- في تاريخ المغرب والأندلس ، أحمد مختار العبادي (الإسكندرية ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، د.ت) .

- القاموس السياسي ، أحمد عطية الله (القاهرة ، دار النهضة العربية ، د.ت) .

- قاموس المصطلحات العسكرية ، محمد فتحي أمين (د.م ، د.ت) .

- القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ارشيبالد لويس ، ترجمة : أحمد محمد عيسى ، مراجعة وتقديم محمد شفيق غربال (القاهرة ، مطبعة النهضة المصرية ، د.ت) .

- مجمل تاريخ المغرب ، عبد الله العروي (الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، د.ت).

رابعاً : الدوريات

- إمارة نكور (بنو صالح الحميري في المغرب العربي) نهاية القرن الاول / بداية القرن الخامس الهجري ، نهلة شهاب أحمد ، مجلة التربية والعلم ، عدد ١١ (الموصل : ١٩٩١).

- حركة الصراع بين الأمويين والفاطميين في القرن ٤هـ/١٠م من خلال مجالس النعمان ومقتبس ابن حيان ، موسى لقبال ، مجلة المؤرخ العربي ، عدد ٢١ (بغداد : ١٩٨٢) .

- طارق بن زياد ، محمود شيت خطاب ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، الجزء الثاني ، مجلد ٣٩ (بغداد : ١٩٨٨) .

- غزوات النورمانيين على الأندلس في عصر الإمارة الأموية ، خليل إبراهيم الكبيسي ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ٤٠ (بغداد : ١٩٨٩) .

خامساً : المراجع الاجنبية :

1 - Apolitical history of Muslim spain Najmarsons , S.M. Imamuddin , Decca , 1969.

2 - Oxford dictionary of Gurrent English , A.S. Horn by , Oxford , 1980 .

3 - The Golden trade of the moors , E.W. Bovill , 2nd , eidition , London : Oxford University , piress . 1968.



صدى الأحمدية

ومع الشكر على هذا الإهداء المهم، والمفيد، أرجو لمجلة الأحمدية استمرار التقدم والازدهار.

الأستاذ الدكتور/ هادف بن جوعان الظاهري
مدير جامعة الإمارات

يسرني أن أبعث لكم مقدراً الجهود الموفقة التي تبذل في مجلة الأحمدية الغراء وقد نالت إعجابنا وتقديرنا ... شاكراً لكم جهودكم المخلصة في خدمة الثقافة الإسلامية الأصيلة.

الأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم
رئيس جامعة الأزهر

تابعت جهود الدار العلمية والثقافية وأعجبت بما اطلعتُ عليه من أعمالها برعاية الأخ فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد محمد نور سيف مدير عام دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث بدبي، الذي أقدره كل التقدير لأمرين: لعلمه ودقته في البحث وسعة معرفته، ولإخلاصه وخلقه، وهذا مما يكفل للدار النجاح والتميز.

وهذه الدار مفخرة لحكومة دبي، لأنها تعبر عن الجانب الآخر من اهتمام دبي بالثقافة والفكر إلى جانب اهتمامها بالاقتصاد والتجارة... وإنني واثق أن دار البحوث ستكون في يوم من الأيام من مفاخر هذه الإمارة الفتية الطموحة،

وأعجبت بتنظيم مؤتمر علمي عن مذهب الإمام مالك، وسأحرص على المشاركة فيه، وفقه مالك جدير بأن يحظى باهتمام المشارقة، وبخاصة فيما يتعلق بجهد المشارقة في التأصيل والتفريع، والتصنيف في النوازل، وما جرى به العمل في بلاد المشرق من الآراء المرجوحة في المذهب.

الأستاذ الدكتور/ محمد فاروق النبهان
عضو الأكاديمية المغربية - الرباط

أشكركم أجزل الشكر على تفضلكم بإرسال العدد الخامس من مجلة الأحمدية، وأعبر

لكم عن سعادتي بقراءة كلمتكم القيمة التي أومأت في إجمال إلى دور الكلمة في تاريخ الحضارة الإسلامية، وأعجبني ما أوردته عن موقف الإمام مالك حين طلب منه أن يضع كتاباً موطأ يلزم الخليفة به الأمة، فهو موقف العالم المتواضع الذي يحترم الرأي الآخر والذي يؤكد أن الشريعة السمحة أباحت الاختلاف في الرأي في الظنيات، توسعة ورحمة بالأمة. إنه موقف ينبغي التذكير به في عصرنا لنقاوم به تلك التيارات التي تهيمن عليها العصبية المذهبية، والتي لاتعرف للجدل العلمي منطقاً موضوعياً، والتي تحاول أن تفرض ما تراه، وتعتقد أنه وحده الحق ولا حق سواه.

أما مجلة «الأحمدية» فهي تعد خطوة موفقة مباركة على طريق التنمية العلمية للأمة الإسلامية، وهي في أمس الحاجة إلى هذه التنمية، حتى تجتاز مرحلة التخلف والضمور الحضاري، ويحمد للأحمدية أنها لا تنشر إلا الدراسات الجادة والأبحاث التي لا تعرف إعادة صياغة أفكار الآخرين من جديد، وأطمح أن تهتم الأحمدية إلى الجانب التراثي في البحث بالمشكلات والقضايا المعاصرة، كذلك أقترح أن تخصص هذه المجلة المتميزة بعض أعدادها لدراسة موضوع واحد، يعد ملفاً شاملاً لكل ما يتعلق بهذا الموضوع.

أخوكم الأستاذ الدكتور/ محمد الدسوقي
أستاذ الفقه والأصول - جامعة قطر

يطيب لي أن أعرب لكم عن سعادتي بهذه المجلة العلمية الرصينة «مجلة الأحمدية» وقد تميزت بجودة الإخراج وثراء المضمون، فهنيئا للدار هذه اللبنة الجديدة والغراس المثمر.

الدكتور/ عبد العزيز بن صالح الخليفي
الدوحة

سررت غاية السرور باطلاعي على مجلتكم الغراء، ووجدتني مدفوعاً إلى مراسلتكم بالناسوخ مهنئاً بمستواها الرفيع شكلاً ومضموناً، وإني على يقين أنها ستجد بتوفيق من الله عز وجل مكانها اللائق في قلوب أهل العلم، وأنها ستملأ فراغاً كبيراً في المجال العلمي والثقافي.

الأستاذ/ مصطفى فوضيل
عضو المجلس الإداري بمعهد الدراسات المصطلحية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية - فاس - المغرب

قرأت العدد الرابع من مجلة الأحمدية الغراء، فكانت إضافة علمية رائعة بالنسبة لي، ومصدراً جديداً من مصادر العلم، أنتهل منه الكم الغزير من العلوم المختلفة، وإنني أتمنى أن تدوم هذه المجلة في هذا العطاء، وآمل أن يظل هذا الصرح الشامخ في عالم ألدراسات العربية والإسلامية.

الدكتور/ سالم مرزوق الرفاعي
طنطا - مصر

إن مجلة الأحمدية تشكل أملاً من الآمال الكبيرة التي كنت أحلم بها في ضوء غياب المجلات العلمية ذات الصبغة العلمية المميزة التي وجدتها - بحمد الله - في هذه المجلة، والتي أعطت لها طابعاً متميزاً وشخصية علمية، اجتذبت من خطواتها الأولى أنظار وأقلام الكثير من الباحثين.

الدكتور/ محمد بن عمر بازمول
جامعة أم القرى - كلية الدعوة وأصول الدين.

تعرفت على مجلتكم، وصورت بعض الموضوعات لأترجمها إلى اللغة الإندونيسية، وأرجو منكم التكرم بإرسال نسخة من مجلتكم النافعة إلى إندونيسيا، توسيعاً للفائدة العلمية.

الأستاذ /عبد المعطي طبراني
وكيل معهد المجتمع الإسلامي - إندونيسيا

سعدت بالاطلاع على مجلتكم القيمة والرائدة في مجال الفكر والدراسات الإسلامية، ووجدتها متميزة في بحوثها، وسدت جانباً كبيراً من الدراسات الفقهية والبحثية، وقد استبشرت خيراً بهذا الجهد الذي تقدمونه إلى العالم الإسلامي بل والعالم أجمع في مطلع قرن جديد ندعو الله أن يجعله خيراً للإسلام والمسلمين.

المستشار/ توفيق علي وهبة
رئيس المركز العربي للدراسات والبحوث - القاهرة

تهدي مكتبة الجامعة الأردنية تحياتها إليكم، وتود إعلامكم عن رغبتها بالاشتراك بمجلتكم القيمة «الأحمدية» ابتداء من عام ١٩٩٨م، وذلك على سبيل التبادل بمجلة «دراسات»: علوم الشريعة والقانون، وهي مجلة علمية محكمة تصدرها عمادة البحث العلمي في الجامعة، وسنوافيكم بالأعداد الصادرة تباعاً، شاكرين لكم حسن تعاونكم وكريم اهتمامكم، وكلنا أمل باستمرار التعاون المثمر بين مؤسستينا.

الدكتور/ هاني العمد

مدير المكتبة - الجامعة الأردنية - الأردن

يسر مركز المصادر للمعلومات بجدة التعامل مع داركم بشأن إصداراتكم من مجلات ونحوها، فنرغب في الاشتراك في الأعداد الجديدة مع إرسال الأعداد القديمة منها إن أمكن لكي يسهل لنا تقديمها وخدمتها وعرضها للباحثين وطلبة العلم في أفضل صورة وأسهل طريقة، ولنا موقع على شبكة الإنترنت نعرض فيه الكتب الجديدة والتي تصدر في العالم العربي قاطبة وهو www.thamarat.com . كما أننا نعمل على فهرسة المقالات الموجودة في المجلات لإدخالها في الحاسب الآلي، ومن ثم نوفر إمكانية البحث في هذا المحرك.

مركز المصادر - جدة - المملكة العربية السعودية

كم سعدت باصدارات مجلتكم القيمة، وما اشتملت عليه من موضوعات ثرية في مادتها العلمية، متنوعة المشارب، أضيف إليها جودة الإخراج والدقة في الاختيار.

الأستاذ الدكتور/ عبد الفتاح محمود إدريس

كلية الشريعة والقانون - القاهرة

تلقيت هديتكم المباركة، العدد السابع من مجلة الأحمدية ، بالسرور البالغ، والشكر والتقدير للجهود الطيبة التي تبذلونها في خدمة علوم الإسلام والعربية، والعناية باختيار الأبحاث والعلماء الأعلام، والاهتمام بمناهج البحث وأساليب الكتابة الموضوعية الرائقة، والإخراج الأنيق المعجب. شكر الله سعيكم، وأيدكم باليسر والتوفيق والنجاح، فيما تبغون من عمل كريم مبارك.

الأستاذ الدكتور/ فخر الدين قباوة

أستاذ النحو في جامعة حلب - سوريا

تهديكم دار الكتب الوطنية بالمجمع الثقافي في أبوظبي أطيب التحية، وترجو التكرم بموافاتها بالعدد السادس وما صدر بعده من أعداد من مجلتكم القيمة الأحمدية. نأمل أن تصلنا الأعداد المطلوبة في أقرب فرصة ممكنة، وذلك حرصا منا على توفيرأعداد المجلة للباحثين المترددين على الدار.

جمعة عبد الله القبيسي

الوكيل المساعد لشؤون دار الكتب الوطنية - المجمع الثقافي - أبوظبي

يسعد مجموعة البحث، رغبة منها في تدعيم أواصر التواصل بين ثقافة بلدينا الشقيقين، وتطلعاً منها إلى إشعاع أدبي يتيح مجالات واسعة للاطلاع والإفادة بين المثقفين والباحثين في بلدينا، أن تنظم معرضا للمجلات الإمارتية خلال ٤، ٧ مارس ٢٠٠٢ برحاب كلية الآداب بفاس. وقد سبق للمجموعة أن نظمت معرضا للكتاب الأدبي الإماراتي سنة ٢٠٠٠. لذا نود من سيادتكم تدعيم هذه المبادرة الطيبة بمشاركة مجلة «الأحمدية»، لما في حضورها المتميز من عطاء مثمر يحقق إشعاع الثقافة العربية والتراث الإسلامي من الخليج إلى المحيط بالحصول على ما نشر منها. ونأمل أن تكون هذه المشاركة فاتحة تعاون ثقافي بين مجموعة البحث بفاس ودار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث بدبي.

الدكتور/ عبد الله بنصر العلوي

رئيس مجموعة البحث في الإبداع والدراسات المغربية الإماراتية فاس - المغرب

سعدت بالحديث معكم في شأن موافقتكم على مشاركة دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث بدبي بمجلتها القيمة «الأحمدية» في معرض المجلات المغربية الإمارتية، وفي حضور هذه المجلة الغراء مبعث سرور خاص شمل أعضاء مجموعة البحث لتقديرهم للدور الكبير الذي تقوم به في خدمة الثقافة العربية والإسلامية.

الدكتور/ عبد الله بنصر العلوي - فاس - المغرب

صدر عن دار البحوث

١ـ سلسلة الدراسات القرآنية :

١ـ أبرز أسس التعامل مع القرآن الكريم .
ط ٣ (١٤٢٢ - ٢٠٠١)
الدكتور عيادة بن أيوب الكبيسي،
٢ـ تفسير سورة الناس للبرهان النسفي (ت : ٦٨٧هـ)
ط ١ (١٤٢٢- ٢٠٠١)
تحقيق الدكتور عيادة الكبيسي،
٣ـ الفتح القدسي في آية الكرسي للبرهان البقاعي (ت :٨٨٥ هـ)
ط ١ (١٤٢٢- ٢٠٠١)
تحقيق الدكتور عبدالحكيم الأنيس،

٢ـ سلسلة الدراسات الحديثية :

١ـ الأربعون المنيرة في الأجور الكبيرة على الأعمال اليسيرة .
ط٣ (١٤٢٢- ٢٠٠١)
الدكتور عيادة الكبيسي،
٢ـ الإتحاف بتخريج أحاديث الإشراف .
ط٢ (١٤٢٢- ٢٠٠١)
الدكتور بدوي عبدالصمد،
٣ـ التعريف بأوهام من قسم السنن إلى صحيح وضعيف .
ط١ (١٤٢٢- ٢٠٠١)
أ. محمود سعيد ممدوح،
٤ـ منهج النسائي في الجرح والتعديل وجمع أقواله في الرجال .
ط١ (١٤٢٢- ٢٠٠١)
الدكتور قاسم علي سعد،

٣ـ سلسلة الدراسات الأصولية :

١ـ المسائل التي بناها الإمام مالك على عمل أهل المدينة توثيقاً ودراسة .
ط١ (١٤٢١- ٢٠٠٠)
الدكتور محمد المدني بوساق،
٢ـ خبر الواحد إذا خالف عمل أهل المدينة دراسة وتطبيقاً .
ط١ (١٤٢١- ٢٠٠٠)
الدكتور حسان بن محمد حسن فلمبان،
٣ـ عمل أهل المدينة بين مصطلحات مالك وآراء الأصوليين .
ط١ (١٤٢١- ٢٠٠٠)
الدكتور أحمد محمد نور سيف،
٤ـ اصطلاح المذهب عند المالكية .
ط١ (١٤٢١- ٢٠٠٠)
الدكتور محمد إبراهيم أحمد علي،
٥ـ تحفة المسؤول في شرح مختصر منتهى السول للرهوني .
ط١ (١٤٢٢- ٢٠٠١)
تحقيق الدكتور الهادي بن حسين شبيلي والدكتور يوسف الأخضر القيم،

٦ـ لباب المحصول في علم الأصول للحسين بن رشيق المالكي.
تحقيق محمد غزالي عمر جابي، ط١ (١٤٢٢ـ ٢٠٠١)
٧ـ منهج كتابة الفقه المالكي بين التجريد والتدليل.
الدكتور بدوي عبدالصمد، ط١ (١٤٢٣ـ ٢٠٠٢)

٤ـ سلسلة الدراسات الفقهية:

١ـ التهذيب (في اختصار المدونة) لأبي سعيد البراذعي.
تحقيق محمد الأمين ولد محمد سالم، ط١ (١٤٢٠ـ ١٩٩٩)
٢ـ الوسوسة: أسبابها وعلاجها.
الدكتور عيادة الكبيسي، ط٢ (١٤٢٢ـ ٢٠٠١)
٣ـ لباس التقوى والتحديات المعاصرة للمرأة المسلمة.
الدكتور عيادة الكبيسي، ط٢ (١٤٢٢ـ ٢٠٠١)
٤ـ أحكام تصرفات الوكيل في عقود المعاوضات المالية.
الدكتور سلطان الهاشمي، ط١ (١٤٢٢ـ ٢٠٠٢)
٥ـ فقه العمران الإسلامي من خلال الأرشيف العثماني الجزائري (٩٥٦ـ ١٢٤٦ = ١٥٤٩ـ ١٨٥٠)
الدكتور مصطفى أحمد بن حموش، ط١ (١٤٢١ـ ٢٠٠٠)
٦ـ باب الزكاة من كتاب الشرح الصغير على أقرب المسالك مع التهذيب والتدليل والتعليل.
إعداد الدكتور بدوي عبدالصمد ومحمد العربي بوضياف، ط١ (١٤٢١ـ ٢٠٠٠)
٧ـ الجناية على الأطراف في الفقه الإسلامي.
الدكتور نجم عبدالله العيساوي، ط١ (١٤٢٢ـ ٢٠٠١)
٨ـ الإفادة في حكم السيادة.
الدكتور زين العابدين العبيد محمد، ط١ (١٤٢٢ـ ٢٠٠١)

٥ـ سلسلة دراسات اللغة العربية:

١ـ فيض نشر الإنشراح من روض طي الاقتراح لأبي عبدالله محمد بن الطيب الفاسي.
تحقيق الدكتور محمود فجال، ط١ (١٤٢١ـ ٢٠٠٠)

٦ـ سلسلة دراسات السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي:

١ـ سلوة الكئيب بوفاة الحبيب لابن ناصر الدين الدمشقي.
تحقيق الدكتور صالح معتوق، ط٢ (١٤٢٢ـ ٢٠٠١)

٧ـ سلسلة الثقافة الإسلامية :

١ـ عمل المرأة واختلاطها ودورها في بناء المجتمع .
الدكتور نور الدين عتر، ط١ (١٤٢٢ـ ٢٠٠١)
٢ـ الشورى في ضوء القرآن والسنة .
الدكتور حسن ضياء الدين عتر، ط١ (١٤٢٢ـ ٢٠٠١)
٣ـ قوامة الرجل وخروج المرأة إلى العمل .
الدكتور محمد سعد عبدالرحمن، ط١ (١٤٢٢ـ ٢٠٠١)
٤ ـ الأرقام العربية : تاريخها وأصالتها وما استعمله المحدثون وغيرهم منها .
الدكتور قاسم علي سعد، ط١ (١٤٢٣ـ ٢٠٠٢)

٨ـ سلسلة التربية الإسلامية :

١ـ من أدب المحدثين في التربية والتعليم .
الدكتور أحمد محمد نورسيف، ط٢ (١٤١٨ـ ١٩٩٨)

٩ـ سلسلة دراسات الاقتصاد الإسلامي :

١ـ الحاجات البشرية (مدخل إلى النظرية الاقتصادية الإسلامية) .
أ . محمد البشير فرحان مرعي، ط١ (١٤٢٢ـ ٢٠٠١)

١٠ـ سلسلة الرسائل :

١ـ موضع القدمين من المصلي في الصلاة .
الدكتور أحمد محمد نور سيف، ط٢ (١٤٢٠ـ ١٩٩٩)
٢ـ تيسير البيان عن إعجاز القرآن .
الدكتور محمود الزين، ط١ (١٤٢٣ـ ٢٠٠٢)

Gibraltar in history from Muslim Conquest to end of Caliphate. (92-422 AH/ 710 – 1030 CE)

Dr. Nahla Shihaab Ahmed *

Synopsis

These research begins with a definition of the Straits of Gibraltar, a narrow waterway where the western part of Mediterranean sea meets the eastern part of Atlantic Ocean. Its coastline on the Moroccan side includes Sebta, Qasr Masmooda and Tangier while that on the Iberian peninsula includes Gibraltar, the Green Island, and Taree Island. Next, the research discusses the role of Gibraltar in the conquest of the Iberian peninsula since the conditions on both sides of the Straits during the last decade of the first century of the Hijra calendar required a quick conquest of the Peninsula. That was one reason why Tariq bin Ziyad invaded it in 92 AH/711 CE, conquered the Iberian Coast of the Gibraltar and insured his supply lines. & his conquest was then followed by Moosa bin Nosair who crossed the Straits in 93 AH/712 CE.

The research then deals with the Straits in the successive periods: the period of Al Walaya (95 AH – 138 AH/714 CE – 755 CE) marked by unrest in Morocco and its effects in Spain; the period of al-Imara (138–316 AH when Abdurrahmaan bin Moaawia founded by the emirate in Spain and the consequent Norman invasion of the Straits; and finally, the age of Omayyad caliphate (316-224-AH/928=1030 CE) and the role of the straits during the political and military crisis between the Fatamids of Morocco and the Omayyads of Spain.

* Asst professor, Dept of History, College of Pedagogy, Mosul University. Born (1958 CE), obtained MA from Faculty of Arts, Mosul University (1987 CE) and doctorate (1996 CE). A member of Moroccan Historical Association. Has many published research papers to her credit.

Arabs' contribution to lexicology: A study in light of contemporary semantic fields

Prof. Dr. Sabeeh al-Tameemi*

Synopsis

This research deals with an aspect of contemporary semantics known as semantic fields. It defines it, uncovers its ancient roots, describes its basic Characteristics, shows the differences in its compilations, its importance, examines the attempts made to compile it as well as gives a full exposition of the headings of one of its chief fields, field of entities. Then the research scholar turns to its parallel in our ancient Arab heritage known as lexicons of meanings or lexicons of subjects. All this has been done by means of applied comparative study for the first time – between the field headings of the oldest Arabic lexicon in this field, al-ghareeb ul-musanaf, written by Abu Obaid al-Qasim bin sallam (d.224 AH) and the most complete modern Western lexicon which is the Greek New Testament.

The results have shown a lot of similarity in applied work between the two with time difference which favours contemporasry studies. Hence, it is clear that what has been hailed as a revolution in semantics – that is, semantic fields – is something which has been known to Arabs for the last twelve centuries and that they left to us a heritage of applied studies, encyclopedic in scope and nature in this field.

Through this paper the writer hopes to participate with other researchers in tracing the roots of Arabian lexicology, find its origins, and

* Professor of Linguistics, college of pedagogy, UAE University. Born in 1948 CE, got doctorate in Linguistics from Cairo University in 1983 CE with First Rank on his thesis 'Ideas of Iraqi Arabs on language during third and fourth centuries of the Hijri Calendar). Has taught at several Arab Universities. Published research papers in academic journals. Researched more than ten old book, on language and published on language and exposition of the alfiah of Ibn Malik.

Tremendous Effect of Seeing and meeting the Prophet

Dr. Saleh Ahmed Radha*

Synopsis:

This research paper begins with a study of the companions of the Prophet, peace on him, in the light of the opinions of the learned scholars of Islam, ancient and modern, and their differences of opinions and then seeks to draw a conclusion which appears to carry more weight. In the course of the research, the writer deals with several questions and dis cusses the creeds and opinions of those scholars whose opinions were never mentioned before.

The paper shows that a companion, according to the majority of scholars, especially those of the latter days, is defined as a person who met the prophet, peace on him, in a state of belief and died as a Muslim. By giving examples how seeing the prophet changed the lives of the Companions, the paper refutes the contention of those who say: how can a pagan become a stable believer and practice Islam just by having a glimpse of the Prophet, peace on him The paper also – describes the benefits of knowing companions and the way of discovering a companion from a non-companion.

* participating professor of Hadeeth Sciences, College of Shariah and Islamic Studies, Sharjah University. Born in 1942 CE, obtained doctorate in Hadeeth Sciences, college of Usool-ud-deen, al-Azhar University (1971 CE) with the rank of Honour. Author of "al-ejaaz-ul -ilmi fi al-sunnah al-nabawia.

Shedding Light on The Emergence of The Science of Quranic Correlation: Rectification of Well-Known Historical Mistakes

By Dr. Abdul Hakeem Al 'Anees*

Synopsis:

The study discusses the arguments surrounding the emergence of the science of Quranic correlation as well as rectifying well-known mistakes in its history such as the proclamation that either Abu Bakr Al Naysaboori (died in 324 Hijri) or the other Naysaboori (died in 338 Hijri) is the founder of this discipline. However, this study reveals that neither has any association whatsoever with the subject. It also asserts that although there are numerous people possessing the same name, however, Abu Bakr Al Naysaboori who actually founded the science of Quranic correlation in Baghdad was definitely a seventh century (Hijri) scholar because he was cited by Abul Hassan Al Shahrabani, a prominent Baghdad scholar (died 672 Hijri) who was not anonymous as some researchers declared him to be!

The study also reveals that Abu Bakr Al Naysaboori's role is limited to presenting this discipline, which was well-known for a long time, rather than being its pioneer as Al Siyooti and his followers assumed him to be.

In light of this conclusion, this study determines (based on the above) that the era in which Quranic correlation emerged as a science being the beginning of the fourth Hijri century is not true. It also draws the attention of Quranic sciences' scholars to such important issues as the revision of this discipline's history and evolution besides assigning appropriate credits to relevant personalities.

* Cheif Researcher at the Institute of Research, Islamic studies and revival of heritage, dubai. Born at Aleppo, Syria, in 1385 AH/1965 CE. Obtained doctorate with distinction in Exegesis and Qur'aanic sciences from Baghdad University in 1416 AH/1995. Taught at the universities of San'a, etc. Wrote a number of research papers and books.

Eesa bin Saalim al-Shaasi (d. 232 AH)

Dr Abdulazeez Shakir Hamdan *

Synopsis

The juz' of al-Imam Eesa bin Saalim al-Shaasi is considered an impor tant juz' of the Traditions owing to a number of factors.

First, al-Imam al-Shaasi lived in the third century of the Hijra calendar which is considered to be the golden age of the science of Traditions.

Second, several scholars who compiled books of Traditions quoted their Traditions on the authority of narrators mentioned in the Juz' of al-Shaasi.

Third, this juz' is a depot of broken (maqtoo) and Moqoof Traditions for it contains a lot of aathaar whose chain of narrators does not go beyond the Companions of the Prophet or the tabiyy (those who came after them)

This part of the Traditions remained for long hidden in the achieves of manuscripts and the research scholar felt that there was a pressing need to publish this juz' of the Traditions.

* Teacher of Traditions, Department of Islamic Studies, College of Humanities, and Social Science, UAE University. Born (1966 CE), obtained doctorate in Hadeeth Sci ence from college of Islamic Sciences, Baghdad University (1966 CE) with distinction on his thesis. 'al-Imam ibn Khozaima wa manhajihi fi kitaabihi al-saheeh'

Yahya bin Saeed al Qattan and Abdurrahman bin Mahdi's Modality regarding Weak Narratros

Hasan Muzaffar al-Razo*

Synopsis:

Yahya bin Saeed al Qattan and Abdurrahman bin Mahdi are two of the very brilliant critics and doctors of Hadeeth Sciences. Scholars often quote them while evaluating narrators. Any narrator weakened by any one of the two is considered weak by other scholars too. Their opinion is a standard criterion followed by others. In order to understand their approach, we surveyed narrators considered weak by them, noted what reasons they gave to weaken them and compared our findings with the opinions of other scholars regarding the same narrators.

This comparative study revealed that the narrators accepted by the Imams are trustworthy. However, since Yahya bin al-Qattan was a more severe critic of narrators than Abdurrahman bin Mahdi, we can endorse his decision when he approves someone but we have to be careful when he weakens a narrator. On the contrary, Ibn Qattan. He followed a Middle course in the beginning but later on took a hard line evaluating narrators. So if he stands alone in weakening a narrator, we should see what other critics say about him and we should also see if he has been accused of innovation since he was very hard on innovators.

To sum up, al-Qattan and Ibn Mahdi's pronouncement of judgement on a narrator being weak cannot be considered final and absolute. Yes, it can be taken as an additional evidence if their views agree with those of other critics or their judgements can be considered having a greater weight in case of disagreement

* Director of information Research and Programming Technology, College of al-Hedba. Mosul, Iraq. Born in (1956 CE) obtained BA in Chemical Engineering College. from Engineering College, University of Baghdad (1978 CE). MA in computerized Environmental Engineering from College of Engineering, University of Mosul (1987 CE). He keeps himself occupied with Hadeeth Science



Abstracts

It is true that some souls can endure such strenuous efforts due to inner strength, however, every person is responsible for himself and he is the best judge of its capabilities."

Finally, it is evident through this brief illustration that Allah had endowed the scholars of this Ummah with a passion for learning, diligence and endurance as well as swift and comprehensive recitation abilities besides blessing their time with bounty. Such was their learning that they could recall whatever they needed anytime. The following account, which Dr. Ahmad Mohammad Noor Saif included in his introduction to the scrutiny of Al Imam Yahya Bin Ma'een's book titled 'Al Tareekh' (1:86), illustrates this statement "Their ravenousness for reading had enabled them to delve into 'Khabaya Al Zawaya' and explore the 'Al La'ali' Al Manthoora' of 'Al Bahr Al Moheet' which resulted in this vast heritage of knowledge. They wrote, analyzed, scrutinized, criticized and revised simultaneously, which is the reason why their works are so comprehensive and accurate. Numerous examples show that scholars had always lauded swiftness in recitations which is, undoubtedly, characterized by alertness and comprehension rather than the chatter which neither the reciter understands nor the listener comprehends."

We pray to Allah to bless us with attraction towards reading as He had made it attractive to the forefathers and that He would make us detest lethargy as He made them detest it because we have become according to Mr. Mahmoud Shakir's description "People who are many times more lethargic and careless than was contrasted by their forefathers' seriousness and diligence!".

To Allah we express our distress for He is our sole source for strength and help.

Dr. Abdul Hakeem Al Anees
Editor in Chief

laps between the noon and afternoon prayers is considered to be his fastest recital during his journey to Al Sham because this book contains about 1500 Traditions which were reported by a thousand Sheikhs; a Tradition or two each.

He also recited 'Sahih Al Bokhari' at Al Khankah Al Beybarsiyyah in ten sessions each lasting four hours. This took place around 820 H as I remember"

Al Jawahir wal Durar 1: 161

I say that the Traditions in 'Mo'jam Al Tabarani Al Sageer' totaled to 1198 according to Al Mayadini's numbering; which is not a small number by all means.

Also, amongst these brilliant scholars is Al Imam Al Hafiz Jalal-ud-Din Al Soyoti (died 911 H) who had recited 'Al Mosnad' of Al Shafi'i (or most of it) before Al Qamsi during one day. Al Qamsi is Jalal-ud-Din Abd-ur-Rahman bin Ahmad (792-875 H) whose biography appears in 'Al Manjam fil Mo'jam' p.137. 'Al Mosnad' of Al Shafi'i (according to his numbering) includes 1721 Traditions.

Al Imam Al Salih Ahmad Bin Mohammad Al Kastalani (851-923 H) author of 'Irshad-os-Sari Lisharh Sahih Al Bokhari' is amongst this elite. It is reported that He had recited the complete 'Sahih Al Bolkhari' in five sessions before Al Shawi as is mentioned in 'Al Dawo-ul-Lami' ' (2:103) and ' Al Noor-us-Safir' p.106, however, 'Al Moshari' AL Rawi' (2:22) and ' Kholasat Al Athar' (1:73) report the incident to have occurred in five or so sessions. Al Shawi is identified by ' Al Manjam' p.15 as Al Mosnid Al Mo'ammir Ahmad Bin Abdul Qadir Bin Tareef (794-884 H).

Another example is portrayed by Al Sayed Al Jaleel Abu Bakr Bin Ahmad Ba Alawi (990-1053 H) whose son Mohammad Al Shalli said in 'Al Moshari' AL Rawi' (2:22) "He read books a lot with a great zeal and stamina. He might read a bulky volume in day or a night. I heard that he had recited 'Al Ihyaa' in ten days which is considered exceptional these days". Al Mohibbi quoted the same in 'Al Kholasa' (1:73).

Al Allama Al Shaikh Jamal-ud-Din Al Qassimi (died 1332 H), talking about himself, said in his book 'Qawa'id-ud-Tahdeeth' p.263 "The humble slave who authored this book was blessed by Allah to have:

* Recited 'Sahih Muslim' in sessions lasting forty days which ended on 28th Safar 1316 H.
* Recited 'Sunan Ibn Majah' in sessions lasting twenty-one days which ended on 22nd Rabi' Al Awwal 1316 H.
* Recited 'Al Mowatta' ' in sessions lasting nineteen days which ended on 15th Rabi' Al Akhir 1316 H.
* Self learned 'Taqreeb Al Tahdeeb' of Al Hafiz Ibn Hajar as well as completing its revision, corrections and marginal explanations (based on an accurate copy) in sessions lasting ten days which ended on 18th Dhil Hijja 1315 H.

I studied and recited these books successively which weakened my health and inflamed my eyes but I was cured by the blessings of Allah. Thus, I was reluctant to repeat such exercise and realized that it was better to be moderate.

which Al Iraqi recited more than a third of the book while Al Hafiz Bin Rajab was revising against his own copy of the book.".

Qawa'id Al Tahdeeth by Al Qassimi p. 262

Mohammad Bin Isma'eel known as Ibn Al Khabbaz was, in fact, Al Mosnid (the reference) of Damascus at that time. Ibn Hajar mentioned him saying "Our mentor Al Iraqi had spoken profusely of him. He reported that he (Ibn Al Khabbaz) had patience for listening and earned his living as a weaver; so they used to recite before him form morning till afternoon while he worked at home!".

Al Dorar Al Kaminah 3:384

The linguist and dictionary author Al Imam Majd-ud-Din Mohammad Bin Ya'qoob Al Fairoozabadi (died 817 H) is yet another role-model who was mentioned by Al Imam Al Sakhawi in 'Al Jawahir wal Dorar'(1:162) and Al Qassimi in 'Qawa'id Al Hadeeth' p.262 that he had recited 'Al Sahih' of Muslim in three days in Damascus before Nasir-ud-Din Abi Abdillah Mohammad Bin Jahbal. Concluding, he chanted a poem saying:

" By the grace of Allah I had recited the Jami' of Muslim
In Damascus of Al Sham capital of Islam
Before Nasir-ud-Din Ibn Jahbal, the Imam
Witnessed, thereof, by famous retainers.
Accomplished all within, by the support of Almighty,
In three days, a recitation accurate indeed. "

Al Hafiz Abul Qassim Bin Moussa Bin Mo'ti Al Abdoosi (died 837 H) was

This leaves us wondering whether it was due to the number of revisions of the book that made him master it or was it blessings of time and a fruit of devotion and faithfulness? Or what?

Although such recitations were for certain purposes, however, they demonstrate the keenness of the scholars in reading and their endurance as well as their enthusiasm for learning.

Another scholar to be mentioned is Al Imam Al Hafiz Abul Fadhl Ahmad Bin Ali Ibn Hajar Al Asqalani (died 852 H) whose disciple Al Imam Al Sakhawi (died 902 H) gave an account of his (Ibn Hajar's) journey to Damascus and his accomplishments there "Allah had endowed him with such blessings as fluent and swift recitation which enabled him to:

- Recite 'Al Sonan' of Ibn Majah in four sessions. He also recited 'Al Sahih' of Muslim at the Minkotamriyah School before Mosnid of Egypt Al Sharaf Abi Tahir Mohammad Bin Al Izz Bin Al Kowaik Al Rob'i in four sessions other than the final one lasting a little more than two days. Sessions used to commence from early day till noon thereby finishing off during the day of Arafat which fell on a Friday in 813 H. He also recited 'Kitab Al Nisa'ee Al Kabeer' before the aforementioned Al Sharaf in ten sessions lasting four hours each in the attendance of prominent scholars and pious people. The recitation was concluded on the day of Aashora 814 H.

His recitation of 'Mo'jam Al Tabarani Al Sageer' in one session during the

during the first recitation.

AL Montatham 16:129

The aforementioned Kareema is a pious scholar and a trustworthy narrator before whom great scholars had recited. She never married and died in Mecca in 463 H. It is said that she reached 100 years of age. She has many biographies including the one in 'Al Montatham'.

Al Sakhawi, the historian, said that he had asked his mentor Al Hafiz Ibn Hajar about this incident "I told him : "Sir, you know that Al Hafiz AL Khateeb Al Baghdadi had recited 'Al Saheeh' before Kareema Al Mirooziya during pilgrimage days (so it was reported, however, the correct is five days); so have you, your honor, recited for a full day? He replied " No, but I had recited Al Saheeh in 10 sessions which if they were continuous would have been less than these days, however, the earth is incomparable to the Pleiades because Al Khateeb's recitation, may Allah have mercy on him, was superior, accurate and informative for listeners."

Al Jawahir Wal Dorar 1: 163

Let us reflect upon and be inspired by the reply of Ibn Hajar and his modesty which is an example to follow.

Al Imam Taqi-ud-Deen Talha Bin Modaffar Al Althee (died 593 H) is amongst these scholars whose pupil Al Shaikh Nasih-ud-Deen Bin Al Hanbalee said about him "He had learned a great deal of Prophetic Traditions and recited 'Al Sahih' of Muslim in three sessions" also he used to recite 'Al Jamhara' book before Ibn Al Qassar who, being amazed with the speed and fluency of recitation, asked " Does Talha memorize this book?", "No." was the reply. The aforementioned pupil said " He used to weep while reciting a Tradition or while reciting Quran in prayers".

Al Dhayl by Ibn Rajab 1:390

Consider how Allah had blessed him with the desire for knowledge and its application.

Al Imam AL Sabki wrote the biography of Al Imam Abul Fath Ibn Daqeeq-el-Eid Al Qoshayri (died 702 H) in which he said "The way in which he spent his night in learning and praying was amazing such that he might finish a volume or two in a night"

Tabaqat Al Shafi'yyah Al Kobra 9:211

It is reported that Al Imam Al Hafiz Shams-ud-Din Al Dahabi (673-748 H) had "Recited 'Al Seera' of Ibn Hisham before his instructor Al Sheikh Abil Ma'alee Ahmad Bin Ishaaq Al Abraqoohi (615 – 701 H) in six days only during his journey to Egypt".

Al Dahabi wa Manhajuho fi Tareekh Al Islam p.94

Al Dahabi was 22 at the time while his instructor was 80.

Al Imam Al Hafiz Zain-ud-Din Al Iraqi (died 806 H) is another example. It is reported that "he had recited 'Al Sahih' of Muslim before Mohammad Bin Isma'eel Al Khabbaz (756-667 H) in six consecutive sessions in Damascus. The last session was attended by Al Hafiz Zain-ud-Din Bin Rajab (died 795 H) in

Consequently, compilations of such researchers would greatly enhance the Islamic Library as well as would win them rewards and blessings of Allah and gratitude and prayers of the people even after their departure from this world.

Verily, the accounts of our fore-scholars' readings and studies and their relentless quests and devotion in this regard are greatly motivating and fascinating. We direly need to comprehend such accounts today so that Allah may revive our dead hearts and stagnant ambitions as well as stimulate potential capabilities and withered visions.

Among such narrations, that of the Great Leader and the Chief of Interpreters and Historians Mohammad Bin Jareer Al Tabari (224-310 H), who said " When I arrived in Egypt in 256H, not a single scholar was left who did not examine me in the discipline of his specialization. One day a man asked me about prosody which I did not know before so I replied "I vowed not to talk about prosody today, however, you can come to me tomorrow,". I then asked a friend to get me a book called 'Al Aroodh' (Prosody) by Al Khalil Bin Ahmad and I studied it throughout the night. In the morning I was fully conversant in prosody"

Mo'jam Al Odaba 6:2449.

Consider such elated spirit and endurance that makes him spend the night studying a book, mastering its subject and becoming ready to be examined in it. Also, amongst these pioneers is the Retainer and Historian of Baghdad Ahmad Bin Ali Al Khateeb (391-463H) who reported in his biography of Al Sheikh Isma'eel Bin Ahmad Al Hiri Al Naysaboori (261-430 H) "He arrived, on his way for Hajj, in 423H accompanied by a camel-load of his books amongst which was 'Sahih Al Bokhari' which he learned from Abul Haytham Al Kashmaheeni via Al Firbari. However, the Hajj convoy could not proceed that year due to devastation in the route so it had to turn back to Naysaboor with Isma'eel tagging along. A few days before their journey back, I asked permission to recite the Al Saheeh book before him and he consented. Thus, I recited the whole book before him in three sessions, two of which were during two nights commencing at sunset and halting for the early morning prayer. Prior to the third session the Sheikh (Isma'eel) crossed to the eastern bank with the convoy and camped in Al Jazeera at Souq Yahya, so I went to him with some friends who witnessed both of my previous nights' recitations. At Al Jazeera I recited before him from morning till sunset then from sunset till predawn thus finishing the book and off went the Sheikh that very morning!" Tareekh Madinat Assalam 7:318

Al Dahabi said " I do not know anyone capable of such a thing these days"

Tareekh Al Islam 31:99

Al Qalqashandi considered Al Khateeb "a model of swift reading"

Saheeh Al A'shaa 1:454

So read along: be fascinated at such enthusiasm and try to be likewise.

Another incident that Al Khateeb had with 'Saheeh Al Bokhari' is narrated by Ibn Al Jawzy who said "He performed pilgrimage........and recited Saheeh Al Bokhari before Kareema Bint Ahmad Al Moroozi in five days" He made pilgrimage in 446 H when he was 55 years old, whereas he was 32 years of age

Editorial

In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful

Glory be to Allah and peace and blessings be upon our leader Mohammad, his kinfolk, his companions and his followers.

Nowadays, there exists an apparent and regrettable negligence of books by the students of religious disciplines besides their awful disregard for reading, as if they are not the grandchildren of those great forefathers who adored books and considered them the best of companions.

Therefore, I had decided to remind myself and the readers, here, of glimpses of the bond that fastened our senior scholars (may blessings of Allah be upon them) to books; how they adored them and how incredibly inclined they were towards spending the majority of their time in reading, contemplation and review of books; their perpetual craving for gaining knowledge as well as their great endurance and diligence in this regard.

This topic has vastly been mentioned in biography indexes that are affluent with such remarkable narrations that need to be gathered, methodically researched, appropriately classified and elaborated both qualitatively and quantitatively by a diligent researcher who by achieving so would have done himself and everyone else a great service.

It is only through gaining an insight of the devotion of our senior scholars towards books and study that we can perceive how they had established themselves and developed their personalities.

It is worthy of mentioning that among the factors that characterize a successful and skillful researcher are his well-established and integrated education as well as his balanced, rational and composed personality; both of which should be acquired according to the approach of the fore-scholars of the Ummah consisting of:

* Seeking the Sheikhs (senior scholars); joining their sessions; and acquiring knowledge by keeping their company for long periods of time.
* Dedication to extensive reading, comprehending and learning of books.

Thus, a serious learner having followed these two guidelines would evolve into a true researcher who will carry out comprehensive studies; write authentically and expertly due to his acquired solid knowledge in various books' contents and methodologies.

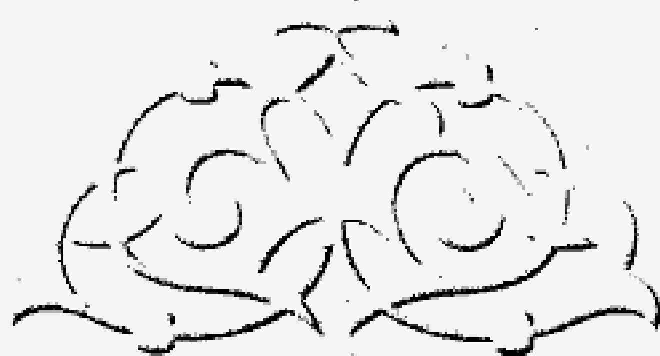


Table Of Content

Published Researches do not necessarily
Express AL. Dar-views



All correspondence should be addressed To :
Managing editor of AL. Ahmadiyah Journal,
Reseach House For Islamic Studies and Heritage Revival
P. O. Box 25171 Dubai U . A . E
Teleph : 04 - 3456808 . Fax : 04-3453299



* Copy Price : U . A . E (10 Dirhams), Saudi Arabia (10 Riyals), Kuwait (800 Fils), Qatar (10 Riyals) , Bahrain (800 Fils) , Uman (500 Pesos) , Egypt (4 Pounds) , Syria (50 Liras) , Lebanon (2000 Liras) , Jordan (1 Dinar) , Yemen (70 Riyals) , Sudan (75 Dinars), Morocco (20 Dirhams) , Algeria (25 Dinars) , Tunisia (1 Dinar) , Outside Arab Countries (the Equivalent of 2 U. S. Dollars).
Outside theArab countries (the Equivalent of 2 US $)
* Annual Subscription : U. A. E (30 Dhs) Arab & Islamic Countries .
(the Equivalent of U.A.E 100 Dhs) . Outside Arab Countries (45 US $).

Publishing Rules

The Journal is concerned with publishing the learned researches and heritage verifications according to the following rules.

1- Only original, previously unpublished articles will be admitted. Articles sent to be published elsewhere will not be admitted. If a contribution is accepted to be published in al-Ahmadiyah. It should not be published elsewhere, until one year, at least, had elapsed after publication.

2- The research work should not be derived from any other research study or treatise through which a researcher has acquired an Academic Degree.

3- The size of the contribution should not exceed 60 pages.

4- The research work should be genuine in its theme, method, presentation, language and sources. It should be consistent with its title, free from the inessentials, thoroughly authenticated and with adherence to punctuation rules and the requirements of the academic works.

5- Reference to the source's page number should be placed as footnotes.

6- Footnotes should be numbered page by page throughout the text.

7- References in the footnotes as well as in the index of sources should start with the title of the book, then the author's name.

8- In the footnotes, the publication information should not be mentioned unless the author is refering to more than one publication for the same book.

9- Priority should be given to al-Hijri calender.

10- Non-Arabic proper names should be written in Arabic, then in their original language within parentheses if the author wishes to.

11- All references should be listed at the end of the paper, alphabetically arranged according to the title of the reference.

12- Manuscripts and illustrations should appear in their proper location in the text.

13- Arabic and English resumé of the topic in about ioo words should be submitted by contributor.

14- A precise C.V. of the author should be provided.

15- Contributions should be typed or hand-written clearly, thoroughly checked, and only the original copy should be submitted.

16- Contributions are not to be returned to their authors whether published or not.

17- A note will be sent to the authors after the reception of their contributions .

18- Arrangement of the articles in the journal is subject to technical censideration.

19- Twenty off-prints in addition to three copies of the issue in which the contribution is published, will be sent to the author, plus a reward in money.



In the name of Allah,
Most Gracious,
Most Merciful



Issue No. 11 Jumada I - 1423 A.H / July 2002 A.D



ردمد ١٦٠٩ - ٨٧٠٦

اطلب هديتك مع العدد



مجلة علمية دورية محكّمة
تعنى بالدراسات الإسلامية وإحياء التراث

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم
قال الشيخ الإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن إسمعيل بن إبراهيم
الشافعي المقدسي المعروف بأبي شامة رحمه الله تعالى

تصدر عن
دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث
دبي


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی